السيرة النبوية في كتابات المستشرقين

(دراسة منهجية تطبيقية على المدرسة الإنجليزية)

تأليف

الدكتورة/ سهيلة زين العابدين حمّاد

موقف مستشرقي المدرسة الإنجليزية من تكوين الدولة الإسلامية ووضع تنظيماتها ونظمها الأساسية

(الجزء الثالث)

النسخة الالكترونية الأولى

1444هـ/ 2022 م

السيرة النبوية في كتابات المستشرقين

دراسة منهجية تطبيقية على المدرسة الإنجليزية

تأليف

الدكتورة/ سهيلة زين العابدين حمَّاد

موقف مستشرقي المدرسة الإنجليزية من

تكوين الدولة الإسلامية ووضع تنظيماتها ونظمها الأساسية

الجزء الثالث

النسخة الالكترونية الأولى

1444هـ/2022م

التعريف بالكتاب بأجزائه الأربعة

هذا الكتاب هو بحث للدكتوراة يكشف لنا دور المستشرقين عبر سبعة قرون في تكوين الرأي العام الغربي تجاه الإسلام والمسلمين ، والذي تمخَّض عنه ما نراه اليوم من حملات مستعرة ضد الإسلام ، والنيل من الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما يكشف لنا هذا الكتاب ما قام به المستشرقون ، ومنهم أكثر من أربعين مستشرقًا يهوديًا من دور كبير لدعم الصهيونية ، ودولة الكيان الصهيوني واستعمار الدول العربية ، وإيجاد النظرية العرقية التي تستهدف التقليل من شأن العرب والعقلية العربية والإسلامية لتبرير استعمارهم لبلادهم ، والعمل على إحباط المسلمين وإشعارهم بالدونية ليخضعوا بالتبعية لكل ما هو غربي ، ويتمثل هذا في الغزو الفكري والثقافي والعلمي والاقتصادي الذي تعاني من الأمتيْن العربية والإسلامية ، كما يكشف لنا هذا الكتاب دور الاستشراق في إثارة النعرات الطائفية والمذهبية والعرقية ، وما يتعرض له الآن العالمان العربي والإسلامي من هيمنة أمريكية وصهيونية ، ومن ضعف وتشتت وانقسام واحتلال أمريكي للعراق وأفغانستان ، وحرب إبادة للشعب الفلسطيني ، فإدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش عكفت على تنفيذ مخططات المستشرق اليهودي الإنجليزي الأمريكي " برنارد لويس " في تقسيم البلاد العربية والإسلامية على أساس طائفي ومذهبي وعرقي ، وإدارة الرئيس باراك أوباما مستمرة في تنفيذ هذا المخطط.

ومن خلال التصدي للشبهات التي أثارها سبعة عشر مستشرقًا إنجليزيًا حول السيرة النبوية العطرة في دوريها المكي والمدني ، وحول القرآن الكريم والتشريعات المدنية تتكشف لنا حقيقة المنهج المتبع لدى مستشرقي المدرسة

الإنجليزية في كتاباتهم عن الإسلام ، والسيرة النبوية ، وهو منهج يتناقض تمامًا مع المنهج العلمي المدعى.

كما يكشف هذا الكتاب لأول مرة حقائق لم يسبق التوصل إليها.

المؤلفة

فهرس الموضوعات

التعريف بالكتاب بأجزائه الأربعة 3
فهرس الموضوعات..... 5
الباب الخامس..... 14
موقف المستشرقين الإنجليز من تكوين الدولة الإسلامية ووضع تنظيماتها الأساسية 14
الفصل الأول..... 15
المجتمع المدني قبل الهجرة..... 15
تمهيد 15
يثرب..... 18
الأوس والخزرج أسبق من اليهود في سكنى يثرب 28
النشاط الاقتصادي لليهود في يثرب وفق تصورات المستشرقين الإنجليز 39
الحالة الاقتصادية في يثرب..... 41
-الزراعة..... 41
الصناعة في يثرب..... 43
الصناعة الخشبية..... 44
تربية الماشية..... 44
الفصل الثاني 46
الهجرة إلى المدينة المنورة..... 46
موقف مستشرقي المدرسة الإنجليزية من الهجرة إلى المدينة..... 47
الرد على شبهات المستشرقين حول الهجرة النبوية إلى المدينة 60
أولًا : الرد على مقولة الفريد جيوم إنَّ قريشًا استصغرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ... 60
ثانيًا : الرد على شبهة جيب وكالمرز بأنَّ الهجرة انتقال من الدور الديني إلى العلماني..... 62
ثالثًا: الرد على شبهة التزويق الأسطوري للهجرة..... 63
رابعًا: الرد على شبهة الهروب..... 64
خامسًا: الرد على شبهة دعوة أهل المدينة للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة
لأسباب دنيوية 65
الفصل الثالث 69

بناء المسجد النبوي الشريف..... 69
بناء المسجد النبوي الشريف..... 70
دور المسجد النبوي في المجتمع المدني في العهد النبوي..... 74
موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من بناء المسجد النبوي..... 76
هاملتون جيب وكالمرز بناء المسجد تقليد للبيع اليهودية..... 76
وات بناء مسجد المدينة على شكل كنيس يهودي..... 77
الرد على شبهات جيب ووات حول شكل بناء المسجد النبوي 77
الفصل الرابع 81
إصدار الصحيفة 81
تمهيد 82
مصادر الصحيفة..... 84
نص الصحيفة..... 87
تاريخ كتابة الصحيفة 98
موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من الصحيفة..... 105
تشكيك وليم موير في الصحيفة..... 106
مرجليوث لا يشك في كون الصحيفة من عمل النبي صلى الله عليه وسلم..... 106
إقرار الفريد جيوم بالصحيفة وموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود فيها 107
موقف الموسوعة الإسلامية الميسرة من الصحيفة 107
مونتجمري وات يثير الشكوك حول صحة الصحيفة 108
بودلي يقر بموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود..... 111
تشكيك برنارد لويس في الصحيفة 112
موقف إسرائيل ولفنسون..... 114
الشبهات التي أثارها المستشرقون الإنجليز حول الصحيفة 117
الرد على مزاعم المستشرقين حول الصحيفة..... 119
أولًا: التشكيك في صحة الصحيفة بحجة أنَّ ابن إسحاق عندما أوردها لم يذكر مصدره 119
ثانيًا: الرد على شبهة أنَّ حكم النبي صلى الله عليه وسلم كان حُكمًا دينيًا استبداديًا فرديًا.. 137
تحليل الصحيفة 138
1.أنَّ جميع المؤمنين والمسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة 138
2.الإبقاء على بعض الأعراف القديمة التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام 139

3.مسؤولية الدولة الإسلامية الأولى مسئولية كاملة عن مواطنيها كافة..... 142
4. إقرار مبدأ الجوار 143
5 .المساواة في الخروج في السرايا والمعارك وعبء القتال..... 144
6. منع الظلم وعدم إقراره..... 145
7. اعتبار مشركي المدينة ويهودها من مواطني الدولة الإسلامية 146
8. جواز الانضمام إلى المعاهدة..... 147
9.تنظيم حق الأخذ بالثأر تفاديًا للحرب في المجتمع الإسلامي الجديد 147
10. تحديد مبدأ جديد هو أنَّ العقوبة لمرتكبها فقط..... 148
11. عدم إبرام صلح منفرد مع الأعداء..... 149
12.منع وإيواء المجرمين 149
13.تنظيم عملية دفع نفقات الحرب على جميع مواطني الدولة 149
14. تحريم المدينة 149
رئيس الدولة هو محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم..... 150
ثالثًا: الرد على مزاعم مونتجمري وات حول نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني عوف
..... 158
الرد على مقولة برنارد لويس إنَّ الصحيفة ليست معاهدة بالمعنى الأوروبي..... 162
الرد على ما جاء في الموسوعة الإسلامية الميسرة أنَّ الصحيفة لم تلق اهتمامًا في القرآن الكريم
..... 163
الفصل الخامس..... 164
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار 164
أوضاع الأوس والخزرج والمهاجرين قبل المؤاخاة..... 165
مناقب الأنصار 166
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار 167
موقف المدرسة الاستشراقية الإنجليزية من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار 170
موير ونجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في التوفيق بين المهاجرين والأنصار 170
هاملتون جب وكرامرز وتوحيد العناصر المتنافرة..... 170
مغالطات وات حول المؤاخاة..... 172
الرد على مغالطات وات 174
الفصل السادس..... 178

موقف المستشرقين الإنجليز من موقفه عليه الصلاة والسلام من اليهود في المدينة وخيبر 178
مصطلح "غزوة" لمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة وخيبر وحروبه مع مشركي مكة المكرمة 179
مواقف المستشرقين من موقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة وخيبر..... 182
وليم موير يزّيف في التاريخ ويزعم أنَّ أبا سفيان نجح في ضم بني قريظة إليه 183
إدعاء مرجليوث أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عاش في المدينة على النهب وقطع الطرق185
المؤرخ هـ . ج . ولز لم يكن موضوعيًا في حديثه عن موقعة بني قريظة..... 186
ألفريد جيوم يتجاهل نقض اليهود مابينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق 187
جيوم يزّيف التاريخ مثل موير 189
المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي محايد وموضوعي في عرض موقف الرسول (ص) من اليهود في المدينة..... 192
هاملتون جب وكالمرز تأثرا بمرجليوث وجيوم 193
مونتجمري وات يشكك في أسباب وظروف مهاجمة بني قينقاع والنضير ويقرر أنَّ الحصول على المال من..... أسباب الهجوم 196
موقف بودلي من الصراع العسكري بين الرسول (ص)وبين اليهود في خيبر..... 204
قتل عصماء بنت مروان..... 205
مقتل أبي عفك لهجائه للرسول صلى الله عليه وسلم..... 206
يوم بني قينقاع في تصور بودلي..... 207
قتل كعب بن الأشرف ومعاهدة جديدة مع اليهود..... 207
إجلاء بني النضير وتزييف بودلي في التاريخ بإخفاء وقائع..... 208
بنو قريظة وهجوم بودلي على موقف الرسول صلى الله عليه وسلم بما يشبه الدفاع 209
يوم خيبر وأسباب وضعها بودلي..... 213
زينب اليهودية أخت مرحب والشاة المسمومة..... 214
أنتوني نتنج كان معتدلًافي حديثه عن موقف النبي (ص) من بني قريظة 215
لم يبين أنتوني أسبابًا لفتح خيبر وزيّف في حادثة الشاة المسمومة..... 216
برنارد لويس يتعاطف مع اليهود ويخفي جرائمهم وخياناتهم 216

يوم خيبر في منظور لويس 217
كارين أرمسترنج تقر أنّ نزاع الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة نزاع سياسي محض..... 218
خلاصة موقف المدرسة الإنجليزية من صراع الرسول العسكري مع اليهود في المدينة وخيبر 221
الرد على مزاعم وشبهات المستشرقين حول موقف الرسول (ص) من اليهود في المدينة وخيبر..... 223
موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود وبعد وصوله المدينة..... 224
أسباب عداء اليهود للإسلام..... 225
مواقف اليهود العدائية من الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الصراع العسكري 228
الحوار الجدلي..... 228
2 ـ إنشاؤهم حزب المنافقين..... 234
3–سعيهم في الوقيعة بين الأنصار 236
4–محاولتهم إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفتنته 238
5_ مناواتهم حول تحويل القبلة..... 239
6– تحالفهم مع مشركي مكة..... 240
7– إثارة القبائل العربية الوثنية خارج المدينة..... 240
أسباب قتل بعض الأفراد من اليهود 243
أسباب مقتل أبي رافع سلام بن الحُقيق وأسير بن رزام اليهوديين..... 246
المواجهة العسكرية بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود " مواجهات الرسول (ص) مع اليهود..... 249
حصار بني قينقاع..... 251
تصحيح خطأ في الموسوعة الميسرة..... 257
وقفة مع باحث مسلم مستغرب 259
جلاء بني النضير 263
تأثر بعض الباحثين المسلمين بدعاوي مرجليوث..... 285
حصار بني قريظة..... 286
أسبابه..... 286
موقف بني قريظة في الأحزاب 287
يوم خيبر..... 315
أسبابه..... 315

الرد على ما أثاره بودلي ووات من شبهات حول زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حُيي 323
الفصل السابع 328
حروب الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين 328
تمهيد 329
سرية وادي نخلة..... 330
وليم موير يصف السرايا " أعمال عدائية" 332
الفريد جيوم يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهك حرمة الشهر الحرام 333
وات يضع رواية وينسبها إلى ابن إسحاق حول سرية وادي نخلة..... 337
من استنتاجات وات الباطلة المبنية على روايته الباطلة..... 343
بودلي يردد مزاعم من سبقه من المستشرقين من أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم صرح لابن جحش بالقتال 347
برنارد لويس يصف سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّها غارات للحصول على الغنائم . 350
موقعة ذي العشيرة..... 353
كارين آرمسترونج تستعير من وات تبريراته حول سرية وادي نخلة 355
بدر الكبرى..... 361
أسبابها..... 361
عدد جيش المسلمين وعدد إبلهم..... 362
عدد جيش المشركين وعدد خيولهم 363
القرآن الكريم يصور موقف المسلمين 364
مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه عامة والأنصار خاصة..... 364
الخلافات في جيش المشركين..... 366
نزول الرسول صلى الله عليه وسلم على مشورة الحباب بن المنذر..... 366
نزول المطر يوم بدر 367
استجابة الله جل شأنه لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وإمداده بالملائكة 368
تنظيم الرسول صلى الله عليه وسلم للجيش..... 369
استشارته صلى الله عليه وسلم في أمر أسرى بدر..... 371
الغنائم 372
موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من يوم بدر..... 373

وليم موير يقر بأنّ تائج بدر الحربية معجزة إلهية 373
الفريدجيوم يقر بأنّ الإيمان القوي بعون الله من عوامل النصر في بدر 374
هاملتون جب وكالمرز يشيران إلى الآيات التي نزلت في بدر..... 375
"مونتجمري وات" يفسر انتصار المسلمين في بدر تفسيرًا ماديًا..... 377
وات يثير الشبهات حول أسرى بدر..... 378
إغفال وات أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورة أصحابه في بدر..... 380
بودلي يحذو حذو وات في تبرير هزيمة المشركين في بدر ويثير الشبهات حول أسبابها 382
إشارة إلى استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر حول الأسرى..... 386
أنتوني نتنج أرجع أسباب بدر إلى الانتقام من قريش 387
برنارد لويس يخطئ خطأ تاريخيًا كبيرًا بقوله إنّ الهجوم في بدر كان على قافلة مكية 388
موقعة أُحد 398
أسبابها..... 398
مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه..... 400
تعقب كفار قريش في حمراء الأسد 409
موقف المدرسة الاستشراقية الإنجليزية من موقعة أُحد 411
وليم موير يزعم أنّ شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أُحد شجاعة طارئة..... 411
الفريد جيوم يلغي مبدأ الشورى ويجعله أمر وإرغام..... 412
شهادة من الفريد جيوم على عظمة عمل الرسول صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد ... 415
الرد على شبهات جيوم 415
جب وكالمرز يزّيفان في التاريخ ويغيران من حقائقه..... 417
وات يغيّر في وقائع أُحد ويطلب منّا أن نغيّر الروايات الإسلامية وفق مرئياته..... 418
وجود عبد الله بن أبي مع فرقته في الميدان لحمايتها من هجوم منتظر 424
وات يتهم القرآن بالمبالغة 426
اعتراف وات أّن أُحدًا لم تكن انتصارًا للمكيين..... 430
ولبودلي رؤية في أُحد تخالف وات وتتفق أحيانًا مع الروايات الإسلامية 430
بودلي يزعم أنّه كان في جيش المسلمين في أحد ثلاثمائة من اليهود وغيرالمسلمين..... 431
بودلي يثير شبهة حول نزول الرماة من الجبل وتركهم مواقعهم فيه..... 433
شهادة من بودلي على أنَّ ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد أنّه عمل استراتيجي من..... الطراز الأول
..... 434

أنتوني نتنج يزعم أنّ انسحاب عبد الله بن أبي ومعه ثلاثمائة مقاتل أضعف المسلمين..... 435
برنارد لويس يعترف بعدم هزيمة المسلمين في أُحد..... 436
كارين آرمسترونج تقرر أنّ قريشًا لم تحقق نصرًا عظيمًا في أُحد..... 436
موقعة بني المصطلق وحادثة الإفك..... 438
حادثة الإفك..... 440
موقف المدرسة الإنجليزية من حادثة الإفك..... 443
هاملتون جب وكالمرز تحدثا عن آية البراءة وكأنّ فيها إدانة..... 444
الرد على شبهة جب وكالمرز..... 445
الرد على تهمة بودلي للسيدة عائشة أنّها وراء الفتنة الكبرى..... 453
شبهات أخرى يثيرها بودلي حول السيدة عائشة رضي الله عنها..... 456
الرد على شبهة بودلي بأنّ مقابلة السيدة عائشة بصفوان مُدبّرة..... 457
أنتوني نتنج وحادثة الإفك..... 459
كارين آرمسترونج متأثرة ببودلي في حادثة الإفك..... 460
موقف وليم موير من الإفك..... 461
موقف المدرسة الإنجليزية من يوم الخندق..... 462
موقف المدرسة الإنجليزية الاستشراقية من صلح الحديبية..... 463
فتح مكة..... 465
موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من فتح مكة..... 468
جب وكالمرز يزعمان أنّه كان في نية النبي صلى الله عليه وسلم خرق الهدنة..... 468
وات يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان كتّاب أوروبيين بعدم الوفاء بالعهود 469
برنارد لويس يحرّف في الأحداث ويجعلها خلافًا شخصيًا..... 470
أنتوني نتنج لم لكن أمينًا في توضيح خرق قريش للهدنة..... 470
الفصل الثامن..... 471
عالمية الإسلام..... 471
تمهيد..... 472
رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء عصره..... 486
تاريخ إرسال الرسل إلى الملوك والأمراء والزعماء..... 490
رسل " سفراء " النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء زمانه..... 491
موقف المدرسة الاستشراقية من عالمية الإسلام..... 492

الرد على نفي عالمية الإسلام..... 493
خاتمةالبابالثالث 494

الباب الخامس

موقف المستشرقين الإنجليز من تكوين الدولة الإسلامية ووضع تنظيماتها الأساسية

الفصل الأول

المجتمع المدني قبل الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الدور المدني من السيرة النبوية العطرة رغم أنَّ مدته عشر سنوات ، إلاَّ أنَّه حافل بالأحداث الهامة ؛ إذ وضعت فيه أسس الدولة الإسلامية ، ونزلت فيه معظم التشريعات ، ومن ضمنها تشريع الجهاد ضد المشركين واليهود والمناوئين للإسلام والمحاربين له ، وكانت نتيجة هذا الصراع والجهاد جلاء اليهود عن المدينة ، ودخول الجزيرة العربية الإسلام .

هذا وقد كان لكبار مستشرقي المدرسة الإنجليزية مواقف من هذا الدور ، والتي يمكن تحديدها في الآتي :

1- الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.
2- بناؤه صلى الله عليه وسلم للمسجد.
3- إصداره صلى الله عليه وسلم للصحيفة.
4- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
5- موقفه صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة وخيبر وشمال الجزيرة العربية.
6- الوحي المدني.
7- التشريعات المدنية ، ونظم الدولة الإسلامية.
8- معارك الرسول صلى الله عليه وسلم وحروبه.

9- عالمية الدعوة.

وأمَّا المستشرقون الذين سوف أتناول عرض آرائهم وتفنيدها ، والرد على ما يثيرونه من شبهات هم :

1- وليم موير "1819- 1905م" من خلال كتابه حياة محمد "بالإنجليزية".

2- ديفيد صموئيل مرجليوث "1858-1940م" من خلال كتابيه "حياة محمد " ،و " نشأة الإسلام ".

3- السير توماس أرنولد "1864- 1930م" من خلال كتابيه "الخلافة "،ترجمة جميل معلى ،و" الدعوة إلى الإسلام ".

4- الفريد جيوم "1888- 1962م" من خلال كتابه" الإسلام "بالإنجليزية " ،والنسخة المترجمة إلى العربية ،ترجمة د.مصطفى هدارة ،ود.شوقي اليماني السكري.

5- أرنولد توينبي "1889- " من خلال كتابيه " تاريخ البشرية" ،و"المشكلة اليهودية العالمية".

6- هاملتون جيب "1895- 1971م" من خلال كتابه " المحمدية" "بالإنجليزية " ،والموسوعة الإسلامية الميسرة التي شاركه في الإشراف على تحريرها المستشرق الهولندي كالمرز ،وترجمة راشد البرادي.

7- آرثر جون آربري "1905-1969م" من خلال كتابه "ملامح الحضارة الإسلامية" "بالإنجليزية".

8- مونتجمري وات "1909م " من خلال كتابيه "محمد في مكة" ،و"محمد في المدينة"،بالإنجليزية والعربية ،تعريب "شعبان بركات".

9- بودلي من خلال كتابه " الرسول ...حياة محمد " ،ترجمة محمد فرج ،وعبد الحميد جودة السحَّار.

10- نويل كولسون من خلال كتابه "تاريخ التشريع الإسلامي" ترجمة وتعليق د. محمد أحمد سراج.

11- برنارد لويس "1916...." من خلال كتابه "العرب في التاريخ" تعريب أمين فارس ،ومحمود زايد.

أمَّا المنهج الذي سأتبعه ، فهو عرض آراء بعض المستشرقين في الموضوع المطروح ، والروايات التي استندوا عليها ، ثُمَّ أقوم بالتحقيق في تلك الروايات من حيث السند والمتن ، وأبيِّن مدى ضعفها ، أو صحتها ، أو إذا كانت موضوعة ، أو محرَّفة ، وأرد على ما يُثار من شبهات ، ثُمَّ أبيِّن المناهج التي اتبعها المستشرقون في كتاباتهم عن هذا الدور ، وكذلك مصادرهم.

يثرب

على بعد حوالي ثلاثمائة ميل من شمال مكة المكرمة تقع يثرب "الاسم القديم للمدينة المنورة" ، بيثرب نسبة إلى مؤسسها " **يثرب بن عبيل بن قانية** " أحفاد نوح عليه السلام[1].

[1] - أنظر المسعودي (ت.346هـ / 957 م) مروج الذهب ،شرح وتقديم الدكتور محمد مفيد قميحة ،ط1 ،دار الكتب المصرية ببيروت ،2 /160 ،وياقوت الحموي : معجم البلدان ،5 / 430.وابن الأثير "ت. 630هـ /1232م)"،الكامل في التاريخ ،تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ،1 /61، ، ط2 ،سنة 1451هـ،وابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،مؤسسة جمال للطباعة والنشر ،بيروت . لبنان ،2/ 286.

ويثرب واحة خصيبة التربة غزيرة المياه، محصورة بين لابتين بركانيتين تعرفان بالحرتين[1] هما حرة واقم من الشرق، وحرة الوبرة في الغرب، وحرة واقم أكثر خصوبة وعمرانًا من حرة الوبرة.

ويقع جبل أحُد شمالها وجبل " عير " في جنوبها الغربي، وتقع فيها عدة وديان أشهرها وادي بطحان، ومذينيب ومهزور، والعتيق، وهي منحدرة من الجنوب إلى الشمال حيث تلتقي عند مجتمع الأسيال من رومة [2].

والمنطقة بين قباء والمدينة من أخصب مناطقها، بل لعلها أخصبها وهي التي تثمر جل فاكهتها وخضرها، ومن ثم كانت منتزه أهل يثرب، ومصحتها في مختلف العصور، يخرج إليها الناس للتريض ويقيم بها الناقهون، لاستعادة النشاط والقوة[3] .

وحرة واقم التي تحد المدينة من الشرق كانت أكثر عمرانًا من الوبرة، وحين هاجر النبي صلي الله عليه وسلم إلى المدينة سنة 622 م كانت حرة واقم مسكونة بأهم قبائل اليهود من بني النضير، وقريظة وعدد من عشائر اليهود الأخرى، كما كانت تسكنها أهم البطون الأوسية، بنو عبد الأشهل، وبنو ظفر، وبنو حارثة، وبنو معاوية، وفي منازل بني عبد الأشهل كان يقوم حصنهم واقم الذي سميت الحرة باسمه. وقد ترك أصحاب هذه المنازل من اليهود والأوس آثاراً في الحرة تدل على حضارة ونظام وتركوا بها آثار مصانع وصهاريج مياه لم يبق منها إلا الأطلال، فقد كانت هذه الحرة ميدان حرب منذ استقر الإسلام بالمدينة، فقد حاصر النبي اليهود من بني

---

[1] . الشريف. د.أحمد إبراهيم . مكة والمدينة في الجاهلية ،عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .ص 312.دار الفكر العربي .

[2] . العمري، .د. أكرم . السيرة النبوية الصحيحة ،2 / 227.

[3] – مكة والمدينة في الجاهلية ، ص 312.

النضير حتى أجلاهم، ثم حاصر بني قريظة حتى قضي عليهم. وبها وقعت موقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية سنة 63هـ /682م [1].

وحرة الوبرة التي تحد المدينة من الغرب ، تبدأ قبالة قباء من الجنوب عند ذي الحليفة ، ميقات الإحرام لأهل يثرب. وأول الطريق إلى مكة. وبأقصى حرة الوبرة من ناحية الشمال بمجتمع أسيال المدينة تقع بئر رومة. وكانت مملوكة لرجل يهودي كان يبيع ماءها للمسلمين فاشتراها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه استجابه لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفع ثمنها عشرين ألف درهم[2] .

وفي شمال المدينة جبل أحُد، يفصل بينها وبينه وادي قناة ، وفي جنوب هذا الوادي إلى الشمال الغربي من المدينة يقع جبل سلع، وبه النتوء الذي يعرف بجبل عين، وعليه كان موقف الرماة من المسلمين يوم أحُد[3] ،هذا وقد ذكر السمهودي [4]أربعة وتسعين اسمًا للمدينة، وقال: "إنَّ كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، وقال ياقوت[5] :" إنَّ لهذه المدينة تسعة وعشرين اسمًا ، وكذا أحصى المجد الشيرازي اللغوي نحو ثلاثين اسمًا ، ونقل ابن زبالة أنَّ عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، قال: بلغني أنَّ للمدينة

---

[1] . الشريف ، د. أحمد إبراهيم .مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم .ص 312.

[2] . المرجع السابق : ص 313.

[3] . عن وصف المدينة : أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان .5 / 430 نالسمودي ،وفاء الوفا،156/1.

[4] . وفاء الوفا ،1/ 8،9.

[5] . الحموي، ياقوت . معجم البلدان ،./ 83.

في التوراة أربعين اسمًا [1]، ومن أسمائها أثرب، ويثرب ، قال تعالى (إِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ) [2]

ومن أسمائها أيضاً "البلد" قال تعالى (لا أقسم بهذا البلد) ودار الهجرة، والسنة، وطيبة، وطابة، وقرية الأنصار، ومدينة الرسول، ومنجع الرسول، واكالة البلدان، والمباركة، والمسكينة، والعذراء، والبارة، والفاضحة وسميت بهذا الإسم لأنّ من أضمر فيها شيئًا من السوء أظهر الله ما أضمره وافتضح أمره[3] .

وقد شاع إسم يثرب قديمًا، ووجد في نقوش وكتابات تاريخية غير عربية بهجاء قريب جدًامن اللفظ العربي، ففي جغرافية بطليموس عرفت باسم " Yathripaيثربًا" وعند أسطفان البيزنطي "يثرب" وكان أسطفان يسميها أحيانًا بالكلمة الأولى فيذكرها باسم Medinat أوMdinto ، ووجد اسمها في نقش على عمود في حران يؤرخ للملك البابلي، بنوبند باسم " Itribo أتريبو [4] ، وهذه الألفاظ تتصل جميعها باللفظ العربي الأصلي يثرب، وتؤكد قدم التسمية وانتشارها[5] .

ويثرب من التثريب أي لاتعيير ولا عيب، كما قال تعالى:(لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) [6] قال المفسرون وأهل اللغة: معناه لاتعيير عليكم بما صنعتم، ويقال:

---

[1] . رضا ، محمد . محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ص 141، ،دار الريَّان للتراث ، طبعة سنة 1395هـ 1975م

[2] . سورة الأحزاب : 13.

[3] . رضا ، محمد. مرجع سابق . ص 141.

[4] . علي ، د. جواد . المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،4 / 130.

[5] . بدر ، د. عبد الباسط . (1414هـ/ 1993م) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ،1/ 17، ط1.

[6] . يوسف : 92.

أصل التثريب: الإفساد، ويقال: يثرب علينا فلان، وعندما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم يثرب سماها" طيبة وطابة كراهية للتثريب" قال ابن عباس رضي الله عنهما "من قال للمدينة يثرب فليستغفر ثلاثًا ، إنَّما هي طيبة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر(اللهم إنّك أخرجتني من أحب أرضك اليَّ فأسكني أحب أرض إليك" فأسكنه المدينة [1] .

سكان المدينة قبل الهجرة النبوية وآراء المستشرقين حولهم

كان سكان المدينة قبل الهجرة النبوية الأوس والخزرج ، وبعض القبائل العربية، ويهود بني القينقاع ، وبني النضير وبني قريظة ، ورغم إجماع المصادر العربية [2]على أنَّ أصل سكان يثرب هم من العماليق ، إلاَّ أنَّنا نجد بعض المستشرقين ينكر أنَّ العماليق هم السكان الأصليون ليثرب ، ومن هؤلاء وليم موير الذي يعتبر ذلك مجرد أسطورة من أساطير العرب [3] ، في حين نجد أنَّ مرجليوث يدعي أنّ اليهود هم السكان الأصليون ليثرب ؛ إذ يعتبر أنَّ "الخرافات التي تدعي وجود مستعمرات يهودية في يثرب وليدة الخيال [4]وصرَّح في كتابه "محمد ونشأة الإسلام" بأنَّ اليهود أول من سكن يثرب[5]، مستندًا إلى رواية الأصفهاني .

---

[1] . الحموي ، ياقوت . معجم البلدان،5/ 430.

[2] – الطبري . تاريخ الأمم والملوك 1 / 197،المسعودي : مروج الذهب ،2/ 160 ،وياقوت الحموي ،ومعجم البلدان ،5/ 430،ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،61/1،تاريخ ابن خلدون ،1 /286،السمهودي :وفاء الوفا،165/1.

[3] Muir,life of Mohammad v.1p.ccxxix–ccxxiv.

[4] . مرجليوث ، ديفيد صموئيل . دراسات عن المؤرخين العرب . ص 54. جمة حسين نصَّار . دار الثقافة . بيروت .

[5] . Mohammad and the rise of Islam p.18. .

ويؤيد برنارد لويس مرجليوث ؛ إذ يصرح بأنَّ سكان يثرب في الأصل قبائل يهودية من الشمال، ولاسيما بنو النضير، وبنو قريظة ، وقد اجتذب خصب المدينة النسبي جماعات من العرب الوثنيين، جاءت كموالي لليهود في البداية ، ولكنها نجحت في آخر الأمر في السيادة على المدينة ، والمدينة ، أو يثرب كما كانت تعرف قبل الإسلام، لم يكن لها شكل من أشكال الحكومة الثابتة ، وكان يتنازعها حفدة القبيلتين العربيتين المتشاحنتين وهما الأوس والخزرج[1] .

ويخالف بودلي مرجليوث وبرنارد لويس مقررًا أنَّ اليهود لا وطن لهم، وأنَّهم مشردون[2] ، وأنَّ اليهود قد فروا إلى يثرب بعد اضطهاد طيطس لليهود ونهبه لبيت المقدس سنة 70م .

أما الفريد جيوم فهو لايعرف بالضبط متى كان أول نزول لليهود في الجزيرة العربية ويذكر ثلاث احتمالات وهي في القرن الثامن قبل الميلاد إثر سقوط سامرا سنة 721ق.م. أو في القرن السادس قبل الميلاد ؛ إذ شهد هذا التاريخ إنشاء المستعمرات اليهودية الضخمة في بلاد ما بين النهرين ، أمَّا التاريخ الثالث وهو في القرنين الأول والثاني الميلاديين حيث اضطهاد الروم لليهود ، ويقرر أنَّ هذا التاريخ هو الأقرب إلى الصحة ، وهنا يتفق مع بودلي ، إلاَّ إنَّه لا يستبعد التاريخ الأول[3]، أمَّا مونتجمري وات فلقد أثار قضية أخرى وهي: هل اليهود في يثرب من أصل عبراني ممن فروا من فلسطين بعد ثورة "باركخيا" أم كان معظمهم عربًا اعتنقوا الدين اليهودي ، ويذكر أنَّ هذه القضية أثيرت من قبل العلماء العرب ، ثم المختصين

---

[1]. لويس ، برنارد . العرب في التاريخ ، ص52 .ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد .

[2] .بودلي .الرسول ... حياة محمد .ص 162.

[3] . جيوم ، الفريد . الإسلام .مرجع سابق ،.ص12.

الغربيين ولم يصلوا إلى أي اتفاق[1] ، بينما يرى إسرائيل ولفنسون "المؤرخ اليهودي" أنَّ يهود يثرب خصوصًا وشمال الحجاز عمومًا أقرب إلى العنصر اليهودي منهم إلى العنصر العربي لمَا وصفهم القرآن الكريم [2]، كما أنَّه يرى أنّ هناك أدوارًا للوجود اليهودي في الحجاز، وأنّ هناك جماعات يهودية قدمت إلى الحجاز قبل الغزو الروماني، وبادت كما بادت قبائل عربية[3]، مستدلًا بذلك على رواية لأبي الفرج الأصفهاني[4] ، ويقر إسرائيل ولفنسون أنّ التواجد اليهودي في الجزيرة العربية كان استعمارًا وذلك عندما قال: "يمكننا أن نستنتج أنّ الاستعمار الجديد لم يقو على حد الظبا ولم يؤد إلى طرد القبائل عربية أصلية من موطنها ، كما حدث في الدور الذي استأصل فيه الفاتحون من بني إسرائيل، شأفة بطون معينية، وغيرها، وإنَّما الذي حدث في الطور الثاني أنَّ ضيوفًا مضطرين نزلوا على أبناء جلدتهم فاستقبلهم هؤلاء بالحفاوة والترحيب؛ إذ كانا يعلمون أنَّهم فارون من مخالب النسر الروماني، وسهل الامتزاج بين هؤلاء وهؤلاء بحكم الغريزة الجنسية والعاطفة الدينية وتعاون الجميع على العمل في سبيل الحيا، فنجحوا وأقروا وكان لهم في بلاد العرب شأن عظيم[5] .

---

[1] .انظر مونتجمري وات . محمد في المدينة . ترجمة شعبان بركات . ص 292 ـ 294 .منشورات المكتبة العصرية . صيدا. بيروت .

[2] .والفنسون ، إسرائيل . (1415هـ/ 1995م) تاريخ اليهود في بلاد العرب . تحقيق وتعليق . د. محمد السيد الوكيل . ص 58 . دار قطر الندى للنشر والتوزيع.

[3] .المرجع السابق . ص 51.

[4] .انظر أبو الفرج الأصفهاني . (1415هـ/ 1995م) . الأغاني. 22/ 111 " تحقيق :سمير جابر . دار الفكر . ط2 .

[5] . ولفنسون . إسرائيل . مرجع سابق . ص 53.

هذا وعند تحليل الروايات التي استند عليها بعض المستشرقين الذين أنكروا أن العماليق هم أول من سكن يثرب والذين زعموا أنّ اليهود هم السكان الأصليون ليثرب نجد الآتي :

1- أنّ مرجليوث وبرنارد ولويس - علمًا بأنّ لويس لم يذكر مصدره - قد استندا على الرواية التي أوردها السمهودي (ت 912هـ / 1506م) نقلًا عن رزين بن أبي المنذر "ابن المنذر الشرقي" كما يدون في بعض المطبوعات.. الروايات التي أوردها السمهودي ذاته لأبي قاسم الزجاجي أنّ أول من سكن المدينة عند التفرق ويثرب بن قانية[1] ، كما أغفلا ترجيح السمهودي لما ذكره بعض أصل التواريخ أنَّ قومًا من العمالقة سكنوا قبلهم أيضًا نجدهما أغفلا رواية الطبري (ت 310هـ / 922م) عن ابن عباس والتي جاء فيها أنّ عبيل .... بموضوع يثرب - ثم أشار إلى بني كنعان ، حيث أقاموا بالشام ، ثم جاء بنو إسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها [2] .

كما أغفل مرجليوث ولويس رواية المسعودي (346هـ / 957م) من أنَّ العماليق هم أول من سكن يثرب ، والتي يؤيدها ياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ / 1228م ، ويذكر الحموي أنَّ اليهود نزلت يثرب بعد العماليق .

ومن المعروف أنَّه من أبسط قواعد البحث العلمي التاريخي الأخذ بالروايات الأقرب إلى الحدث ، ولكن مرجليوث وبرنارد لويس أخذا برواية مفردة أوردها السمهودي دون أن يلتفتا إلى ترجمة ، وهذه الرواية أوردها مؤرخ في القرن العاشر الهجري ، وكان قد أوردها مع روايات أخرى تدحضها ، وتركا رواية الطبري ، ورواية المسعودي وهما مؤرخان في القرن الرابع الهجري ، أي أنّ هناك ستة قرون بين الروايتين ، علمبأنَّه ما جاء

---

[1] .وفاء الوفا . 1/ 156.

[2] .تاريخ الطبري : 197/1.

فـي روايتـي الطبـري والمسـعودي أورده كثيـر مـن المـؤرخين مثـل يـاقوت الحموي وابن الأثير، وابن خلدون ، ثم أنَّنا لو حللنا رواية رزين بن أبـي المنذر نجدها غير منطقية وهناك ما ينقضها :

أولاً: لأنَّ يثرب اسم للعماليق وليس لليهود ، واليهود لا يمكن أن يسموا مدينة أسسوها باسم غير يهودي ، فهم لا يطلقون على بيت المقدس إلاَّ "أورشليم" ويأبون تسميتها باسمها العربي ، مع أنَّهم لم ينشؤها ، وإسم أورشليم إسم كنعاني عربي ، ولكن وروده في التوراة أوهم أنَّه اسم عبري .

فإن هم حقًا أسسوا يثرب ، كيف يسمونها باسم أحد العماليق ألد أعدائهم [1] .

ثانيًا : لا نجد في المصادر اليهودية القديمة والحديثة ما يثبت أنَّ اليهود قد أسسوا يثرب ، ولو أنَّهم كانوا قد أسسوها لما صمتت عن ذلك أسفارهم .

ثالثًا : أنَّ يهود الجزيرة – كما يقول جواد علي – لم يتركوا أثرًا مكتوبًا يتحدث عن ماضيهم فيها ، وكل ماعثر عليه منهم نصوص معدودة وُجِدت في اليمن ليست ذات قيمة، فلم تضف شيئًا عن اليهود واليهودية ، أمَّا الكتابات النبطية في الحجر التي عثر عليها ، وفي مواضع أخرى من أرض النبط وردت فيها أسماء عبرانية تشير إلى أنَّ أصحابها من يهود، ويعود بعضها إلى القرن الأول للميلاد ، والبعض الآخر يعود إلى سنة 307م، وصاحبها رجل اسمه يحيي برشمعون "يحيي بن شمعون" ، وهذه تثبت أنَّ وجود اليهود في الجزيرة العربية كان ما بين القرن الأول الميلادي والرابع الميلادي [2] .

---

[1] . بدر ، د. عبد الباسط . التاريخ الشامل . مرجع سابق . 1/ 21.

[2] .علي، د.جواد . المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام . 4/ 513.

رابعًا : لم يكتب الكتّاب العبرانيون شيئًا عن يهود الجاهلية ، وليس لنا من تاريخ اليهود إلى جزيرة العرب إلا ماجاء في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكتب التفسير والأخبار والسير .

خامسًا : أن تتخلف طائفة من اليهود عن موسى "عليه السلام" انتظارًا للنبي المرتقب لايمكن قبولها منطقيًا لأنّ اليهود آنذاك كانوا في عصر نبي يعيش معهم ، ولو أرادوا الثواب من الله لأطاعوه وماتخلفوا عنه[1] ، ثم لم يثبت على الإطلاق أنّ موسى عليه السلام بعث جيشًا إلى الحجاز ولا في الأسفار اليهودية ولا في المصادر التاريخية ذات العلاقة .

سادسًا : الحقيقة الثابتة أنَّ اليهود لا وطن لهم ، وهذه حقيقة أقرَّ بها بودلي ، وكذلك جوستاف لوبون ، ولو كان اليهود أسسوا يثرب ، وسكانها الأَصليون، لما أجلوا عنها، وطردوا منها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الموحى إليه ، وهذا يدعونا إلى المقارنة بين كفار قريش واليهود في يثرب ، فكلاهما عادى الرسول صلى الله عليه وسلم وآذاه حاربه ، ولكنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجل قريش من مكة لأنَّهم سكانها الأصليون وهي موطنهم ، وإنَّما هو هاجر منها، بينما عندما نقض اليهود في يثرب عهودهم ومواثيقهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتحالفوا للقضاء عليه أجلاهم من المدينة ، ولو كانت موطنهم الأصلي لما أجلاهم عنها .

سابعًا: إنَّ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت بأمر من الله ، كما تذكر أسفار التوراة صفات البلاد التي سيهاجر إليها خاتم الأنبياء وتتفق مع صفات المدينة ، لم يرد أن مؤسس هذه المدينة هم اليهود ، ثم أنَّه ليس من المعقول أن يأمر الله رسوله بالهجرة إلى بلد لليهود ، وهو أعلم

---

[1] . بدر ، عبد الباسط .التاريخ الشامل . 1/ 53.

بعدائهم لأنبيائه ، وبتحريفهم لكلام الله ، فكيف يأمره بالهجرة إلى بلد لليهود خلاصًا من أذى أهله .

وهكذا نجد أنَّ الرواية التي أخذ بها مرجليوث وبرنارد لويس ، وسلَّما بها كحقيقة واقعة رواية واهية لا أساس لها من الصحة ، ولو كان لها أى نصيب من الصحة لأخذ بها المؤرخ اليهودي إسرائيل ولفنسون ، ونجده يشير في كتابه "تاريخ اليهود في بلاد العرب" أنَّ اليهود عندما هاجروا نزلوا في مدن مأهولة قبلهم منها مدينة يثرب .

من هنا يتضح لنا أنَّ مرجليوث وبرنارد لويس أخذا بالرواية التي توافق هواهما وتخدم مخططات الصهيونية العالمية فهما يهوديان ، فالإدعاء أنَّ اليهود هم المؤسسون ليثرب يعطي لليهود مبررًا للاستيلاء عليها ، لأنَّه كما نعلم أنَّ المدينة وخيبر ضمن مخطط الدولة اليهودية الكبرى التي تمتد من النيل إلى الفرات ، وهذا يؤكد لنا أنَّ المستشرقين بصورة عامة واليهود بصورة خاصة يكتبون أبحاثهم ودراساتهم الإسلامية والتاريخية لتحقيق أهداف دينية وسياسية وعسكرية ، ولعل نفي مرجليوث وجود مستعمرات يهودية في يثرب كان للإيحاء بأنَّ يثرب موطن لليهود وليست مهجرًا ، ونفي وليم موير سكنى العماليق ليثرب يمهد لهذه الإدعاءات .

الأوس والخزرج أسبق من اليهود في سكنى يثرب

لقد سلمت جميع المصادر العربية برواية أبي الفرج الأصفهاني[1]،على أنَّ اليهود كانوا أسبق في سكنى يثرب من الأوس والخزرج ، وأهملوا رواية ابن كثير[2] في تفسيره لقوله تعالى {فَجَعَلْناهُم أحادِيثَ ومَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزّقٍ}[3]

---

[1] .انظر الأغاني : 111/1- 116.

[2] .ابن كثير . البداية والنهاية. 2 /555.

[3] . سبأ : 19.

ذكر أنَّ الأوس والخزرج كانوا أول من سكن المدينة ، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود " بنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وبنو النضير " فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم .

وأرجح الرواية التي ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ، وهذا يرجع إلى الأسباب التالية :

أولًا: إنَّ ما كشفته الآثار التي عثر عليها الباحثون، والتي تبين أنَّ دولة " سبأ " مرت في طورين يتميزان بألقاب ملوك السبئيين :

- الطور الأول : وينتهي حوالي سنة 650 ق . م ، ويسمى ملكهم مكرب سبأ .

- الطور الثاني : وينتهي سنة 115ق . م وملوك هذا الطور حملوا لقب "ملك سبأ ."

وبعد سقوط سبأ قامت دولة حمير من سنة 115ق.م إلى سنة 534م [1]. فإذا كانت مملكة سبأ قد سقطت إثر هدم سيل العرم ، كما ورد في القرآن الكريم لأنَّ سيل العرم كان عقابًا إلهيًا لهم، وكذلك هجرتهم في البلاد والأصقاع ، وكان هذا العقاب لكفرهم فلنقرأ معًا هذه الآيات (لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ * فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ * ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ *وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ

---

[1] . انظر د جواد علي : المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،2/ 258-352"السبئيون والمكربون " ،د.حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ،1/ 28، 29 ، وصفي عبد الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم . ط1،سنة 1408هـ / 1988م ،دار القلم . بيروت ،،ص 23.

وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ * فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [1]

إنَّ سياق الآيات يوضح معناها، ولكن سأتوقف عند قوله تعالى: (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ.)

يقول القرطبي في تفسيره هذه الآية قال الشعبي : "فلحقت الأنصار بيثرب وغسان بالشام والأسد بعُمان ، وخزاعة بتهامة[2] ، كما أورد الطبري عدة روايات تجمع على أنَّ الأوس والخزرج استقروا في يثرب[3] ، ويقول ابن كثير في تفسيره "أي حديثًا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم ، وكيف مكر الله بهم ، وفرَّق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد، ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا، تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ وتفرقوا شذر ومذر.. ثم يقول: وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي: أمَّا غسان فلحقوا بعُمان فمزقهم الله كل ممزق بالشام، وأمَّا الأنصار فلحقوا بيثرب، وأمَّا خزاعة فلحقوا بتهامة، وأمَّا الأزد فلحقوا بعُمان فمزقهم الله كل ممزق،[4] وجاء في البداية والنهاية لابن كثير في تفسير هذه الآية (ومزّقناهم كل مُمزّق) ذلك أنّهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها، وينتقلوا عنها، فتفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر ومذر، فنزلت طوائف منهم الحجاز، ومنهم خزاعة فنزلوا ظاهر مكة، ومنهم المدينة المنورة اليوم، فكانوا أول من سكنها، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من

---

[1] . سبأ : 15 –19.

[2] .القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .7/ 262.

[3] . تفسير الطبري . مرجع سابق . 12/ 105 ، 106.

[4] .تفسير ابن كثير . مرجع سابق .ص 541– 43.

اليهود، بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم .

فسيل العرم وانهيار سد مأرب كانا عقابًا من الله للسبئيين لكفرهم بالله، وبهذا السيل كان سقوط مملكتهم وتفرق بطون كهلان في البلاد (ومزقناهم كل ممزق.)

ومادامت الحفائر والكشوف الأثرية أثبتت أنَّ مملكة سبأ سقطت سنة 115ق . م وأعقبتها دولة حمير التي سقطت في القرن السادس الميلادي .

إذن هجرة الأوس والخزرج كانت في القرن الثاني قبل الميلاد، وليست كما حدد المستشرق سيديو [1] في عام 300م [2]، وليس كما رجح الدكتور عبد الباسط بدر أنَّها في القرن الثالث الميلادي[3]، وليست كما رأى الدكتور أحمد إبراهيم أنَّها كانت في أواخر القرن الرابع الميلادي[4] .

وهذا يعني أنّ الأوس والخزرج كانوا في يثرب قبل اليهود والذين جاءوا إليها ما بين القرنين الأول[5] والرابع الميلاديين .

---

[1] . ولد لويس سديو سنة 1808م ،وتوفي سنة 1875،تعلم على يد أبيه المستشرق جان جاك ،أمَّا نويل سديو فقد

درس اللغات الشرقية ، والرياضيات ،وحصل على الليسانس من جامعة باريس ، وقام بتدريس التاريخ ، ثُمَّ حصل على ليسانس حقوق ، وتابع أبحاث والده في تاريخ الفلك والرياضيات ، ونشر أبحاثه في تاريخ الرياضيات والجغرافيا عند العرب . (د. عبد الرحمن بدوي . موسوعة المستشرقين .،ص 345.)

[2] . انظر : سديو . (1389هـ/ 1969م) تاريخ العرب العام . ترجمة عادل زعيتر . ص 44 . ط2. . عيسى البابي الحلبي.

[3] . بدر، د. عبد الباسط . التاريخ الشامل . مرجع سابق . 64/1.

[4] . مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ص 339.

[5] . يرى الدكتور عبد الرحمن الطيِّب الأنصاري أنَّ اليهود وصلوا الجزيرة العربية في القرن الأول الميلادي بعد تشتتهم على أيدي الرومان " الأحوال العامة للجزيرة العربية ، بحث قدَّمه الدكتور

والأحداث التي حدثت بين الأوس والخزرج واليهود قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب تؤكد ذلك، فإذا ما استعدنا الأحداث وتفحصَّنا الروايات ودققنا فيها سنجد أنّها تؤكد سبق الأوس والخزرج لليهود في سكنى يثرب.

نحن إن فحصنا الروايات التي تتحدث عن أسباب النزاع بين الأوس والخزرج وبين اليهود التي تصور الأوس والخزرج أضعف من اليهود، وأنَّ الغلبة والسلطان كانت لليهود أي أنَّها تنظر للأوس والخزرج كموالٍ لليهود، وأنَّ الأوس والخزرج كرهوا ذلك وأرادوا انتزاع السلطة من اليهود وإضعافهم فتمكنوا من تحقيق ذلك، وأصبحت السيادة لهم فسنجد الآتي :

1- عند فحصنا لهذه الروايات نجدها غير موثقة ولم يوردها المؤرخون الأوائل مثل ابن هشام، وابن سعد، والطبري وغيرهم ، وإنَّما أوردها المتأخرون عنهم مثل الأصفهاني ، وأخذها عنه ابن خلدون[1] ، ثم السمهودي عن ابن زبالة[2]، هذا وقد سلَّم ابن خلدون برواية الأصفهاني ، وكأنّها حقيقة واقعة مع أنَّ الأصفهاني لم يذكر مصادره وروايته لا أساس علمي يثبتها ، ولاتدعمها شواهد تاريخية أو كشوف أثرية ، فكما رأينا الشق الأول منها، الذي يجعل اليهود السكان الأصليون ليثرب قد دحَّضته الشواهد التاريخية ، ولم يورد أحد من المؤرخين المتقدمين والمتأخرين ما يؤيد روايته أو يوافقها ، بل نجد أنَّ الكشوف الأثرية أثبتت لنا أنَّ تواجد

الأنصاري لندوة الجزيرة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، ونشر في مجلدين ، وكانت الندوة في جمادي الأولى سنة 1397هـ . إبريل 1977م ، وقد نظَّمتها جامعة الملك سعود " ، والبحث في الجزء الأول ، انظر ص11.

[1] . انظر تاريخ ابن خلدون 1/ 287، 288. قصة مالك بن عجلان ، وجبيلة ،ولم ترد قصة القيطون.

[2] . الرواية الخاصة بقصة الفيطون انظر : السمهودي . وفاء الوفا، 1/ 178.

اليهـود فـي شـمال الجزيـرة العربيـة يتـراوح مـا بـين القـرن الأول والرابـع الميلاديين ، إذ أثبتت هذه الكتابات النبطية في الحجر التي عثر عليها ، وفي مواضع أخرى من أرض النبط ، ولقد وردت فيها أسماء عبرانية تشير إلـى أنَّ أصـحابها مـن يهـود، ويعـود بعضـها إلـى القـرن الأول للمـيلاد، والبعض الآخر إلى القرن الرابع الميلادي[1] ، وهذا لا يمنع أن تكون هجرة اليهود قد استمرت من فلسطين إلي شمال الجزيرة العربية على فترات منذ خرب فلسطين عام 70م إلى أنَّ أجهز دريان على اليهود عام 132م ، وفي روايات عام135 م ، وفي روايات عام 136م ، ويبدو أنَّ هذه القبائل فـي طريقهـا إلـى يثـرب قـد اسـتقر بعضـها فـي المنـاطق المجـاورة لهـا ، إذ احتوت علـى عيـون كثيـرة فاتخـذوا فيهـا الحـدائق والـزراع شـأن خيبـر التـي اشتهرت بعيونها ومزارعها ونخيلها وكثرة حصونها، وتيماء وفدك ووادي القري .

إذن ثبت لدينا الآن أنّ تواجد اليهود في شمال الجزيرة العربية يتراوح مابين القرن الأول الميلادي والرابع الميلادي ، مما يرجح أنّ الأوس والخزرج كانوا في يثرب قبلهم وهذا ما سأوضحه الآن .

كلنـا لاينكـر أنّ القرآن الكـريم مصـدر أساسـي لتـاريخ الأمـم السـابقة ، وهو أوثق المصادر ولا يعتريه أدنى شك لأنّه من لدن عليم حكيم ، الخـالق جل شأنه ، وهو الأعلم بأحوال خلقه، وماسيحل بهم. والقرآن الكريم قص لنا قصة مملكة سبأ في سورة سبأ من الآيات "15–20" ، وقد أجمع المفسرون

[1] .يعود عهدها إلى سنة 307م ،وصاحبها رجل اسمه "يحي بن شعبون" (د. جواد علي : المفصَّل ،2/ 512، نقلًا عن جوزيف هورمتي ،كتاب الثقافة الإسلامية ، فصل العلاقات العربية قبل الإسلام.

[1]، والمؤرخون أنَّ الأوس والخزرج قبيلتان قحطانيتان جاءتا من مملكة سبأ في اليمن[2] قبيل حادثة سيل العرم سد مأرب[3] ، ولكنهم اختلفوا في زمن حدوث ذلك السيل ، وبالتالي في تاريخ هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب ، ويذكر المؤرخ اليهودي إسرائيل ولفنستون[4] أنَّ المصادر العربية لم تعين زمن حدوث سيل العرم ، ولذلك رأت طائفة من العلماء الغربيين أنَّ الروايات التي جاءت عن سيل العرم، إنَّما هي خرافات وأساطير ، إلاَّ أنَّ هذه الظنون قد تلاشت عندما عثر العالم "جلازر "Glazer - عام 1896م على نقوش في اليمن تثبت حدوث سيل العرم [5] ، فعلًا وليس مرة واحدة، وإنَّما تكررت آثاره مرات نتيجة إهمال شديد وفتن داخلية ، وبذلك زالت كل الشكوك حول حدوثه .

2- إنَّ قصة الفِطْيون ومالك بن العجلان لا تتفق البتة مع الكرامة العربية التي تحرص على صيانه الأعراض، فليس من المعقول أنَّ الأوس والخزرج "الأنصار فيما بعد" يرضون لبناتهم وأخواتهم ونسائهم ما يفعله الفيطون بهم

---

[1] .الطبري . جامع البيان .2/ 105- 106، والزمخشري . الكشَّاف . ج2. ص257،والقرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ج7،ص255. والبيضاوي . تفسير البيضاوي 2/ 260. وابن كثير . القرآن الكريم العظيم . ج3،ص 541- 543،والشوكاني . فتح القدير ،403/4.

[2] .لقد أورد ابن هشام رواية تفيد أنَّ هجرة الأوس والخزرج كانت بعد انهيار سد مأرب . وذلك عندما رأى جزء يحفر في سد مأرب . انظر سيرة ابن هشام 13/1.

[3] . الأصفهاني ، أبو الفرج . الأغاني ،107/22،وتاريخ ابن خلدون ،1،/286،والسمهودي . وفاء الوفا،1/ 168- 169.

[4] .تاريخ اليهود في بلاد العرب . مرجع سابق . ص97.

[5] .في سورة سبأ آية 17 جاء ذكر سيل العرم (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) ، فسيل العرم حقيقة واقعة لا شك فيها مادام ورد ذكرها في القرآن الكريم ، ولكن المسترقين يتعمدون استبعاد القرآن الكريم ، وعدم اعتباره مصدرًا أساسيًا في أخبار الأمم السابقة ، وعلينا نحن المسلمين ألاَّ نهمل القرآن ،ونستبعده.

، ولا يوجد من يقاوم هذه الفعلة ، إلاَّ مالك بن العجلان عندما يأتي الدور على أخته ليغتصبها الفيطون ليلة عرسها .

3- مبالغة تلك الروايات في قدرات ابن العجلان ، فتارة تصوره أنَّه حرّك عرب الشمال للإجهاز على اليهود ، وتارة أخرى تصوره أنَّه بنفسه دبّر مكيدة لأشراف اليهود ورؤسائهم وتارة ثالثة أنَّه حرّض عرب الجنوب للقضاء على اليهود[1] .

4- ثم أنَّ اليهود عُرف عنهم المكر والدهاء والحذر، وليس من المعقول بعدما خدعوا من جبيلة أن ينخدعوا بهذه السهولة ويقبلون دعوة ابن العجلان لهما ، كانت أعذار خاصة ، وأنَّ مالك بن العجلان في إحدى الروايات هو الذي قبل الفيطون – ملك اليهود – ؛ إذ تزيا بزي النساء ودخل مع أخته وقتله ، ثم كيف يأمن اليهود لمالك بن العجلان ، وهو الذي سافر إلى أبي جبيلة الغساني وأحضره .

وهكذا نجد تلك الروايات تتهاوى أمام النقد ولا تجد ما يبررها مما يؤكد أنَّها روايات مختلقة من وضع القصاصين الذين لا أشك أنَّهم أخذوها من يهود الذين وضعوها للإعلاء من شأنهم .

ثانيًا لا يستبعد أن يكون الأوس والخزرج من القبائل اليمنية التي نزحت إلى يثرب قبل سيل العرم خاصة وأنَّ مملكة سبأ قد بسطت سلطتها على يثرب لأنَّها قامت على أنقاض المملكة اليمنية ، فقد وجدت كتابات معينية وردت فيها أسماء أشخاص ومدن وآلهة معينية معروفة ، كما ورد ذكر يثرب ومؤان وعمرن وغزة ويرى بعض الباحثين أنَّ تلك المدن كانت جزءً من المملكة المعينية ، وأرضًا خاضعة لها ، وأنَّ ملوك معين كانوا يعينون حكامًا عليهم باسمهم ، ويلقب الحاكم "كبر" أي كبير، ويتولى الحكم باسم

[1] . د. العقيلي ، محمد أرشيد . اليهود في شبه الجزيرة . ص69- 97.

الملك، ويجمع الضرائب ويحافظ على الأمن[1] ، وإن صحت هذه المقولات فإنَّ المعينيين قد سيطروا على يثرب في فترة تحدد ملكهم على الحجاز منذ الألف قبل الميلاد[2] ، وعينوا عليها حاكمًا من أهلها ، كما كانوا يفعلون في مناطق نفوذهم الأخرى لتأمين طريق تجارتهم البرية ، ولم تكن سلطتهم على المدينة تتعدى الضريبة السنوية المفروضة عليهم ، فضلًا عن حماية قوافلهم ، ولا نجد في الكتابات القليلة عن معين أي ذكر لحروب خاضوها مع أهل يثرب ، ولا أحداثًا متميزة، ومعظم ما وجد إشارات تبين سيطرتهم كانت على الحجاز بأكمله [3] .

ولذا فأنا لا أستبعد أن يكون من الأوس والخزرج من نزح إلى يثرب فترات حكم المعينيين والسبئيين قبل انهيار سد مأرب، ومعين قامت مابين القرن العاشر والخامس قبل الميلاد، وقد ذكرها بعض الجغرافيين الغربيين.

ثالثًا: ما ذكره ابن هشام أنَّ هناك من هاجر من عرب اليمن إلى يثرب قبل سيل العرم[4] ، ويؤيد ماذكره ابن خلدون من أنَّ العماليق في يثرب ملكوا أمر أنفسهم، وأضيفت إليهم قبائل من العرب نزلوا معهم، واتخذوا الأطم والبيوت[5][6] .

ويضيف الأستاذ صفي الدين المباركفوري "هاجرت بطون كهلان عن اليمن، وانتشرت في أنحاء الجزيرة ، وكانت هجرة معظمهم قبيل سيل العرم

---

[1] .علي ، د.جواد . المفصَّل .مرجع سابق ،121/2.

[2] .المرجع السابق : 121/2.

[3] . بدر، د. عبد الباسط . التاريخ الشامل . مرجع سابق 42/1.

[4] سيرة ابن هشام .1/ 213.

[5] . الأطم : هو المقصود الحصن المبني بالحجارة ،وكل بناء مرتفع ،وهذا يثبت أنَّ العرب عرفوها قبل مجيء اليهود ،أي لم يأخذوها منهم .

[6] . تاريخ ابن خلدون 286/1.

حين فشلت تجارتهم لضعف الرومان وسيطرتهم على طريق التجارة البحرية ، وإقصائهم عن طريق البر بعد احتلالهم بلاد مصر والشام ، ويمكن تقسيم المهاجرين من بطون كهلان إلى أربعة أقسام منهم "الأزد" ، وكانت هجرتهم على رأى سيدهم وكبيرهم عمران بن عمرو بن يقباء فساروا يتنقلون في بلاد اليمن ويرسلون الرواد ، ثم ساروا بعد ذلك إلى الشمال، ثم يقول: "عطف ثعلبة ابن عمرو من الأزد نحو الحجاز، فأقام بين الثعلبية وذي قار، ولما كبر ولده وقوي ركنه سار نحو المدينة ، فأقام بها واستوطنها ، ومن أبناء ثعلبة هذا الأوس والخزرج، إبنا حارثة بن ثعلبة"[1] .

وهكذا نجد أنَّ هناك مايؤيد هجرة من الأوس والخزرج إلى يثرب قبل سيل العرم ، وأنَّ هجرتهم كانت على مراحل ، أيضًا هناك أمر هام أود لفت الإنتباه إليه وهو أنَّ الأوس والخزرج أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[2] ومنهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاهدوا في سبيل نشر الإسلام ، وشاركوا في معارك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الفتوحات الإسلامية. والذين هاجروا إلى يثرب إثر إنهيار سد مأرب نتيجة سيل العرم الذي كان عقابًا إلهيًا للسبئيين لكفرهم بنعمائه – كما ورد في الآيات الكريمة – والله بسابق علمه يعلم أنَّ هؤلاء سوف يكون منهم أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله أعد كل شيء لرسالته ، فهل يجعل أنصار رسول الله أحفاد من أنزل عليهم عقابًا فمزقهم في البلاد؟، لذا فربما يكون عبد الله بن أبي زعيم المنافقين ورهطه المنافقون من أحفاد الذين هاجروا إلى يثرب إثر انهيار سد مأرب ، وأنصار رسول الله صلي

---

[1] .المباركفوري. صفي الرحمن . الرحيق المختوم . مرجع سابق . ص 16، 17.

[2] . الحشر : 9.

الله عليه وسلم وصحابته الأخيار من الذين هاجروا إلى يثرب قبل انهيار سد مأرب، والله أعلم .

خلاصة القول :

إنَّ يثرب مدينة عربية عريقة أسسها يثرب بن قانية أحد أحفاد سيدنا نوح عليه السلام قبل أكثر من ثمانية عشر قرنًا قبل الميلاد ، وسكنها العماليق من العرب ، وهاجروا إليها من الأوس والخزرج قبل سيل العرم ؛ إذ حكم يثرب المعينيون والسبئيون من اليمن ، ونزح إليها من اليمن من بطون كهلان الأوس والخزرج في فترات حكم المعينيين الذي امتد من القرن العاشر قبل الميلاد إلى الخامس قبل الميلاد ، أمَّا حكم السبئيين فامتد من القرن السابع إلى الثاني قبل الميلاد .

ولمَّا كانت أشهر هجرات الأوس والخزرج إلى يثرب إثر سيل العرم الذي بحدوثه سقطت مملكة سبأ ، فتكون هذه الهجرة في القرن الثاني قبل الميلاد .

أمَّا عن اليهود فكما ثبت من الحفائر أنَّ أول ذكر لهم في شمال الجزيرة العربية في فترة تتراوح ما بين القرن الأول والرابع الميلادي .

فوجودهم في يثرب يكون في هذه الفترة ، ولاسيما في القرنين الأول والثاني الميلاديين إثر هجوم طيطس سنة 70م ، وهادريان سنة 135م بفلسطين ، وبذلك يكون الأوس والخزرج أسبق من اليهود في سكنى يثرب .

أصل يهود يثرب

أمَّا ما أثاره مرجليوث، ووات وكارين ارمسترنج حول حقيقة أصل يهود يثرب هل كانوا عربًا تهودوا؟ أم يهودًا تعربوا؟ فلقد كان هذا الأمر محل اختلاف بين المؤرخين العرب والمؤرخين الإفرنج ، وما ساقه هاملتون

جيب وكالمرز [1] في الموسوعة الإسلامية الميسرة من أدلة تثبت أنّهم يهود قد تعربوا أكتفي بها . [2]

النشاط الاقتصادي لليهود في يثرب وفق تصورات المستشرقين الإنجليز

لقد بالغ المستشرقون في وصف نشاط اليهود الاقتصادي في يثرب، وتحجيم نشاط الأوس والخزرج ، فنجد الفريد جيوم يصفهم بأنَّهم مسيطرون على المال والتجارة في الجزيرة[3]، بينما وات يقرر بأنَّهم كانوا رواد الزراعة في تلك المناطق[4] ، أمَّا برنارد لويس فلقد جعلهم فوق العرب اقتصاديًا وسياسيًا[5] ، ونجدهم يتجاهلون تعامل اليهود بالربا، فيرجعون تفوقهم إلى خبرتهم الطويلة بالزراعة ، ولنشاطهم ومثابرتهم مبررين أنَّ تفوقهم الاقتصادي هو سبب كره العرب لهم وإجلاء بعضهم في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دون أن يشيروا إلى خيانتهم وغدرهم ونقضهم بالعهد والمواثيق .

ولمَّا كانت هذه التصورات الإستشراقية لوضع اليهود الاقتصادي في يثرب مبالغًا فيها ، ومخالفة للواقع ، فلابد من التوقف عندها وعرض الوضع الاقتصادي لسكان يثرب قبل الإسلام لتتضح الحقيقة وليتضح معها مدى تعاطف وتحيز المستشرقين مع اليهود لدرجة أنَّهم يكتبون خلاف

---

[1] . كالمرز : مستشرق هولندي .

[2] .انظر : الموسوعة الإسلامية الميسرة . (1985م) 997/2، 998 . ترجمة راشد البرادي ،طبعة بدون رقم . مكتبة الأنجلو . القاهرة "جزءان".

[3] . جيوم ، الفريد . الإسلام .ص 13.

[4] – وات ، مونتجمري . محمد في المدينة . الفصل السادس. ،ص 292، 396.

[5] . لويس ، برنارد . العرب في التاريخ . ص 52.

الواقع ويعطون لليهود أحجامًا أكبر من أحجامهم متغاضين تمامًاعن سلبياتهم ومثالبهم .

الحالة الاقتصادية في يثرب

- الزراعة

يثرب واحة خصبة عمادها الأول الزراعة، فضلًا عن منطقة الحجاز كانت –كما يقول الروا ة – أشجر أهل الأرض ، وكثيرة العيون والينابيع والمياه الجوفية قريبة لمن يريد أن يحفر الآبار، مما يجعل العمل الزراعي يفرض نفسه على من سكن هذه المنطقة.

فالقبليون مؤسسو يثرب كانت لديهم خبرات زراعية اكتسوبها في بلاد ما بين الرافدين التي خرجوا منها ، والتي عمادها الأول في اقتصادها الزراعة ، وسكانها من العماليق كانوا أول من زرع بها – كما ذكر ياقوت الحموي – وقد أنشأوا بها مجتمعًا زراعيًا واتخذوا بها النخيل ، وعمّروا بها الأطام واتخذوا بها الضياع ، وهذا يعني أنَّهم استغرقوا حياتهم في الزراعة ، وأثروا وتحصنوا في الحصون تحسبًا من غزوات تقوم بها قبائل أخرى أصيبت أرضها، وشحت مواردها، كما وفدت على العماليق قبائل عربية أخرى استثمرت أراضٍ غير التي استثمرها من سبقهم ، وتحولوا إلى مُلاك، ويؤيد هذا ما ذكره ابن خلدون من أنَّ العماليق في يثرب ملكوا أمر أنفسهم، وانضمت إليهم قبائل من العرب نزلوا معهم ، واتخذوا الأطم والبيوت ، وعندما وفد الأوس والخزرج إلى يثرب من بلاد العرب امتهنوا الزراعة ، وكلنا يعلم أنَّ اليمن بلد زراعي في المقام الأول.

إذن ليس اليهود وحدهم الذين سكنوا يثرب ويجيدون الزراعة، لأنَّ سكان يثرب الأصليين والوافدين من العرب من ذوي الخبرة بالزراعة ، إضافة إلى البيئة الزراعية التي تتمتع بها يثرب؛ ولذا نجد مقولة "وات" أنَّ

اليهود كانوا رواد الزراعة في يثرب ، أو في الجزيرة العربية مبالغًا فيها ولاتتفق مع الواقع .

وكذا الحال بالنسبة للتجارة والأسواق التجارية ، فلقد اشتغل أهل يثرب بالتجارة ووصلت تجارتهم إلى غزة [1] .

أمَّا بالنسبة للأسواق التجارية ، ففي يثرب أسواق عديدة منها: سوق بالجرف حيث كانت يثرب القديمة ، وعندما زحف المد العمراني جنوبًا أصبحت هذه السوق موسمية ، وعرفت باسم سوق "زبالة" ، ثم تحولت إلى سوق دائمة، وكذلك سوق "جُياشة" ، وتقع في قلب يثرب الجديدة على طرف وادي بطحان ، ثم صار اسمها سوق "الجسر" ، أو سوق "بني قينقاع" وذلك لنزول بني قينقاع قربها، ثم اتخذوها سوقهم ، وبنوا فيها دكاكينهم للتجارة وللصياغة ، وكانت ميدانًا لفتن كثيرة ، وعندما جاء المسلون إلى المدينة تعاملوا فيها ، ثم اختط رسول الله صلى الله عليه وسلم سوقًا خاصة للمسلمين فانصرفوا عنها ، وفي هذه السوق تحرش أحد اليهود بامرأة مسلمة فكانت هذه الحادثة عاملًا مباشرًا في إجلاء بني قينقاع عن يثرب ، وسوق "بالصفاصف" وقد ذكرها ابن شبة[2] ، وهي تقع بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان وبين العصبة، والعصبة في قباء، ويقال إنَّه كان بها ثلاثمائة صائغ وسوق بين قباء وبطحان في موضع يقال له "مزاهم" في غرب المدينة ، وقد نشطت حركة الأسواق عندما كثر سكان يثرب ، وكان لليهود أثر سلبي واضح فيها لتعاملهم بالربا، وبالبيع بالأجل ، صنع زيادة ربوية تحسب حسب مدة السداد، أو بالإقراض الربوي المباشر – فقد ذكر الواقدي – أنَّ أبا رافع بن أبي الحقيق أقرض أسيد بن تفيد

---

[1] . علي ، جواد . المفصل 7 / 227–242" الحياة الاقتصادية" .

[2] . انظر ابن شبة : تاريخ المدينة ،306/1،والسمهودي : وفاء الوفا،:1252/5، 1267.

ثمانين دينارًا يأخذها بعد سنة مائة وعشرين دينارًا بفائدة ربوية حوالي خمسين في المائة ، وقد اتخذ المرابون محلات لهم في تلك الأسواق [1].

وهكذا نجد كيف كان اليهود يتعاملون بالربا ، ولم يذكر المستشرقون ذلك، كما نجد أنَّ الأسواق التجارية في يثرب كانت موجودة قبل لجوء اليهود إليها ، وكانت يثرب بها حركة تجارية نشطة ولكن – كما اتضح لنا – المستشرقين منحازون لليهود ، وغير أمينين على التاريخ ، فهم يكتبونه من الزاوية التي يريدون إبرازها ، ويتجاهلون الزوايا الأخرى التي بدونها لا تكتمل الصورة .

الصناعة في يثرب

لقد عرفت يثرب عددًا كبيرًا من الصناعات مثل الصناعات المعدنية كالفؤوس والمساحي ورؤوس الرماح والسيوف ، والقدور والصحون، وكان يقوم بها فتيان يجلبهم أهل يثرب ، أو يشترونهم من القوافل التي تحمل الرقيق ، لأنَّ العرب كانت تأنف العمل بالصناعة ولاسيما الحدادة ، وعندما جاء اليهود وكان منهم من يعمل بهذه الصناعات ، ولاسيما بني قينقاع ، وكانت لهم في سوقهم دكاكين للحدادة والنحاسة ، وهذا دليل على أنَّ أهل يثرب عرفوا هذه الصناعة قبل هجرة اليهود إليها .

أمَّا صناعة "الحلي والصياغة" فهي الصناعة التي تخصص فيها اليهود، وازدهرت على أيديهم [2] .

---

[1] . بدر ، د. عبد الباسط . التاريخ الشامل . مرجع سابق . 104/1.

[2] – المرجع السابق . 106/1.

الصناعة الخشبية

إنَّ توافر الأخشاب في يثرب من أهم العوامل التي ساعدت على قيام هذه الصناعة وازدهارها ؛ إذ ظهرت مصنوعات خشبية تشمل مختلف أنواع الأثاث المنزلي إضافة إلى صناعة الحصر والسلال ، وصناعة الخمر، وكذلك صناعة الغزل والنسيج.[1]

تربية الماشية

كان أغنياء يثرب يملكون قطعانًا كبيرة من الماشية تدر عليهم أرباحًا طائلة ، وكان معظم أهلها الآخرين يملكون أعدادًا بسيطة منها يسرحون بها في أطراف يثرب بالحقبة ، ولكثرة الماشية ظهر عند اليثربيين نظام "المحميات" أي المناطق المخصصة للرعي ، ولا يحق لأحد أن يمتلكها ، أو يزرع بها أو يبني عليها ، وكانت لهم حمى شمال يثرب عند الغابة ، وحمى أخرى جنوبها قرب الربذة ، وحمى ثالثة شرقها تدعى روضة عرنية مخصصة للخيول ، وظلت كذلك في الإسلام [2] .

وبعد هذا العرض السريع للحياة الاقتصادية في يثرب في الجاهلية يتبين لنا أنّ أهل يثرب من العرب عرفوا الزراعة والصناعة والتجارة قبل لجوء اليهود إلى يثرب ، وأنَّ من اليثربيين كانوا أثرياء ويمتلكون قطعانًا كبيرة من الماشية خصصوا لها محميات ، ولم يكن اليهود وحدهم الأغنياء والأثرياء كما صورهم المستشرقون ، ولعل صمود الأوس والخزرج مائة وعشرين عامًا في حروب طاحنة بينهما ومحافظتهما على السيادة على يثرب، وعدم تمكن اليهود الذين أشعلوا نيران الفتنة بينهما من انتزاع السيادة

---

[1] – المرجع السابق . 1/ 107.

[2] – السمهودي . وفاء الوفا،1224/1.

والغلبة منهم دليل قاطع على ماكان يتمتع به الأوس والخزرج من ثراء وقوة، ونحن نعرف أنَّ الحروب أكبر مدمر للاقتصاد ، ومعنى صمود الأوس والخزرج أكثر من قرن ، وتمكنهم من السيادة في يثرب رغم مخططات اليهود لسلبها منهم دليل على أنَّهم كانوا يرتكزون على قاعدة اقتصادية قوية تدحض زعم برنارد لويس بأنَّ يهود يثرب كانوا فوق العرب سياسيًا واقتصاديًا ، كما يدحض زعم ألفريد جيوم بأنَّ اليهود كانوا مسيطرين على المال والتجارة في الجزيرة ، كما تبين لنا من قبل بطلان زعم " مونتجمري " بأنَّ اليهود كانوا رواد الزراعة في يثرب .

الفصل الثاني

الهجرة إلى المدينة المنورة

موقف مستشرقي المدرسة الإنجليزية من الهجرة إلى المدينة

كانت هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة البداية الحقيقية لبناء دولة الإسلام فيها، وقد تناول المستشرقون الهجرة في كتاباتهم وتحدثوا عنها، فمنهم من يعتبرها هروبًا من مكة مثل وليم موير[1] ومرجليوث[2] ، وتوماس أرنولد[3] ، ومنهم من يرى أنَّها انتقال من العصر الديني إلى العصر العلماني ، كما جاء في الموسوعة الإسلامية الميسرة لهاملتون جيب وكالمرز[4]، وآخرون يرون أنَّها مجرد طموح شخصي للرسول صلى الله عليه وسلم مثل مونتجمري وات [5] .

ومن خلال كتاباتهم نجد تزييفًا في الأحداث والوقائع التاريخية وتحريفًا في الروايات ، من ذلك وصف الفريد جيوم به موقف قريش من الدعوة باستصغارها لها ؛ إذ يقول: "وممَّا يدعو إلى التأمل أنَّ كثيراً من النتائج الخطيرة قد ينجم أهون الحوادث شأنًا ، ولو لم يقدم هؤلاء الرجال للحج في ذلك العام ، ولو لم تستصغر قريش شأن محمد ودعوته فلم تحاول أن تقف في سبيله في ذلك الوقت – لما تغيرت حياة الملايين من الناس هذا التغيير

1-,See,Muir,Mahomet and IslamP63,and seeMuir Life of Mohammed,V.P123&153.

2-See ;Margolith,Mohammad and the rise of Islam ,P.213.

[3] . انظر توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص 46.

[4] . انظر هاملتون جيب وكالمرز : الموسوعة الإسلامية الميسرة ،946/2، ترجمة د.راشد البراوي ،سنة 1985. مكتبة الأنجلو المصرية.

[5] . وات، مونتجمري محمد في مكة . ص 235.

الأساسي ، فهؤلاء الحجاج الستة قد استمعوا إلى دعوة الرسول فاستجابوا للإسلام ، وذهبوا إلى المدينة كرسل له[1] .

ويقر الفريد جيوم أنَّ بعد بيعة العقبة الثانية "مالبثت قريش أن ثارت وبدأت تعامل المسلمين بقسوة متناهية حتى أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم أمر أتباعه بالهجرة إلى المدينة ، فرحل إليها أكثر من مائة، ولم يبق غير أبي بكر وعلي بن أبي طالب اللذين بقيا بمحض اختيارهما [2] ، إلاَّ أنَّ جيوم عندما يتحدث عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لم يذكر سبب هذه الهجرة ، وهو تآمر قريش على قتل الرسول صلى الله عليه وسلَّم ورُبوض عدد كبير من الشباب عند باب بيته لطعنه في وقت واحد؛ إذ يستطرد جيوم قوله بعدما ذكر بقاء أبي بكر وعلي رضي الله عنهما ، فيقول: "ثم ترك محمد عليًا ليعني بالنساء والأطفال، وأخذ معه أبا بكر ومالديهما من المال ، وذهب ليلًا إلى غار في جبل ثور، وكانت هذه الخطة حكيمة لأنَّ الغار يقع إلى الجنوب من مكة، بينما تقع المدينة في الشمال الشرقي ، وكان المفروض أن يتعقبهما أهل مكة في ذلك الاتجاه ، ومكثا في الغار بعض الوقت ، وكان ابن أبي بكر يجلب إليهما الطعام[3]، ويزودهما بأخبار وتحركات العدو، ولمَّا أصبح الطريق خاليًا رحلا إلى المدينة متخذين طريقًا ملتوية، وهناك استقبل استقبالًا حماسيًا رائعًا[4] .

---

[1] . جيوم ، الفريد. الإسلام . ص 38.

[2] .المرجع السابق . ص39.

[3] . المعروف أنَّ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما هي التي كانت تحضر لهما الطعام ، وقد سُميّت بذات النطاقين ، لأنَّها شقَّت نطاقها ليكون سفرة لهما ، وقد ذكر هذا موير ،انظر "حياة محمد " . ص 141.

[4] . الموسوعة الإسلامية الميسرة .2/ 94.

أمَّـا هـاملتون جيـب وزميلـه كـالمرز يثيـران شـبهة فـي غايـة الخطـورة بوصفهما الدور المكي أنَّه دور ديني ، والدور المدني أنَّه دور علماني ، فيقولان: "إلاَّ أنَّه ليس ثمة شك أنَّ أهل المدينة لم يكونوا راغبين في أن يجتذبوا إليهم مبشرًا يوجه إليه بقدر ما كانوا يرغبون في زعيم سياسي يعيد إصلاح علاقاتهم السياسية التي سبق أن تمزقت خلال الصراعات القبلية التي بلغت ذروتها في وقعة " بُعاث ."

بهذا تواجهنا واحدة من أصعب المشكلات في سيرة محمد ألا وهي الشخصية المزودجة التي يعرضها لنا ، فالتحمس الديني الذي كانت أفكاره تتركز بوجه خاص على مجيئ يوم الحساب والذي تحمل كافة الإهانات والهجمات ، ولم يفكر في إمكانية المقاومة العملية إلا على استحياء ، وفضَّل أن يدع كل شئ في يدي الله ، نقول إنَّه بالهجرة إلى المدينة ، يدخل هذا المتحمس في مرحلة علمانية وبضربة واحدة يبدو عبقرية سياسية لامعة[1]، ثُم يقولان "ومع ذلك ففي إرسال فريق من أتباعه إلى الحبشة ، وفي محاولة الوصول إلى تفاهم مع المشركين في مكة نجد تلميحات إلى حد ما الهوة التي تفصل بين الشخصيتين [2].

ثم يتحدثان عن بيعة العقبة الثانية ، وموقف قريش منها، وهجرة المسلمين إلى المدينة ، ويقولان عن بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة وتأخره على المسلمين في الهجرة: "إمَّا أنَّ محمدًا لم يخرج مع الآخرين فراجع بالتأكيد إلى أنَّه لو فعل هذا لحال أهل مكة دون الهجرة كلها ، كانوا على معرفة كافية به بحيث يردن الخطر الذي يتعرضون له إذا ما قدر له أن يحالف قبيلة أخرى ، وعلى ذلك ليس من سبب يدعو إلى الشك فيما

---

[1] . الموسوعة الإسلامية الميسرة . 2/ 946.

[2] .المرجع السابق . 2 /947.

روتـه الأحاديـث ، وإن أوردتهـا بكثيـر مـن التزويـق الأسـطوري "عـن هـرب داود.. عن كيف كان علم أن يكون آخر من يفر من مكة، وهذه الأحاديث تؤكدها سورة التوبة آية 40 ؛ حيث نجد ذكرًا لمحمد وصاحبه أبي بكر عندما توقفا في الغار [1] .

ويقول جيب عن سبب مقاومة قريش للإسلام "يبدو أنّ مقاومة أهل مكة لم تكن نتيجة لمحافظتهم على التقاليد ، أو حتى الكفر الديني بالرغم من أنَّهم كانوا يسخرون من عقيدة مبعث محمد" بقدر ما كان لأسباب سياسية واقتصادية ، فقد كانوا يخشون من تأثير دعوته على رخائهم الاقتصادي ، وخصوصًا أنَّ دعوته إلى التوحيد الخالص قد تضر بالقيمة الاقتصادية للمقدسات ، هذا بالإضافة إلى أنَّهم أدركوا قبل محمد نفسه أنَّ قبولهم لما يدعو اليه سيوجد نوعًا قويًا من السلطة السياسية في مجتمعهم المبني على النظام الأوليقارشي "حكم الأقلية [2] (aligarchic commumity)

ثم يبين – من وجهة نظره – أنَّ سبب دعوة الأوس والخزرج للرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة للقضاء علي النزاع بينهما فيكون حكمًا بينهما ، يقول جيب: "لقد كانت المدينة تعاني من حرب أهلية بين القبيلتين المتنافستين ، وكانتا تخشيا أن يستغل اليهود ضعفهما فزين "الأوس والخزرج" لمحمد أن يأتي إلى المدينة ليكون حكمًا يصلح بينهما ويقضي على خلافاتهما[3] ، وربما يكون جيب قد تأثر بما قاله وليم موير بهذا الصدد ، فلقد قال موير "إنَّ المدينة المجهدة بالنزاعات والانقسامات الشديدة سوف

---

[1] . المرجع السابق . 947/2.

[2] . Gib,Mahammedanism,P.26(Second Edition)1962.

[3] . Ibcd,P.26.

تكون مستعدة لقبوله لاجئًا إن لم ترحب به نبيًا وربما كزعيم لها في المستقبل "[1].

أمَّا آربري فلقد اعتبر هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 622 م مع أصحابه المؤمنين برهانًا على أنَّه المبلغ المختار لأنقى رسالة توحيد، التي اكتسحت العالم [2] .

ولكن مونتجمري وات يرى مالا يراه آربري ، فكما مر بنا في الفصل السابق كيف كان وات ينفي وجود اضطهاد شديد للمسلمين قاصرًا التعذيب الجسدي على العبيد والمستضعفين، زاعمًا أنَّ اضطهاد قريش للرسول صلى الله عليه وسلم لم يتعد شتمه وتعرضه لإهانات بسيطة كتجميع أوساخ جيرانه أمام بيته[3] ، ونجد وات قد جعل الهجرة إلى الحبشة هجرة واحدة ، ولأسباب أخرى غير اضطهاد المسلمين وهو – على حد زعمه – كان اختلاف حول سياسة أبي بكر رضي الله عنه ، وقدم وات هذه المقدمات ليصل إلى النتيجة التي يريدها ، وهي إثبات أنَّ هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت لترقب مستقبل أفضل . ولم يكتف وات بهذا ، بل نجده ينسب لرواية ابن اسحاق أنَّها تبين ذلك [4] ، ولنقرأ معًا ما كتبه وات ولنقارن بين ماكتبه وبين مانسبه إلى رواية ابن إسحاق .

يقول وات: "ماكاد أهل المدينة يتعهدون بنصرة محمد حتى هب لتنفيذ خططه، ظلت البيعة سرًا وكان عليه أن يهيئ عناصر النجاح قبل أن يقوم

---

[1] . Muir,Mohamet and Islam.P.54 (third edition)1985,school of oriental stuies.

[2] – A.J.Arbery,Aspects of Islamic Civlization .P.11.(George Alien and unwin litd.

[3] . وات . محمد في مكة ،ص 190–191.

[4] . المرجع السابق . ص 235.

بعمل مكشوف يكشف لأعدائه سر مخططاته، فأمر أتباعه في مكة بترك البلدة والتوجه إلى المدينة ، وتوضح رواية ابن إسحاق أنَّ مادفعه هو وأصحابه للقيام بذلك ترقب مستقبل أفضل في المدينة ، ولهذا كانت فكرة عروة القائلة بأنَّهم هاجروا هربًا من الاضطهاد خاطئة[1] ، إذ لا تشير كتب التاريخ إلى أثر لظهور موجة من الاضطهاد وقبل الهجرة إلى المدينة ، باستثناء حادثة أبي سلمة ، والشتائم التي وجهت لأبي بكر ومحمد، ولاشك أنَّه حدثت بعض الاضطهادات وقامت المعارضة الشديدة بعد أن أدرك زعماء مكة ما يقوم به محمد ، ثم يعطي وات لنفسه الحق في الافتراض

[1] . يقصد بقوله هذه الرواية التي أوردها ابن هشام، قال حدثنا زياد وابن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي: وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب، ولم تحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من أتبعه من المهاجرين حتي فتنوهم عن دينهم، ونفوهم عن بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين معذب في أيديهم ، وبين هارب في البلاد فارًا منهم ، ومنهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفي كل وجه ، فلما عتت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بالقتال والانتصار ممن ظلمهم ، وبغي عليهم ، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله له الدماء ، والقتال لمن بغي عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قوله تعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج : 39]، إلى قوله تعالى (ولله عاقبة الأمور) ثم يقول ابن اسحاق "فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ، ولمن اتبعه من المسلمين، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحاق بأقوامهم من الأنصار، وقال: "إنّ الله عز وجل جعل لكم أقراناً وداراً تأمنون بها " فخرجوا أرسالًا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .[سيرة ابن هشام 2/ 467-468.]

فيقول: "ولنا أن نفترض في مثل هذه الظروف ، أنَّ الكلمات التي قالها محمد في هذا الوقت كانت تقوم على الحض والإقناع وليس على الجبر ، [1]ثم يتحدث عن اجتماع قريش في دار الندوة واتفاقها على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بأن تقوم جماعة من الشبان من كل قبيلة شاب بمهاجمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يضيع دمه بين القبائل، ثم يقول: "اتفقوا على مخطط وضعه أبو جهل ، وليس هناك من داع للشك بأنَّ هذا الاجتماع قد عقد وأنَّ الحاضرين أدركوا أنَّ محمدًا يهيئ مشاريع معادية ، كما يقول إبن إسحاق، وتوضح الحوادث التي وقعت فيما بعد بأنَّ النية لم تعقد على قتل محمد لأنَّ الاتفاق على ذلك لن يكون بالإجماع ، كما تؤكده المصادر، ولربما كان قرب وقوع الخطر هو الذي عّجل برحيل محمد[2] ، ثمّ يستطرد قائلًا "ومن الصعب التأكد من طبيعة الخطر الذي كان يتهدد محمد وأتباعه ، فلقد أضيفت أشياء كثيرة على قصة الهجرة لتجميلها حتى أنَّ المصادر الأولى نفسها لم تخل من إضافات ولايستبعد أن يكون محمد قد رجم في مكة ذاتها بعد الاجتماع ، لكن إذا اعتمدنا للحكم على أفعال محمد تبين لنا أنَّ الخطر الأكبر كان يكمن في الطريق ر، ولاشك أنَّ هناك حدودًا يعتبر بعدها خارج عن نطاق حماية المسئولين عن حمايته في مكة، وليس داخل نطاق المسئولين عنه في المدينة ، ولهذا يمكن أن يقتل خلال هذه المسافة دون أن يعتبرونه اغتيالًا.

[1] – محمد في مكة . ص 235– 236.

[2] – المرجع السابق . ص237.

وكان رفيقه أبو بكر في نفس الحالة ؛ إذ تخلت عنه قبيلته أيضًا[1] ، ينسب إلى ابن اسحاق هذه الرواية يقول وات:

"

Ibn Isaq,s account is that when Muhammad realized that he must leave he got Ali to take his place in bed to make the Meccans think he was safely asleep ,then he himself slipped out unobserved and along with Abu Bakr secretly made his way to a cave not far from Mecca to the south and there he lay in concealment for a day or two until Abu Bakr,s son reported that the search for him had slackened off . Then the two set out on two camels ,accompanied by Abu Bakr,s freedman Amir b.Fuhayrah."[2]

وترجمة هذا النص هي "يقول ابن إسحاق بأنَّ محمدًا حين أدرك أنّه يجب عليه مغادرة مكة ، طلب إلى علي أن ينام في سريره ليوهم المكيين بأنَّه نائم فيه، ثم اختفى بصحبة أبي بكر واتجه سرًا نحو مغارة قريبة تقع إلى الجنوب من مكة ، واختفيا فيها يومًا أو يومين ، حتى جاء ابن أبي بكر، وأخبرهما بأنَّ البحث عنهما توقف ، فرحلا راكبين على بعيرين يصحبهما عبد طليق لأبي بكر هو عامر بن فهيرة [3] .

---

1. Mohammed At Mecca , p . 151

2. Mohammed At Mecca , p . 151

3. الرواية حسب ما أوردها ابن اسحاق هذا نصها: "فأتى جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت فيه قال: فلما كانت عتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي واتشح بردي هذا الحضرمي

وبعد مقارنتنا للروايات التي ذكرها وات ، ونسبها لابن إسحاق وعروة بن الزبير والروايات الأصلية ، وكذلك بمقارنتنا بروايات الهجرة في المصادر العربية ، ومن ضمنها صحيح البخاري ومسلم ، وما ذكر وات عن الهجرة نجد الآتي:

1- إنّ وات يريد إيهامنا أنَّ قريشًا توقفت عن اضطهاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في الفترة التي سبقت الهجرة ، وكأنَّ ما تعرض له الرسول صلى الله عليه وسلم من أذى بعد وفاة عمه أبي طالب واضطراره الخروج إلى الطائف ، وما لحقه من أذى في الطائف ، وعدم تمكنه من الدخول إلى مكة إلاَّ وهو في حماية المطعم بن عدي ، وعرض نفسه على القبائل ، وتسفيه عمه أبو لهب لما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم لصرف القبائل عنه، ثم ذهاب بعض زعماء مكة إلى المدينة عندما علموا ببيعة العقبة الثانية ، وتعقبهم لليثربيين وقبضهم على سعد بن عبادة، وتعذيبهم للمهاجرين أثناء خروجهم للهجرة وانتزاع نسائهم وأولادهم وأموالهم منهم ، ثم وقوفهم ليلة الهجرة عند بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتله ، كل هذا يريد وات إيهامنا أنَّه لم يحدث ، كأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يهاجر إلّا ترقبًا لمستقبل أفضل ، وهكذا قرر أنَّ رواية ابن إسحاق هي التي تقرر هذا ، كيف رواية ابن إسحاق تقرر أنَّه لم يكن هناك اضطهاد للمسلمين ، وأنَّه لم تجتمع قريش ليلة الهجرة عند بيت الرسول

الأخضر فنم فيه: فإنَّه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام "ابن هشام: السيرة النبوية ٢ / 472-483، ثم أورد ابن اسحاق عن ابن زياد عن محمد بن كعب القرطبي كيف كانوا مجتمعين عند بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم أبو جهل ، وكيف رمى الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم التراب فلم يروه إلى = = آخر الرواية، ولكن كما رأينا فلقد حرَّف وات الرواية لأنَّه ينفي محاولة قريش قتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة .

صلى الله عليه وسلم لقتله؟ إذن ماهي هذه الرواية التي تقول هذا وواردة في سيرة إبن هشام ، وفي الصحاح الستة ، وفي كتب السيرة؟ كل هذه تقول – حسب منطق وات – إنَّه لم يكن هناك اضطهاد أو عزم على قتل الرسول ، وإنَّما تطلع لمستقبل أفضل في المدينة كما يقول وات! وها هو توماس أرنولد يقر أنّ قريشًا استأنفت التنكيل بالمسلمين من جديد فنصحهم بالفرار[1]، وأنّه حدثت مؤامرة مدبرة لاغتيال الرسول، فاحتال للفرار [2].

يلاحظ هنا من كلام وات أنَّ النزعة الاستعمارية مسيطرة عليه في الكتابة لتاريخنا، فلقد استعمر هذا التاريخ، ويتحدث فيه بلغة القوي الذي له حق الافتراض، وفرض الاستنتاج والتشكيك فيما يريد رفضه، وإبعاده فالكتابة عنده لتاريخ السيرة النبوية بعيدة كل البُعد عن المنهج العلمي والحيدة والموضوعية .

2–الدفاع عن موقف قريش بأنَّ حدث في الآونة الأخيرة قبل الهجرة اضطهادات بسيطة " على حد قوله "

3– إنكاره كغيره من المستشرقين لجميع المعجزات التي حدثت أثناء الهجرة لأنَّهم اتبعوا في كتابتهم لتاريخ السيرة التفسير المادي للتاريخ ، حيث اعتبرها جيب تزويقاً أسطورياً، ووات قال بتجميلها .

ننتقل الآن إلى بودلي ، فلقد روى أحداث الهجرة وأسبابها كما روتها المصادر العربية الأصلية، إلاَّ أنّه سخر من بيض الحمام في الغار مشككًا في حدوث هذه المعجزات [3].

---

[1] . توماس . أرنولد. الدعوة إلى الإسلام . ص 46.

[2] – المرجع السابق . ص 47.

[3] .بودلي . الرسول ... حياة محمد . ص 123.

أمَّا برنارد لويس فإنَّه يلتقي مع وات في تزييفه لأحداث الهجرة وأسبابها ؛ إذ يقول: "كانت هجرة محمد من مكة إلى المدينة نقطة تحول ، واختارها الأجيال التالية بحق نقطة البداية في التقويم الإسلامي[1] ، ولم تقم قريش بمحاولة جدية لمنعها[2] ، ورحل محمد عندما طاب له الرحيل[3]، وكان قد أوعز إلى أتباعه دون أن يأمرهم أن يرحلوا حتى كان هو آخر من بقي في مكة، وبعض ما هدف إليه من وراء تأخيره هذا هو وصوله إلى المدينة على رأس جماعة معينة ذات وضع معروف لا وحيدًا أو طريدًا مضطهدًا ، وكان أهل المدينة قد دعوه بصفته رجلًا تحل فيه روح ذات قوة خارقة ويستطيع أن ينفعهم كحاكم[4]، ثم نجده يشكك في صدق إسلام الأنصار زاعمًا أنَهم أسلموا لأغراض دنيوية ، ورحبوا بالرسول ليس كرسول من عند الله ، وإنّما كحاكم يفصل في خلافاتهم الداخلية يقول لويس "يستطيع أن ينفعهم كحاكم وأن يفصل في خلافاتهم الداخلية أكثر من دعوتهم له بصفته رسول الله ، ولم يكن الإسلام أول الأمر ذا نفع لهم كدين جديد بقدر ماكان نافعًا كمنهج يمكن أن يهيئ لهم الأمن والنظام ، وكانوا خلافًا لأهل مكة ، لا مصلحة ثابتة لهم في الوثنية ولا مانع عندهم من قبول الناحية الدينية في الإسلام شريطة أن تسد حاجتهم السياسية والاجتماعية ، أمّا دخول أهل المدينة في الدين دخولًا كاملًا فلم يحدث إلا بعد زمن متأخر كثيرًا[5] .

---

[1] . الثابت تاريخيًا أنَّ سيدنا عمر بن الخطَّاب أوَّل من اتخذ الهجرة بداية للتقويم الإسلامي.

[2] . كل تلك المحاولات التي قامت بها قريش لمنع الهجرة كانت محاولات غير مجدية في نظر لويس.

[3] . يتجاهل لويس ربوض قريش عند بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة لقتله.

[4] . العرب في التاريخ . ص 52.

[5] . العرب في التاريخ . ص53.

ثم نجد لويس يصف الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّه كان مواطنًا مغمورًا في مكة، فيقول " : في مكة كان مواطنًا مغمورًا ، أمَّا في المدينة فقد أصبح رئيس جماعة [1]"

والحقيقة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قط مواطنًا مغمورًا ر، ولو كان كذلك لما قلبت قريش عليه الدنيا ، وكان شغلها الشاغل طوال سنوات الدعوة في مكة ، أمَّا في المدينة فلم يكن زعيم جماعة ، وإنَّما كان نبي الله ورسوله ، وحاكمًا وقائدًا ليطبق تعاليم الإسلام ويحكم بما أنزل الله .

هذه آراء أهم مستشرقي المدرسة الإنجليزية وهو لايختلف كثيرًا عن آراء غيرهم، إلاَّ أنَّ انتوني نتنج أقر أنَّ العناية الإلهية رافقت الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه في طريق الهجرة؛ إذ قال : "ولكن المطاردين أضلتهم على ما تقول الرواية آثار كاذبة وضعتها العناية الإلهية في طريقهم [2]، أمَّا كارين ارمسترنج فلقدت أوردت بعض الأحداث وفق الروايات الإسلامية الصحيحة، واعترفت بمعجزات الغار والشجرة والعنكبوت ، وبيض الحمام، كما ذكرت تربص قريش بالرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة عند باب داره ، كما أقرَّت بإخبار جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم ما يدبر له ، إلاَّ أنَّها ردت مارواه وات ولويس بأنَّه لم يكن هناك اضطهاد

---

[1] .المرجع السابق . ص 53.

[2] . See Antony Nutting,The Arabs Anarrative History from Mohammad to the present P.27(Holtis and Carater)

أنظر: الترجمة بالعربية ص 29, ترجمة د. راشد البراوي، ويلاحظ أن ترجمة ص 946العنوان خاطئ ؛ إذ صدرت الترجمة تحت عنوان "العرب انتصاراتهم وأمجادهم في الإسلام ..... " حيث العنوان بالإنجليزية "العرب والسرد والقص التاريخي من محمد حتي وقتنا الحاضر، ولست أدري كيف ترجم الأستاذ الدكتور المترجم ..... A Narrative History from Mohammad to the present بانتصاراتهم وأمجاد الإسلام؟ .

للمسلمين عند الهجرة [1]، ثم تتحدث عن خروج الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة من بيته وتذكر أنَّه خرج من الباب الخلفي ، والروايات لم تذكر لنا أنَّ لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابًا خلفيًا ، بل ذكرت أنَّه خرج أمام الرابضين عند بابه ، وقد رمى على رؤوسهم تراب، وتلا قوله تعالى :(فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [2] فلم يروه وهو يمر أمامهم .

هذا ونجدها قد أغفلت قصة سراقة بن مالك والمكافأة التي رصدتها قريش لمن يعيد إليها محمدًا "صلى الله عليه وسلم" وذلك لأنَّ ذكرها لهذه الرواية ينفي ماذهبت إليه بأنّ قريشًا لم تبذل جهدًا كبيرًا لمنعهم من الهجرة ، فأهملت هذه الرواية لتعارضها مع ما ذهبت إليه.

وهذا يوضح لنا عدم موضوعية المستشرقين في كتاباتهم للسيرة النبوية بصورة خاصة ، فلقد زيفت كارين حقائق واقعة ، وأغفلت روايات صحيحة لإخفاء ما زيّفته ، وهذا هو منهج المستشرقين في كتابة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

وبعد هذا العرض لآراء بعض مستشرقي المدرسة الإنجليزية في الهجرة النبوية وأسبابها، وأسباب ترحيب أهل المدينة بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام نلاحظ الآتي :

1-وصف معظم المستشرقين هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بالهروب "وليم موير، مرجليوث، توماس أرنولد، جيب" ، وذلك إسقاطًا منهم لهروب داود عليه السلام من شاول إلى الكهف، وإيهام زوجة داود جند شاول أنَّ داودًا على سريره.

---

[1] .انظر : الترجمة العربية للمصدر نفسه . ص 229- 230

[2] .ياسين : 9.

2–اعتبر وات هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بحثًا عن مستقبل أفضل .

3– تحريف معظم المستشرقين في أسباب الهجرة النبوية ونفيهم اضطهاد قريش للمسلمين وتآمرهم على قتله صلى الله عليه وسلم وملاحقتها له بعدما اكتشفت هجرته .

4–إلغاء ونفي المعجزات الحسية التي رافقت الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته ووصفها بالتزويق الأسطوري .

5–تقليل الفريد جيوم من أمر المعارضة القرشية واضطهادها للمسلمين ؛ إذ اعتبر قريشًا استصغرت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تهتم بها .

6–اتفق المستشرقون على إرجاع ترحيب أهل المدينة بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أسباب مادية .

7 - تحريف وات في بعض روايات ابن إسحاق عن الهجرة .

8– تعارض أقوال المستشرقين الذين يزعمون أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم رحل عن مكة عندما طاب له الرحيل، ولم يكن هناك معارضة واضطهاد بين قريش وبين مبيت سيدنا علي رضي الله عنه مكان الرسول صلى الله عليه وسلم لإيهام القريشيين أنَّه لم يغادر مكانه ، وبين اختبائه وسيدنا أبي بكر في غار ثور، وتعقب القريشيين له .

الرد على شبهات المستشرقين حول الهجرة النبوية إلى المدينة

أولًا : الرد على مقولة الفريد جيوم إنَّ قريشًا استصغرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم

إنَّ مالقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من عداء ومقاومة من قريش في مكة على مدى عشرة أعوام منذ الجهر بالدعوة إلى الهجرة إلى المدينة ،

يبين لنا أنَّ قريشًا لم تستصغر الدعوة قط ، بل حاربتها بكل ماتملك من قوة ودهاء حيلة ونفوذ، إضافة إلى تعذيبها للمسلمين تعذيبًا جسديًا ومقاطعتها لهم اقتصاديًا ، وحصارها لهم ثلاث سنوات ، ومنع وصول الطعام إليهم، أرسلت وفدًا إلى النجاشي يسلمهم المهاجرين المسلمين ، وعندما عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل كانت قريش تحبط كل جهوده لاجتذابهم وهذا ماذكره جيوم نفسه ؛ إذ قال "وقد أحبط المكيون كل جهوده لاجتذاب أفراد القبائل إلى جانبه ."[1]

وأعتقد أنَّنا لو رجعنا إلى تاريخ الدعوة من لحظة الجهر بها إلى الهجرة الى المدينة، نجد ردًا كافيًا على جيوم. فالأحداث نفسها هي التي ترد عليه ، ولكن كما نرى أنَّ المستشرقين يتجاهلون ما يريدون تجاهله ويحذفونه تمامًا من التاريخ لئلّا يتعارض مع ما يريدون قوله ، وهم مدركون أنَّ القارئ الأوروبي سيستقبل كل ما يكتبونه، لأنَّه لا يعلم شيئًا عن صحة ما يقولونه. أمَّا القارئ المسلم فهو منبهر ببريق الرداء الذي ألبسوه لكتاباتهم والنقد التاريخي والمنهج العلمي ، فغابت الحقائق عنه أمام ذاك البريق الذي زغلل عينيه عن إدراك الحقائق فانساق البعض وراء هذا التيار الاستشراقي وردد ما يرددون ويزعمون .

فقريش لم تستصغر الدعو ، ولكن الله كان فوق ما تريده قريش **(وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**[2]

---

[1] – الإسلام . ص 38.

[2] – آل عمران : 54.

ثانيًا : الرد على شبهة جيب وكالمرز بأنَّ الهجرة انتقال من الدور الديني إلى العلماني

لقد زعم جيب وكالمرز أنَّ للرسول صلى الله عليه وسلم شخصية مزدوجة ، ووصفًا الدور المكي أنَّه دور ديني ، والدور المدني دور علماني ، وهذا يناقض ما ذهب إليه بعض مستشرقي المدرسة الإنجليزية مثل: وليم موير ومرجليوث ، وتوماس أرنولد ، ومونتجمري وات ، وبرناردو لويس أنَّ الحكومة الإسلامية حكومة دينية "ثيوقراطية" والحقيقة أنَّ الدولة الإسلامية لم يكن الحكم فيها ثيوقراطيًا ، أو علمانيًا، وإنَّما هو حكم قائم على الشورى والعدل والمساواة ويجمع بين السلطتين الدينية والزمنية ، فالإسلام دين ودولة ، والأمر الذي لم يدركه المستشرقون وغيرهم من المناهضين للإسلام ، أو يدركونه ويتجاهلونه عمداً أنَّ الإسلام تميز عن سائر الأديان بنظرته للإنسان التي وازنت بين المادة والروح لأنَّ مكونات الإنسان "مادة" و"روح" قبضة من طين هي المادة "ونفخنا فيه من روحنا" الروح"

وللجسد متطلبات ، وللروح متطلبات ، فوازن الإسلام بين متطلبات الجسد والروح بحيث لاتطغى الواحدة على الأخرى ، وفي الوقت ذاته لم يبخس للروح حقًا ، ولم يبخس للجسد حقًا يقول تعالى (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[1] وتتضح موازنة الإسلام بين متطلبات الجسد والروح في قوله تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[2] فهذا

---

[1] – ص : 71–72.

[2] – القصص : 77.

التـوازن بـين الحيـاتين الدنيويـة والأخرويـة يتميـز بـه الإسـلام دون سـائر الأديان.

والدور المدني تجلى فيه هذا التوازن عندما تسنى للحكم الإسلامي أن يقوم ، وأن تكون دولة إسلامية ، أمَّا الدور المكي فلم يكن بإمكان الرسول صـلى الله عليـه وسـلم ، أن يقاتـل قريشًـا ويقاومهـا بالسـيف لأنَّـه لا يملـك وقتـذاك مقومـات الدولـة التـي تسـاعده علـى المقاومـة القتاليـة ، والمسـلمون الذين كـانوا معـه كـانوا أقليـة ، وأغلبهم من المستضـعفين ، فقتـال قريش فـي مكـة آنـذاك يعد عمليـات انتحاريـة لا طائل منهـا ، وليس لصـالح الإسـلام ، ولـو كـان القتـال مجديًا لأمره الله بالقتـال وأذن لـه ، ونحـن نعلـم أنَّ الرسـول صلى الله عليه وسلم لم يخط خطوة ويتخذ قرارًا إلاَّ بإذن الله .

ثُمَّ مـا قـام بـه الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم والمسـلمون فـي المدينـة مـن جهاد لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، كان طمعًا في الجنة والثواب في الدار الآخرة ، فكـان الواحـد منهم يخـرج للقتـال وغايتـه نيل الشـهادة فـي سـبيل الله لكسب الجنة أو تحقيق النصر لإعلاء كلمة الله.

ولكن هذه الأمور لا يدركها ولا يحسها من طغت المادة على تفكيره فجعلت قلوبهم غلفًا وعلى أعينهم غِشاوة .

ثالثًا: الرد على شبهة التزويق الأسطوري للهجرة

لقد أنكر المستشرقون نبوة الرسول صـلى الله عليـه وسلم وبالتـالي أنكروا جميع المعجزات التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتـي ظهرت لتبرهن أنَّه نبي ، وكما رأينا أنَّ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة من لحظة مغادرته لبيته ليلة الهجرة إلى وصوله المدينة ، كانت مليئـة بـالمعجزات التـي تبين أنَّ الله حـافظ لنبيـه ، وحاميـه من كل المخـاطر

التي كانت تحيط به في طريق هجرته ، ولكن المستشرقين جميعهم منكرين هذه المعجزات "باستثناء كارين" وها هما جيب وكالمرز يصفان تلك المعجزات بالتزويق الأسطوري ، ووات يعتبرها تجميلًا لرحلة الهجرة ، إضافة إلى إغفالهم سبب تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته وهو انتظار الإذن من الله عز وجل .

رابعًا: الرد على شبهة الهروب

لقد ربط جيب وكالمرز هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بهروب داود عليه السلام من شاول إلى الكهف، وإيهام زوجة داود جند شاول أنَّ داودًا على سريره ، وكان شاول يطارد سيدنا داود عليه السلام لأنَّه خاف على نفوذه من سيدنا داود بعد انتصاره على جالوت ورجاله ، فلقد اتبع هذان المستشرقان ومن قبلهما موير ومرجليوث وأرنولد الإسقاط فوصفوا هجرة الرسول صلى الله اليه وسلم بالهروب .

هذا وإن كانت هناك أوجه شبه بين بعض أحداث الهجرة النبوية وهروب سيدنا داود عليه السلام من جند شاول من حيث الإيهام بأنَّه لم يغادر مكانه وأنَّه نائم ، ومن حيث الاختباء في الغار، فهذا لأنَّ كليهما نبي وأنَّ عين الله تحرسهما وترقبهما وتحميهما ، فتلهمهما ماذا يفعلان لئلا يقعا في قبضة أعدائهما .

ثُمَّ إنَّ تشابه رحلة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بهروب داود عليه السلام من شاول وجنده دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لم يكن قد ذهب إلى المدينة والتقى باليهود وعرف منهم القصة ، كما يزعم المستشرقون كلما ينزل تشريعًا من السماء ، أو يحدث أمرًا مشابهًا لأحد أنبياء بني إسرائيل ، يرجعونه على الفور إلى

اليهود واليهودية ، وأسألهم هنا كيف عرف الرسول صلى الله عليه وسلم بقصة هروب داود عليه السلام من شاول وجنده ، وهو لم يتصل بعد باليهود في المدينة؟.

خامسًا: الرد على شبهة دعوة أهل المدينة للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة لأسباب دنيوية

لقد أجمع المستشرقون على إرجاع أسباب دعوة أهل المدينة للرسول بالهجرة الى المدينة لأسباب تتعلق بالخلافات القائمة بين الأوس والخزرج ، وهذا خلاف الواقع وتدحضه الأحداث التاريخية ذاتها والتي يمكن تلخيصها في الآتي:

أولًا: كانت الحروب بين الأوس والخزرج قد انتهت؛ إذ أدرك الطرفان أنَّ المستفيد الوحيد من هذه المعركة هم اليهود، فصرخ رجل من الأوس عندما رأى أبناء قبيلته يتعقبون الخزرج عند انتشارهم ليقتلوهم: يامعشر الأوس اسجحوا ولاتهلكوا إخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب .[1]"

فكانت معركة بعاث خاتمة المسلسل الدموي بين الأشقاء والأقارب وكانت قبل الهجرة بخمس سنوات ، والدرس القاسي للأوس والخزرج معًا ، فقد سقط رعاة الحرب ورؤوس القوم العتيدة وتنبه الأشقاء لدور اليهود وفتنتهم، واصطلحوا على سلم نهائي وتهيأت نفوسهم لاستقبال الدعوة الإسلامية [2]" "وأجمعوا على أن يتوجوا عبدالله بن أبي بن سلول " [3]

ثانيًا: أنَّ أهل المدينة يعرفون أنَّ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ستدخلهم في حروب لاهوادة فيها مع قريش لأنَّ قريشًا لن تسكت

---

[1] .ابن الأثير . الكامل في التاريخ ،مرجع سابق ،538/1.

[2] . بدر، د.عبد الباسط . التاريخ الشامل . مرجع سابق ،1/ 81-82.

[3] .تاريخ ابن خلدون . مرجع سابق 390/2.

ولن ترضى عن هجرته إلى المدينة ، بدليل أنَّ بيعتي العقبة الأولى والثانية قد تمتا سرًا في ظلام الليل[1]، وعندما علمت قريش بالخبر ، وذهب وفد منهم إلى يثرب محتجين على ماحدث، ولكن المشركين من اليثربيين أنكروا ذلك لأنّهم لم يعلمو بما حدث، وعادوا إلى مكة[2] ، ولكنهم عندما تيقنوا من صحة الخبر سارع فرسانهم بمطاردة اليثربيين ، وأمسكوا بسعد بن عبادة فربطوا يديه إلى عنقه ، وجعلوا يضربونه ويجرون شعره حتى أدخلوه مكة ، فجاء المطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أُمية فخلصاه من أيديهم ،وعاد إلى رفاقه فوصل القوم جميعًا إلى المدينة [3] .

ثالثًا: إنَّ مبايعة الأوس والخزرج للرسول صلى الله عليه وسلم في البيعتين لم تكن مشروطة من قبلهم ، ولكن كانت بيعة العقبة الأولى ، كما روى البخاري عن عبادة بن الصامت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعالوا بايعوني على أنَّ لا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقب، وإن شاء عفا عنه قال: فبايعته." وفي رواية فبايعناه على ذلك[4] .

أمَّا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار في بيعة العقبة الثانية، فكان وفق ماجاء في رواية ابن هشام : عن ابن اسحاق عن معبد بن كعب أنَّ أخاه عبدالله بن كعب حدثه أنَّ أبا كعب بن مالك حدثه قال كعب : "

---

[1] . سيرة ابن هشام . 2/ 441.

[2]. سيرة ابن هشام . 448/2.

[3] .المرجع السابق . 449/2، وتاريخ ابن خلدون :291/2 – 292.

[4] .صحيح البخاري . "باب صلاة الإيمان" 1/ 30 ، وباب وقود الأنصار ، وكتاب توقيع الأنصار ، 119/3.

تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام ، ثُمَّ قال: أبايعكم على أن تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، قال فأخذ البراء بن مسرور بيده ، ثُمَّ قال: نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ، ورثناهاً كابرًا عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله إنَّ بيننا وبين الرجال حبالًا وإنا قاطعوها – يعني اليهود – ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثُمَّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: بل الدم الدم ، والهدم الهدم[1] ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ."[2] قال كعب بن مالك: وقد كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم إثني عشر نقيبًا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس [3] .

هذه المبايعة تبين لنا أنَّ الأوس والخزرج كانوا يدركون أنَّ هناك حروبًا ستقام من أجل مناصرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إذ عاهدوه على ذلك ، بل كانوا يدركون أنَّ مناصرتهم له بسبب مقاطعة بينهم وبين جيرانهم اليهود ، وقد أكد هذا ماقاله العباس بن عبادة في الخزرج قبل المبايعةر ؛ إذ أوضح لهم القصد والمراد منها ، فقد قال ابن إسحاق : "حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنَّ القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نفلة الأنصاري (أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ، فقالوا: نعم، قال:

---

[1] .ويقال الهدم الهدم ،يعني الحرمة : أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

[2] .سيرة ابن هشام . 2/ 442.

[3] .المرجع السابق . 2/ 443،وابن القيم . زاد المعاد .ص 25.

إنَّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن ترون إنكم إذا اهلكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلًا أسلمتموه ، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنَّكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال[1] ، وقتل الأشراف فخذوه فوالله هو خير والآخرة . قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟ قال : الجنة قالوا : ابسط يدك فبسط يده فبايعوه."[2]

إذن كان هدفهم من المبايعة " هو الفوز بالجنة " أي ليست هناك مقاصد دنيوية منها كما زعم المستشرقون .

[1] .نهكة الأموال : أي نقصها.

[2] .سيرة ابن هشام . 2/ 446.

الفصل الثالث

بناء المسجد النبوي الشريف

بناء المسجد النبوي الشريف

لقد كان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في بني النجار، يوم الجمعة 12 ربيع الأول السنة الأولى للهجرة الموافق 27 سبتمبر سنة 622 م. وكانت أول خطوة خطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وصوله المدينة شروعه في بناء المسجد بعد تحديد مكانه، ففي المكان الذي بركت فيه ناقته أمر ببناء المسجد، واشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه هما سهل وسهيل ابني عمرو وكانا تحت وصاية معاذ بن عزاء[1] ، وقد ساهم عليه الصلاة والسلام بنفسه في بنائه فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول:

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكان يقول :

هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبر بنا وأطهر

وكان ذلك مما يزيد نشاط الصحابة في البناء حتى أنَّ أحدهم يقول :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل [2].

وكانت في ذلك المكان قبور المشركين، وكان فيه خرب ونخل وشجرة من غرقد، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين، فنبشت وبالخرب فسويت ، وبالنخيل فقطع، فصفوا النخيل قبلة المسجد، وجعلوا عضاديته حجارة ، وجعلوا ينقلون ذلك الصخر[3] .

---

[1] . سيرة ابن هشام . 49/2،وصحيح البخاري 1189.

[2] . المرجعان السابقان.

[3] . صحيح البخاري . باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة " . ص 1195.

وخطط المسجد على هيئة فناء مربع متساوي الأضلاع تقريبًا يبلغ طول ضلعه نحو 70ذراعًا [1]، وتحفُّ به جدران أربعة ارتفاعها نحو سبعة أذرع[2] ، وبني أساسه من الحجارة وأتمه من اللبن ، وكان بدون سقف أولًا ، فلما اشتد عليهم الحر قالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظل ، قال نعم، فأمر له سواري من جذوع النخل شقة ثم طرح عليه العوارض والخصف والأذخر، وجعل وسطه رحبة ، فأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف، يقطر عليهم، فقالوا يا رسول الله لو أمرت بالمسجد خطين[3]. ويتجه أحد جوانب المسجد نحو المسجد الأقصى ، والجانب المقابل نحو الكعبة المشرفة في الجنوب وجعلت القبلة في الجدار الشمالي من حجارة منفردة بعضها على بعض ، وكانت القبلة في أول الأمر تجاه بيت المقدس ، ثمَّ أمر النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام ، ومن ثَمَّ نقلت القبلة من الجدار الشمالي إلى الجدار الجنوبي[4] ، وكانت لفقراء المسلمين ظلة عند الجدار المقابل لجدار القبلة ، يأوي إليها من لا مأوى لهم ، وكانت تسمى الصفة وسمي هؤلاء أهل الصفة [5]، ولم يكن لها ما يستر جوانبها [6] .

---

[1] . أي حوالي 35 مترًا.

[2] . الباشا ، د. حسن . (1990م) الآثار الإسلامية . ص 102 . " طبعة بدون رقم . ،دار النهضة المصرية .

[3] . الوكيل، د. محمد السيد . المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى . ص 27 ،طبعة سنة 1406هـ – 1986م،دار المجتمع . السعودية .

[4] – الباشا ، د.حسن . الآثار الإسلامية . مرجع سابق . ص 102.

[5] .المرجع السابق ، والصفحة ذاتها.

[6] . العُمر، د. أكرم . السيرة النبوية الصحيحة .مرجع سابق ،. / 258.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبني خارج الطرف الجنوبي من الجانب الشرقي ، وفي محاذاته مسكنًا لزوجتيه السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما ، ثم أضيفت إلى هذين المسكنين بيوتًا أخرى لباقي زوجاته صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن هذه البيوت ملتصقة بالمسجد ، وكانت حجراته من شعر مربوطة بخشب ، من عرعر، وكان بابه يقرع بالأظافر مما يدل على أنَّ أبوابه لم يكن لها حلق، [1] وكان يفصل بينها وبين المسجد طريق عرضه عشرة أذرع[2] ، ولم يكن المسجد يشتمل في ذلك الوقت على مئذنة ؛ إذ كان المؤذن ينادي للصلاة من فوق سطح أحد المنازل العالية المجاورة للمسجد [3]، ولم يكن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أول مابني منبر يخطب الناس عليه ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه ، فلما اتخذ للرسول صلى الله عليه وسلم منبر وعدل عنده ، فرجع إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود[4] ، وهذا من دلائل نبوته .

هذا وقد استغرق بناء المسجد اثني عشر يومًا. وبعد نحو سبع سنوات من الهجرة سنة 628 م ضاق المسجد بالمصلين ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتوسعته، فأصبح طول كل ضلع بالمسجد مائة ذراع ، وصار جوار المسجد الشرقي ملتصقًا ببيوت النبي صلى الله عليه وسلم ، وصار المسجد بعد هذه التوسعة يشتمل أساسًا على ظلة عند جانب القبلة وفناء أو

---

[1] . ابن كثير . البداية والنهاية . 259/3.

[2] . الباشا، د. حسن . الآثار الإسلامية . ص 102.

[3] .المرجع السابق . ص 103.

[4] .صحيح البخاري . كتاب الصلاة ... البيهقي ،دلائل النبوة ، 526/2،المكتبة السلفية ،2 / 275، وابن كثير البداية والنهاية . 3 / 257.

صحن غير مسقوف ، ويرجح أنَّ ظلة القبلة كانت تشتمل على ثلاثة صفوف من السواري موازية لحائط القبلة ، وكان كل صف يتألف من تسع سوار من جذوع النخل ، خمس على يسار المنبر وأربع على يمينه نحو الشرق ، وظلت أماكن هذه السواري يقام فيها الأعمدة عند أي تعمير في المسجد [1] .

وفي هذه التوسعة فتح في المسجد ثلاثة أبواب ظلت في أماكنها هي الأخرى بعد ذلك ، ومازالت تعرف بأسمائها ، وهي باب جبريل وسط الجدار الشرقي ، وباب النساء في شماله ، ويقابله باب الرحمة في الجدار الغربي ، وذلك بالإضافة إلى الأبواب التي كانت تفتح على المسجد من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم التي صارت ملتصقة بالمسجد بعد توسعته [2]، وكان المسجد النبوي أول عمارة إسلامية وصار نموذجًا لكل المساجد التي أسسها المسلمون في المدن الجديدة التي انشئوها عقب الفتوح الإسلامية مثل مسجد البصرة ، ومسجد الكوفة ، ومسجد عمرو بالفسطاط، ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان[3].

وظل المسجد على حاله الذي بناه عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يزد أبو بكر فيه شيئًا ، وزاد فيه عمر بأن أعاد عمده وجعلها خشبًا، وحمى سقفه من المطر ، ثم غيّره عثمان رضي الله عنه ، فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من ساج [4]، وقد نقل إليه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك تحفًا

---

[1] . الباشا ، د.حسن . الآثار الإسلامية . ص103.

[2] .المرجع السابق و الصفحة ذاتها.

[3] .المرجع السابق . والصفحة ذاتها.

[4] .الساج : نوع من الأخشاب الهندية.

وجمّله بها، كما أضاف إليه الخليفة العباسي المهدي تحسينات عظيمة ، وهكذا صار المسجد النبوي بالمدينة أبدع العمارات الإسلامية وأجملها[1] .

دور المسجد النبوي في المجتمع المدني في العهد النبوي

لقد كان ولا يزال – للمسجد النبوي – دور كبير في المجتمع المدني على مر العصور والأزمان منذ تأسيسه وبنائه حتى الآن ؛ إذ لم يقتصر دوره على إقامة الصلوات فيه ، وسأوجز الحديث عن دوره في العهد النبوي كأول جامعة أنشئت في العالم:

1– قد خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا للنساء يعلمهن فيه أمور دينهن ، وخصص باب لهن اسمه " باب النساء ."

2–كان مكانًا لاجتماع المسلمين بقائدهم وفي هذه فائدة من وجهين :

أ – احتكاك القائد بالرعية عن قرب ودراسة أحوالهم ، وبث الرعية شجونهم لقائدهم .

ب – احتكاك المسلمين بعضهم مع بعض وتآلف قبولهم ، وقد غاب هذا الفهم عن كثير من قادة وأفراد في زماننا هذا، وفهموا أنَّ المسجد مكان عبادة فقط .

3– كان مكانًا لعقد ألوية جيوش وسرايا المجاهدين .

4–كان مكانًا لاستقبال السفراء الذين يفدون على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

5– نصب الخيمة فيه لعلاج جرحى المسلمين في الحرب ، كما في قصة خيمة رفيدة يوم الأحزاب .

---

[1] العبادي ، .د. عبد الحميد . محمد ورسالته ، بحث نشره يحي الخشَّأب في تاريخ العالم للسير جون هارمتن ،4/ 415، دار النهضة المصرية.

6- كان مكانًا لاعتقال أسير الحرب المشرك؛ إذ كان في ذلك عظة لمن يراه من الناس، وعظة له عندما يرى الصلاة، ويسمع القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما في قصة قامة بن آثال .

7- كان مكانًا لإنشاد الشعر دفاعًا عن الدعوة الإسلامية وقائدها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

8- إيواء ضعفاء وفقراء والنساء اللائي أسلمن من أحياء العرب ولم يجدن مأوى إلاَّ المسجد حين قدمن إلى المدينة مثل الوليد السوداء التي اتخذت خباء في المسجد[1] .

9- إيواء ضعفاء وفقراء المهاجرين الرجال العذاب الذين لم يتمكنوا من الحصول على منازل خاصة بهم وعرفوا بأهل الصفة [2]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهد أهل الصفة بنفسه ، فيزورهم ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم ، كما كان يكثر في مجالستهم ويرشدهم ، ويواسيهم ويذكرهم ويقص عليهم ويوجههم إلى قراءة القرآن الكريم ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم[3] .

---

[1] . رزق الله ، د. مهدي . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية . ص 297.

[2] . المرجع السابق . ص 297-298.

[3] . العمري ، د. أكرم . المجتمع المدني في عهد النبوة وخصائصه وتنظيماتها الأولى . ص 99.

موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من بناء المسجد النبوي

بالنسبة للمصادر الإستشراقية الإنجليزية التي تناولها هذا البحث لم تتحدث عن بناء المسجد النبوي الشريف سوى بعضها وهي "الموسوعة الإسلامية الميسرة" لهاملتون جيب وكالمرز و"محمد في المدينة" لمونتجمري وات ، "والرسول.. حياة محمد" لبودلي ، و"محمد" لكارين أرمسترنج ، وكان المصدران الأول والثاني قد أشارا إلى بناء المسجد على شكل كنيس يهودي ، أمَّا المصدارن الأخيران فلقد اكتفيا بوصف بناء المسجد .

هاملتون جيب وكالمرز بناء المسجد تقليد للبيع اليهودية

ينقل جيب وزميله ماكتبه الكتّاب الأوربيون عن بناء مسجد للصلاة فيقولون: "إذا كان بعض الكتّاب رأوا في المبادرة ببناء مكان للصلاة تقليدًا للبيع اليهودية ، فقد أدلى كيتاني بحجج قوية لها وزنها، بأنَّ هذا لم يكن بناء بصفة قاطعة لعبادة الله ، نظرًا لأنَّ المسجد المزعوم كان يستخدم أيضًا لكل أنواع الأغراض الدنيوية ؛ إذ كان في الحقيقة مجرد دار يشغلها محمد وأهل بيته ، بينما كانت الاجتماعات للصلاة تتم في المصلى [1]، ثم يستدركان الأمر ويقولان "إنّ مسجد الضرار هو الذي كان يذكر بالبيع عند اليهود ، فيقولان "ولكن يبدو برغم أن مسجد الضرار كما دعاه النبي وقد تملكه الرعب " التوبة آية 107 ، كان المبنى الفعلي الذي يذكر بالبيع عند اليهود [2] .

---

[1] . جيب وكالمرز . الموسوعة الإسلامية . 2/ 949.

[2] . المرجع السابق . 949/2.

وات بناء مسجد المدينة على شكل كنيس يهودي

يقول وات: "ولقد قيل أيضًا بأنّ محمدًا حين بنى مسجد المدينة بناه علي شكل كنيس اليهود ، غير أنَّ ما أصبح مسجدًا كان في الأصل بيت النبي وحديقته ، ولدينا أسباب تدعو للشك في أن يكون تقليدًا لأي بناء ديني ، وبالرغم من هذه الملاحظات ، فإنَّه من البديهي أنَّ محمدًا قبيل الهجرة وبعدها ، كان يميل لصياغة ديانته على شكل الديانة اليهودية ، وتشجيع أتباعه في المدينة على الاحتفاظ بالطقوس التي تبنوها[1] .

الرد على شبهات جيب ووات حول شكل بناء المسجد النبوي

إنَّ شكل بناء المسجد النبوي كما تقدم بنا كان عبارة عن أربع حوائط بني أساسها بالحجارة ثم تمت باللبن ، وكان على شكل مربع 70×70ذراعًا" أي 35×35مترًا وارتفاع الحائط سبعة أذرع ، ولم يكن له سقفًا ولا منبرًا ولا مئذنة ، ولشعور المصلين بشدة الحر اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم عمل ظلة ، وكان الرسول يخطب مستندًا على جذع نخلة ، فكثر الناس ولم يعودوا يروه وهو يخطب ، فقال له أصحابه يا رسول الله إنَّ الناس قد كثروا فلو اتخذت شيئًا تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس؟ فقال: ماشئتم. قال سهل ولم يكن بالمدينة إلاَّ نجَّار واحد ، قال فذهبت أنا وذلك النجار إلى الغابة فقطعنا هذا المنبر من أثلة فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم فحنّت الخشبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا تعجبون من أنين هذه الخشبة؟" فأقبل الناس عليها فرقوا من أنينها حتى كثر بكاؤهم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاها فوضع يده عليها فسكنت .

---

[1] . وات ، مونتجمري . محمد في المدينة. ص 304– 305. ترجمة شعبان بركات.

كما حددت القبلة في البداية كانت ناحية المسجد الأقصى ، وعندما حولت إلى الكعبة نقلت القبلة من الجدار الشمالي إلى الجدار الجنوبي، وبنيت بجوار المسجد حجرتين في البداية لنساء الرسول صلى الله عليه وسلم سودة وعائشة رضي الله عنهما ، وأضيفت حجرات أخرى لزوجاته كلما يتزوج بواحدة حتى أصبحت تسع حجرات .

هذا هو البناء البسيط المتواضع فما الذي يريده المستشرقون إن كان مجرد أربع حوائط بلا سقف قالوا مثل كنيس يهودي وبيع يهود؟ .

إنَّ هذا البناء البسيط المتواضع كان نموذجًا للمساجد التي بنيت بعده والمنتشرة الآن في أنحاء العالم ، ومقارنة بسيطة بين الشكل المعماري للمساجد والشكل المعماري للكنائس المسيحية والمعابد اليهودية لا نجد تشابهًا البتة بينهم. ويفوق الشكل المعماري للمساجد جمالاً وروعة وهندسة وفنًا شكل الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية .

هل اعتبر هولاء المستشرقون مانقلته بعض الروايات أنَّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبني المسجد قال: "ابنوا لي عريشًا كعريش موسى .... وخشبات وظلة كظلة موسى والأمر أعجل من ذلك" قيل وماظلة موسى؟ قال: "كان إذا قام أصاب رأسه السقف" [1]، فهذه الرواية تتعارض مع ما رواه الشيخان البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: " كان المسجد جدارًا ليس له سقف وقبلته إلى القدس [2] "

---

[1] . الشامي . سبل الهدى والرشاد . 3/ 486.

[2] . صحيح البخاري 86/5. " باب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة" . والبيهقي . الدلائل 2/ 260.

ثمُّ إنّ صحت الرواية الأولى ، فما الذي يمنع أن يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ظلة مثل أخيه موسى؟ هل اتخاذ ظلة مثل ظلة موسى عليه السلام يعد بناء المسجد على شكل كنيس يهودي أو بيع يهودية؟ .

هذا يبين لنا أي منهج ينتهجه المستشرقون، إنهم يتلقطون العبارات التقاطًا ليصيغوا منها مايريدون صياغته، ويتركون الروايات الصحيحة الواردة في صحيحح البخاري ومسلم .

أمَّا القول : إنَّ المسجد النبوي كان أصله بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وحديقته ، فهذا غير صحيح ، فالروايات جميعها أجمعت أنَّ الأرض كانت مربدًا ليتيمين اشتراها الرسول منهما ، وبنى عليها مسجده ، وبنى قربه حجرتين لزوجتيه سودة وعائشة رضي الله عنهما ، ثم حجرات أخرى لباقي زوجاته ، وكان يفصل بين المسجد وحجراته عشرة أذرع وبعد توسعته بعد يوم خيبر، أصبحت الحجرات ملتصقة بالمسجد ، ثم أدخلت الحجرات في المسجد في عهد الوليد بن عبدالملك 86- 96هـ" إذ أمر عامله على المدينة آنذاك عمر بن عبدالعزيز بإدخال حجرات زوجات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في المسجد، فأصبحت مساحة مائتي ذراع في مثلها [1] .

كما لم تكن للرسول صلى الله عليه وسلم حديقة فمن أين جاء وات بها؟ .

أمَّا قوله إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يميل أن يصيغ ديانته على شكل الديانة اليهودية ، وما ساقه من أدلة ليثبت صحة ماذهب إليه فهو قول مردود ، لأنَّ دين الإسلام من عند الله والذي أنزل أحكامه وتشريعاته هو الخالق جل شأنه ر، وليس نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. ثم أنزل هذا الدين ليكون خاتمة الأديان ، وقد نسخ به الديانات السماوية

[1] . حسن ، د. حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. 1/ 426.

السابقة لـه ، فإن كـان هنـاك شبه فـي بعض التعاليم بين الإسـلام واليهوديـة والمسيحية ، فذلك لأنَّ أصل هذه الأديان ومصدرها واحد هو الله جل شأنه.

الفصل الرابع

إصدار الصحيفة

تمهيد

عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستقر بها ، أراد أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة ، وكتب كتابًا بهذا الشأن عُرف في المصادر الإسلامية القديمة باسم "الكتاب" و"الصحيفة" وأسماه الكتاب المحدثون "الدستور" ، أو "الوثيقة."

وبهذه الصحيفة تمَّ إعلان قيام الدولة الإسلامية ؛ إذ توفرت للإسلام مقومات الدولة وهي : الأرض أو الإقليم المتمثل في يثرب ، والأمة أو الشعب المتمثل في أهل يثرب، والقيادة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحكم بما أنزل الله عليه ، فالسلطة العليا لله جل شأنه ، ثُمَّ لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما كان سكان يثرب آنذاك متعددي الملل والأديان والأجناس ، كان لابد من إصداره دستور ينظم العلاقات بينهم فكانت الصحيفة "المكتوبة" ليلتزم بها جميع سكان المدينة ، ولمَّا كانت الصحيفة أول دستور مكتوب في العالم تضعه دولة في بداية تأسيسها ، ويعد هذا بحد ذاته سبقًا للإسلام، إضافة إلى ماحوته من بنود لم تصل إليها الدول والمنظمات الدولية والقانون الدولي إلا مؤخرًا مثل: تشكيل الأمة من حيث المواطنة ، بحيث تضم جميع عناصر السكان المقيمين على أرض واحدة ، وإقليم واحد على اختلاف دياناتهم وعقائدهم وأصولهم ؛ اذ ضمت الدولة الإسلامية الحديثة التكوين والنشأة عربًا من قريش والأوس والخزرج وقبائل أخرى ، منهم مسلمون ، ومنهم مشركون ووثنيون ويهود أو نصارى، وبموجب هذه الصحيفة ، فقد منحوا حق الحرية في الدين والعقيدة والمساواة في المعاملات العامة وحفظ أموالهم وأعراضهم، بمنع

الظلم والعدوان في المال والعرض وغيرهما، والقود[1] من القاتل ، أي حرمة الحياة ومنع إيواء المجرمين ، والإسهام في نفقة الدفاع عن الدولة والوطن ، ومنع الصلح المنفرد مع العدو، ووفاء الديْن على الغارمين ، وفداء الأسرى ، والإبقاء على الأعراف الصالحة ، وحقوق الجوار، ويحرم الإقليم أو الوطن " المدينة " ، وعدم إعطاء حقوق الحرمة للآخرين في الإقليم " المدينةإلاَّ بإذن أهلها .

[1] . سمي قود لأنَّ الجاني يُقاد إلى أولياء المقتول فيقتلونه به إن شاءوا ، وقبل معناه مماثلة [سابق ، سيد . (1411هـ/ 1990م) . فقه السنة . 3 / 21 . ط12 . .دار الفتح للإعلام العربي .

مصادر الصحيفة

قبل أن أورد نص الصحيفة أرى أنَّه من الضرورة بمكان أن أورد مصادر الصحيفة خاصة أنَّه من الشائع أنَّ نص الصحيفة كاملًا لم يرد إلاَّ في سيرة ابن هشام ، بل أنَّ من مبررات المستشرقين الذين شككوا في صحة الصحيفة ، أنَّ ابن إسحاق هو الوحيد الذي أوردها كاملة دون إسناد ، أي أنَّها موقوفة عليه ، وهذا خلال الواقع ، فلقد أورد أبوعبيد القاسم بن سلام [ت 224هـ/838م)[1] في كتابه الأموال نص الصحيفة بروايتين من طريقتين :

- الطريقة الأولى : مرسلة لأنّها موقوفة على الزهري [2] ، وفي إسنادها عبدالله بن صالح[3] ، وهو ممن اختلف فيه .

---

[1] .أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الإمام المشهور ثقة فاضل مصنَّف من العاشرة.

[2] . الزهري (ت 125هـ/ 742م) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب، بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مُرة القرشي الزهري الفتية، وكنيته أبوبكر، أحد الأئمة الأعلام ، عالم الحجاز والشام ، روي عن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن جعفر، وعبد الله بن كعب بن مالك وغيرهم كثير، قال عنه ابن سعد: قالوا كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فقيهًا جامعًا ، وقال النسائي: أحسن أسانيد تروي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أربعة: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه ، عن جده ، والزهري عن عبيد الله بن عباس وأيوب عن بن عبيدة عن علي ومنصور عن إبراهيم عن علقمة بن عبدالله، توفي عن اثنين وسبعين عامًا .[ابن حجر: تهذيب التهذيب" ومرجع سابق ٥/ 406 ،٩/ 385-387، وهو من الطبقة الرابعة من الحفاظ حفظ القرآن في ثمانين ليلة "الذهبي – تذكرة الحفاظ ١ / 108-113.]

[3] . عبدالله بن صالح قال في التقريب ... كثير الغلط، ثبت في الكتابة، وكانت فيه غفلة، وقال ابن القطان: هو صدوق ولم يثبت عليه ماسقط حديثه، إلا أنه مختلف فيه فحديثه حسن، وأخرج له البخاري وروي له أبو داود والترمذي وابن ماجة .[ابن حجر: التهذيب، 5 / 228- 232.]

-الطريقة الثانية: في إسنادها يحيي بن عبدالله عن الليث[1] ، لكنها أيضًا مرسلة لأنَّها موقوفة ، ويقال فيها ما قيل في الطريقة الأولى إلاَّ أنَّ يحى بن عبد الله ثقة في روايته عن الليث ، وقد تابع بذلك عبد الله بن صالح وقال عنها صاحب سُبل الهدى والرشاد الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ "/863م) ، رواه أبوعبيد في كتاب الأموال بسند جيد عن الزهري[2] ، هذا وقد أورد ابن سيد الناس (ت334هـ/945م) في عيون الأثر جزءًا كبيرًا، وفي هذه الرواية ورد نص كامل لكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود[3]، هذا وقد رواها أيضًا حميد بن زنجوية (ت١٥٢هـ/ 769م) [4]في كتابه الأموال من طريق الزهري يمثل إسناد أبي عبيد ، كما ذكر ابن سيد الناس [5]أنَّ ابن أبي خيثمة[1] أورد كتابًا

---

[1] – يحيي بن عبدالله بن بكير القرشي أخرج له البخاري ومسلم وابن ماجة كما في التقريب والتهذيب ، وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه الذهبي ، وقال يحتج به في الصحيحين وضعفه النسائي ، وقال هارون رشيد محمد إسحاق إنَّ الكلام في ضعفه في روايته عن مالك أما عن الليث فهو موثوق، كما في التقريب [أحمد ، د . مهدي رزق الله, السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية . ص 309.]

[2] . سبل الهدى والرشاد ،555/3.

[3] . ابن سلّام ، أبو عبيد القاسم .(1981م) الأموال . ص 91- 92 . ط1 . مؤسسة ناصر للثقافة . بيروت .

[4] .هو حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبدالله الخرساني النسائي أبو أحمد الأزدي واشتهر بابن زنجوية 180-251 هـ" من شيوخه أبوعبيد القاسم بن سلام ومن تلاميذه أبو داود والنسائي وابو زرعة، وأبو حاتم الرازيان ، و إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا وغيرهم، وذكر أبو يعلي الفراء ، والخطيب البغدادي ، وابن عساكر أنه روي عن البخاري ومسلم وعامة الخراسانيين ، ولكن نفي الذهبي وابن حجر أن يكونا رويا عنه في الصحيح [كتاب الأموال تأليف حميد بن زنجوية ، تحقيق د. شاكر ذيب فياض ١ / 15- 21 ثلاثة أجزاء، ط١، 1406- 1986م ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية .]

[5] .عيون الأث ر. 1/ 40.

كما أورده ابن إسحاق ، ولكن بإسناد آخر؛ إذ أسنده بهذا الإسناد، وحدثنا أحمد بن جناب[2] ، حدثنا عيسي بن يونس [3]، حدثنا كثير[4] بن عبدالله بن عمرو المزني عن أبيه [5]عن جده [6] أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار نذكر بنحوه أي بنحو الكتاب الذي أورده ابن إسحاق ، ويبدو أنَّ الوثيقة وردت في القسم المفقود من تاريخ ابن أبي خيثمة فلا وجود لها فيما وصل إلينا .

---

[1] .ابن ابي خيثمة (ت 219هـ /834م) هو الحافظ الحجة الإمام أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي .

[2] – أحمد بن جناب أبو الوليد (ت230هـ/ 844م) روي عنه مسلم وأبو داود والنسائي بواسطة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحاكم ثقة ، وقال صالح جزرة وابن أبي حاتم: صدوق ، وجاء في التقريب أنه صدوق [التهذيب:1 / 20].

[3] . عيسي بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي (ت 91هـ/709م)) ، ذكره ابن حبان في الثقات وأجمع العلماء على توثيقه ، قال عنه في التقريب الثقة مأمون .[التهذيب8 / 205– 206 .]

[4] . كثير بن عبدالله عمرو المزني (ت 150هـ /767م) ضعفه العلماء وذكره البخاري في فضل من مات من الخمسين،[التهذيب ٨/ 336– 337.]

[5] . عبدالله بن عمرو المزني، ذكره ابن حبان في الثقات ودفع في سند الحديث، الذي علقه البخاري لوالده ضمنًا وهو في كتاب القصب ، وقال في التقريب مقبول [التهذيب : 5 / 300.]

[6] . عمرو بن عوض المزني: قال في التقريب صحابي، وقال ابن سعد كان قديم الإسلام، مروي عن النبي صلي الله عليه وسلم ، ذكره ابن حبان في الصحابة ، وأنّه مات في ولاية معاوية ، وقال الواقدي استعمله النبي صلي الله عليه وسلم علي حرم المدينة ، وقد روي عنه ابن سعد أنّ أول غزوة غزاها الأبوار، وروي البخاري عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده حديث صلاته إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا [التهذيب :8 / 70].

نص الصحيفة

كما تبين لنا أنّ نص الصحيفة كاملًا لم يرد فقط برواية إبن إسحاق ، وإنَّما ورد أيضًا بروايات أخرى عن طريق الزهري بإسناد عبدالله بن صالح ، ورواية بإسناد يحي بن عبدالله عن الليث ، وقد أوردهاتين الروايتين أبوعبيد بن القاسم في الأموال ، كما أورد ابن زنجوية في الأموال أيضًا رواية الزهري بإسناد عبدالله بن صالح .

إذن أمامنا الآن ثلاث روايات لنص الصحيفة ، وإذا قارنا هذه النصوص الثلاثة بعضها ببعض سنجدها متفقة في بنودها ونصوصها ، وإن وجدت بعض الاختلافات في نصوص بعض البنود فهي اختلافات بسيطة لا تؤثر على مضمون الصحيفة، ولتسهل علينا المقارنة بين هذه الروايات سأقسم نصوص الصحيفة إلى بنود وفق تقسيم الأستاذ محمد حميد الله لها وسأضع بين قوسين "‥" عند كل بند رواه أبو عبيد ، ثم أضع رواية ابن زنجوية بين قوسين .(..)

قال إبن إسحاق : " كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم [1] .

وقال أبو عبيد: وهذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين وأهل يثرب وموادعته يهودها، مقدمة المدينة. حدثني يحيي بن عبدالله بن بكثر وعبد الله بن صالح قالا : "حدثنا الليث بن سعد[2] ، حدثني عقيل [1]بن

---

[1] . سيرة ابن هشام . 2/ 501.

[2] . الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي قال عنه ابن سعد كان قد اشتغل بالفتوي في زمانه ، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، قال عنه الإمام أحمد والنسائي أنّه ثقة ، هذا وقد أجمع

خالد عن ابن شهاب أنّه قال ": بلغني أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب . [2]"

وقال حميد [3]بن زنجوية (حدثنا حميد حدثني عبدالله بن صالح حدثني الليث ، حدثني عُقيل عن ابن شهاب أنّه قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

1- هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم .

رواية أبي عبيد " هذا الكتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم " فحل معهم " وجاهد معهم ."

ابن زنجويه (هذا كتاب من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم - بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، فحل معهم ، وجاهد معهم)

2- إنَّهم أمة واحدة من دون الناس .

العلماء والفقهاء على أنّه ثقة ، وقالوا أيضاً أنّه حسن الذاكرة يحفظ القرآن والحديث "التهذيب ٨/ 401- 405]، وقال في التقريب " ثقة ثبت فيه مشهور " [التهذيب :9/ 401الحاشية ."

[1] . عقيل بن خالد بن عقيل الذنلي ، أبو خالد الأموي مولى عثمان ، قال أحمد ومحمد بن سعد والنسائي ثقة ، وقال ابن معين:أثبت من روي عن الزهري مالك ثم معمر ثم عقيل ، وقال أبو زرعة صدوق ثقة، قال البخاري عن ابن سعد كان عقيل يحفظ وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال العقيلي صدوق [التهذيب 217/12 / ، 222، وقال في التقريب ثقة ثبت " التقريب ."

[2] . ابن سلّام. أبو عبيد . الأموال . ص 91.

[3] . ابن زنجويه. حميد . (1406 _ 1986م) .الأموال ،1 / 466 تحقيق د . شاكر ذيب فياض. ط 1. " مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

أبوعبيد : " إنَّهم أمة واحدة من دون الناس ."

ابن زنجويه : (..... واحدة دون الناس)

3- المهاجرون من قريش علي ربعتهم [1] يتعاملون بينهم وهم يفدون عانيهم [2]بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

أبوعبيد : " والمهاجرون من قريش علي رباعتهم، وفي رواية رباعتهم " ومثله زنجويه .

4- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم [3] الأولى كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

أبو عبيد "..... رباعتهم .....[4] طائفة منهم تفدي " كذلك ابن زنجويه .

5- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

أبوعبيدة "قدم بني الحارث وأضاف ابن الخزرج " وبنو الحارث بن الخزرج على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وكذلك ذكر زنجويه (بند الخزرج)

6- وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

[1] . الربعة : الحال التي جاء الإسلام ،وهم عليها.

[2] . العاني : الأسير.

[3] . المعاقل : الديات مفردها : معقلة.

[4] . رباعتهم: مثل ربعتهم أي على استقامتهم. وجاء في لسان العرب "وفي كتابه للمهاجرين والأنصار إنّهم أمة واحدة" رباعتهم أي مع استقامتهم ، يريد أنّهم علي أمرهم الذي كانوا عليه "ابن منظور: لسان العرب ٨ /107 ، وقد فسرها ابن عبيد بالمعاقل يقال فلان على رباعة قومة إذا كان المتقلد لأمورهم والوافد على الأمراء فيما ينوبهم.

أبوعبيد : "أخّر بني ساعدة فذكرهم بعد بني الحارث . "

7- وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ابن زنجويه (وبنو جشم) والنجار) [1].

8-وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

أبو عبيد " رباعتهم " وكذلك ابن زنجوية .

9- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

أبو عبيد ... رباعتهم .. وكل طائفة منهم تفدي عانيها وكذلك زنجويه وأضاف " بنو الخزرج ."

10- وبنو النبيت [2] على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

- أبوعبيد "... على رباعتهم ."...

11- وإنَّ المؤمنين لا يتركون مُفرحًا [3]بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

- أبوعبيد "..... مغرمًا منهم أن يعينوه بالمعروف ..." ابن زنجويه مثل أبي عبيد .

---

[1] . كذا في الأصل ورواها زائدة، أراد أن يكتب " النجار " ثم عدل عنها لكونها مفردة في فقرة خاصة .

[2] . كل البطون التي سبق ذكرها من الخزرج .

[3] . المفرح "بضم الميم وإسكان الفاء" المثقل بالدين فعلي المؤمنين أن يعينوه إن كان أسير فك من إساره، وإن كان جني جناية خطًا عقلوا عنه "أبو عبيد" قال ابن هشام: المفرح المثقل بالدّين كثير العيال.

12- وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

أبو عبيد : لم ترد عنده .

13-وإنَّ المؤمنين المتقين على من بغي منهم ، أو ابتغى دسيعة [1]ظلم ، أو إثم أو عدوان أو فساد [2]بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعًا ، ولو كان ولد أحدهم .

14- ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولاينصر كافرًا على مؤمن " أبوعبيد مثله وكذلك ابن زنجويه ."

15- وإنّ ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

أبوعبيد : " لم يرد الشق الأول " إنّ ذمة الله واحدة " ، وإنّما ورد " والمؤمنون موالي بعض دون الناس " ابن زنجويه (والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس).

16- وإنّه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والأسرة غير مظلومين متناصرين عليهم .

أبوعبيد : " وإنّه من تبعنا من اليهود فإنّ له المعروف والأسرة غير مظلومين ".. ابن زنجويه مثله .

17- وإن سلم المؤمنين واحدة لايُسالم مؤمن دون مؤمن قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم " بوعبيد : ... واحد، ولا ...." ومثله ابن زنجويه .

---

[1] . الدسيعة " العظيمة " ، وهي في الأصل ما يخرج من حلق البعير إذ رغا ، وأراد بها هنا ماينال عنهم .

[2] . أوردها حميد الله وسيعة ظلم أو إثمًا أو عدوانًا، أو فسادًا أي اعتبرها مفعولًا به، وبذلك يصبح معناها من ابتغي وسيعة أو إثمًا أو عدوانًا أو فسادًا بين المؤمنين مع أنها لم ترد في رواية ابن إسحاق ، وأبي عبيد بهذا المعنى.

18- وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضًا ، أبوعبيد لم يذكر معنا ، ومثله ابن زنجويه .

19- وإن المؤمنين يبئ [1]بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . هذا البند لم يرد عند أبي عبيد ، وكذلك ابن زنجويه .

20- وإنّ المؤمنين المتقين على أحسن هُدى وأقومه ، ورد بنفس النص عند أبي عبيد، وابن زنجويه .

20- "ب " وإنَّه لا يجير مشرك مالًا لقريش ولا نفسًا ، ولا يحول دونه على مؤمن [2].

وردت هذه المادة بنفس النص عند أبي عبيد، أمَّا ابن زنجويه فالشق الأول مثله ولكن الشق الثاني (.... ولا يعينها على مؤمن).

21-إنَّه من اعتبط مؤمنًا قتلًا عن بيته فإنَّه قود به إلاَّ أن يرضى ولي المقتول[3] .

أبو عبيد : "... قتلًا فإنّه قود .. ولي المقتول بالعقل ، وأنّ المؤمنين عليها كافة ". ابن زنجويه مثل أبي عبيد ولكن بدون ، وأنَّ المؤمنين عليها كافة .

22-وإنَّه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحدثًا [1] ، ولا يؤيد ، وإنَّه من نصره أو آذاه، فإنَّ عليه

---

[1] . دماؤهم متكافئة .

[2] .أي قتله بلا جناية منه توجب قتله، أي بريئًا محرم الدم ، وأوصل الاعتباط في الإبل أن تنحر بلا داء يكون بها " أبو عبيد : الأموال . ص 92.

[3] . فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخيار في القود أو الدية إلي أولياء القتيل ، وهذا مثل حديثه الآخر، ومن قتل له فهو بأحد النظرين إن شاء قتل ، وإن شاء أخذ الدية ، وهذا يرد قول من يقول: ليس للولي في العمد أن يأخذ الدية إلا بطيب نفس من القاتل ومصالحة منه عليها " [أبو عبيد . الأموال، ص 92.]

لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. أبوعبيد: ".... أو آمن.. فمن نصره. إلى يوم القيامة.. ولا يقبل منه صرف ولا عدل ابن زنجويه [2] "... فمن نصره .. لا يقبل منه ."...

23- وإنَّكم مهما اختلفتم فيه من شئ، فإنَّ مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

أبو عبيد " وإنَّكم ماختلفتم فيه من شيء ، فإنَّ حكمه إلى الله تبارك وتعالى ، وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم .. ابن زنجويه " مثله ."

24-وإنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين[3] "أبو عبيد نفس النص ".

25- وإنَّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين [4] لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، حواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنَّه لا يوتغ [5] إلاَّ نفسه ، وأهل بيته .

---

[1] . قال أبو عبيد المحدث: كل من أتي حدًا من حدود الله فليس لأحد منعه من إقامة الحد عليه ، وهذا شبيه بقوله الآخر" من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضار الله في أمره [الأموال، ص92.]

[2] . قال أبوعبيد الصرف: التوبة والعدل ، الفدية، قال أبو عبيد "هذا أحب الي من قول من يقول الصرف الفريضة والعدل النافلة، لقوله تعالى {ولايؤخذ منها عدل} فكل شئ فدي به شئ ندعو له "الأموال ، ص92.

[3] . فهذه النفقة في الحرب الخاصة ، فقد شرط عليهم المعاونة علي عدوه وترى أنه إنما كان ليسهم لليهود ، إذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة ، ولولا هذا لم يكن في غنائم المسلمين سهم [أبوعبيد، ص 92.]

[4] . قال أبوعبيد: إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين ، إنَّما أراد نصرهم المؤمنين ومعاونتهم إياهم علي عدوهم بالنفقة التي شرطها عليهم، فأمَّا الدين فليسوا منه في شئ ألا تراه قد بين ذلك فقال: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم [الأموال ص92.]

[5] . قال أبوعبيد: ولا يوتغ إلا نفسه: أي لايهلك غيرها ، يقال قد وتغ الرحيل وتغًا إذ وتغ في الحر يهلكه ، وقد أوتغه غيره ، ثم قال أبوعبيد "وإنما كان هذا الكتاب فيما نري ، حدث من

أبو عبيد "... عوف مواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين " ابن زنجويه "... عوف أمة من ."...

26- وإنَّ ليهود بني النجار مثل يهود بني عوف . أبو عبيد وابن زنجويه مثله .

27-وإنَّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف " أبوعبيد وابن زنجوية مثله ."

28-وإنَّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، " ابن زنجوية قدم يهود بني جشم على يهود بني ساعدة ."

29-وإنَّ ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

30- وإنَّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

أبو عبيد أضاف " إلا من ظلم نفسه فإنّه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته " وكذلك ابن زنجويه .

31-وإنَّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنَّه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته . هذا البند لم يرد عند ابن زنجوية وكذلك ابو عبيد .

32- وإنَّ جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

33- وأنَّ لبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف ، وإن البر دون الإثم .

34-وإنّ موالي ثعلبة كأنفسهم .

35-وإنَّ بطانة [1] يهود كأنفسهم " البنود من 31-35 لم يوردها أبوعبيد وكذلك ابن زنجويه .

مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب وكانوا ثلاث فرق، بنو قينقاع ، وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول ، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أول فرقة غدرت ونقضت الموادعة ، ثم بنو النضير ، ثم بنيو قريظة [الأموال . ص92]

[1] . بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته .

36–وإنّه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم " أبوعبيد .. أحد منهم " ومثله ابن زنجويه.

36– "ب " وإنَّه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنّه من فتك بنفسه فتك ، وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا[1] .

37– وإنَّ على اليهود نفقتهم ، وعلي المسلمين نفقتهم ، وإنَّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

أبوعبيد : لم يورد الشق الأول من هذا البند ، إذ ابتدأ ب " وإنّ بينهم النصر من من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإنّ بينهم النصيحة والنصر للمظلوم .. وأضاف ابن زنجويه .. على اليهود .. والنصيحة والنصر للمظلوم.

37 - ب " وأنَّه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وأنّ النصر للمظلوم .

38–وإنَّ اليهود ينفقون ماداموا محاربين " البندان 37ب ، 38 لم يردا في روايتي أبي عبيد، وابن زنجويه."

39–وإنَّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

أبوعبيد " وأنَّ المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة ومثله ابن زنجويه .

40–وأنَّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

41– وأنَّه لا تجار حرمة [2] إلا بإذن أهلها .

---

[1] . أي علي الرضا به .

[2] . لقد فسرها ابن كثير في البداية والنهاية ، ما لا يحل انتهاكه ونلاحظ أنّ وليم موير في كتابه حياة محمد ص 482 قد ترجمته "حرمة" أنثى ، وكذلك وات في حياة محمد في المدينة قد ترجمها إلى "امرأة" فلقد جاء في الترجمة هذا النص للبند الواحد والأربعين

.....

..... No

42- وأنَّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أوشجار يخاف فساده ، فإنَّ مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنّ الله على أتقى مافي هذه الصحيفة وأبره. "أبوعبيد.... من حدث يخيف فساده فإنَّ أمره إلى الله عز وجل وإلى محمد النبي.

ابن زنجوية ".... من حدث ... يخاف .. فإنّ أمره إلى الله وإلى محمد النبي ."

43-وإنَّه لاتجار قريش ولا من نصرها " هذا البند لا يوجد عند أبي عبيد ولا عند ابن زنجوية.

44-وإنَّ بينهم النصر وهم يثرب " مثله أبوعبيد وابن زنجويه ."

45-وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنَّهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنَّهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنَّ لهم على المؤمنين إلاّ من حارب في الدين .

أبو عبيد "أنّهم دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم فإنَّهم يصالحونه ، وإن دعونا إلى مثل ذلك ، فإنَّ لهم على المؤمنين إلاَّ من حارب الدين وعلى كل الناس حصتهم في النفقة" ابن زنجوية" ، وإنَّهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم بالأسوة فإنَّهم يصالحونه ، وإن دعونا إلى مثل ذلك فإنَّ لهم على المؤمنين إلاَّ من حارب الدين .

---

famala shall be so received save with consent of her =

kinred.P.184.v.2.

=. أما ترجمة وات لهذا البند فقد جاءت علي هذا النحو No woman is given nighbourty protection "tujar" without the comsent of her people.

..... ولست أدري كيف المترجم الأستاذ شعبان بركات لم ينوه في الحاشية إلى هذا الخطأ مادام صححه في الترجمة ، إذ أورد النص، كما جاء في رواية ابن هشام أنّه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها 341 ، مع أنَّه من الواجب أن ينوه في الحاشية أنَّ وات أخطأ في ترجمة حرمة واعتبرها " أمرأة ."

45"ب " – على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم . أبوعبيد " وعلى كل أناس حصتهم من النفقة ، ومثله ابن زنجوية ."

46– وإنَّ يهود الأوس مواليهم أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة وأنَّ البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه وأنَّ الله أصدق مافي هذه الصحيفة وأبره .

أبوعبيدة "..... وأنفسهم مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة وأنَّ بني الشطبة[1] بطن من جفنة[2]، وأنّ البر دون الإثم فلا يكسب كاسب إل~ا على نفسه ، وأنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. أبن زنجويه مثل أبي عبيد إلا عنده بني الشطبة مثل جفنة.. ولا يكسب.. مع البر المحسن .

47– وأنَّه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنّه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة ، إلاَّ من ظلم وأثم ، وأنَّ الله بار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو عبيد "... ومن قعد آمن، إلّا من ظلم وأثم ، وإن أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن " ومثله ابن زنجويه .

بعدما عرفنا نصوص الصحيفة وفق روايات ابن إسحاق ، وأبي عبيدة وابن زنجوية نلاحظ الآتي :

1–نجد روايتي أبي عبيد وابن زنجوية قد تطابقتا مع رواية إبن إسحاق في معظم بنود الصحيفة مع بعض الاختلافات الطفيفة في بعض العبارات

---

[1] . بني الشطبة وردت عند ابن إسحاق في البند 32 أنَّ لبني شطبة مثل ماليهود بني عوف .

[2] . وردت في رواية ابن إسحاق في البند 32، وأنّ ّجفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

التي تؤدي إلى نفس المعنى ، وعدم وجود بعض البنود لم يمس الأسس التي تنظم العلاقات بين أهل المدينة من مهاجرين وأنصار ومشركين ويهود.

2-الصحيفة برواياتها الثلاثة أكدت على موادعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لليهود في يثرب ، وأنَّها شملت يهود بني قينقاع ، وبني النضير، وبني قريظة ؛ إذ أشارت اليهم بعلاقة الولاء التي تربطهم بحلفائهم الأوس والخزرج ، كما ذكرت باقي القبائل اليهودية بعلاقات الولاء بحلفائهم من البطون الأوسية والخزرجية ، التي لم يرد فيها ذكر لقبيلة يهودية ، كما أنه أورد كلمة "يهود" بند "16"تخص اليهود جميعهم من بني يهوذا ابن يعقوب المقيمين في يثرب ، فقد أشار السهيلي أنّ يهود اسم كثمود ، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم عندما قتل مخيريق في أحد " مخيريق خير يهود " وكان من بني النضير وقد أسلم .

3-تطابق الروايات الثلاثة يؤكد على صحة الصحيفة .

4-الرواة في الروايات الثلاث من الثقات ، كما سبق توضيحه في رواية أبي عبيد وكذلك ابن إسحاق1، وقد يكون ابن إسحاق أخذ الرواية من

---

[1] . محمد بن إسحاق بن يسار بن الحفاظ صنفه الذهبي في الطبقة الخامسة، وهو أيضًا من المحدثين، "رأى أنس بن مالك وحدث عن أبيه وعمه موسي وفاطمة بنت المنذر، وغيرهم كثير وسمع من أبي سلمة ابن عبدالرحمن وأبان بن عثمان ، قال عنه أحمد بن حنبل حسن الحديث ، وقال عنه أبان بن عثمان هو ثقة وليس بحجة، وقال علي بن المديني، حديثه عندي صحيح، وقال شطبة وهو أمير المؤمنين في الحديث ، وقال يزيد بن هارون لو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين ، وقال ابن عيينة: ما رأيت أحدًا يتهم ابن إسحاق ، وقيل كان قدريًا ، والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنّه يشذ بأشياء "وقد أخذ عليه أخذه بالإسرائيليات، وأنّه ليس بحجة في الحلال والحرام ولا بالواهي بل ستشهد به، مات سنة151 هـ /768م ،و قيل 152هـ / 769م. [الذهبي: تذكرة الحفاظ، 1 /

أستاذه الزهري ، وفاته أن يشير إلى ذلك ، ويضاف إلى هذه الروايات رواية ابن ابي خيثمة وهي رواية يعتد بها ، لأنَّ رواتها جميعهم من الثقات إلاَّ كثير الذي ضعَّفه العلماء ، ولكن للبخاري رأيًا آخر فيه ، وروى عنه ، كما أنَّها انتهت بالصحابي عمرو بن عوف المزني ، والذي يهمنا أنَّ الصحيفة ، كما أوردها إبن إسحاق صحيحة ، ويؤيد صحتها ما ورد أيضًا في الكتاب والسنة ، كذلك الشواهد، والوقائع التاريخية.

172- 173] أمّا قول مرجليوث إنّه اختلف في تعديل ابن إسحاق فيرد عليه قول ابن عُيينة " ما رأيتُ أحدًا يتهم ابن إسحاق " [مرجليوث . (1998م) دراسات المؤرخين . ترجمة د . حسين نصار. دار الثقافة. بيروت .

تاريخ كتابة الصحيفة

لقد اختلف المؤرخون الأوائل والمتأخرون في تحديد تاريخ الصحيفة ، فمنهم من يرى أنَّها كتبت قبل غزوة بدر، ومنهم من يرى أنَّها كتبت بعد بدر، ونحن لو تأملنا في أدلة كل فريق نجد أنَّ الفريق الذي يري أنَّها كتبت قبل بدر، يتناول موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم ليهود، من ذلك ما ذكره :

- أبو عبيد القاسم بن سلام في الأموال فيقول "إنَّما كان هذا الكتاب – فيما نرى – حدث من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى ، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب ، وكانوا ثلاث فرق، بنو القينقاع والنضير وقريظة[1] ، وبعد بدر قوي الإسلام ونما .

- أيضًا ما ذكره البلاذري أنَّ موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود كتبت قبل إرسال السرايا الأولى ، وسرية حمزة رضي الله عنه كانت أول سرية بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت في رمضان السنة الأولى من الهجرة، أي قبل يوم بدر [2] [3] ، ونجده في كتابه فتوح البلدان يقول : "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كتب بينه وبين يهود يثرب كتابًا ، وعاهدهم عهدًا، وكان أول من نقض ومكث منهم يهود بني قينقاع

---

[1] . الأموال .ص 92.

[2] . لم يُطلق الله جل شأنه عليها غزوة ، وإنّ أسماها بدرًا في قوله تعالى : (وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) [آل عمران : 123] كما لم يطلق على يوم حنين غزوة ، وإنذما أطلق عليه يوم حنين في قوله تعالى : (لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا) [النوبة : 25]

[3] . العمري، د. أكرم .(1404 هـ/ 1984م) المجتمع المدني في عهد النبوة . ص 23 . ط1.

فأجلاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكانت أول أرض فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أرض بني النضير[1] .

- ويؤيد الطبري ما ذهب إليه البلاذري ؛ إذ يرى أنَّ الموادعة تمت قبل بدر ، فيقول: "ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منصرفه من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها على ألا يعينوا عليه أحدًا ، وأنَّه إن دهمه بها عدو نصروه ، فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ببدر من مشركي قريش أظهروا له الحسد والبغي ، وأظهروا نقض العهد[2] ".

- أمَّا السهيلي[3] فقد ذكر ما كتبه أبوعبيد في الأموال من أنَّ الكتاب كان قبل فرض الجزية،.

ونجد صاحب السيرة الشامية[4] يشير إلى أنَّ الكتاب كان قبل الإذن بالقتال ، وأخذ الجزية ممن أبى الإسلام ، أي أنَّ الكتاب كان قبل بدر، وقد ذكر أنَّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم وذلك طبقًا لرواية ابن إسحاق .

كل هذه الروايات تشير إلى أنَّ موادعة اليهود كانت قبل بدر، أمَّا ما ورد في سند أبي داود من أنَّ الموادعة كانت بعد مقتل كعب بن الأشرف ، فإنَّ هذه الكتابة تعتبر إعادة وتوكيدًا للكتابة الأولى ، والآية (ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ

---

[1] . البلاذري . (1407هـ / 1987م) فتوح البلدان . ص 26، 27 . تحقيق عبد الله أنيس الطباع ". بيروت

[2] . تاريخ. الطبري . 2/ 409.

[3] . الروض الأنف . 2/ 252.

[4] زالسيرة الشامية .3 / 555.

مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) [1] تشير إلى أكثر من معاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود كما فسرها المفسرون [2].

هذا ونجد الطبري يذكر في حوادث السنة الثانية للهجرة : " إنّ هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاقل فكان معلقاً بسيفه "[3].

ويستدل من هذه الروايات وماسبقها من روايات أن الصحيفة تتألف من جزءين: جزء يشمل اليهود، وهو الذي كتب قبل بدر، وجزء ثان يشمل المهاجرين والأنصار، وكتب بعد بدر، ويدعم هذا الرأي رواية ابن سعد التي جاء فيها "أخبرنا عبد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال: قرأت في جفن سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذي الفقار، العقل على المؤمنين ولا يترك مفرح في الإسلام ولا يقتل مسلم بكافر ، وقد احتفظ علي رضي الله عنه فيما بعد بالسيف وفيه الصحيفة ، وقد سئل عما في الصحيفة فقال:" ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلاَّ القرآن وما في هذه الصحيفة . " [4]

وممّا يؤيد أنَّ موادعة اليهود مستقلة عن صحيفة المهاجرين والأنصار، هو عدم ورود ذكر لليهود في الجزء الذي تناول المعاقل .

- كما يؤيد هذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه " حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والأنصار في داري"[5] ، وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود وبطرق متعددة [1] .

---

[1] .الأنفال : آية 56.

[2] .رزق الله ، د. مهدي . ،مرجع سابق . 33.

[3] . تاريخ الطبري . 2/ 486.

[4] . صحيح البخاري . باب الجزية والموادعة. 4 / 122.

[5] . المرجع السابق . باب الأدب . 8/ 27 ، ورواية أخرى في صحيح البخاري ، أيضًا ،6 / 130.

- ويؤيد ذلك أيضًا حديث ابن عباس رضي الله عنهما " كتب رسول الله كتابًا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم، ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين الناس ."

- وكذلك حديث عمر بن شعيب عن أبيه عن جده "أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين[2] ، ولم يذكر اليهود فيه.

وفي صحيح مسلم عن جابر : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقوله.. "[3]

من خلال هذه النصوص يتبين لنا أنَّ الصحيفة صحيفتان: صحيفة خاصة بموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود أول مقدمه إلى المدينة ، والثانية مع المهاجرين والأنصار وتحديد التزاماتهم كتبت بعد بدر، لكن المؤرخين جمعوا بين الصحيفتين.

والذي أراه أنَّ كلا الصحيفتين كتبت عند مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إذ ليس من المعقول أن يترك تنظيم العلاقات بين المسلمين بعضهم ببعض، وهو في حالة حرب من قريش، ونصوص الوثيقة تؤيد ما ذهبت إليه، وخاصة البند" 17"وأن يسلم المؤمنين واحدة ، لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

والبند "18"الذي يبين تعاقب العشائر في الخروج إلى القتال ومساواتهم في ذلك : وأنَّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضًا,

والبند "14" ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن .

---

[1] .ابن كثير .البداية والنهاية 3/ 263.

[2] . ابن كثير . البداية والنهاية . 3 / 263.

[3] . العمري ، د. أكرم . السيرة النبوية . مرجع سابق . 1/ 81.

والبند " 20 ب" وأنَّه لا يجير مشرك مالًا لقريش ، ولا نفسًا ولا يحول دونه على مؤمن.. وإعلان أنَّ السلطة السياسية والتنفيذية يمثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه أهم خطوة اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يطمع طامع في السلطة ، خاصة وأنَّ عبد الله بن أبي كان مرشحًا لزعامة الأوس والخزرج قبل هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأنَّكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإنَّ مرده إلى الله ومحمد ، ثم إنَّ الأمر كان يتطلب تحديد وتنظيم العلاقات بين المهاجرين والأنصار من جهة ، وإلغاء الأنظمة القبلية التي لا يقرها الإسلام كالعصبية والأخذ بالثأر، وذلك بإلغاء العصبية وإحلال الأخوة الإسلامية وتحويل الأخذ بالثأر من المستوى الفردي إلى الجماعة المتمثلة في السلطة الحاكمة وتحريم إيواء المجرمين .. إلخ .

أمَّا عن رواية الطبري عن صحيفة المعاقل أنَّها كانت معلقة بذي الفقار، السيب الذي غنمه الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر ، فقد يكون علق فيه الصحيفة بعدما غنمه ، وهذا لا يمنع من كونها كانت مكتوبة من ذي قبل. إلاَّ أَّننا نجد باحثًا مسلمًا[1] يرى أنَّ الصحيفة أبرمت بعد غزوة بني قريظة مستدلًا على ما ذهب اليه بقوله:" ولو أنّ هذه الصحيفة كانت قد وقعت بعد وصول الرسول إلى المدينة مباشرة ، أو حتى خلال السنتين الأوليين من إقامته فيها لما أشير للاتفاق السابق عليها الذي تم في العقبة ، والذي كان من شأن الصحيفة أن تجبَّه وتلغيه ، وفيما يتعلق باليهود فإنَّ مصادرنا يشوبها التناقض والغموض، وليس من الواضح البتة ، وإذا كان قد تمَّ اتفاق رسمي بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهود على الإطلاق ، ثم يستدل بدليل يدل على أنَّه لم يفهم طبيعة اليهود وشخصيتهم ومقصدهم

[1] .الباحث هو د. أحمد بركات . وكتابه محمد واليهود . ترجمة محمود علي مراد.

من إنكارهم ما بينهم وبين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من عهد ، فيقول هذا الباحث " وابن إسحاق يقول إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر اليهود بما أخذ عليهم من ميثاق ، وقد وردت هذه الواقعة قبل أن نجد الخلاف بين بني قينقاع والمسلمين[1] " .

ثم يقول: والتفسير البسيط لهذا الموضوع هو أنّ الوثيقة وقعت بعد إجلاء بني قريظة [2] ، والغريب أنَّه يقول: "إن وات لا يوافق على هذا التفسير "مع أنّه يقول: " إنَّ الوثيقة بشكلها الحالي يمكن أن ترجع للزمن الذي تلا إزالة قريظة[3] "، هذا وممّا تجدر الإشارة إليه أنَّ هذا الباحث مصادره أغلبها لمؤرخين يهود ومستشرقين على اختلاف دياناتهم ، وجنسياتهم ومصادره العربية قليلة ؛ لذا نجد النزعة الاستشراقية هي الغالبة على كتابه ، كما نجد أخطاء كثيرة فيه ، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله إجلاء بني قريظة ، ومع أنَّ بني قريظة لم يتم إجلاؤهم فقد نفذ فيهم حكم الله ، وهو قتل مقاتليهم وسبي نسائهم وذراريهم ."

موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من الصحيفة

تفاوتت آراء مستشرقي المدرسة الإنجليزية حول الصحيفة ، فمنهم من أقرَّ بصحتها ، ومنهم من شكك فيها ، ومنهم من أثار الشبهات حول الإسلام من خلالها ، وسأورد آراء أهم مستشرقي المدرسة الإنجليزية طبقًا للتسلسل التاريخي لهم.

---

[1] . بركات ، د . أحمد . محمد واليهود في المدينة . ترجمة محمود علي مراد . ص 71-72.

[2] . المرجع السابق. :ص 83.

[3] . وات ، مونتجمري . محمد في المدينة . ص 346.

تشكيك وليم موير في الصحيفة

لقد أورد "موير" الصحيفة باختصار طبقًا لرواية ابن اسحاق وركز بالخصوص علي ما يتعلق باليهود[1]، ويعلق موير في الحاشية على هذه الصحيفة بقوله "من العبث إذا جاء نص صحيح للشروط الواردة بها ، لأنَّ الأصل لا وجود له عندنا ، وما علينا إلاَّ الاعتماد على نص ابن إسحاق ، فنقول: " بالسماع والذي يحتوي على كثير من الغموض " [2] ، أمَّا عن تاريخ الصحيفة فهو يؤكد عدم معرفة تحديده ، وإن كان يرجح أنَّها قد أبرمت بعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بقليل ، ثم يبين أنَّ اليهود بقوا على علاقة طيبة مع حليفهم ، ولكن لفترة قصيرة ؛ إذ سرعان ما اتضح عدم تعايش اليهودية مع الإسلام ، كما أنَّ دور محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن سلبيًا ، وأصبح دينه يتميز عن اليهودية ، ويعتبر نفسه مؤسسًا لديانة جديدة ، وأنَّه شخصيًا نبي عظيم، وأنَّ اليهود يجدون ذلك في كتبهم ، ولكنهم ينكرون عليه صفته ، كما أنكروا من قبل نبوة المسيح [3].

مرجليوث لا يشك في كون الصحيفة من عمل النبي صلى الله عليه وسلم

أما مرجليوث فهو يستشهد بما عرضه فلهاوزن من أسباب تبين صحة هذه الصحيفة ، وأنَّها من عمل الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ويشير مرجليوث أنَّ هذه الصحيفة أعطت لليهود وعدًا بالحماية طالما أنَّه لم يظهر من جانبهم أي أذى ، أو عدوان ، ويحدد زمنها بأنَّها أبرمت بعد

---

[1] See Muir , life of mohammad , p . 184 .

[2] – Ibcd , p . 184–.

[3] Ibcd , p . 184 – 185 . .

وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بفترة قصيرة، ويصفها بأنَّها تحدد طريقة العيشة فيها ، وأنَّ الهدف منها تنظيم العلاقات بين الجماعات المختلفة المقيمة في المدينة ، ولكنه يعود ويتحدث عن تاريخ هذه الصحيفة "العقد " ، فيقول: "ليس من المؤكد أنّ هذه الصحيفة قد أبرمت في هذه الفترة أم في وقت آخر ."[1]

إقرار الفريد جيوم بالصحيفة وموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود فيها

أمَّا الفريد جيوم يقر بالصحيفة فيقول: "وما نستنتجه من الميثاق الذي وضعه الرسول ربما بعد عام أو عامين من دخوله المدينة يبين كيف أنَّ الأخوة الإسلامية قد حلَّت محل جميع الروابط والصلات حتى إنَّ الأب المؤمن ليقدم على قتل ابنه الكافر، وهذه الأخوة ربطت بين جميع المسلمين مدافعين أو مهاجمين وضمنت لهم حماية الجماعة لهم، اللهم إلاَّ إذا أجرم جرمًا عظيمًا ، فحينئذ يكون الله ورسوله الحكم الأخير في كل المنازعات ، وقد ورد ذكر أسماء قبائل يهودية مختلفة شاركت في هذا الميثاق كجماعة متآلفة مع المسلمين ، بينما كانت متحفظة بدينها ، وهي بذلك قد ضمنت نفس الحقوق التي للمسلمين ، كما كانت تسري عليها الالتزامات الإلهية وغيرها شأنها من ذلك شأن المسلمين[2] " .

موقف الموسوعة الإسلامية الميسرة من الصحيفة

أمَّا توماس أرنولد فلم يشر إلى الصحيفة ، وكذلك هاملتون جيب في "المحمدية" لم يشر إلى الصحيفة إلاَّ أنَّ الموسوعة الإسلامية الميسرة التي

---

[1] . . Mohammad and the rise of Islam p . 227 – 228

[2] . جيوم ، الفريد . الإسلام . ص 41.

أشرف هاملتون جيب على تحريرها مع كالمرز بالصحيفة جاء فيها: "ومن جهة أخرى لدينا من عهد متأخر عن هذا . وعندما بدأت العلاقات تتوتر بين محمد واليهود . وثيقة قيمة جداً في الدستور الذي وضعه محمد للأمة ، واحتفظ لنا بها ابن اسحاق هذه الوثيقة تكشف عن مواهبه الدبلوماسية العظيمة ؛ إذ أنَّها تسمح للمثل الأعلى الذي تبناه عن أمة دينية بشكل قاطع في نظرتها أن يتوارى في الظل مؤقتًا ، وأنَّ تشكيلة الاعتبارات العلمية ، صحيح أنَّ السلطان كله لله ومحمد اللذين يجب الرجوع إليهما في كافة المسائل ذات الأهمية ، ولكن الأمة كانت تضم أيضًا اليهود والكفار بحيث تجري المحافظة على جوهر الأشكال القانونية المعروفة عند القبائل العربية ، لكن هذا المشروع لم تكن له أهمية علمية كبيرة ؛ إذ ليس له ذكر في أي موضع بالقرآن" بل لا يكاد يكون له ذكر سوى في سورة الأنفال آية56"[1]،[2]

مونتجمري وات يثير الشكوك حول صحة الصحيفة

في بداية حديث مونتجمري وات عن الصحيفة ، نجده يثير الشكوك حول صحتها قبل أن يقر بصحتها ، فيقول: "احتفظ ابن إسحاق بوثيقة قديمة تسمى عادة دستور المدينة ، وهو بعد أن يقدم له ببضع كلمات لا يذكر شيئًا على الطريقة التي وصلت بها الوثيقة إليه ، ولاحتى كيف طبق هذا الدستور، أمَّا وضع الوثيقة في مطلع حديثه عن الفترة المدنية فليس له

1. الآية هى قوله تعالى { الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون .}

[2] . هـ . م . ر . جب، كرامرز . الموسوعة الإسلامية الميسرة. مرجع سابق . 2/ 948.

3 .محمد في المدينة . مرجع سابق . 337.

من سبب سوى التسلسل المنطقي[1] "، ثم يقر بصحتها وفقًا لما ذكره فلهاوزن[2] من أسباب فيقول: "اعتبرت هذه الوثيقة علي العموم صحيحة، وإن لم يعط الأهمية التي يستحقها نص من هذا النوع ، ولقد عرض فلهاوذن أسباب هذه الصحة "[3] .

كما أنَّه يقرر بأنَّ أسلوبها والمصطلحات الواردة فيها تدل على أنَّها تعود إلى الفترة المدنية الأولى ، ثم يثير النقاش حول تاريخها، وهل أبرمت قبل بدر أو بعدها مستشهداً بآراء فلهاوزن وجريم وكايتاني [4] ، فيضعها فلهاوزن وكايتاني قبل بدر بينما يضعها جريم بعد بدر.

ويستنتج "وات" من بنودها أنَّها كتبت في أوقات مختلفة ، ثم جمعت فيما بعد مستندًا في ذلك إلى الفروق اللغوية والمواضيع التي تناولتها ونصت عليها، كما يرى أنَّ يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة لم تذكر فيها، ولهذا نجده يعتبرها قد أبرمت بعد إزالة بني قريظة ثم نجده يثير نقاطًا

---

4 . يوليوس فلهاوزن (م1918 – 1844) مستشرق ألماني مسيحي مؤرخ لليهودية، ولصدر الإسلام ، ناقد للكتاب المقدس ، وكان أول المستشرقين الذين استفادوا من تاريخ الطبري ، ومن آثاره المدنية قبل الإسلام، وتنظيم محمد للجماعة الإسلامية في المدينة "د.عبدالرحمن بدوي" موسوعة المستشرقين ص. 408

5 . محمد في المدينة. مرجع سابق . ص 342.

6 . الأمير ليوني كايتاني (1869– 1935م) مستشرق إيطالي، وأمير من آل كيتاني ، وهي أسرة من كبار الأمراءفي تاريخ إيطاليا الحديثة ، من أهم آثاره حوليات الإسلام ، وقد نزع فيه نزعة نقدية مفرطة تتسم بالشك البالغ فيه أحيان ، وقد فسر رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والفتوح الإسلامة تفسيرًا ماديًا بحتًا وجرده من الجانب الديني الإيماني [بدوي ، د.عبدالرحمن موسوعة المستشرقين . ص 464 – 449] هذا وعند دراستنا للمدرسة الإنجليزية رأينا أنّ كتاب الحوليات من أهم مصادر لكثير من المستشرقين في مقدمتهم وات "الباحثة."

يُرى غموضًا فيها فيتساءل : هل البند 44 هو صيغة أولى للموضوع الموجود وسط البند 37؟ .

هل أعطى يهود بني عوف مكانة خاصة لأنَّ عبدالله بن أبي كان في الماضي قد استطاع الحصول على شروط مناسبة؟ لماذا يذكر يهود بني الأوس مرتين؟ هل بنو الأوس هؤلاء وبنو الأوس في البند 30 هم نفس بني الأوس في البند 10 ،"الذين يعرفون باسم أوس الله" ، ونجده ينفي عن دولة الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّها دولة أوتوقراطية ، ثم يصف سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم بأنَّها سلطة أوتوقراطية[1] ، فيقول: "وتظهر شبه جملة" محمد النبي في المطلع ، كما أنّ وضع المهاجرين كان مساويًا لزعماء ومختلف القبائل ، ولما كان المهاجرون مذكورين قبل غيرهم فلربما كان لمحمد أولية شرفية بين زعماء القبائل ، ومع ذلك لم يكن النبي رئيس دولة أوتوقراطية ، فهو ليس سوى شخصية مهمة بين شخصيات أخرى ، وربما كان لعدد من الشخصيات في السنة الأولى التي قضاها محمد في المدينة نفوذ أعظم من نفوذ محمد.

وليرد "وات" على من قد يقول كيف تقول ذلك وجميع الخلافات تُعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول: "البند الذي يقول بعرض جميع الخلافات على النبي لم يكن هدفه زيادة سلطانه ، إلاَّ إذا كان له من الحل السليم والدبلوماسية ليجد التسوية التي تؤدي إلى اتفاق عا [2]، ثمّ نجده يصف سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم أنّها سلطة أوتوقراطية بلغت مدى كبير في السنوات الأخيرة ، فيقول "ويظهر مدى سلطة محمد الأوتوقراطية خلال السنتين أو الثلاث سنوات الأخيرة من حياته أيضًا من

---

[1] . الأوتوقراطية : هي الحكم الذي يعطي جميع السلطات لفرد واحد بدون حدود .

[2] . محمد في المدينة. ص 348.

تسميته "العمال" الذين يحلون محله في مختلف المناسبات ، كما تظهر هذه السلطة في مجموع التسميات الإدارية ، فقد سمي محمد منذ البداية عددًا من الشخصيات التي تقوم مكانه ببعض المهمات التي كان مسؤولًا عنها ، وهكذا كان يعيّن القواد العسكريين للمواقع التي لا يحضرها شخصيًا ، ربما ظل الحال كذلك ، حتى بدر فيما يتعلق بقيادة المهاجرين ، ولكنه في الأخير أخذ يتصرف باسم المجموعة الإسلامية لأنَّه كان يختار بعض القوات من بين الأنصار أو حتى من بين القبائل البدوية ، وكان يحدث أن يسمح لرجل يحقد على عدو لمحمد بتنظيم غزوة باسم الأمة ، وكان يوافق هذا الزعيم على أن يدفع لمحمد خمس الغنيمةّ ، ويبدو أن عيينة قاد مثل هذه المعركة ضد تميم قبل أن يسلم"[1] .

بودلي يقر بموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود

لقد أقر بودلي بالصحيفة وبموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة ، بعدما أشار إلى دور اليهود في تحريض عبد الله بن أبي على مخاطبته عليه الصلاة والسلام بغلظة وفظافة ، فيقول: "وقد عقد محمد معهم عهدًا ينص – بجوار أشياء أخرى - على أن يتعاون المسلمون واليهود في جميع الشئون المتعلقة بالمدينة ، وقد نص على أن يكونوا حلفاء في وجه أي عدو مشترك دون أية التزامات متبادلة نحو الإسلام واليهودية ، وكان نص الشرط الأساسي في الوثيقة. "... وإن من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والأسرة غير مظلومين متناصرين عليهم ، **وأنَّ** اليهود ينفقون مع المسلمين ماداموا محاربين ، وأنَّ يهود بني عوف أمة مع المسلمين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، ويهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة

[1] . المرجع السابق . ص 358–359.

وبني جشم وبني ثعلبة ، وبني الأوس ومواليهم وبطانتهم كبني عوف سواء [1]".

تشكيك برنارد لويس في الصحيفة

يتحدث برنارد لويس في كتابه "العرب في التاريخ" عن وضع اليهود في الصحيفة التي وادع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة مشككًا في الصحيفة فيقول: "وقد أبقى لنا المؤرخون العرب وثيقة لا يزال أصل معظمها موضع شك، تبين لنا نواة دستور الجماعة المدنية الأولى، ويقول مؤرخ سيرته [2]: "وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم[3] "

ثم يعلق على هذه الصحيفة منكرًا كونها معاهدة بالمعنى الأوربي قائلًا: "ليس هذا الكتاب معاهدة بالمعنى الأوروبي ، بل تصريحًا من جانب واحد ، وكان الغرض منها عمليًا وإداريًا صرفًا يبين طبع النبي الحذر الحريص ، ونظمت العلاقات بين المهاجرين والمكيين وقبائل المدينة وبين هذين الفريقين وبين اليهود والجماعة التي أقامتها هذه الوثيقة،وهي الأمة ؤ، وكانت تطورًا للقرية الجاهلية صحبته تغييرات حيوية، وكانت خطوة أولى نحو الحكم الاستبدادي الإسلامي فيما بعد ، وقد أقرت النظام والعادات القبلية ، وذلك أنَّ كل قبيلة احتفظت بالتزاماتها وحقوقها نحو الغرباء، أمَّا داخل الأمة فإنَّ هذه الحقوق كلها اندثرت ، وكانت النزاعات تعرض على النبي للفصل فيها، ولم يستثن من هذا إلا قريش استثناء خاصًا وكان لا يجوز

---

[1] – بودلي . الرسول ...محمد . ص 162، 163.

[2] – يقصد ابن إسحاق.

[3] – العرب في التاريخ . ص 55.

لفريق بمقتضاه أن يعقد صلحًا منفصلًا مع أقوام أغراب ، وكان المعتدون على الأمة يعتبرون خارجين على الجماعة [1] .

ويزعم برنارد أنَّه بموجب هذه الصحيفة أصبح شيخ الأمة ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم نفسه كان القائد بالنسبة لأولئك الذين أسلموا حقًا لا بتخويله السلطة بشروط متوقفة على مواقفة القبيلة ، وممنوحة من غير طيب خاطر، ويمكن تجريده منها في أية لحظة ، بل أصبح يرأسهم استنادًا إلى امتياز ديني مطلق ، ذلك أنَّ مصدر السلطة تحول من الرأي العام إلى الله الذي خولها محمد رسوله المصطفى ، وكان ذلك إشارة للخطوة الأولى نحو الأوتوقراطية الإسلامية[2] ، ثم يقول: "ولقد زادت الأمة الإسلامية في العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في بلاد العرب قبل الرسلام ولم تبطل، وكانت أفكارها حول هذا الموضوع لاتغدو نطاق البناء القبلي ، احتفظت بنفس الأحكام السارية قبل الإسلام في مسائل الملكية والزواج والصلات بين أفراد القبيلة الواحدة[3] ، ثم نجده يصف هذه الصحيفة بأنّها دستور النبي الأول شمل تقريبًا جميع العلاقات المدنية والسياسية بين المواطنين أنفسهم وبين غيرهم أيضًا[4] " .

---

[1] .المرجع السابق : ص 55،56.

[2] .المرجع السابق . 57.

[3] .المرجع السابق . ص 56.

[4] . المرجع السابق . ص 56.

موقف إسرائيل ولفنسون

أمَّا المؤرخ اليهودي إسرائيل [1]ولفنسون فهو يعترف بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقد عقودًا مع اليهود ويشهد بوقوعها القرآن الكريم ، وأثبتها المؤرخون القدماء ، ويرى هناك قسماً آخر من العهود غير صحيحة ، وحُلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يقول: "ولايشك المؤرخون في أنَّ النبي عقد مع اليهود عقودًا مختلفة بعد حضوره إلى المدينة ؛ إذ كان يخاف على حياته وحياة أنصاره ، ويود عقد المحالفات مع اليهود الذين لعبوا دورًا هامًا في يثرب ، وفي القرآن تأنيب لليهود على نقضهم العهود ، وهو أصدق دليل على أنَّه عقدت معهم معاهدات ، ثم يتطرق إلى ما ذكره ابن هشام من عقود مختلفة بين اليهود وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، عدا هذه المعاهدة، ويستشهد بقول أبي عبيدة في كتاب الأموال ، إنَّما كتب رسول الله هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ؛ إذ كان الإسلام ضعيفًا، وكان لليهود آنذاك نصيب من الغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب ، ثم يقول: "إنه توجد صحيفة خاصة بينه "صلى الله عليه وسلم" وبين بني قريظة ، ويهود خيبر وتيماء ووادي القرى"، ويذكر أنَّ ابن سعد قد ذكر عقودًا عقدها الرسول

---

[1]. إسرائيل ولفنسون: مؤرخ يهودي معاصر بتقن بعض اللغات السامية والأوروبية الحية ، ودرس بالجامعة المصرية ، وقدم بحثًا لدكتوراة عن تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية ، وصدر الإسلام إشراف الدكتور طه حسين ، ولم يلتزم بأسس المنهج العلمي الذي نسبه له أستاذه الدكتور طه حسين في رسالته "تاريخ اليهود" ونلحظ هذا بوضوح في كثير من مواقفه مثل إخفائه أنَّ مخيريق كان يهوديًا وأسلم ، وليجعل من عدم مشاركة بني النضير في القتال مع المسلمين في أحد سببًا في غضب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم وإجلائهم ، وكذلك في حديثه عن صحيفة المعاهدة مع غطفان ومواقف كثيرة سأتطرق لبعضها في هذا البحث إن شاء الله .

صلى الله عليه وسلم ويهود بني غدية ، كما يشير إلى ماذكره البلاذري أنَّ صحيفة عقدت بين الرسول وبين أسرة شريفة من اليهود ويعلق قائلًا: "وكل هذا يؤيد وجود معاهدات بين النبي وبين اليهود ، ولكن من العسير أن نأنس إلى جميعها كما يفعل المستشرقون ، فإنَّ ابن اسحاق لم يحدثنا عن معاهدات مخطوطة وصلت إليه وإنَّما يكتفي بالرواية من السابقين ، وهذا لا يقدح في قيمة الصحيفة التاريخية[1].

ويبين ولفنسون أهداف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الصحيفة وهو هدم النظام القديم ، وإيجاد نظام جديد يمكن به أن تتحرض العناصر اليثربية ، وأن تعود يثرب بعد فرقة أحيائها مدينة واحدة ، ونلاحظ أنَّه يعطي لليهود قيمة كبيرة عندما قال: "وقد استغرق ماجاء في هذه المعاهدة عن اليهود أكثر من نصفها مما يدل على أنَّ الرسول كان يحسب حسابًا غير قليل لنفوذ اليهود وسلامهم [2]" ، ثمّ يتساءل بعدما يقول: "ولكن الذي يتأمل في هذه الصحيفة يعجب ؛ إذ لايجد للبطون الكبيرة من الأوس والخزرج وبني القينقاع ذكرًا فيها فكيف أمكن أن يعقد النبي عهودًا مع البطون الصغيرة من اليهود دون الكبيرة منها؟"

ويستشهد بآراء المستشرقين وهو كثيرًا مايستدل بآرائهم مما يشير أنَّ آراء المستشرقين كثيرًا ماتوافقه ، يقول ولفنسون: "وللمستشرقين في هذه الظاهرة رأيان:

---

[1] .تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام تحقيق وتعليق د . محمد السيد الوكيل ،ص 156- 157.

[2] .المرجع السابق . ص 161.

الأول: إنَّ هذه المعاهدة كانت خاصة بالعرب والبطون اليهودية الصغيرة لأنَّها كانت منتشرة بين البطون العربية ومتداخلة فيها ، ومعدودة من مواليها حتى لا يمكن أن يعتبر لها وجود خاص.

والثاني: أنَّ هذه المعاهدة كانت تشتمل على البطون اليهودية الكبيرة أيضًا من بني النضير، وبني القينقاع وبني قريظة، ولكن مؤرخي العرب المتأخرين حذفوا أسماء هذه المعاهدة فيما بعد، لأنّه ساءهم أن يذكر فيها أنَّ الرسول تعاقد مع بطون خالفته وقاومته مقاومة عنيفة انتهت بسفك الدماء، ويقرر بعد هذا القول قائلًا: بإنَّه من المحتمل أن ما جاء في الصحيفة عن يهود والأوس كان شاملًا بني النضير أيضًا[1] ."

ويخلص مما سبق أنّ إسرائيل ولفنسون يقر بالصحيفة، وقد أورد نصها كاملًا وفق رواية ابن اسحاق إلاَّ أنَّه يخفي حقيقة ما يريد أن يقوله من خلال عرضه لمواقف المستشرقين والاستدلال بآرائهم ، كما نجده لم يشر إلى رواية ابن إسحاق مع أنَّه بالتأكيد كان قد اطلع على روايتي أبي عبيد ابن سلام بدليل قوله إشارته إلى ما قاله أبوعبيد عن الصحيفة إنَّها أبرمت قبل فرض الجزية، ولهذا التجاهل مغزاه فهو لا يريد أن يؤكد على صحة الصحيفة ، بل هو يحاول زعزعة رواية ابن اسحاق عندما قال عنه أنَّه لم يذكر لنا أنَّه عثر على مخطوطات عن هذه المعاهدات، كما نجد إسرائيل ولفنسون قد رد على مزاعم برنارد لويس أنَّ الصحيفة أقرت نظم الجاهلية في الزواج والملكية والعلاقات العامة عند قوله إنَّ الهدف من الصحيفة هدم نظام قديم وإيجاد نظام جديد .

---

[1] . المرجع السابق . ص 161.

الشبهات التي أثارها المستشرقون الإنجليز حول الصحيفة

بعد هذا العرض لمواقف كبار مستشرقي المدرسة الإنجليزية من الصحيفة وموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها لليهود ، ونظام الحكم في الدولة الإسلامية بموجب هذه الصحيفة نجد الآتي :

1- الاختلاف حول صحة الصحيفة ، وفي هذا انقسموا إلى أربع فرق .

أ- فريق أقرَّ بصحة الصحيفة وموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود فيها ، ويمثل هذا الفريق مرجليوث والفريد جيوم ، وهاملتون جيب "في الموسوعة الإسلامية الميسرة" وبودلي وأنتوني نتج ؛ إذ أقر في كتابه "العرب" بصحة الصحيفة[1] .

ب- فريق أقر بصحة الصحيفة بعدما شكك فيها ، واعتبر أنَّها أبرمت بعد إزالة بني قريظة ، لأنَّها لم تذكر أسماء القبائل الثلاثة: بنو قينقاع ، وبنو النضير وبنو قريظة ، ويمثل هذا الفريق مونتجمري وات.

جـ . فريق يشكك في صحة الصحيفة ، ويمثله وليم موير، وبرنارد لويس وقد شككا في صحتها لأنَّ ابن اسحاق عندما أوردها لم يذكر مصدره ، وينضم إليهما في هذه الجزئية مونتجمري وات الذي لم يقر بصحتها إلاَّ لأنَّ فلهاوزن قد أقر بها .

د - فريق تجاهل الصحيفة تمامًا مثل توماس كارليل ، وتوماس أرنولد ، وديلاسي أوليري .

2- الاختلاف في تحديد تاريخ هذه الصحيفة فمنهم من يقول إنَّها أبرمت بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بفترة قصيرة مثل وليم موير، أمَّا مرجليوث فهو يتراجع عما ذكره في بداية حديثه عنها من أنَّها أبرمت بعد

---

[1] .انظر : نتنج ، نتوني .. "العرب " . ص 30.

فترة قصيرة من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فيذكر احتمالاً آخر، هو أنَّها قد تكون أبرمت بعد وقت متأخر من الهجرة ، بينما يرجح مونتجمري وات أنَّها عقدت بعد غزوة بني قريظة أي في السنة الخامسة من الهجرة .

3-إنكار برنارد لويس كون موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود على غرار المعاهدات المتعارف عليها عند الأوروبيين .

4- محاولة محرري الموسوعة الإسلامية الميسرة التقليل من أهمية الصحيفة بادعائهم أنَّه ليس لها ذكر في القرآن سوى آية 56 من سورة الأنفال .

5-زعم برنارد ولويس أنَّ الصحيفة أقرت الأحكام السارية في الجاهلية في مسائل الملكية والزواج والصلات بين أفراد القبيلة .

6- زعم برنارد لويس أنَّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصبح شيخ الأمة، وأنَّ سلطته غير مشروطة ، أو من النوع الذي يرتضيه الطرفان من دون كتابة كذلك السلطة التي تمنحها القبيلة من غير طيب خاطر .

7- اعتبر "وات" أنّ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم حكماً أوتوقراطيًا ، وقد ناقض وات نفسه عندما نفى عن دولة الإسلام، أنَّها دولة أوتوقراطية ، ثم وصف سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّها سلطة أوتوقراطية.

هذا وقد ذهب برنارد لويس إلى ما ذهب إليه "وات" في وصف حكم الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّه حكم أوتوقراطي واصفًا الحكم الإسلامي بأنَّه حكم استبدادي معتبرًا الصحيفة خطوة أولى نحو هذا الحكم .

8- زعم "وات" أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكلف باسم الأمة غير المسلمين لقتال أعدائه ويأخذ منهم خُمس الغنيمة، زاعمًا أنَّ عُيينة بن حصين قد كلفه الرسول صلى الله عليه وسلم قتال ثقيف قبل أن يسلم وقد ذكر هذا في صفحة 359، بينما نجده في صفحة 111 كان قد ذكر أنَّ

عُيينة بن حصين كان من حديثي العهد بالإسلام، ومن المؤلفة قلوبهم عندما قاتل ثقيف .

9-إثارة " وات " بعض التساؤلات حول يهود بني عوف ، وحول بعض بنود الصحيفة بقصد إثارة الجدل والشكوك ، كما نجده قد وقع في خطأ عند قوله تكرر يهود بني أوس مرتين في الصحيفة .

10- زعم "وات" أنَّه كان في المدينة من له نفوذ أعظم من نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ، كأنّي به يلمح بأنَّ لعبد الله بن أبي نفوذًا أكبر من نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنَّه أشار من قبل إلى تحيز يهود بني عوف في الصحيفة ، لأنَّ عبد الله بن أبي كان في الماضي قد حصل على شروط مناسبة .

11- اعتبر انتوني نتنج أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم مرشدًا روحيًا أصبح في يثرب حاكمًا زمنيًا .

هذه أهم المحاور التي أثارها كبار مستشرقي المدرسة الإنجليزية حول "الصحيفة" الدستور الأول للدولة الإسلامية.

وفي مجال هذه المحاور سيكون مجال بحثي :

الرد على مزاعم المستشرقين حول الصحيفة

أولًا: التشكيك في صحة الصحيفة بحجة أنَّ ابن إسحاق عندما أوردها لم يذكر مصدره

وهذا الزعم مردود للاعتبارات التالية :

1-**وجود روايات أخرى للصحيفة ذاتها بالنص الذي أورده ابن إسحاق مع بعض الاختلافات البسيطة** التي لا تؤثر على روح ومضمون النص كما تبين لنا – قد أوردها أبوعبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال، عن طريق

الزهري وهو جيد، وعن طريق يحيي ابن عبدالله عن الليث وهو ثقة، وقد رواها أيضًا حميد بن زنجويه في كتابه الأموال عن طريق الزهري بمثل إسناد أبي عبيد، كما أوردها ابن أبي خيثمة ،كما أوردها ابن إسحاق ولكن بإسناد آخر، وكما تبين لنا من ترجمة رواته أنَّهم ثقات باستثناء كثير بن عبدالله المزني فقد ضعفه بعض العلماء ، ولكن الرواية تنتهي عند عبدالله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده وعبد الله المزني ذكره ابن حبان في الصحابة، كما أنَّها تقوى بالمتابعة .

فتوافق نصوص الصحيفة مع اختلاف رواتها دليل على صحتها ، ثم أنَّ المستشرقين أنفسهم اعتمدوا روايات موقوفة على ابن إسحاق ، فكيف يعتمدون البعض ويشككون في البعض الآخر .

2- ماورد في القرآن الكريم يؤكد على صحة الصحيفة

من ذلك :

- ما نزل بشأن اليهود في المدينة ، فجميع الآيات التي نزلت في بني النضير ، وقريظة تشير إلى أنَّ هناك عهدًا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وأنَّهم نقضوا العهد ، فكان إجلاؤهم ومحاربتهم ، وقد نزلت في بني النضير سورة الحشر التي قال عنها ابن عباس رضي الله عنهما "سورة الحشر سورة بني النضير" وقد بين الله جل شأنه في الآية رقم ٤ سبب إجلائهم هو نقضهم ما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهد يقول تعالى {ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإنَّ الله شديد العقاب)[1] - وكذلك ما نزل بشأن بني قريظة في سورة الأنفال الآيات

[1] . الحشر : 3-4.

55 – 58 [1] قال تعالى: (إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ * إِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٖ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ)

- وكذلك ما نزل بشأن بني قريظة في الأحزاب الآيتان 26، 27 قال تعالى : (وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا * وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا)

3- موافقة نصوص الصحيفة لما جاء في القرآن الكريم في المبادئ العامة

- اعتبار المسلمين أمة واحدة من دون الناس " كما جاء في البند 2" قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [2]

- من حيث التراحم والتعاون بينهم، ومعاونةبعضهم بعضاً فيما يثقل كاهلهم " بند 12، 19"قال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [3]

- إنَّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض " كما جاء في البند 15"قال تعالى : (إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض)[4]

---

[1] . بعض الروايات تشير إلى أنَّ الآية 58 من سورة الأنفال نزلت في بني قينقاع.

[2] . آل عمران : 110.

[3] . البقرة : 215.

[4] – الأنفال : 72.

-الاحتفاظ برابطة الولاء وما يترتب عليها من حقوق الموالاة "كما جاء في البنود 3-13 ،والبنود 25-34 ،46 ، كما جاء في قوله تعالى {ولكل جعلنا موالي [1]مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت[2] أيمانكم فآتوهم نصيبهم إنَّ الله كان على كل شئ شهيدا}[3]

- تحديد المسئولية الشخصية " بند 37 ب ، ومن يكسب إثمًا بأنَّه يكسبه على نفسه[4].

- مراعاة حوق القرابة والصحبة والجوار " بند 4" قال تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)[5]

-كذلك وافقت الصحيفة القرآن في وجوب الرجوع إلى الله تعالى ورسوله للتصرف في الأمور المتنازع عليها "بند 23، 42قال تعالى : (ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[6]

---

[1] – الموالي : هم موليان : مولي يرث ويورث، فهؤلاء ذوو الأرحام، ومولى يورث ولايرث فهؤلاء العقاقة " " تفسير الطبري4: / 53."

[2] – {والذين عقدت إيمانكم فأتوهم نصيبهم } بمعنى والذين عاقدت أيمانكم الحلف بينكم وبينهم " تفسير الطبري ،53/4 ."

[3] – النساء : 33.

[4] – النساء : 111.

[5] – النساء : 36.

[6] – النساء : 59.

- وفي شؤون الحرب والسلم ، وأنَّ حرب الأفراد وسلمهم إنَّما تدخل في الاختصاص العام فلا تحدث فردياً "بند 37، 41 ، 43 ،44 ،45 قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ) [1] ، وقوله تعالى : (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)[2]

– معاونة الدولة في إقرار النظام والأخذ على يد الظالم وعدم نصر المحدث وإيوائه بند 13، 21، 22 قال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[3]وقوله تعالى : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)[4]

- منح حق الحرية الدينية ،كما جاء في البند 25 قال تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [5]

- البُعد عن غارات الجاهلية وحميتها " بند 36ب " قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[6] "، وأمثلة أخرى كثيرة .

4– ما ورد في السُنة ما يؤيد ما جاء في الصحيفة

1– رواية الإمام أحمد "ت 241هـ" وهي إشارة مختصرة جدًا ونصها "إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وأن يعقلوا معاقلهم وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين [7].

---

[1] .البقرة : 208.

[2] .الأنفال : 61.

[3] .المائدة : 2.

[4] . فاطر : 18.

[5] . البقرة : 256.

[6] .الأعراف : 199.

[7] . د . مهدي رزق الله أحمد، مرجع ساب. ص 308. يشير في البنود ١ ، ٣ ، ١١. .

2–رواية البخاري "ت 256هـ" في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وفي باب الجزية والموادعة .

أ – عن مُسدَّد حدثنا عباد بن عباد حدثنا عاصم الأحول عن أنس قال " حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين الأنصار وقريش في داري التي بالمدينة وقنت شهرًا يدعو على أحياء بني سليم[1] .

ب– حدثنا محمد بن صبّاح حدثنا إسماعيل بن زكريا، حدثنا عاصم قال: قلت لأنس بن مالك أبلغك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الإسلام ، فقال: قد حالف النبي صلى الله عليه وسلم قريش والأنصار في داري[2] .

يلاحظ في هاتين الروايتين لم يذكر اليهود، كما أنَّها تبين لنا أنَّ المكان الذي عُقدت فيه الوثيقة وأبرمت هو دار أنس بن مالك بالمدينة المنورة .

جـ – حدثنا محمد أخبرنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا علي ، فقال: ماعندنا كتاب نقرؤه إلاَّ كتاب الله ، وما في هذه الصحيفة ، فقال: فيها الجراحات وأسنان الإبل والمدينة حرم ما بين عير إلى كذا فمن أحدث فيها حدثًا أو أوى فيها محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك وأمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلمًا ، فعليه مثل ذلك[3] .

د– حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التميمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه ، قال: ما كتبنا عن النبي صلى الله

---

[1] . أحمد ، د . مهدي رزق الله . مرجع سابق . ص 308. يشير في البنود ١ ، ٣ ، . ١١.

[2] . صحيح البخاري 10/9 ، وفي طبعة المكتبة العصرية . 2 /979.

[3] . المصدر السابق . باب الأدب 10/8.

عليه وسلم إلاَّ القرآن ، وما في هذه الصحيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حرام ما بين عائد إلى كذا فمن حدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه عدل ولا صرف ، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ،فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. [1]

هـ- ما ذكره البلاذري (ت 270هـ/ 883م) في فتوح البلدان أنَّه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، كتب بينه وبين يهود يثرب كتابًا وعاهدهم عهدًا ، وكان أول من نقض ونكث منهم يهود بني قينقاع ، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة.

ح- ما جاء في سُنن أبي داود (ت275 هـ/ 888م) عن محمد بن يحيي بن فارس [2] أنَّ الحكم بن نافع [3]حدثهم: قال: أخبرنا شعيب[4] عن الزهري

---

[1] .صحيح البخاري . باب الجزية والموادعة 122/4 ، و 125يتفق مع هذا البند 15، 22، 39 .

[2] .محمد بن يحيي بن عبدالله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي الحافظ، عن كثير بن وروي عنه الجماعة سوي مسلم، ورد عن البخاري أربعة وثلاثين حديثًا ، قال عنه أحمد ما قدم علينا رجل أعلم بحديث الزهري من محمد بن يحيي ، وقال عن النسائي ثقة مأمون وقال عنه أبو داود وأمير المؤمنين في الحديث ، قال عنه الخطيب أحد الأئمة العارفين والحفاظ المتقنين والثقات المؤمنين صنف حديث الزهري وجوده ، وقال أحمد بن سيار المرزوي كان ثقة كتب الكثير ودوّن الكتب مات سنة 251هـ /865م، وقيل سنة252 هـ / 866م [التهذيب – :9/441-444.]

[3] .الحكم بن نافع البهراني مولاهم، أبواليمان الحمصي ، روى عن شعيب بن أبي حمزة ، وسعيد بن عبدالعزيز وغيرهما ، وعنه البخاري، وروى له كثيرين ، مات سنة112 هـ /730م ، وقال البخاري مات سنة ٢٢٢ هـ /836م) [التهذيب 2/ 395 ، قال في التقريب "ثقة ثبت يقال إنّ أكثر حديثه عن شعيب مناولة [حاشية التهذيب :2/395]

[4] شعيب بن أبي حمزة عن الزهري وعبدالله بن عبد الصمد بن أبي حسين وعنه أبو اليمان وابن بشر وغيرهما قال عنه أحمد: ثبت صالح الحديث ، والنسائي قال عنه ثقة وعن ابن معين شعيب من أثبت الناس في الزهري وكان كاتبًا له ، ووصفه ابن حبان في الثقات، وقال عنه أبو داود

[1]عن عبدالرحمن[2] بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه[3] ، وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، وكان صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان ، واليهود ، وكانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأمر الله عز وجل نبيه بالصبر والعفو ففيهم أنزل الله (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ)[4] الآية، فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم، أمر النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة، وذكر قصة قتله فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون، فغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: طُرق صاحبنا فقتل، فذكر لهم النبي الذي كان يقول، ودعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينه وبينهم ينتهون إلى مافيه، فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة .

كان أصح حديثًا من الزهري بعد الزبيدي مات سنة 162هـ /807م [التهذيب 318/4، 319وجاء عنه في التقريب " ثقة، عابد " " حاشية التهذيب 4/ 318.]

[1] – الزهري سبق ترجمته.

[2] – عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي أبو الخطاب المدني ، روى عن أبيه وجده وعمه عبيد الله، وأبي هريرة ، وعنه الزهري وعبدالله بن عيسى وغيرهما قال النسائي ثقة ، وخال خليفة بن خياط، مات في خلافة هشام بن عبدالملك [التهذيب 194/6] ، وقال في التقريب " ثقة، عالم " [حاشية التهذيب 6/ 194.]

[3] – عبد الله بن كعب بن مالك: قال البغوي عن الواقدي أنّه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر وعثمان وعلي وأبي أمامة بن ثعلبة وعن أبيه كعب الشاعر المعروف ومات سنة 97هـ /715م ، أو 98 هـ /716م ،ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة (6189)، 3/ 64، كما جاء عنه في تهذيب التهذيب وقال عنه أو زرعة ثقة وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن سعد سمع من عثمان وكان ثقة. [التهذيب :5/ 326.]"

[4] ـ آل عمران : 186.

هذه الرواية تبين لنا أنَّ الصحيفة كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والمسيحيين عامة ، كما تبين أنّها أبرمت بعد مقتل كعب بن الأشرف التي كانت أمه نضرية وكان ذلك بعد بدر [1] .

ط- ما رواه الواقدي[2] عن عبدالله بن جعفر [3]عن الحارث بن الفضيل [4] عن ابن كعب القرظي: قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وادعته يهود كلها ، وكتب بينه وبينها كتابًا ، وألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قوم بحلفائهم ، وجعل بينه وبينهم أماناً، وشرط عليهم شروطًا ، وكان فيما شرط ألا يظاهروا عليه عدوًا "

ي-ما رواه ابن سعد[5] عن أسباب غزوة بني قينقاع فقال: كانوا قومًا من يهود وحلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول ، وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغة فوادعوا النبي صلى الله عليه وسلم ،فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد."

ك- ما رواه الطبري[6] (ت310هـ/ 922م) في تاريخه ؛ إذ يقول: "ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، منصرفه من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها ، على أن لا يعينوا عليه أحدًا ، وأنَّه إن دهمه

---

[1] - قاسم ، د . عون الشريف . (1401هـ / 1981م)لا نشأة الدولة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، " دراسة وثائق العهد النبوي ". ص 33. ط ٢ . دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني،. القاهرة - بيروت .

[2] - الواقدي : المغازي 1/ 176.

[3] - لم أستطع ترجمته لأنَّه لم يذكر اسم الجد ، كثر هم والذين أسماؤهم عبد الله بن جعفر .

[4] - الحارث بن فضيل الأنصاري الخطمي : ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال عنه النسائي الدارلي وابن معين أنه ثقة ، وقال في التقريب: ثقة [التهذيب : 2/ 141، 142.]

[5] - الطبقات 2/ 92.

[6] - تاريخ الطبري .479/2.

عدو نصروه ، فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ببدر ومن مشركي قريش: أظهروا له الحسد والبغي ، وقالوا: لم يلق محمد من يحسن القتال ، ولو لقينا لاقى عندنا قتالًا لا يشهه قتال أحد ، وأظهروا نقض العهد "[1] ثم ذكر الطبري[2] رواية أخرى عن بني قينقاع للمعاهد وهو عن محمد بن إسحاق [3]عن عاصم بن عمر [4]بن قتادة "أنّ بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربوا فيما بين بدر وأُحد ."

ل- رواية ابن حزم [5] (ت 456هـ/ 1073م) رواها في المجلس بإسناده إلى ابن عباس ونصها "كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا معاقلهم ويغدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين الناس[6] .

كما جاء في جوامع السيرة النبوية[7] ، ثم وادع اليهود فلم يبق إلا أشهراً يسيرة حتى مات أبو إمامة أسعد بن زرارة بالذبحة ، فلم يجعل عليه السلام نقيبًا بعده ."

---

[1] – هذه الرواية تحتوي على بندي الصحيفة رقم 37، 44.

[2] – تاريخ الطبري . 479/2.

[3] – محمد بن إسحاق سبق ترجمته.

[4] – عاصم بن عمر بن قتادة (ت 120هـ/ 737م) ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن معن وأبو زرعة والنسائي ثقة، وقال ابن سعد: "كان رواية للعلم وله علم بالمغازي والسيرة أمره عمر بن عبدالعزيز أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ففعل ، وكان ثقة كثير الحديث عالمًا ، " وقال ابن القطان لا أعرف أحدًا ضعّفه ، ولا ذكره في الضعفاء، وقال في التقريب " ثقة عالم بالمغازي . " [التهذيب / 48،49.]

[5] – د. رزق الله . مرجع سابق . ص 311.

[6] – هذه الرواية تشمل البنود 3-11.

[7] –ابن حزم . جوامع السيرة . ص 72.

م- رواية الإمام البيهقي(ت568هـ /1162م) له فيها روايتان كتابه "السُنن الكبرى" الأولى سنده إلى عثمان بن محمد قال: وأخذت من آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الكتاب ، كان مقرونًا بكتاب الصدقة الذي كتب عمر للعمال: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين والمؤمنين من قريش ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.. وأنّ على المؤمنين أن لا يتركوا مفرحًا منهم حتى يعطوه في فداء أو عقل [1]، وفي إسنادها محمد بن عبد الجبار العطاردي [2]، وقد ضعف لأنَّه لم يلق من يحدث عنهم. وعثمان بن محمد [3]وثَّقه البعض ولكنه رواها وجادة [4]، ويونس [5]بن بكير ، وقد اختلفوا فيه ، وهذا ماجاء نصه في البند ١، ٢١ من الصحيفة ، والرواية مختصرة عمَّا جاء في سيرة إبن إسحاق وغيره وقد أغفلت بنودًا كثيرة أهمها ما يتعلق باليهود إلاَّ أنَّها تدل على أنَّ

---

[1] – د. رزق الله : مرجع سابق ،ص 310.

[2] – محمد بن عبد الجبار العطاردي: قال عنه ابن حجر في التقريب "ضعيف وسماعه للسيرة صحيح" ، وقال في التهذيب إنّ ابن أبي حاتم أمسك عن الرواية عنه لكثرة كلام الناس فيه ، وكذبه ابن معين، وضعفه الحاكم وابن عدي وذكر قول ابن عدي أنه لايعرف له حديث منكر، وإنما ضعفوه لأنّه لم يلق من يحدث عنهم [د . مهدي رزق الله مصدر سابق ص :310]

[3] – عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس الثقفي ، وثقة ابن معين والترمذي وابن حبان ، وقال النسائي ليس بالقوي . وقال في التقريب " صدوق له أوهام " [التهذيب :134/7.]

[4] – وجادة : أي أخذها من كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ،ولم يلقه أو لقيه ، ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه ولا له فيه إجازة، ولانحوها [د . رزق الله . مصدر سابق حاشية ص 310.]

[5] – يونس بن بكير بن واصل الشيباني: قال عنه ابن حجر في التقريب "صدوق يخطئ" ، وفي التهذيب قال عنه كان ثقة صدوقًا ، كما وثَّقه أبو خيثمة ومحمد بن غير وعبيد بن يعيش وابن حنبل ["التهذيب 1/ 38، 81]،وقال في التقريب أخرج له البخاري في التعليق وفي جزء القراءة ومسلم ، وأبو داود وابن ماجة والترمذي . [د . رزق الله . مصدر سابق . حاشية ص 310.]

لهذه الصحيفة أصلًا، وأنَّه كان محفوظًا عند آل عمر إلى أيامه حتى أخذه عنهم ، وقد صرح بالتحديث عنه .[1]

ن- رواية ابن أبي حاتم الرازي ، ذكرها في مقدمة كتابه الجرح والتعديل بسنده إلى الأوزاعي ، إنَّه كتب إلى عبد الله بن محمد أمير المؤمنين رسالة طويلة ، وقال فيها:" قد حدثني الزهري إنَّه كان في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب به بين المهاجرين والأنصار ، وأنَّ لا يتركوا مفرحًا أن يعينوه في فداء أو عقل [2]، وهذا ما نص عليه البند 10- من الصحيفة ورجال إسنادها ثقات ، وهي مرسلة لأنَّها موقوفة على الزهري ومختصرة جدًا ، وربما كان السبب أنَّ الأوزاعي قد كتب إلى أمير المؤمنين الجزء الذي كان يحتاج إليه من هذا الكتاب ، ممّا يوحي إلى وجود الكتاب بأكمله لديه ، ولاسيما أنَّه رواه عن الزهري ، وقد تقدم أنّ الزهري قد روى هذا الكتاب ، أو الصحيفة بنحو رواية إبن إسحاق .[3]

5- ما ورد من أحاديث أخرى تتفق مع بعض بنود الصحيفة مثل :

أ - ما رواه البخاري : قول الرسول صلى الله عليه وسلم " المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم [4]لا يقتل مؤمن ، ولا ذو عهد في عهده[1] ، وهذا يتفق مع ما جاء في البند رقم" 13"

---

[1] - السندي ، أكرم حسين . مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة رسالة ماجستير مطبوعة على الألة الكاتبة مقدمة من شعبة الحديث بالجامعة الإسلامية. ص 68.

[2] - رزق الله ، د . مهدي. مصدر سابق. ص 311.

[3] - المرجع السابق . 311.

[4] - يسعي بذمتهم أدناهم ، أي إذا أعطي أحد لجيش العدو أماناً جاز ذلك على جميع المسلمين وليس لهم أن يخفروه إلّا أن ينقضوا عليه عهده " سُنن النسائي بشرح السيوطي في طبعة دار الحديث ٨ أجزاء . 20/8.

ب – روى ابن ماجة [2]في رواية أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " لا يقتل مسلم بكافر، وزاد في رواية أخرى "... ولا ذو عهد في عهده ." هذه الرواية تتفق مع بند "14"من الصحيفة .

جـ – روى ابن أبي شيبة عن وكيع عن ابن أبي ليلى عن الشعبي قال: "جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقل قريش على قريش ، وعقل الأنصار على الأنصار، وأخرج من حديث ابن عياشي قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ، وأن يغدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين الناس [3] ، وهذا يتفق ما ما جاء في البنود 3–11.

د – ما رواه الترمذي[4] حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا هشيم ، حدثنا مُطرق عن الشعبي ، حدثنا أبو صُحيفة قال قلت لعلي: يا أمير المؤمنين هل عندكم سوداء في بيضاء ليس في كتاب الله؟ قال والذي خلق الحبة وبرًا النسمة ماعلمته إلاَّ فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة: قال: قلت وما في الصحيفة؟ قال فيها العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر. وفي الباب عن عبد الله بن عمر وحديث على حديث حسن صحيح

---

[1] – رواه النسائي أيضًا ،20/8.

[2] – سُنن ابن ماجه . (1414هـ / 1994م) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . 2/ 878 . طبعة بدون سنة دار الحديث – القاهرة .

[3] – العسقلاني ، ابن حجر . 822هـ /1419م) الدراية في تخريج أحاديث الهداية تصحيح وتعليق السيد عبدالله بن هاشم اليماني المدني . 2/ 288. طبعة بدون رقم وتاريخ . دار المعرفة – بيروت

[4] – سُنن الترمذي . (1403هـ/ 1983م) الجامع الصحيح تحقيق وتصحيح عبدالرحمن محمد عثمان. 422/2– 423 . ط 2 .

، والعمل وهو قول سفيان الثوري ومالك بن أنس الشافعي وأحمد وإسحاق قالوا: لا يقتل مؤمن بكافر.

هـ – عن تحريم المدينة ما رواه مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن السيب عن أبي هريرة أنَّه كان يقول: لو رأيت الطباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما بين لابتيها حرام[1] ، وهذا يتفق مع البند "39" من الصحيفة.

و – رواية عن مسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب على كل بطن عقوله ، ثم كتب أنَّه لا يحل لمسلم أن يتولى مولى رجل مسلم بغير إذنه .

كما جاء في باب "إجلاء اليهود من الحجاز" في شرح النووي في رواية ابن عمر التي ذكرها مسلم قوله "عن ابن عمر أنَّ يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم ، وقسّم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين[2] ."

في هذا أنَّ المعاهد والذي إذا نقض العهد صار حربيًا وجرت عليه أحكام الحرب للإمام سبي من أراد منهم ، وله السن فيما مضى، ولا فيما يستقبل، وكانت قريظة في أمان، ثم حاربوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ونقضوا العهد ، وظاهرو قريشًا على قتال النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)[3]

---

[1] – ابن أنس ، الإمام مالك بن أنس . (1403هـ / 1983م) الموطأ. ص 779 . ط3. بيروت . دار الآفاق الجديدة .

[2] . صحيح مسلم بشرح النووي 91/12.

[3] – الأحزاب : 26 .

هذه الروايات جميعها صحيحة أو حسنة ورواتها ثقات وشملت على البنود 1 ،3 ، 14، 37، 39، 44 ممَّا يؤكد صحة الصحيفة ، كما رواها ابن إسحاق ، وأبي عبيد عن طريق الزهري وحميد بن زنجوية بنفس طريق الزهري.

6- الشواهد التاريخية على بنود الصحيفة من كُتب السيرة والمغازي والتاريخ العام

فقد أشار بعض كتّاب السيرة إلى موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود في المدينة ، وإلى بعض بنودها مثل ابن سعد في الطبقات ؛ إذ أشار إلى نقض بني قينقاع العهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم [1]، كما أشار إلى نقض بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم .[2]

أمَّا البلاذري فقد أورد هذه الرواية "حدثني وهب بن بقية قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن قال : "عاهد حُيي بن أخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يظاهر عليه أحدًا ، وجعل الله عليه كفيلًا ، فلما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة ، وبابنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوفى الكفيل ، ثم أمر به فضُربت عنقه وعنق ابنه "[3]والطبري في تاريخه[4] ، وابن حزم في جوامع السيرة [5]، وقد سبق

---

[1] - 2/ 29.

[2] - 2/67.

[3] - البلاذري . (1407هـ/ 1987م) فتوح البلدان. تحقيق عبد الله أنس الطباع وعمر أنيس الطباع. ص 32-33. طبعة بدون رقم . بيروت . مؤسسة المعارف .

[4] - سبق ذكره ، 2/ 479.

[5] - ص 72.

الإشارة إليه، وقد أشار السهيلي [1] إلى بعض بنودها مع ذكره موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود ، وفي هذا الكتاب كما أشار إلى رواية ابن عبيد ، أمَّا ابن سيد الناس فقد أوردها كاملة، في "عيون الأثر [2]، وكذلك أوردها ابن كثير كاملة في البداية والنهاية[3] ، وابن خلدون وأشار الى نقض بني قريظة ما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهد [4]، أمَّا صاحب السيرة الشامية فقد أشار إلى الروايتين رواية ابن إسحاق ورواية أبي عبيد عن طريق الزهري وقال إنَّها بسند جيد[5] .

وممَّا سبق يتأكد لنا أنَّ هذه الصحيفة وأنَّها قد أبرمت فعلًا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المهاجرين والأنصار واليهود ، وإنّي أتساءل :

- أين هؤلاء الذين ينكرون الصحيفة ويدّعون أنَّها موضوعة ، أو يشككون في صحتها، أين هم من هذه الأدلة التي تثبت صحتها وتؤكد عليها؟ .

فليس مصدر واحد هو الذي أشار إليها وذكرها كاملة كما يزعمون ، وأنَّ هناك ثلاث مصادر أخرى ذكرتها كاملة بروايات أخرى صحيحة ، مثل رواية ابن أبي خيثمة ، وإن كان البعض اعتبرها ضعيفة لا يحتج بها لأنَّ فيها كثير بن عبد الله فأنا أراها خلاف ذلك لأنَّها تقوى بالمتابعة. فما ورد فيها لا يختلف عما ورد في رواية ابن اسحاق ووصيتي ابن عبيد عن طريق الزهري ، وكذا رواية حميد بن زنجوية ،فلماذا نستبعدها وهي تتفق مع الروايات الصحيحة؟ .

---

[1] – الروض الأنف . 2/ 250–251.

[2] – 238/1.

[3] – 3/ 212– 264، كما وردت في مختصر سيرته اختيار وشرح محمد علي قطب . .ص 177–180.

[4] – 2/ 441.

[5] – 555/3.

لقد أثبت القرآن الكريم والسُنة المطهرة ، "كتب الصحاح الستة ومسند الإمام أحمد ، وموطأ الإمام مالك ودلائل البيقهي صحتها ، كما أثبت صحتها مؤرخي السير والمغازي ، إضافة إلى سير الأحداث ، وإلاَّ فلماذا أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع وبني النضير ، وقتل مقاتلي قريظة وسبي نسائهم وذراريهم لو لم يكن هناك عهد بينه وبينهم ونقضوه؟ .

ممَّا لاشك فيه أنَّ للمستشرقين أهدافًا واضحة في إنكارهم للصحيفة ، أو تشكيكهم فيها ، وقد بينت ذلك في مقدمة حديثي عن الصحيفة ، ولكن ما هي أهداف بعض الباحثين المسلمين الذين يزعمون أنَّها موضوعة والبعض يشكك فيها؟ هل لأَّنه يريد أن يثبت لنا أنَّه موضوعي في بحثه ويتبع المنهج العلمي؟.. إنَّه بقوله هذا أثبت خلاف ذلك لأنَّ من أهم أسس وقواعد المنهج العلمي أن تلم إلمامًا شاملًا وكاملًا بالموضوع الذي تبحثه وتطلع على جميع المصادر الأساسية المتعلقة به ، والذي يبدو لنا أنَّ هؤلاء لم يطلعوا إلاَّ على مصدر واحد هو سيرة ابن هشام ، وبنوا رأيهم على ذلك دون أن يتمعنوا في سير الأحداث في المدينة في العهد النبوي ، والتي هي بذاتها تعلن عن هذه الصحيفة وبنودها حتى ولو لم يطلعوا على كل المصادر التي سبق ذكرها .

وقبل أن أختم حديثي عن صحة الصحيفة أود أن أقول: إنَّني لا أتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين [1] ، من أنّ ماذكر من الآثار في شأن المعاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود عند مقدمه إلى

---

[1] – سندي ، أكرم في بحثه للماجستير "مرويات تاريخ يهود المدينة في العهد النبوي" إشراف الأستاذ الدكتور أكرم العمري وهي مقدمة لشعبة الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد ذهب إلي ماذهب إليه الأستاذ أكرم سندي الباحث ضيدان اليامي في بحثه بيان الحقيقة .

المدينة لم يثبت نص المعاهدة بطرق صحيحة ولا بطرق حسنة ، إنَّما ثبت بطرق ضعيفة ، البعض في تلك الطرق تتقوى مع المتابعة ، والبعض الآخر لا يتقوى مع المتابعة ، ولكن مجموع هذه الطرق ماعدا رواية كثير ابن عبد الله تقوى بعضها البعض ، وترتقي إلى درجة الحسن لغيره[1] ؛ إذ ثبت لدينا من الروايات التي أوردتها أنَّها بسند صحيح ، أمَّا رواية ابن أبي خيثمة التي فيها كثير بن عبد الله ، فقد قلت إنَّها تقوى بالمتابعة ، لأنَّ جميع رواتها ثقات ، ويوجد ما يؤكد صحتها في الروايات الأخرى ، وكذلك ما جاء في القرآن الكريم والسُنة النبوية يطابق بنودها .

كما أنَّني لا أتفق مع ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور أكرم العمري [2] بأنَّ الصحيفة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيح ، وأنَّها تصلح أساسًا للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية خاصة ، وذلك لأنَّ الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة ، فجميع البنود التي يحتج بها في الأحكام الشرعية الواردة في الصحيفة قد أيدها القرآن الكريم وأحاديث صحيحة في كُتب الصحاح الستة ، وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد ، ودلائل البيهقي ، وهي تشمل البنود الآتية:

1، 17، 25،21،19، 36، 37، 37ب ،39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47 ، هذا وقد أوردت بعض الآيات الكريمات التي تتطابق مع ماجاء في بعض هذه البنود وأثبتتها الأحاديث الشريفة تكمل باقي البنود ، والبنود التي لم يرد ما يوافقها في الكتاب والسنة متعلقة باليهود الملحقين ببعض العشائر الأوسية

[1] – المرجع السابق . ص 72 "الرسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة".

[2] – المجتمع في العهد النبوي خصائصه وتنظيماته الأولى . ص 111.

والخزرجية ، وهي البنود من25– 35 ، أمَّا البنود المتعلقة بمشاركة اليهود مع المسلمين في القتال، فكلنا يعرف أنَّ هذه الصحيفة قد أبرمت قبل فرض الجزية على أهل الذمة ، ثُمَّ أنه لم يثبت أنَّ اليهود قاتلوا مع المسلمين، وقد أثبت الدكتور أكرم ذلك .[1]

فالذي أريد قوله إنَّه ما دامت الصحيفة صحيحة الأسانيد وفق ما جاء في الروايات وإنَّ جميع الأحكام الشرعية الواردة بها جاء ما يوافقها في القرآن الكريم ، وكتب الصحاح الستة ، وبالنسبة لمشاركة اليهود في القتال مع المسلمين ، فقد ورد ما يثبت رفض الرسول صلى الله عليه وسلم مشاركتهم في القتال واكتفى بالمشاركة بالمال ، وخاصة أنَّ هذه البنود قد كتبت قبل فرض الجزية ، وكما يبدو أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم اكتفى بالمشاركة بالمال دون القتال بوحي من الله كتمهيد لفرض الجزية عليهم ، فلا مبرر للقول بأنَّ الصحيفة لا تصلح للاحتجاج الشرعي إلاَّ فيما ورد في كتب الحديث الصحيحة .

ثانيًا: الرد على شبهة أنَّ حكم النبي صلى الله عليه وسلم كان حُكمًا دينيًا استبداديًا فرديًا

من أخطر هذه المزاعم ما زعمه مونتجمري وات وبرنارد لويس أنَّ حكم النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمًا دينيًا استبداديًا فرديًا ، وقد سبقهما إلى هذا القول وليم موير وديفيد مرجليوث وتوماس أرنولد[2] ؛ إذ زعموا أنّ الحكومة الإسلامية كانت حكومة دينية استبدادية فردية [3]، فقلد

---

[1] – المرجع السابق . ص 123–129.

[2] – – الخلافة . ترجمة جميل معلي. ص 24 طبعة سنة 1946م. دار اليقظة العربية.

[3] – أ . د . النبراوي، فتحية . (1985م) نظم الدولة الإسلامية في المشرق . 165/2. دراسات في الحضارة الإسلامية . طبعة بدون رقم، القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

اعتبر برنارد لويس الصحيفة الخطوة الأولى نحو الحكم الإسلامي الاستبدادي ، وأنّ الصحيفة احتفظت بنفس الأحكام السارية قبل الإسلام في مسائل الزواج والملكية والصلات بين أفراد القبيلة[1] ، أمَّا مونتجمري وات فبعد أن نفي كون الحكومة الإسلامية حكومة أوتوقراطية نجده يقول : "إنَّ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم الأوتوقراطي قد بلغ مداه في السنتين الأخيرتين ، أو الثلاث سنوات السابقة لوفاته ، وأنَّه كان يسمح لغير المسلمين "المشتركين" قتال أعدائهم لأنَّهم يحقدون على محمد ، ويضرب مثلًا على ذلك بعُيينة بن حصن [2]، وكان قد ذكر من قبل إنَّه أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم[3]، إضافة إلى ما أثاره وات من تساؤلات حول بعض البنود . وللرد على هذه المزاعم وغيرها أرى من الضرورة بمكان تحليل الصحيفة ومن خلال هذا التحليل سيكون الرد على تلك المزاعم .

تحليل الصحيفة

اعتبرت هذه الصحيفة أول دستور مكتوب في العالم ، وهي أولى الوثائق النبوية في المدينة ، وكانت بمثابة أول دستور إسلامي في المدينة الذي قرر بوضوح تام مبادئ المسؤولية السياسية والاجتماعية فقد نصت على الآتي:

1. أنَّ جميع المؤمنين والمسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة

حيث أصبح الإسلام هو الرابطة الوحيدة بينهم والتي حلت محل الرابطة القبلية والعصبية ، فلا عصبية في الإسلام ومن ثم صار

---

[1] – العرب في التاريخ. ص 56،57.

[2] – محمد في المدينة . ص 358، 359.

[3] – محمد في المدينة . ص 111.

المسلمون في المدينة يشكلون هذه الأمة دون النظر إلى قبائلهم وأصولهم ، لأنَّهم أمة واحدة من دون الناس كما جاء في المادة رقم[1] "1"

2. الإبقاء على بعض الأعراف القديمة التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام

أمَّا ما جاء في المادة "3" وما بعدها حتى المادة"11" بالإبقاء على بعض الأعراف القديمة التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام، وكان يتعامل على أساسها العرب قبل الإسلام، وهي تتعلق ببعض وظائف القبيلة، فأصبحت القبيلة مسئولة مسئولية تامة عن أفرادها في سرائها وضرائها ، فهم يشتركون في دفع دياتهم وفداء أسراهم "فهم على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، ويتعاقلون معاقلهم الأولى" فهنا أبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض وظائف القبيلة التي تحمل معاني الخير والتعاون والبر وألغي ما كان فاسدًا أو متعارضًا مع مبادئه الإساسية .

فالإسلام في هذه الصحيفة قضى على العصبية ، وجعل العقيدة الإسلامية هي الرابطة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض كما جاء في قوله تعالى : **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)** [2]، ومن هنا نجد أنَّ قول برنارد لويس إنَّ الصحيفة أقرت الأحكام السارية قبل الإسلام في مسائل الزواج والملكية والصلات بين أفراد القبيلة قول مردود ، لأنَّه لم يقر كل أحكام الجاهلية في الصلات بين أفراد القبيلة ، وإنَّما أقرَّ ما يدخل ضمن التكافل

---

[1] – العربي، د . محمد ممدوح . (1988م) دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة. ص 172. القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[2] – الحجرات : 10.

الاجتماعي حتى أنَّه أقرَّ أمر الأحلاف التي كانت في الجاهلية كما في بند" 12" ، ولكنه لم يسمح بالتجاوز على حقوق الولاء التي للسيد على المعتقين من مواليه فلا يجوز لأحد محالفتهم دون إذن سيدهم ، وقال لا حلف في الإسلام .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: قيل لشريك عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم: لا حلف في الإسلام، والحلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة وحدة ، رواه أحمد ، وأبو ليلى ، ورجالها رجال الصحيح ، كما رواه مسلم وأدو داود والنسائي[1] ، كما قال صلى الله عليه وسلم "ليس منا من دعا إلى عصبية ، كما أقر من صلات بين أفراد القبيلة يندرج تحت رابطة العقيدة ، وتخدم المجتمع وتسهم في بناء التكافل الاجتماعي بين أبنائه مثل الارتباطات الخاصة بين أفراد الأسرة الواحدة ،وما يترتب عليها من حقوق وواجبات على الآباء والأمهات وأفراد العشيرة الواحدة ، وما يترتب عليهم من حقوق وواجبات كالتضامن في دفع الديات وفك الأسرى ، وإعانة المحتاج منهم وأفراد الحي الواحد ، ومازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه ، وأفراد القرية الواحدة أيّ ما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعًا ، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى" وكذلك بالنسبة للزكاة فلا تخرج زكاة أموال أبناء المدينة الواحدة إلاَّ بعد استيفاء حاجات أبنائها .

فالإسلام رتب على الوحدات الاجتماعية الصغيرة القيام بمهام التكافل الاجتماعي ؛ لذا فإنَّه عندما أقر بعض الروابط العشائرية التي

---

[1] – الرامي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي (1407هـ/ 1987م) " ، سنن الدرامي ،316/2" . تحقيق فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي . دار الريان للتراث . القاهرة . دار الكتاب العربي . بيروت.

كانت قبل الإسلام ، فإنَّما قصد الاستفادة منها في التكافل الاجتماعي ، ولكن لا تناصر في الظلم ولا عصبية ، وبذلك حوّل الإسلام وجهة تلك الروابط القبيلة واستفاد منها بتكييفها وفق أهدافه العليا .[1]

وهكذا نجد أنَّ مقولة برنارد لويس إنَّ الصحيفة أبقت على الممارسات الجاهلية هو من التعميمات العشوائية ، والمجازفة في إطلاق الأحكام دون تحقيق أو دراسة [2]، أمَّا الملكية والزواج فليس في الصحيفة ما يشير إليها . فمن أين أتى برنارد لويس بقوله هذا ، مع أنَّه لا يخفى على الجميع أنَّ الإسلام قد نظَّم قانون الزواج وأبقى نكاح الاستبضاع[3] ، ونكاح الرهط[4] ، ونكاح البغايا[5] ، ونكاح البدل[6] ، ونكاح الخدن[7] ، وأقر النكاح المتعارف عليه اليوم وهو أن يخطب الرجل إلي الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ، فهذا الزواج الشرعي الذي تقره الشريعة الإسلامية ، لأنَّه يحفظ حقوق الزوجين ، كما يحفظ الأنساب ويحترم الزوجة ، ويقدس الحياة الزوجية ؛ إذ جعل الإسلام السكن والمودة والرحمة أسسًا وأركانًا

---

[1] – العمري ، د. أكرم . المجتمع المدني الأسس والتنظيمات . مرجع سابق . ص130، 131.

[2] – مطبقاني ، د. مازن مطبقاني . مرجع سابق . ص 249.

[3] – نكاح الاستبضاع : هو أن يقول الرجل لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلي فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، وذلك رغبة في نجابة الولد .

[4] – نكاح الرهط مادون العشرة فيدخلون علي المرأة كلهم يصيبها ، فإذا ماحملت تختار من تريد منهم أبًا لولدها ، ولا يمتنع عن ذلك .

[5] – نكاح البغايا : مثل نكاح الرهط إلا أنهم هم يختارون الأب وليس الأم .

[6] – نكاح البدل : هو أن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي .

[7] – نكاح الخدن : كانوا يقولون ما استتر فلا بأس به، وما ظهر فهو لؤم وقد نهى القرآن عنه بقوله تعالى في سورة النساء (ولامتخذات أخدان })آية 25.

للحياة الزوجية (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1]، كما منح الإسلام المرأة حق الزواج بعد وفاة زوجها ، أو بعد الطلاق بمن تشاء بعدما كانت في الجاهلية عرضة غبن ، وتؤكل حقوقها وتحرم إرثها ، وتفضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجًا ترضاه .[2]

3.مسؤولية الدولة الإسلامية الأولى مسئولية كاملة عن مواطنيها كافة

بعد أن انصهرت القبيلة والعصبية في بوتقة الأمة الإسلامية الجديدة ، وتسامى أعضاؤها عن اتخاذ مبدأ العصبية مقررًا وحدة العلاقات فيما بينهم . ونظرًا لكون الحدود على الجرائم مصدرها الله تعالى لذلك ، فإنَّ السعي إلى تطبيقها واجب ديني على المؤمنين ، ممَّا يكسب الأحكام قدسية ويعطيها قوة كبيرة ، ويمنع ما ينشأ في نفوس بعض الناس من الرغبة في تحديها والخروج عليها ،كما يحدث في ظل القوانين الوضعية فالبند رقم "13"يعتمد على المؤمنين في الأخذ على يد البغاة والمعتدين والمفسدين والمرتشين ، ومعنى "دسعية ظلم" أي طلب عطية من دون حق ، وتخصيص المتقين بتحمل المسئولية ، لأنَّهم أحرص من سواهم على تنفيذ الشرعية لكمال إيمانهم ، ولأنَّ من اتصف بأصل الإيمان قد يرتكب الحرام فيبغى ويخالف الحدود فيمنع من ذلك.

أمَّا البند رقم"21" فنصه "ومن اعتبط مؤمنًا قتلًا من بينه فإنَّه قود به" أي أنَّ من قتل بلا جناية كانت منه ، ولا جريرة توجب قتله فإنَّ القاتل يقاد به ولا يقتل إلاَّ إذا اختار أهل القتيل أخذ الدية بدل القصاص ، أو وقع

---

[1] – الروم : 21.

[2] – الندوي، د . محمد لقمان الأعظمي . مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ص 274– 275. القاهرة . الدار الذهبية .

منهم العفو ، وسواء اختار أهله القتل، أو الدية فإنَّ المؤمنين كافة – بضمنهم أهل القاتل – يتعاونون في تطبيق الحكم عليه وعدم حمايته مهما بلغت درجة قرباته لهم ؛ إذ "لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه ، وإن من نصره أو آواه ،فإنَّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل " أي لا تقبل توبته ، ولا يقبل منه فدية لذلك.[1]

4. إقرار مبدأ الجوار

وقد أشارت إلى هذا في النصوص التالية :

- بند رقم "15 "إنّ ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأنَّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ."

فهذا البند أقر مبدأ الجوار الذي كان معروف قبل الإسلام ، وجعل من حق كل مسلم أن يجير، وأن لا يخفر جواره ، كما منح الإسلام المرأة حق الإجارة فتقبل إجارتها وتحترم ، ولا يجوز أن تحفر من أي كان ، قال صلى الله عليه وسلم "إنَّ ذمة المسلمين واحدة ، فمن خفر ذمة مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" رواه مسلم ، وأخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز، أي يقبل ويحترم فعلها. فلا تخفر أحد ، وبالفعل ففي يوم فتح مكة أجارت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رجلًا فأراد علي رضي الله عنه قتل ذاك الرجل ، فذهبت أم هانئ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له: يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنَّه قاتل رجلًا قد أجرته ،

[1] – العمري ، د. أكرم . مرجع سابق . 132– 133.

وسمت الرجل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء) رواه البخاري ومسلم.

كما أوجبت الصحيفة حفظ الجار كالنفس تمامًا من الضرر والآثام ، كما جاء في البند"40 "وإنَّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم"، إلا أنَّ البند رقم21 يمنع من بقي على الشرك من الأوس والخزرج من إجارة قريش وتجارتها ، أو الوقوف أمام تصدي المسلمين لها فكان النبي صلى الله عليه وسلم متبعاً سياسة التعرض لتجارة قريش ، فكان على المسلمين من الأوس والخزرج إلزام عشائرهم بتطبيق هذه المادة بالنسبة للمشركين ، كما أنَّ الصحيفة أخذت ذات التعهد على اليهود أيضًا[1] .

5 .المساواة في الخروج في السرايا والمعارك وعبء القتال

قرر البند رقم"17" أنَّ سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلاَّ على سواء وعدل بينهم ، فمسؤولية إعلان الحرب والسلم ليست على الأفراد، فهذه قرارات من الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره يمثل السلطة العليا ، لأنَّ قرار كهذا مرتبط بالسياسة العامة للدولة ، وليس لفرد أيًا كان إعلان حرب أو مهادنة ، فإذا ما أعلن القائد الأعلى الحرب ، فعلى سائر المؤمنين أن يصبحوا في حالة حرب بجميع عشائرهم ، فهي فرض على الجميع ، وهم يتناوبون الخروج في الغزوات والسرايا كما نصت المادة رقم 18، " وإنَّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضًا.[2]

---

[1] – العمري، د. أكرم . مرجع سابق . 132– 133.

[2] – المرجع السابق ، 132– 133.

6. منع الظلم وعدم إقراره

وهذا نجده في البنود التالية :

- مادة " 13"وأنَّ المؤمنين المتقين " أيديهم على كل من بغي منهم ، أو ابتغى دسعيه ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأنَّ أيديهم عليه جميعًاولو كان والد أحد منهم ."

- مادة"15"وإنَّ ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأنَّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

-مادة"16 "إنَّه من تبعنا من يهود ، فإنَّ له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين" ، فهذه المادة تنص على حُسن معاملة اليهود المحالفين للمسلمينر؛ إذ ينبغي معاملتهم بالمعروف والعدل وعدم التحريض عليهم وإيذائهم.

كما نجد أنَّ هذا النص ذكر "يهود" ، ولم يذكر "اليهود" ، ويهود نسبة إلى يهوذا ابن يعقوب ، أمَّا اليهود فهي نسبة إلى الديانة اليهودية ، فهذا النص يشمل جميع القبائل اليهودية في المدينة التي أبرم معها هذا العهد، بما فيهم قبائل بني القينقاع وبني النضير وبني قريظة إضافة إلى ذكر اليهود ومنسوبين إلى العشائر المحالفة لهم والمتهودين منهم ، التي ورد ذكرها في البنود26 - 33 .

وما دمنا بصدد العشائر العربية المحالفة لليهود ، فهناك تساولات طرحها وات حول الأوس وتساؤلاته هي :

- لماذا يذكر اليهود بني الأوس مرتين؟ وهل بنو الأوس هؤلاء بنوا الأوس في البند "30 "وفق تقسيمه ،هم نفس بني الأول في البند"10 ".

نلاحظ من تساؤلاته أنَّه أخطأ في الفهم أو تظاهر بعدم الفهم لإثارة الجدل والشكوك ، لأنَّه لم يذكر يهود بني الأوس سوى مرة واحدة وهي في

البند"30 " أنَّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف" ، أمَّا البند " "11فذكر بني الأوس ومعاقلهم "وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

أمَّا عما جاء في البند " 46" ، وإنَّ يهود الأوس مواليهم أنفسهم على مثل ما لأهل الصحيفة ."...

-بنو الأوس الوارد ذكرهم في البند" 11" هم بطن من بطون الأوس ، ويهود بني الأوس هم الذين تهودوا من هذه البطن ، أو اليهود المحالفين لهم، أمَّا يهود الأوس في البند " 46 " فيقصد بها القبائل اليهودية حليفة الأوس.

فهناك فرق بين يهود بني الأوس ، أي المتهودون من أحد بطون الأوس، لذا جاء النص ب " بني الأوس ."

أمَّا يهود الأوس فهم القبائل اليهودية حليفة الأوس " قبيلة الأوس وليست بطنًا من البطون .

7. اعتبار مشركي المدينة ويهودها من مواطني الدولة الإسلامية

ومن ثم أصبح عنصر الإقليم "المدينة" هو الذي يعطي الحق في المواطنة ، أي في عضوية المجتمع الجديد، بعد أن كان هذا الحق يقوم بين القبائل علي أساس صلتها أو انحدارها من أصل مشترك ، كما كان في الجاهلية ، وهذا ما نص عليه البند"20" بأنَّه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولانفساً ولايحول دونه على مؤمن "وأيضًا البند"5 "أنَّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلاَّ من ظلم أو أثم ، فإنَّه لا يوتغ إلاَّ نفسه وأهل بيته .[1]

[1] – العربي ، د . محمد ممدوح . مصدر سابق . ص 172–173.

من هذه النصوص نلمس بوضوح أنَّ الشعب في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم يتكون من المؤمنين والمشركين واليهود ، ولم يكن قاصرًا على المؤمنين فقط، وهؤلاء جميعًا لهم حقوق وواجبات واحدة التزموا بها جميعًا

كما نجدها أعطت الحرية الدينية لليهود فلهم دينهم وللمسلمين دينهم "إلاَّ أنَّ المجرم منهم ينال عقابه وعلى اليهود أيضًا أن ينفقوا مع المؤمنين ماداموا محاربين "البند38 "، وأنّ إنفاقهم يقتصر على الحرب الدفاعية عن المدينة ، ويوضح هذا البند رقم"44" إنَّ بينهم النصر على من دهم يثرب [1].

8. جواز الانضمام إلى المعاهدة

وهنا نرى هذه الصحيفة تنفرد بهذا المبدأ ، فهي بحق تعد أول صحيفة "وثيقة" في التاريخ تقرر مبدأ جواز انضمام أطراف جديدة إلى المعاهدة بعد توقيعها ، فقد نص البند منها على أنَّ نصوص هذه الصحيفة منطبقة على أطرافها الأصلية ، ومن تبعهم فهي تقول: هذا كتاب من محمد النبي "رسول الله" بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، و"أهل يثرب" ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم" ، وكذلك ما جاء في البند"16 "، وإنَّه من تبعنا من يهود فإنَّ له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم [2].

9.تنظيم حق الأخذ بالثأر تفاديًا للحرب في المجتمع الإسلامي الجديد

وذلك بتحويل مبدأ القصاص والعقاب من الفرد إلى يد الجماعة ، وأصبح تفويض الجماعة في حق التأديب بدلًا من الفرد ، وهذا انتقال

---

[1] – العمري، د. أكرم . مرجع سابق . ص 126.

[2] – العربي . د. محمد ممدوح . مرجع سابق . ص 174.

حاسم له دلالته في المجتمع الإسلامي الجديد ، حيث انتقلت العقوبة على المستوى الفردي في المجتمع الجاهلي إلى العقوبة على المستوى الجماعي المتمثل في دولة المدينة الإسلامية الأولى ، وهذا ما يوضحه البند"13 "، وإنَّه من اعتبط مؤمنًا قتلًا عن بينة ، فإنَّه قود به إلاَّ أن يرضى ولي المقتول بالعقل [1]، وإنَّ المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم ولا القيام.

كما نجد البند "14" يخرج الاعتداء على المشرك من دائرة المطالبة بالثأر، وأصبحت هذه المسألة في هذه الحالة مجرد إجازة بقتل أعداء المجتمع الإسلامي الجديد ، وهي التي تنص على الآتي "ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في فرد ولا ينصر كافرًا على مؤمن" لأنَّ دين الدولة الجديد هو الإسلام ، وهو التعايش مع أهل الكفر، فدارهم دار حرب إلّا أن يدخلوا في الإسلام ويستثنى من هذا أهل الذمة من اليهود والنصارى ، أي من أصحاب الكتب السماوية فهم يدفعون الجزية عن يدهم ، وهم صاغرون وتكفل لهم حرية العبادة ويعاملون معاملة المسلمين في الحقوق والواجبات[2] ، ونجد "البند 36ب " يحول أيضاً الثأر في الجروح إلى الجماعة "وإنَّه لا يحجز على ثأر جرح ، وإنَّه من فتك بنفسه وأهل بيته إلاَّ من ظلم ، وإنَّ الله على قد أمر بهذا ."

10. تحديد مبدأ جديد هو أنَّ العقوبة لمرتكبها فقط

ويوضح هذا نص " البند37 ب " ، وإنَّه لم يأثم أمرؤ بحليفه، وأنَّ النصر للمظلوم ."

---

[1] – العقل : الدية.

[2] – العربي ، محمد . مرجع سابق . ص174–175.

11. عدم إبرام صلح منفرد مع الأعداء

وأكده البند "17 " ، وإنَّ سلم المؤمنين واحدة، لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلاَّ على سواء وعدل بينهم ." هذا يعني إلزام المسلمين التضامن والجماعية في حالتي الحرب والسلم .[1]

12.منع وإيواء المجرمين

فقد نص البند"22" ، وأنَّه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا أو يؤويه ، وأنَّ من نصره أو آواه فإنَّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخد منه صرف ولاعدل."

13.تنظيم عملية دفع نفقات الحرب على جميع مواطني الدولة

كما نظمت الصحيفة عملية دفع نفقات الحرب لجميع مواطني المدينة من مؤمنين ويهود فلابد من إسهامهم في نفقات هذه الحروب ماداموا فيها محاربين ، وهذا ما أكده البند " 24 "إلاَّ أنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

14. تحريم المدينة

وهذا أمر له أهميته السياسية ، فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم معالم المدينة وحدودهاوجعل لها حرمة ، بأن جعل لها مواضع معروفة محددة فجاء في البند "39 " "إنَّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة."

وبهذا النص تحدد أول حدود لدولة المدينة الإسلامية الأولى.[1]

---

[1] – المرجع السابق . ص175.

رئيس الدولة هو محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأكدته نصوص البند1 و23و24 ؛ إذ جاء في البند"1" هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم."

فالاتفاق إذن بين النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره رئيسًا للدولة وبين أهل يثرب من مهاجرين وأنصار ومشركين ويهود .

ونص البند "23 " وأنَّكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإنَّ مرده إلى الله ، وإلى محمد ."

وأيضًا البند "42" إنَّه كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإنَّ مرده إلى الله ، وإلى محمد رسول الله ، وأنَّ لله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبر ."

وبذلك أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ السلطة السياسية أصبحت في يده إلى جانب سلطته الدينية ، وهذا تطبيقًا لروح الإسلام ومبادئه ، حيث أن الحاكم المسلم رأس الجماعة الإسلامية يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية ، فالسلطة الدينية لابد منها بتطبيق أحكام الشرع ، لأنَّ دستور الدولة الإسلامية القرآن الكريم الذي من عند الله ، وسُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي موحاة من عند الله .

وما زعمه المستشرقون وليم موير، ومرجليوث ومونتجمري وات ، وبرنارد لويس أنَّ الحكومة الإسلامية حكومة دينية استبدادية فردية ، زعم باطل لا يستند على شئ من الواقع ؛ إذ فيه مغالطات كبرى "لا يتفق مع حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا مع الحكومات الإسلامية التي أعقبته. فالحكم الديني "ثيورقراطي" يعني حكم رجال الدين ، ويطلق عليه

---

[1] – المرجع السابق . ص 177.

"الحكومة الدينية" حتى ولو لم تحكم بدين سماوي ، وإذا ترد سلطتها السياسية إلى قوة فوق البشر ، وتعتبر إرادتهم هي إرادة الله فجميع نظرياتها ترى الدولة هي من خلف ، وإنَّ السلطة في الدولة هي سلطة الله ،وبذلك فإنَّ الدولة ليست مؤسسة سياسية إنسانية ، وإنَّما هي من أنظمة قانون الطبيعة .

وعند تتبعنا لتاريخ هذا النوع من الحكومات نجد أنَّ نظريات هذه الدولة كانت تعتبر الحاكم في بادئ الأمر – من طبيعة إلهية، إله على الأرض ، كما في الهند القديمة، والصين وفارس ، ومصر الفرعونية في عهد الأسرات ، ففي عهد الأسرتين الرابعة والخامسة نجد أنَّ فرعون كان يلقب بلقب "رع" أي الإله ، بينما في الأسرات السابقة نجدهم اكتفوا باعتباره إبنًا للإله. وبهذا نجد أنَّ وضع الحاكم كأمر جعل سلطانه مقدسًا فوق كل مناقشة، أو نقد بشري؛ إذ أنَّه لا يجوز للبشر أن يناقشوا الإله ، ذلك كان سلطان الحكام في تلك الفترة سلطانًا مطلقاً لا حد له ، وكانت أوامرهم لا ترد ، ومن هنا ظهر نظام الحكم الأوتوقراطي " الفردي المستبد ."

ولو قارنا هذا بحكومة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أنَّه لا مجال البتة للمقارنة، فالرسول صلى الله عليه وسلم ، فهي عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فبالغت في إطرائه حتى ألهَّته وجعلته ابنًا لله (تعالى الله عمّا يصِفون)، فقد جاء في الحديث " ألا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم"

وقد أكدَّ القرآن في أكثر من موضع على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم يقول تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [1]،[1]

[1] – الكهف : 110.

ويقول تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ *كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[2] وقوله تعالى في سورة الزمر { إنَّك ميت وإنَّهم ميتون }[3]، فالرسول صلى الله عليه وسلم يوحى إليه أي أنَّه يختلف عن سائر البشر بأنَّه نبي يوحى إليه اختاره الله ليبلغ رسالته .

أمَّا قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بمقاليد الحكم، فهذا بتفويض من الله عز وجل وتبينه الآيات الكريمات (إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ) [4] (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [5]

وقوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[6] وقال جل شأنه : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمً)[7]

وأمر الله جل شأنه رسوله الكريم أن يحكم بينهم بما أنزل الله يقول تعالى في سورة المائدة (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا

---

[1] – فصلت : 6.

[2] – الأنبياء : 34-35.

[3] – الزمر : 30.

[4] – فاطر : 24.

[5] – النساء : 65.

[6] –النساء : 59.

[7] – النساء : 64.

رَّحِيمًا)[1] ، ثُمَّ أكد على هذا المعنى في الآية التي تلتها يقول تعالى : (وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ)[2]...ثم نفى أنّ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم هو حكم الجاهلية ، فقال جل شأنه أنّ الآية التي بعدها (أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[3]، ففي هذه الآيات رد كافٍ على مزاعم برنارد لويس أنَّ عمل الرسول صلى الله عليه وسلم مشابه لعمل شيخ القبيلة، وأنَّ الصحيفة حفظت بالأحكام السارية في الجاهلية في الملكية والزواج والصلات بين أفراد القبيلة الواحدة.

أمَّا القول بأنَّ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم حُكم استبدادي فردي، فهذا منطبق مع النظام السياسي الإسلامي القائم على الشورى والالتزام برأي الجماعة وفي القرآن الكريم سورة اسمها "الشورى" وجاء فيها قوله تعالى : (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[4]

وقال تعالى : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[5]، لأنَّه أطيب لأنفس القوم إذا شاروا بعضهم بعضًا، وليستنوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليحتذوا به ؛ إذ يشاورهم مع أنَّه يوحى إليه أي مع المنزلة التي هو بها

---

[1] – المائدة : 48.

[2] – المائدة : 49.

[3] – المائدة : 50.

[4] – الشورى : 38.

[5] – آل عمران : 159.

من عند الله[1]، ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع مبدأ الشورى مع المسلمين ؛ إذ كان يشاورهم في كثير من الأمور مثل مشاورتهم في أمر أسري بدر ، وفي نزوله على رأي الشباب في أحد ، وبأخذه برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق ، وبأخذه برأي أم سلمة رضي الله عنها في الحديبية ، والأمثلة كثيرة لا حصر لها على اتباعه صلى الله عليه وسلم مبدأ الشورى والتزامه به ، كما أنَّه لم يترك نصًا مكتوبًا ولم يعين أحد لتولي إمامة المسلمين [2]، وذلك ليجعل أمر اختيار الحاكم شوريًا لأنَّه لو وجد من يخلفه لاسْتَنَّ الناس بسنة ، ولكنه لم يفرض على أحد من يراه صالحًا لحكم وهو نبي الله (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[3]

وهكذا نجد أنَّ الشورى من الأصول الأولى للنظام السياسي في الإسلام ، وفي هذا سبق المسلمون كل النظم الديمقراطية الحديثة في الاعتراف بضرورة موافقة الجماعة على اختيار من يقوم على رعاية مصالحها ، ومن يوكل إليه تدبير أمورها ، وهنا تظهر قيمة وفاعلية الإجماع[4] ، وقد شهد بهذا المستشرق الفرنسي موريس لومبار[5] ؛ إذ يقول "إنَّ اتجاه الرسالة

---

[1] – تفسير الطبري . مصدر سابق. 496/3 . باختصار وتصرف.

[2] – النبراوي ، د . فتحية. (1991) تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ص 38 .ط 5. دار الفكر العربي . القاهرة .

[3] – الأحزاب : 41.

[4] – النبراوي ، د. فتحية . مرجع سابق . ص 37.

[5] ـ كان أستاذًا محاضرًا في مدرسة الدراسات العليا "السربون" وكتابه عن الإسلام في مجده الأول، هو عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها في مدرسة المعلمين العليا خلال الفترة– 1975 1960م ، وقد جمعها بعض زملائه بعد وفاته وعلى رأسهم المؤرخ بردويل ، والأستاذ أندري ميجويل الاستاذ بالكوليج فرانس ، وقد نشر الكتاب سنة1971 ، بعد وفاة موريس من مقدمة

الإسلامية نحو الديمقراطية وابتعادها عن النظرة الوطنية الضيقة، كان يستجيب للحركات الثورية الاجتماعية والدينية في البلاد المفتوحة[1] .

فالحكم الإسلامي لم يكن قط حكمًا استبداديًا ثيروقراطيًا أو أوتوقراطيًا ، وإنّما هو حكم قائم على الشورى ويجمع بين السلطتين الدينية والزمنية لأّن الإسلام دين ودولة ؛ إذ نظم حياة الأفراد والجماعات في الدنيا في إطار الحفاظ على القيم والمبادئ وحقوق الآخرين مع الحفاظ على إنسانية الإنسان. وعلى ماله عرضه ودمه وتحقيق التكافل الاجتماعي وفق ما شرعه الخالق جل شأنه وسُنَّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بحيث لا يخسر هؤلاء الأفراد والجماعات آخرتهم ، كما جاء في الحديث الشريف ، " إنَّ هذا الدين يُسر ، و لن يُشَادّ هذا الدِّين أحد إلاَّ غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ... " [2] ، فهذا التوازن بين الحياتين الدنيوية والأخروية يتميز بهما الإسلام دون سائر الأديان ، لأنَّ نظرته للإنسان قائمة على أنَّه مادة وروح فوازن الإسلام بين متطلبات المادة "الجسد" والروح بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، فالله جل شأنه يقول:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ *وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) [3]، وقال جل شأنه : (وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا) [4]، فهذه الآيات توضح لنا كيف تم التوازن بين المادة والروح، فعلى الإنسان أن لا يُحرِّم على

المترجم إسماعيل العربي – مترجم كتاب الإسلام في مجده الأول ص6 ط3 ، 1411هـ / 1990م " دار الآفاق الجديدة – المغرب .

[1] – الإسلام في مجده الأول ترجمة إسماعيل العربي ،مرجع سبق ذكره ، ص 12.

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

[3] – المائدة : 87– 88.

[4] – القصص : 77.

نفسه طيبات ما أحل الله ، ولكن لا يعتدي فالله لا يحب المعتدين ، ويأكل ممَّا رزقه الله حلالًا طيبًا ويتقي الله ، فهنا تذكير بحقوق الآخرين ، وبتقوى الله أثناء تمتع الإنسان بما أحل الله له من الطيبات.

الإنسان في الإسلام مكلف بأمانة الاستخلاف (﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[1]، وبأنَّه مكلف فله عقل يميز بين الخير والشر (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)[2] (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[3]

فإن ارتكب محرّمًا عوقب على قدر جريمته (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[4] ، ومن هذا المنطلق كان القصاص والحدود والعقوبات في الإسلام ، فتطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم لأحكام شرع الله من يخالفها تقويم للنفس البشرية ، وحفاظًا للأموال والأعراض والأنفس ، فالدولة الحديثة لم تضع قوانينًا ودساتير تحكم بها؟ "دستور الإسلام القرآن الكريم ، لأنَّه منزل من عند الله ، والحكم بما أنزل الله هو الحكم الحق ، لأنَّ الله أعلم بخلقه ، وبما يصلح لهم . فالإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤون البشر إلا وبحثها ووجد الحل الأمثل لها، لذا فإنَّه ترك باب الاجتهاد مفتوحًا لبحث ما يستجد على الحياة البشرية بالقياس على ما جاء في شرع الله .

---

[1] – البقرة : 30.

[2] – الشمس : 7–8.

[3] – البلد : 10.

[4] – المائدة : 45.

ومن هنا كان الإسلام دين ودولة يصلح لكل زمان ومكان. فليس هناك امتياز ديني مطلق كما يفهمه الغرب من عبارة حكومة دينية ، وإنَّما الإسلام للدين والدنيا ولا انفصال بينهما [1].

فلقد أسقط موير ومرجليوث وأرنولد ووات ولويس النظام السائد في أوروبا في العصور الوسطى على النظام الإسلامي ؛ إذ كانت الحكومة في العصور الوسطى في أوروبا حكومة ثيروقراطية بعدما طورت الكنيسة سلطتها كحكومة كهنوتية قوية وظهر الأساقفة "رعاة شعب المسيح" كرجال لا يتمعون بسلطة دينية وإدارية أيضًا ، ومارسوا سيطرة مطلقة على رعيتهم ، وكان القساوسة يساعدونهم ، وكان الاعتقاد السائد أنَّ القساوسة يستمدون سلطتهم من الرسل ، واعترف المسيحيون الشرقيون بزعامة كبار الأساقفة في المدن الكبرى في شرق الإمبراطورية وهي الإسكندرية ، وإنطاكية والقسطنطينية ، وحمّل هؤلاء لقب بطريرك وعلى نحو مماثل كان أسقف روما أو البابا يتمتع بسلطة لا تقبل التحدي[2] ، لقد بلغت في القرن الحادي عشر درجة خطيرة من القوة واتساع النفوذ مما فتح أمامها آفاقًا واسعة لتجعل سلطاتها عالمية ، بمعنى أن يكون البابا – بوصفه خليفة المسيح والقديس بطرس – الزعيم الروحي لجميع المسيحيين في الشرق والغرب .

فهذا الإسقاط في محله لأنَّه شتان بين حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم وحكومة الباباوات في العصور الوسطى الذين أعطوا لأنفسهم الغفران أو الحرمان ، وباعوا صكوكًا سموها صكوك الغفران ، وفرضوا على الناس طاعتهم طاعة مطلقة.. فالبابا كاهن كأي كاهن آخر يقوم بالمعجزة اليومية

---

[1] – مطبقاني د. مازن . مرجع سابق . ص 246.

[2] – كانتور ، نورمان .العصور الوسطي الباكرة ص 58، 61 بتصرف واختصار ترجمة وتعليق د . قاسم عبده قاسم " عين للبحوث والدراسات الإنسانية – القاهرة .

أمام الجمهور ، وله أن يغفر عنه الخطيئة ، وهناك بعض الخطايا تركت لتقديره، وهو وحده يستطيع أن يغفرها[1] .

ثالثًا: الرد على مزاعم مونتجمري وات حول نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني عوف

لقد زعم وات أنهَّ كان في المدينة من له نفوذ أعظم من نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنّه تساءل حول يهود بني عوف عمَّا إذا كان قد أعطاهم مكانه خاصة في الصحيفة ، لأنَّ عبد الله بن أبي كان في الماضي قد استطاع الحصول على شروط مناسبة؟.

لا شك أنَّ مونتجمري وات يقصد بقوله هذا زعامة عبد الله بن أبي للأوس والخزرج قبل قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ووساطته في تخفيف الحكم على بني قينقاع.

وهذه المزاعم باطلة ، لأنَّه لم يكن في المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نفوذ أعظم من نفوذه عليه الصلاة والسلام ، وإلاَّ لما ألزم سكان المدينة من مهاجرين وأنصار ومشركين ويهود والإلتزام ببنود الصحيفة ، ولمَّا عقد معهم كتابًا حدد فيه علاقات بعضهم ببعض عند مقدمه المدينة ، وأعلن فيه أنَّ بيده السلطة السياسية ، ولو كان في المدينة من أعظم نفوذًا منه لما كان تسيير الجيوش والخروج للغزوات لمحاربة اليهود ومشركي مكة بأمر منه ، ولمَّا تم صلح الحديبية على يديه ، ولو كان عبد الله بن أبي يتمتع بأي نفوذ لما تخلى عن يهود بني النضير الذين شجعهم على الثبات على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كتب

---

[1] – عاشور ، د . سعيد عبدالفتاح. (1966م) الحركة الصليبية 29/1 . ط ٤ . مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة .

ليهود بني النضير "أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم" ، ولكنه هو ورهطه لم يفعلوا ذلك.

فعبد الله بن أُبَي كان قد انتخب زعيم للأوس والخزرج قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يتسلم مقاليد الزعامة ، ويمارسها لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم، فحقد على الرسول الكريم وعلى الإسلام فأظهر الإسلام، وأبطن الكفر، وكان زعيمًا للمنافقين في المدينة ، فأحبه اليهود وبكوا على وفاته ، وهو زحبهم وحزن على طردهم ، والمنافقون لم يكن له أي نفوذ وسلطان في المدينة،بل كانوا منبوذين ؛ إذ كشفهم القرآن الكريم وطردهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنَّ سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت زمنية ودينية، فقال: كان النبي في الوقت نفسه رئيسًا للدولة ورئيسًا للدين ، وكانت في قبضته الإدارة الرئيسية للنظام السياسي ، فكان يستقبل السفراء الذين كانوا ينلقون إليه خضوع مختلف القبائل ، وكان يعيّن الموظفين لجمع الضرائب والرسوم ، وكان يمارس سلطة رفيعة في القضايا العسكرية ، وفي إرسال الحملات العسكرية ، فكان في الوقت نفسه المشرع الأعلى [1]، ولم يكن يذيع القوانين التشريعية فحسب بل وكان يجلس للمحاكمة ويقضي في الدعاوى [2].

أمَّا عن تساؤلاته حول يهود بني عوف بإعطائهم مكانة خاصة ، وربط ذلك بتخفيف الحكم عن بني القينقاع لوساطة عبد الله بن أبي ، فهذه

---

[1] – المشرع الأعلى هو الله جل شأنه وكأني به يلمح بأنَّ القرآن الكريم ليس من عند الله ، وإنَّه من عند النبي صلى الله عليه وسلم .

[2] – أرنولد ، توماس . (19456م) الخلافة . ترجمة جميل معلى . ص 105 . دار اليقظة العربية للتأليف والنشر .

فرضيات افترضها وات لا تنتمي إلى الحقيقة لأنَّ الصحيفة أبرمت قبل إجلاء بني القينقاع ؛ إذ كان إجلاؤهم لمخالفتهم ما جاء في الصحيفة.

وقوله هذا اعتراف ضمني منه بأنَّ الصحيفة شملت يهود بني قينقاع ، مع أنَّه أعلن أنَّ يهود بني قينقاع والنضير وقريظة لم يدخلوا في هذه الصحيفة ؛ إذ أنَّها أبرمت بعد إزالة بني قريظة .

وهذا يبين لنا كيف سخّر "وات" الأحداث وفق أهوائه ؛ إذ استغل استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لوساطة عبد الله بن أبي ، لأنَّه من بني عوف، وذكر يهود بني عوف قبل يهود العشائر الأخرى ، فأعطى أهمية خاصة ليهود بني عوف ، وبني ذلك على وساطة ابن أبي ، ونحن لو تأملنا الصحيفة نجد أنَّه ورد ذكر بني عوف قبل البطون والعشائر الأخرى ، وذلك تكريمًا لهم لأنَّ منهم عبادة بن الصامت أحد النقباء الإثني عشر في بيعة العقبة الأولى ، ومنهم العباس بن عبادة بن فضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ، وكان ممن خرج إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها، فكان يقال له مهاجري أنصاري، وقتل يوم أُحد شهيدًا [1]، ومنهم أيضًا عقبة بن وهب، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرًا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له: مهاجري أنصاري ، وشهد بدرًا ، ولم يهاجر من المدينة إلى مكة من الخزرج ، والأوس إلاَّ من بني عوف ، وهؤلاء وغيرهم من بني عوف كانوا ممن بايعوا في العقبة الثانية ، فنجد أنَّ من بني عوف كان من له الفضل في السبق إلى الإسلام والهجرة من أجل الإسلام ، وكان عدد كبير منهم ممن بايع في العقبتين ، ففضَّل السبق إلى الإسلام لا يعادله فضل ، ولذا كان فضل المهاجرين على الأنصار، والأنصار يفضل بعضهم على بعض

[1] – ابن هشام . السيرة . 464/2.

بالسبق إلى الإسلام ؛ لذا كان لبني عوف هذا التكريم في الصحيفة ، فجاء ذكرهم بعد المهاجرين من قريش وذكر باقي البطون بعدهم ، ثم ذكر يهود بني عوف وذكر أنَّ ليهود البطون الأخرى ما ليهود بني عوف.

أمَّا عبد الله بن أبي فقد وبخه الله تعالى على موالاته لليهود ، أنزل فيه قوله تعالى : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ)[1]

يعني عبد الله بن أبي لقوله : أخشى الدوائر والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقبل شفاعته في بني قينقاع لمكانته ، وإنَّما لكثرة الحاجة ، فقد روى ابن إسحاق ما حدث في هذه الرواية حين مكَّن الله الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود بني قينقاع ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول فقال: "يا محمد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا محمد أحسن ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخل يده في جيب درع[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلني "أي اتركني" وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُلَلًا[3] ، ثم قال: ويحك أرسلني قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربع مائة حاسر ، وثلاث مئة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في

---

[1] – المائدة : 52.

[2] – جيب الدرع : فتحة القميص.

[3] – الظلل جمع ظلة، وهي السحابة في الأصل، فاستعارها هنا لتغير الوجه إلى السواد إذ اشتد غضبه .

غداة واحدة ، إنّي والله أمرؤ أخشى الدوائر: قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك[1] .

الرد على مقولة برنارد لويس إنَّ الصحيفة ليست معاهدة بالمعنى الأوروبي

من المتعارف عليه أنَّ المعاهدات تعقد بين طرفين أو أكثر، والمعاهدات بالمعنى الأوروبي الحديث تعود إلى تاريخ اليونان والرومان عندما كانت تعقد الأحلاف بين طرفين أحدهما قوي ليملي إرادته وسيطرته على الطرف الأضعف .[2]

أمَّا الصحيفة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين المهاجرين والأنصار واليهود "سكان المدينة" ، فقد أراد بها أنَّ ينظم العلاقات بينهم ويحدد مسؤوليتهم والتزاماتهم ، بحيث تكون أمة واحدة من المسلمين "مهاجرين وأنصار" ويأمن جانب اليهود مع إعطائهم الحرية الدينية والحرية الشخصية دون التآمر على الأمة الإسلامية ، بل يتعاونون مع المسلمين في حماية المدينة من أي عدوان خارجي ، فلابد أن تخضع هذه الفئات لدستور تلتزم به ولا تخرج عنه[3] ، يؤلف بينهم لضمان استقرار الأحوال الداخلية بالمدينة ليتسنى له مواجهة كفار قريش ، ومن هنا مبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في صياغة تصور سياسي كفيلة تأليف كل هذه العناصر مع بعضها البعض ، فكان أول ماعمل هو عقد اتفاق بين المهاجرين والأنصار واليهود ، وأصبح المهاجرون والأنصار يشكلون أمة واحدة ، وكلمة أمة واحدة لم تستعمل دون سبب لأنَّها الكلمة القرآنية التي تصف المجتمع الجديد ، وقد شكَّل هولاء وأولئك مجتمعًا واحدًا ، لأنَّهم كانوا

---

[1] – ابن هشام . السيرة . 48/3.

[2] – مطباقي ، د. مازن . مرجع سابق . ص 247.

[3] –حمّاد ، سامي زين العابدين . مرجع سابق . 143.

جميعً ايؤمنون بالله ورسوله ، وبهذا المعنى يتميز المسلمون عن غيرهم من الطوائف الأخرى الموجودة في المدينة : الوثنيين منهم واليهود[1] .

أمَّا الصحيفة إذن كانت بين عدة أطراف ، ولم تكن بين طرف واحد، وقد أشار إلى هذا المؤرخون والفقهاء، فكما تقدم قد ذكر البلاذري في حديثه عن غزوة بني قينقاع ، وكان سببها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما قدم المدينة كتب بينه وبين يهود يثرب كتابًا وعاهدهم عهدًا.[2] فهذه المعاهدة تعتبر وفق المفهوم السائد الآن معاهدة دفاع مشترك وتعايش سلمي بين سكان المدينة [3].

الرد على ما جاء في الموسوعة الإسلامية الميسرة أنَّ الصحيفة لم تلق اهتمامًا في القرآن الكريم

سبق وأن أوردت الآيات التي نزلت في بني النضير وبني قريظة وعبد الله بن أبي لموالاته بني قينقاع ، وهذه الآيات في سورة الأنفال "55-58"وفي سورة المائدة "آية52 ، وفي سورة الأحزاب 26-27"وسورة الحشر التي سميت بسورة بني النضير، وأشارت إلى نقضهم العهد الذي بينهم وبين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الآيات "3-4"، فهذه الآيات تبين لنا أنَّ المعاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود كان لها ذكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، كل ذلك يدحض المزاعم الواردة في هذه الموسوعة.

---

[1] – أحمد ، د . منظور الدين. (1409 /1988م) النظريات السياسية الإسلامية في العصر الحديث. ترجمة د . عبد الجواد خلف . د . عبدالمعطي أمين قلعجي. ص 78،79 باختصار. ط1. جامعة الدراسات الإسلامية. كراتشي. باكستان.

[2] – البلاذري . مرجع سابق . ص 26.

[3] – العقيلي ، د. محمد أرشيد . اليهود في الجزيرة العربية .

الفصل الخامس

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

أوضاع الأوس والخزرج والمهاجرين قبل المؤاخاة

لقد عانى الأوس والخزرج على مدى مائة وعشرين عامًا ويلات حرب بينهما أثارتها أيد يهودية لإضعافهم حتى يتمكن اليهود من بسط نفوذهم عليهم ، ولم يدرك الأوس والخزرج هذه المؤامرة اليهودية إلاَّ بعد مائة وعشرين عامًا ، فصرخ رجل من الأوس من بُعاث عندما رأى أبناء قبيلته يتعقبون الخزرج عند انكسارهم ليقتلوهم : " يا معشر الأوس أحسنوا ولا تهلكوا إخوانكم ، فجوارهم خير من جوار الثعالب " يقصد اليهود" ، فتركوهم ولم يسلبوهم ، وإنَّما سلبهم قريظة والنضير.[1]

ويقدم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع المهاجرين "من قريش" أصبح سكان المدينة يتكونون من المسلمين " من قريش وأوس وخزرج " ، ومن مشركين ويهود ليضمن عليه الصلاة والسلام تآلف المسلمين فيما بينهم حتى لا يتمكن اليهود من بث الفرقة بينهم ، وبين بعضهم البعض من جهة . وقد حاولوا ذلك ، كما سيمر بنا . وبينهم وبين المهاجرين من جهة أخرى ، فلم يرق لهم تضامن الأوس والخزرج مع المهاجرين حتى لا يقوى الإسلام بتضامنهم.

كما أنَّ وضع المهاجرين النفسي والمالي والاجتماعي يتطلب إيجاد حل لمساعدتهم ، وتأمين سبل العيش لهم ، فقد هاجروا بدينهم ، ولم يحملوا شيئًا من أموالهم، ومنهم من أغنى أغنياء قريش، مثل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي قدّم بثوبه الذي عليه ، حتى عند وصوله عليه الصلاة والسلام قباء طلب إحضار ثوْبيْن أبيضيْن له ولصاحبه أبو

---

[1] – ابن الأثير . الكامل . مصدر سابق. 538/1.

بكر الصديق رضي الله عنه يلبسهما، لأنَّ الثوبيْن اللذيْن قد اتسخا من وعثاء السفر.

مناقب الأنصار

وقد رحَّب الأنصار بإخوانهم المهاجرين، وأعطوهم ما يستطيعونه من فضل، فأعطوهم النخل والأرض ليعملوا فيها بنصف، ومنهم من أعطيت له منحة، واستغنوا عنها عندما فتح الله عليهم خيبر.[1] وقد ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم ما أعطوه من نخل عندما فتحت عليه النضير وقريظة [2]، وقد وصل بالأنصار الإيثار أن قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم " إن شئت فخذ منا منازلنا ، فقال لهم خيرًا ، وابتنى لأصحابه في ارض وهبتها لهم الأنصار في أراض ليست ملكًا لأحد."[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ،قال : " قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال لا . قالوا أفتكفوننا المؤنة ،ونشرككم في الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا تفرد به ."[4]

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : " إنَّ إخوانكم قد تركوا الموال والأولاد ، وخرجوا إليكم ،فقالوا أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول صلى الله عليه وسلم " أو غير ذلك " ،

---

[1] – مسلم . النووي . مصدر سابق . 99/12_ 100. كتاب الجهاد والسير ،باب " الأنصار إلى المهاجرين منائحهم ".

[2] – المصدر السابق . 101/12.

[3] – رزق الله ، د. مهدي . مصدر سابق . ص 301.

[4] – صحيح البخاري . 5/ 39،ابن كثير : البداية والنهاية ،266/3.

قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال " وهم قوم لا يعرفون العمل ،فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر" ، قالوا : نعم ".[1]

هذا ولم يتوانوا في استضافة ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد روى البخاري أنَّ رجلًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم جائعًا ، فلم يجد له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا عند زوجاته ، فطلب من أصحابه استضافته ، فاستضافه أنصاري لم يكن عنده إلاَّ قساء أهله وصبيانه ، فأنام صبيانه ، وقدم طعام أهله إلى ضيفه ، وجلس معه ، فأطفأت المرأة السراج ، وجعلا يريانه كأنَّهما يأكلان ، ولكنهما باتا جائعيْن، وفيهما نزل قوله تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2]، [3]

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

هذه بعض مناقب الأنصار التي تبيّن لنا مدى صدق إيمانهم الذي أوجد فيهم كل هذا الإيثار ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يوجد تشريعًا يحل أوضاع المهاجرين المالية دون أن يشعروا أنَّهم عالة على إخوانهم الأنصار ، فشرع نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في السنة الأولى للهجرة ، وابتداء نظام المؤاخاة ببند العصبية القبلية ، فسمى القريشيين الذين هاجروا إلى المدينة " مهاجرين" ، وسُمي الأوس والخزرج " أنصارًا"، وبذلك صهرهم في بوتقة واحدة ، وهي مناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا قرشيون ولا خزرج ، ولا أوس ، وإنَّما مهاجرون وأنصار.

---

[1] – صحيح البخاري ،وابن كثير ،مصدر سابق : 3/ 266–268.

[2] – الحشر : 9.

[3] – صحيح البخاري . 5/ 42–43.

وكان في مكة قد آخى بين المهاجرين ، فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأعلى بالأدنى، ويستعين الأعلى بالأدنى ، ولهذا كانت مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب، لأنَّه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة، واستمر إلى بعدها ، ولذلك كانت مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة ، لأنَّ زيدًا مولاهم ، فقد ثبت أخوتهما ، وهما من المهاجرين.[1]

ذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين : " أنَّه لمَّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين بعضهم البعض ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بينهم على الحق والمساواة ، ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام ، وكانوا تسعين رجلًا ، خمسة وأربعين من المهاجرين ، وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال كانوا مائة خمسين من كل فريق ، وكان ذلك قبل بدر ، فلما كان يوم بدر ، وأنزل الله تعالى : (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[2] فألغت هذه الآية المؤاخاة في الميراث التي عُمل بها بموجب أحلاف العرب في الجاهلية الواردة في الآية (33) من سورة النساء (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ) ، ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذو رحمة.[3]

هذا وقد روى البخاري عن ابن عباس "كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي الرحم للأخوة التي آخى النبي

---

[1] – ابن هشام . السيرة .505/2.

[2] – الأنفال : 75، والآية 6 من سورة الأحزاب (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ..)

[3] – ابن سعد . الطبقات .1 /238.

صلى الله عليه وسلم بينهم[1] ، ولكن . كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما . أنَّ إلغاء الإرث لم يلغ المؤاخاة ، أمَّا النصر والرفادة والنصيحة فباقية ، ويمكن أن يوصي ببعض الميراث بين المتآخين ، وإلى هذا المعنى ذهب النووي [2]، وما يدل على بقاء واستمرارية المؤاخاة دون الإرث مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسي وابي الدرداء ، لأنَّ سلمان أسلم بين أحد والخندق ، ومؤاخاة معاوية بن أبي سفيان والحتات التميمي ، لأنَّ معاوية من مسلمي الفتح والحتات أسلم عندما جاء في وفد بني تميم في أوائل السنة التاسعة الهجرية ، عام الوفود ، ومؤاخاة جعفر بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ، لأنَّ جعفر قدم من الحبشة والرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ من خيبر لتوه في أول سنة سبع من الهجرة.[3]

---

[1] تفسير ابن كثير ، ورزق الله ، د مهدي . ،مصدر سابق .ص 302.

[2] – صحيح مسلم / النوي.

[3] – رزق الله ، د. مهدي . مصدر سابق . ص305.

موقف المدرسة الاستشراقية الإنجليزية من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

هذا أهم ما أورده القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب السيرة النبوية عن نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ولمستشرقي المدرسة الإنجليزية مواقف من هذا النظام .

موير ونجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في التوفيق بين المهاجرين والأنصار

يرى وليم موير أنَّ مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب سبب لوحدة الأوس والخزرج الذين كانوا في صراع مستمر بينهما ، وقد سمي هؤلاء القوم" أنصار"لنصرهم رسول الله ودعوته حين خذله قومه ، وتمييزًا لهم عن المهاجرين القادمين من مكة ، وقد نجح الرسول في التوفيق بينهما ، وجعلهما إخوة متحابين تشاركوا في السكن والأموال ، ثمَّ يقول موير :" ليست لدينا إحصائيات محدودة عن نسبة السكان المنضمين إلى محمد لأنَّ الخمسة والسبعين شخصًا الذين بايعوا محمدًا في العقبة كانوا ممثلين لمجموعات كبيرة ، وربما وصل عددهم إلى مئات الأشخاص " [1]

ولستُ أدري عن سبب حديثه عن إحصائيات الأنصار المسلمين ، لأنَّ نظام المؤاخاة كان بين المهاجرين وعددهم كما ذكرته المصادر العربية لا يزيد عن خمسين مهاجرًا ، وبين خمسين من الأنصار.

هاملتون جب وكرامرز وتوحيد العناصر المتنافرة

لقد تحدث جب وزميله عن نظام المؤاخاة بقولهما " كان على محمد أن يخلق من هذه العناصر المتنافرة أمة متحدة ، وكانت أوَّل مشكلة يعالجها هي كيف يوفر وسائل العيش الضرورية للمهاجرين وأغلبهم بلا موارد ، أو عمل، وما كان في الإمكان أن يتحقق ذلك، إلاَّ مؤقتًا ، وبطريقة غير وافية

---

[1] – Muir, the life Of Mohammad vol 2.p.180

جداً بالتأكيد ، ولدعم حقوقهم في الحماية أمر بإنشاء علاقة المؤاخاة بين مهاجر ورجل من المدينة، هذا الترتيب الذي أضيفت إليه المؤاخاة بين اثنيْن من المهاجرين ألغته بعد غزوة بدر سورة الأحزاب الآية (51)[1]، ولم يخلف سوى آثار قليلة.[2] فهذه الآية ، وآية (75) من سورة الأنفال لم تلغ نظام المؤاخاة ، ولكنَّها نسخت توريث الأنصار للمهاجرين ، كما جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى : (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) كما في حكم الله من المؤمنين والمهاجرين ، أي القرابات أولى بالتوريث من المهاجرين والنصار ، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم ، كما قال ابن عباس وغيره " كان المهاجري يرث النصاري دون قراباته ، وذوي رحمة للأخوة التي آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، قال : أنزل الله عزَّ وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار : (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) ، وذلك أنا معشر قريش لمَّا قدمنا المدينة ، ولا أموال لنا ، فوجدنا النصار نِعم الأخوان فواخيناهم وأورثناهم ،فآخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ،وآخى عمر رضي الله عنه فلانًا ، آخى عثمان رضي الله عنه رجلًا من بني

---

[1] – هذا خطأ وقع فيه جب وزميله ،فالآية 51 من سورة الأحزاب {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا} لا تتفق مع ما قالا ، فهي عن النساء اللواتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله وسلم ، ولا علاقة لها بالمؤاخاة ، والآية التي نسخت التوريث بالمؤاخاة أية (6) من سورة الأحزاب. { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا }

[2] – جب وكرامرز , الموسوعة الإسلامية الميسرة , 984/2.

زريق بن سعد الزرتي ، ويقول بعض الناس غيره ، قال الزبير رضي الله عنه : " وآخيت أنا كعب بن مالك فجئته ، فانتقلته فوجدتُ السلاح قد ثقله فيما يرى، فوالله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري ." حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة ، فرجعنا إلى مواريثنا ،وقوله تعالى:(إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) [1]أي ذهب الميراث ، وبقي النصر والبرد والصلة والإحسان والوصية [2]؛ ولذا فقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسي ، وأبي الدرداء ،لأنَّ سلمان أسلم بين أحد والخندق ، وكذلك آخى بين أبي سفيان والحنات التميمي.)

فمقولة هاملتون جب أنَّ الآية (6) من سورة الأحزاب ألغت التآخي تمامًا ، قول لا يستند على الحقيقة ، ممَّا يبيّن لنا أنَّ المستشرقين يلقون أحكامهم جزافًا دون التثبت من صحة ما يقولون ، فهو أخذ بالجزء الأول من الآية ، ولم يكمله ، كما توجد أدلة تاريخية تبين أنَّ نظام التوريث للمؤاخين هو الذي نُسخ ، وليس نظام المؤاخاة بأكمله ،كما أنَّ كتب التفسير أوضحت ذلك ، كما تبيَّن أنَّه ليس هناك عذر لجب وزميله القول إنَّ الآية "من الأحزاب ألغت نظام المؤاخاة بأكمله بين المهاجرين بعضهم ببعض ،وبينهم وبين الأنصار."فالأخوة الإيمانية باقية إلى يوم الدين (إنَّما المؤمنون إخوة)

مغالطات وات حول المؤاخاة

أمّا وات فكانت له عدة مغالطات حول المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فهو إلى جانب وقوعه في نفس ما وقع فيه جيب وزميله

---

[1] . الأحزاب : 6.

[2] – تفسير ابن كثير . 468/3 ، وكذلك في الآية (75) من سورة الأنفال ،331/2،وتفسير الشوكاني ،300/4،والكشاف للزمخشري ،251/3.

الهولندي؛ إذ قال إنَّ المؤاخاة ألغيت بسبب صعوبات الميراث، فله مغالطات عديدة ، وسأورد ما كتب عن المؤاخاة لتفنيد ما كتب، والرد عليه.

يبدأ وات بإحدى مغالطاته ، فيقول : " ولا تساعدنا المؤاخاة أيضًا على إدراك طبيعة الأمة الحقيقية ، ولكن يجب علينا مع ذلك أن نذكرها . جرى أهم مثل على المؤاخاة قبل بدر مباشرة ، لقد آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ، وكان على الأخوين الجديديْن أن لا يترك احدهما الآخر أثناء المعركة ، وكانت هذه البدعة تهدف إلى منع مختلف فرق المحاربين من ترد على هجوم العدو بشكل موزع ، فإذا قتل أحد الأخويْن ورثه الآخر ، وهكذا قدم سعد بن الربيع الحارث الذي آخاه عبد الرحمن بن عوف نصف ثروته لأخيه ، وإحدى زوجتيه.[1]

يستطرد قائلًا : " وربما ألغيت المؤاخاة بسبب صعوبات الميراث ، ولكن لا تعرف ما إذا كان ذلك حدث بعد بدر مباشرة ، أو فيما بعدن وإن كان ابن إسحاق يتحدث كما لو كانت المؤاخاة السابقة على بدر هي المثل الوحيد على المؤاخاة ، ولم تكن الحال كذلك ، فلقد آخى محمد نفسه أيضًا بين أتباعه المكيين ، كما تطلعنا سير ابن سعد ، وقد جرى ذلك على ما يبدو قبل الهجرة ، وهكذا كان عبد الرحمن بن عوف ، و سعد بن أبي وقاص ،وسعد بن الربيع "[2]، ثم نجده يقول : " إنَّ المؤاخاة استمرت في وقت متأخر ، بينما قال من قبل إنَّها أُلغيت"[3]، ثمَّ يزعم أنَّ نظام المؤاخاة مقتبس من التحالف في الجاهلية ، فيقول : " تحاول هذه الوقائع الأخيرة التدليل على أنَّ المحاولات الأولى للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة

---

[1] – محمد في المدينة . ص 378–379.

[2] – المصدر السابق . ص 379.

[3] – المصدر السابق . ص 379.

كانت تهدف إلى تقوية اللحمة بين الفرق المقاتلة ، ويمكن أن ينظر لهذه العملية على أنّها اقتباس للتحالف في الجاهلية ، وكان هدفها معالجة المساوئ الناتجة عن تأثير الجماعات التي تربط بينها روابط النسب."[1]

الرد على مغالطات وات

وللرد على مغالطات وات ، أقول :

- لقد تجاهل وات مواقف الأنصار التي ضربت لنا أروع الأمثال في الإيثار وإنكار الذات ؛ إذ قدموا أموالهم ، وكل ما يملكون عن طيب خاطر لإخوانهم المهاجرين ، حتى نزل فيهم ، قوله تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الأنصار لا يحبهم إلاَّ مؤمن ، ولا يبغضهم إلاَّ منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ،ومن أبغضهم بغضه الله ." [3]

وقال عليه الصلاة والسلام للأنصار : " أنتم من أحب الناس إليَّ قالها ثلاث مراتز" [4]، وقوله صلى الله عليه وسلم : " لو أنَّ الأنصار سلكوا واديًا ، أو شعب لسلكتُ في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ امرؤ من الأنصار."[5]

فهذه المواقف كشفت لنا حقيقة وجوهر الأمة الإسلامية، وكيف الإسلام يغير من طبائع البشر ، فبعد التحارب والتنازع بين الإخوة في النسب " الأوس والخزرج " أصبحت الأخوة الإيمانية تفوق أخوة النسب.

---

[1] – المصدر السابق . ص 379.

[2] – الحشر: 9.

[3] – صحيح البخاري . 5/ 40.

[4] – صحيح البخاري . 40/5.

[5] – المصدر السابق . 38/5,

فلم يورد وات قصة عبد الرحمن بن عوف مع أخيه الربيع رضي الله عنهما كاملة ؛ إذ رفض عبد الرحمن ما قدَّمه له أخوه ، وطلب أن يدله على سوق ليتاجر فيه ، وخرج للتجارة ، وعاد بما يقيته ، وإليكم القصة كما رواها البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه ، أنَّه قال : قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سعد بن الربيع ، وكان كثير المال ، فقال سعد : قد علمت الأنصار أنِّي من أكثرها مالًا سأقسم مالي بيني وبينك شطريْن ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها ، فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقط ، فلم يلبث إلاَّ يسيرً احتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وضر من صفرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قهيْم ، قال تزوجت امرأة من الأنصار . " [1]

إنَّ موقف عبد الرحمن بن عوف بن أخيه سعد بن الربيع رضي الله عنهما ينفي ما نسبه المستشرقون للمهاجرين أنَّهم يعيشون على السلب والنهب وقطع الطرق ؛ إذ يقدم لنا نموذجًا واضحًا لعزة نفس المهاجرين ، وعفتهم ، وعدم ركونهم للدعة ، بل يعملون ما يستطيعون ليعيشوا حياة عزيزة كريمة.

- تعويم وات إلغاء نظام المؤاخاة وتساؤله عمَّا إذا كان بعد بدر مباشرة أم فيما بعد . وهو يعلم أنَّ نظام التوريث في المؤاخاة كان مؤقتًا ريثما تتحسن أحوال المهاجرين المالية ، لأنَّهم هاجروا إلى المدينة تاركين أموالهم وممتلكاتهم وأولادهم ، فعندما انتصر المسلمون في بدر كان للمهاجرين نصيب في الغنائم لذلك زال سبب التوريث ، فنسخت الآية (75) من سورة الأنفال آية (6) من سورة الأحزاب ، ولكنها لم تنسخ

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه 5/ 39.

نظام المؤاخاة ، وقد أوضحته ذلك الآية (6) من سورة الأحزاب ، وشرح لنا ذلك المفسرون.

- كعادة المستشرقين جميعهم في نسبة التشريعات الإسلامية إلى اليهودية ، أو النصرانية ، أو الوثنية ، زعم وات أنَّ نظام المؤاخاة مقتبس من نظام الحلف في الجاهلية مع أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : " لا حلف في الإسلام " ، ونظام المؤاخاة يختلف تمامً اعن نظام الحلف الجاهلي ، فنظام المؤاخاة قائم على :

أ . الوحدة في الدين والعقيدة ، بينما الأحلاف في الجاهلية لا تشترط وحدة الدين في قيام المتحالف بدليل تحالف الأوس والخزرج مع اليهود.

ب _ نظام المؤاخاة يلزم المؤاخي أن يشارك أخاه في حاله ، أي يكون مسؤولًا عن تأمين معيشته ، بينما الحلف الجاهلي يلزم المحالف حماية حليفه ، والدفاع عنه ، إذا تعرَّض للأذى ، فالأوس والخزرج لم يكونوا مسؤولين على توفير السكن والمأكل والملبس ، وكل متطلبات المعيشة لحلفائهم اليهود ، ونظام المؤاخاة قام على التوريث بحيث يرث المهاجري أخاه الأنصاري قبل نسخ التوريث ، ولكن هذا لم يكن في الحلف الأهلي ، فلا تشابه الإثنيْن .

أمَّا ديلاسي أوليري فقد أرجع الفرق بين التآخي بين الناس في حياة اجتماعية منظمة في مقابل عدم التماسك الذي جاء في الحياة القبلية القديمة ، ثُمَّ ما يتبع ذلك من فرق في تكييف موقف كل من

المجتمعين تجاه الدين ، فهو يرجع الفرق الأخير إلأى التأثير اليهودي.[1]

وأخيرًا أقول : إنَّ المستشرقين الإنجليز لم يجدوا ما يطعنوا به نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فبعضهم صمت عنه ، ولم يتحدث ، وبعضهم آثار نقاطًا بقصد التشويه والتقليل من شأنه ، فكشف لنا موقفهم هذا عن بعدهم عن المنهج العلمي في أبسط قواعده.

[1] – الفكر العربي ومكانه في التاريخ . ترجمة د. تمام حسَّان مراجعة محمد مصطفى حلمي .ص 74 ،عالم الكتب . القاهرة.

الفصل السادس

موقف المستشرقين الإنجليز من موقفه عليه الصلاة والسلام من اليهود في المدينة وخيبر

مصطلح "غزوة" لمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة وخيبر وحروبه مع مشركي مكة المكرمة

لقد ربط اهتمام المسلمين بالسيرة النبوية وفتوحات الخلفاء الراشدين، وسأتوقف هنا عند استخدام مصطلح غزوات على حروبه عليه الصلاة والسلام ضد مشركي مكة واليهود في المدينة المنورة وخيبر، وهذا من الأخطاء الكبرى التي وقع فيها مؤرخو السيرة النبوية ، ومؤرخو التاريخ الإسلامي الأوائل والمعاصرين ، وللأسف كرره معدو مناهج الدراسات التاريخية والمواطنة في مناهجنا الدراسية ، ومعروف أنّ مصطلح" الغزو" في اللغة هو" غزا العدو: سار إلى محاربته وقتاله في دياره"

فحروبه عليه الصلاة والسلام كانت دفاعية وليست هجومية ، لصد هجومهم في المدينة ، أو لمنع هجومهم على المدينة ، أو مكة بعد تحركهم إليها ، ملتزمًا بقوله تعالى(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[1]

فالدعوة للإسلام ليست بالقتال لنشره(لا إكراه في الدين) وإنّما بالحكمة والموعظة الحسنة(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ)[2]

فلو بحثنا في أسباب تلك الحروب ، سنجد الآتي:

1. موقعة بدر قرب المدينة المنورة ، ولم يخرج الرسول ومن معه من المسلمين لقتال قريش ، وإنّما لاعتراض قافلة تجارية متوجهةٍ من الشام إلى مكة يقودها أبو سفيان بن حرب كانت قد سلبتها قريش

[1] , البقرة : 190.

[2] . النحل : 125.

من المسلمين عند هجرتهم ، وقريش هي التي بدأت بالقتال ، إذ قال أبو البختري:"والله لأردنّ حوض مياه محمد ، ولأكسرنّ حوضهم. وفعلًا اندفع يريد أن يهدم الحوض، فتلقاه حمزة بسيفه فقطع رجله، ثم انعقد سبب القتال بين الفريقين، فكيف يطلق على معركة بدر "غزوة"؟

2. موقعة أحد كانت عند جبل أحد في المدينة المنورة ، فمشركو مكة قدموا إلى المسلمين في عقر ديارهم لغزوهم، وليس الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، فعلى أي أساس سُميت بِ"غزوة أحد"؟

3. موقعة الخندق(الأحزاب) كانت خلف جبل سلع بالمدينة المنورة ، فالغزاة هم مشركوا مكة مع أحزابهم الذين قدموا إلى المسلمين في عقر ديارهم ، فعلى أي أساس أسموها ب" غزوة الخندق(الأحزاب)؟

4. موقعة بني المصطلق" المريسيع" كانت دفاعية ؛ إذ سمع النبيصلى الله عليه وسلّم باستعداد قبيلة بني المصطلق للإغارة على المدينة ، فانطلق إليهم لرد شرهم ، قبل أن يهجموا على المدينة.

5. موقعة حُنيْن: كانت دفاعية أيضًا ، فبعد أن فتح المسلمون مكة المكرمة، خشيت قبائل ثقيف وهوازن من قوة المسلمين ، وقرروا محاربة المسلمين وغزوهم في معقلهم مكة المكرمة ، فقرر النبي عليه الصلاة والسلام ملاقاتهم في موضع يسمى حنين بين مكة والطائف.

6. موقعة الطائف: كانت لملاحقة فلول الهاربين من موقعة حنين ، من مشركي هوازن وثقيف في الطائف.

7. موقعة تبوك كانت دفاعية، وهي آخر المواقع التي قادها عليه الصلاة والسلام ؛ حيث قرر الرومان إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهددهم ، فخرجت جيوشهم ، إلى المدينة بقوى رومانية وعربية تقدر بأربعين ألف مقاتل، فخرج الرسول(ص) مع ثلاثين ألف مقاتل لمقابلتهم في تبوك. انتهت المعركة بلا قتال لأنّ الجيش الروماني تشتت وتبدد في البلاد خوفًا من المواجهة ؛ ممّا رسم تغيرات عسكرية في المنطقة ، جعلت حلفاء الروم يتخلون عنهم ويحالفون العرب كقوة أولى في المنطقة.

8. أمَّا صلح الحُديبية وفتح مكة ، فلم يتم فيهما أي قتال، فعلى أي أساس أعتبرهما معدو المناهج من غزواته عليه الصلاة والسلام؟

9. أمّا عن إجلاء اليهود عن المدينة(بنو القينقاع ، بنو النضير، وبنو قريظة) فكانت لمخالفتهم للعهود والمواثيق التي كانت بينه وبينهم ، ومحاولتهم اغتياله(بنو النضير) فأجلاهم الرسول(ص) بأمر من الله(الحشر:11-17) والتحالف مع الأحزاب ومساعدتهم لدخولهم المدينة(بنو قريظة)ولم تكن حروبًا ، وإنّما كانت عبارة عن فرض حصار عليهم، لإجلائهم عن المدينة ، وكذلك موقعة"خيبر" كانت دفاعية، فخيبر كانت وكر الدس والتآمر، ومركز إثارة الحروب ، فأهل خيبر هم الذين حزّبوا الأحزاب ضد المسلمين ، وحرّضوا بني قريظة على الغدر والخيانة ، والاتصال بالمنافقين وبغطفان وأعراب البادية ، وكانوا هم أنفسهم يستعدون لقتال المسلمين، فكان لابد من مجابهتهم ، ولم يتطرق معدو المناهج إلى إجلاء الرسول صلى الله

عليه وسلم لليهود من المدينة وأسبابها ، فهذه حقائق تاريخية لابد من ذكرها، والتي تكشف تزييف المستشرقين للتاريخ بنفيهم نقض اليهود للعهود التي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نجد أنّ كل الحروب التي وقعت في العهد النبوي كانت دفاعية وليست هجومية ، ولا علاقة لها بهدف نشر الإسلام ، وتسميتها بغزوات مغالطة تاريخية كبرى ، وتسيء للإسلام بتعزيزها لمزاعم المستشرقين بأنّ الإسلام انتشر بجد السيف ، وللأسف هناك من المسلمين مَنْ يتمسكون بهذا المصطلح تأييدًا لدعواهم في وجوب قتال العالم لفرض الإسلام ؛ حيث يزعمون أنّ الرسول في أكثر حروبه كان هو البادئ بالهجوم والطالب للعدو والغازي له في عقر داره لنشر الإسلام ، مع أنّه أقر بالحرية الدينية لغير المسلمين في المدينة في وثيقة المدينة ، وانتشر الإسلام في المدينة بهجرته إليها وليس بقتاله لأهلها ، وكذلك انتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية بعد فتح مكة دون قتال.

مواقف المستشرقين من موقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة وخيبر

هناك شبه إجماع من المستشرقين على اختلاف جنسياتهم وثقافاتهم ودياناتهم ، أنَّ موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة وخيبر ما أحرزه من نصر كبير في بدر؛ إذ قوي شأنه وعلت مكانته ويضاف إلى هذا السبب أسباب أخرى ، هي:

- عدم دخول اليهود الإسلام رغم استمالته لهم بجعل قبلة المسلمين في الصلاة إلى بيت المقدس ، إضافة إلى تشريعه بعض التشريعات اليهودية .

- احتدام الخلاف بينه وبين اليهود .

- طمعه في أموالهم لحاجته إلى المال .

ولعلنا استشفينا هذا الموقف للمدارس الاستشراقية على اختلافها من آراء بعض مستشرقي المدارس الإنجليزية والفرنسية والألمانية من الصحيفة .

وليم موير يزّيف في التاريخ ويزعم أنَّ أبا سفيان نجح في ضم بني قريظة إليه

يعتبر "موير" أنَّ انتصار المسلمين في بدر، وتقوية مركز الرسول الشخصي بالمدينة قاده إلى التحرك ضد اليهود وضد المشركين الذين عارضوا دعوته ، ثم يقول وكان أول دم سفك بعد بدر هو لامرأة تدعى "عصماء بنت مروان" التي كانت تهجو الرسول وتندد بتصرفاته وتنكر رسالته، وقد فصل في كيفية[1]قتله ، وتلا ذلك اغتيال اليهودي "أبي عفك" الذي كان معارضً انشطًا للدعوة الإسلامية والذي نظم أبياتا من الشعر يهجو فيها الرسول وأصحابه[2] ، ثم اتخذت الإجراءات القمعية ضد بني قينقاع الذين تقول عنهم الروايات الإسلامية أنّهم نقضوا العهد الذي أبرموه مع الرسول ويشكك "موير" في هذا التبرير، ويورد الروايات الإسلامية التي تناولت كيفية ذهاب الرسول إلى بني قينقاع بعد معركة بدر، وكيف اجتمع بسادتهم ، وطلب منهم الدخول في الإسلام قبل أن يحل ماحل بقريش في بدر ، وأكد لهم أنّهم يعلمون جيدًا أنَّه رسول الله ولكنهم رفضوا دعوته كبرًا ، ثم وقعت حادثة اتخذت كذريعة للهجوم عليهم ، هي المتعلقة بذهاب إحدى النساء المسلمات إلى سوق بني قينقاع وتعرضها لخدش حيائها هناك ، وتدخل أحد المسلمين لحمايتها ، وإصابته من قبل اليهود بإصابات قاتلة ، وانتهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الفرصة للقضاء عليهم

---

[1] – Muir , Mahomet and Islam p . 103

[2] – المصدر السابق . ص 104.

ومحاصرته لهم في آطامهم مدة خمسة عشر يومًا ، واستسلامهم له بعد أن يئسوا من مساعدة حلفائهم الخزرج لهم، وتهيأ القوم لتنفيذ الموت عليهم إلاَّ أن تدخل حليفهم ابن أبي في آخر لحظة وأنقذ أرواحهم من موت محقق ، فغادروالمدينة إلآ آذرعات بسوريا ، هكذا استولي محمد علي سلاحهم وتركهم يحملون بقية متاعهم [1]، ثم يتحدث عن غزوة بني النضير ولم يذكر أي سبب لغزوهم سوي زيارته صلى الله عليه وسلم وطلبه منهم دفع دية القتيلين من بني عامر، ولم يذكر شيئًا عن تآمرهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل نجده يقول: "إنّه بينما كان بني النضير يجهزون المبلغ قام محمد فجأة وغادر حصنهم ومضي وقت طويل ولم يعد ، فغادر أصحابه وانتابتهم الدهشة عندما وجدوه في المدينة ، وقد قال لهم إنّه سوف يحارب اليهود لأنّهم أرادوا أن يرموا حجرًا من السطح عليه دون أن يذكر ذلك في القرآن ، ثم يقول موير إنّ هذه القصة مشكوك فيها [2].

أما عن أسباب غزوة بني قريظة فنجد موير يزّيف في التاريخ فيزعم أنّ أبا سفيان هو الذي حرض بني قريظة على الغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين[3] ، مع أنّه من الثابت أنّ حيي ابن أخطب هو الذي حرّض أبا سفيان وقريش على القتال ، كما حرض بني قريظة على نقض العهد ، وقد اعترف بهذا المؤرخ اليهودي إسرائيل ولفنسون ، ولكن موير يخفي هذه الحقائق ويفتري علي التاريخ ولايذكر إطلاقًا أنّ حيي بن أخطب كان له دور في تأليب الأحزاب وجمعهم لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وألقى

---

[1] – المصدر السابق. ص 105 ، والحاج ، ساسي . الظاهرة الاستشراقية3 / 198.

[2] – المصدر السابق . 125.

[3] – المصدر السابق . ص 142.

كل المسؤولية على أبي سفيان وأضاف قائلًا: "ونجح في ضم بني قريظة إليه.[1]

إدعاء مرجليوث أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عاش في المدينة على النهب وقطع الطرق

يقول مرجليوث: " إنّ استيلاء محمد على خيبر يبين لنا إلى أي حد أصبح الإسلام خطرًا يهدد العالم"، ثم يستطرد قائلًا: "عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب وقطع الطرق ، ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه ، وكذلك بالنسبة للقبائل اليهودية في المدينة ، فقد كان هناك على أية حال سبب ما حقيقيًا كان أو مصطنعًا يدعو إلى انتقامه منهم إلاَّ أنَّ خيبر التي تبعد عن المدينة هذا البُعد كله ، لم يرتكب أهلها في حقه ولا في أتباعه سببًا يتذرع به" ، ثم يستطرد قائلًا: "إنَّ غزو المسلمين لخيبر كان للحصول على مافيها من غنائم متذرعين بحجة أن سكانها غير مسلمين ، وهذه الذريعة ستكون سببًا في هجوم المسلمين في كل العالم خارج المدينة وجيرانها ، فكما يبدو أنَّ النبي يريد أن يرى العالم في قبضته" ثم يقول: "إنَّ النبي قد غيّر سياسته مع اليهود ومع المشركين ، وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذي طرأ على سياسته منذ أيامه الأولى في المدينة عندما أعلن مساواة اليهود بالمسلمين، أمّا الآن فإنّ مجرد القول بإنَّ جماعة ما مشركة أو يهودية غير مسلمة يعتبر كافيًا لشن الغارة عليها ، وهذا يفسر

[1] – للأسف الشديد عندما تعرض الدكتور ساسي الحاج في كتابه الظاهرة الاستشراقية لموقف وليم موير من موقف الرسول صلي الله عليه وسلم من اليهود ومن خلال كتابه محمد والإسلام، لم يشر إلي تزييف موير في التاريخ وشبهة تأليب الأحزاب وتحريض بني قريظة إلى أبي سفيان وتبرئة ساحة حُيي بن أخطب منها. [راجع الظاهرة الاستشراقية3 / 198.]

لنا تلك الشهوة التي سيطرت على نفس محمد والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة ، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبله ونابليون من بعده .[1]

المؤرخ هـ . ج . ولز لم يكن موضوعيًا في حديثه عن موقعة بني قريظة

في عرض هـ .ج. ولز [2] للسيرة النبوية في كتابه معالم تاريخ الإنسانية كان متحاملًا على الرسول صلي الله عليه وسلم ولاسيما في مواقعه وسراياه، ولم يتعرض بالحديث إلى مواقعه بني قينقاع والنضير وخيبر؛ إذ اكتفى بالإشارة إلى موقعة بني قريظة في معرض حديثه عن يوم الخندق فقال: كان بالقرب من المدينة قلعة لليهود وكان محمد مغضبًا من قبل عليهم بما أبدوه من عدم احترام لعقيدته ، وكانوا أظهروا ميلًا إلى الإنضمام إلى من خيل إليهم أنّهم أصحاب الكفة الراجحة المحتملون في هذا الصراع النهائي ، هنالك أطبق محمد عليهم ، وذبح كل الرجال وكانوا تسعمائة وسبي النساء والأطفال[3] .

---

[1] – Margoliouth , Mohammad and the rise of Islam . p . 362 – 363

[2] – مؤرخ بريطاني " 1866 –1946 وقاص ، وأستاذ بجامعة لندن ومن آثاره علم الحياة ، واليهود البشرية ورفاهيتها وثروتها ، بالتعاون مع طائفة من العلماء ، معالم تاريخ الإنسانية.

[3] –ولز ، هـ .(1994م) . معالم تاريخ الإنسانية3 / 794– 795 . ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ألفريد جيوم يتجاهل نقض اليهود مابينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق

عند حديث جيوم عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة لم يشر إلى أسباب ذلك الموقف فيقول: "وفي ذلك الوقت بدأ محمد سلسلة من العمليات كان هدفها إجلاء اليهود من الحجاز فقد ضايقه منهم عدم اعترافهم به كرسول في مجادلاتهم ومهاتراتهم ، وكانت قوتهم الاقتصادية مصدر ضيق شديد له ، كذلك قد قتل اثنان من اليهود بتحريض الرسول ، ولم تدفع لأهلهما الدية ."[1] ثم يبرر مابدر من يهود بني قينقاع أنّه يمثل نوعًا من المقاومة فيقول: "ومما لاشك فيه أنَّ وجود بعض جيوب المقاومة من اليهود الناقمين في القاعدة التي اتخذها الرسول كان مدعاة لقلقه ، وكان لابد له من القضاء عليها حتى يخوض الحرب وهو آمن ، وكانت أول جماعة قاست من جراء هذه السياسة بنو قينقاع الذين كان معظمهم من أرباب الصياغة ، ولما كانوا قد ناصروا الأوس وهي إحدى القبيلتين المتنافستين في المدينة قبل مجيئ الرسول ، لهذا أشعر الأوس بأنَّهم مدينون لهم بحياتهم ، وحينما أمر الرسول بإعدامهم بعد اضطرارهم إلى التسليم تشفع لهم زعيم الأوس فرد الرسول عليهم حياتهم ولكنه أجبرهم على مغادرة البلاد ."[2]

---

[1] –ا جيوم ، الفريد . الإسلام. ص.٤٤

[2] – المصدر السابق:. ص 42، 43.

ثم يتحدث عن جلاء بني النضير فيقول "وبعد قليل أصبح بنو النضير – وهي قبيلة يهودية في جوار المدينة مشكوكًا [1] في خيانتهم ؛ ولذا أجبروا على إلقاء سلاحهم والجلاء عن معاملتهم ، وبذلك سقطت في أيدي المسلمين أراض عظيمة ، وربح وفير[2] ، وقوي مركز محمد بهذا الانتصار الذي لم ترق فيه الدماء ، وقد ظهر بوضوح عدم إخلاص اليهود. ووضح أنهم لم يكونوا متضامنين بعضهم مع بعض مما أدى إلى نهايتهم ، أمّا قبيلة "بني قريظة" المجاورة والتي سرعات ماتعرضت للإبادة ، فلم تحرك ساكناً لنصرة إخوانها في الدين ، كما أنّ حلفاءهم من الأوس قد تخلوا عن مديد العون إليهم [3]"

---

[1] – نلاحظ هنا استخدامه عبارة "... مشكوكًا في خيانتهم" كما قال مرجليوث "أسباب حقيقية أو مصطنعة" فهما يلتقيان عند نفس الأسلوب والمنهج والهدف وهو إظهار اليهود بمظهر المظلوم وإظهار الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر الظالم.

4– يركز هنا علي " ربح وخير، بمعنى أنّه يريد أن يبين أنّ من أهداف الرسول صلى الله عليه وسلم الاستيلاء على أموالهم ، أي نفس ما ذهب اليه زميله مرجليوث.

[3] – المصدر السابق . ص 46.

جيوم يزّيف التاريخ مثل موير

ثم يتحدث عن بني قريظة ودورهم في غزوة الخندق جاعلًا قريش "مثل موير" هي التي كانت وراء نقضهم العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول: "نجحت قريش في إبعاد قبيلة بني قريظة اليهودية ، ولكن محمدًا رد على هذه الحركة في مهارة بإيفاد رسول جعل اليهود يفقدون ثقتهم بالمكيين ، كما جعل المكيين يفقدون ثقتهم باليهود وبعد هجوم واحد – ليس بالعنيف ، أجبر المهاجرون على الإرتداد" ، ثم يقول لم يفلح اليهود في شن هجومهم الموعود لتمويل المسلمين عن قريش ، وذلك لخوفهم من الوقوع في أزمة ، وهكذا انسحب اليهود وعادت قريش إلى مكة ."[1] ثم يتحدث عن كيفية القضاء عليهم فيقول "سرعان ماتحول الرسول إلى اليهود الذين سلموا بعد فترة قصيرة من الحصار بدون قيد أو شرط ، أمّا حلفاؤهم القدماء من الأوس فقد تشفعوا لهم مرة أخرى ، فسألهم الرسول عمّا إذا كانوا ينزلون على حكم أحد رؤسائهم ، فوافقوا على ذلك فاختار الرسول رجلًا كان يقاسي من جرح مميت[2]"

فكان قراره أن يقتل الرجال وتباع النساء والاطفال كعبيد ، وسرعان ما نفذ هذا الحكم، فاقتيد الأسرى جماعات وجزت رقابهم على حافة الخندق الذي كان قد حفر مكان السوق وألقيت فيه جثثهم ، وقد استغرق قتل

---

[1] – المصدرالسابق . ص47.

[2] – يقصد سعد بن معاذ وهنا نجده زيّف في التاريخ مرة أخرى لأنّ بني قريظة التي اختارت سعد بن معاذ ليكون حكمًا لا الرسول صلى الله عليه وسلم وقد نزل على رغبتها وأحضر سعدًا رغم أنَه كان كما قال جيوم يعاني من جرح مميت نتيجة إصابته في غزوة الخندق.

حوالي(800) يهوديًا اليوم كله[1]، وامتد العمل حتى الليل ، ولم ينقذ من هذا المصير غير يهودي واحد تخلى عن دينه ليصون حياته ، أمّا الباقون فقد لاقوا الموت في هدوء بعد أداء صلواتهم ، وقراءة كتبهم المقدسة. وقد أثار قتل هؤلاء اليهود دفعة واحدة على هذا النحو كثيرًا من التعليقات المرة من جانب معظم المستشرقين ، ولكن يجب ألا تغيب عن أذهاننا أن جيلنا قد تعلم للأسف – أنّ هناك أممًا تعتقد أنّ الحرب الجماعية – التي تجعل حتى قتل النساء والأطفال أمرًا مشروعًا مادام ذلك يقضي على الروح المعنوية للعدو تحول دون إراقة دماء الكثيرين ، وفوق ذلك فلم يكن أي رجل من هؤلاء اليهود يحمل سلاحه في يده يجبر على التسليم ، وقد فعل – من يدعون أنّهم مسيحيون ويهود – ما يشبه ذلك ما هو أشنع بدعوى ضمان السلامة من ناحية الوطن والدين والمجتمع ، وليس الخطأ خطأ الدين ، ولكن يكمن في الطبيعة الإنسانية الخاطئة ، ومع ذلك كله فلم يكن الإنسان يتوقع مثل هذه الأعمال من بعث برسالة من الرحمن الرحيم ."[2]

ثم يتحدث عن غزوة "خيبر" دون أن يشير إلى أسبابها يقول جيوم: "فقد هجم المسلمون فجأة على خيبر، وهو أحد المعاقل الحصينة الباقية لليهود ، ومع أنَّ سكانه قد حاربوا بشجاعة في هذا الوطن بخلاف من سبقهم من اليهود ، إلا أنَّهم هزموا نتيجة لقلة عددهم ، ومباغتة المسلمين لهم ، وعندما أحسوا بالخطر المحدق بهم سلموا أنفسهم وجميع ممتلكاتهم، إلاَّ أنَّ

---

[1] – نلاحظ المبالغة في قتلى قريظة حيث ذكر ولز أنهم تسعمائة ، وذكر جيوم هنا أنّهم ثمانمائة بينما ذكر ابن سعد في طبقاته أنّهم كانوا مابين الستمائة والسبعمائة 2/ 75.

[2] – جيوم. الإسلام ص47– 48 ، وأقول هنا أنّ الحكم الذي نزل علي بني قريظة هو حكم من عند الله ، وليس من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأراد أن يكون علي يدي الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا تستهين اليهود وقريش بالرسول صلي الله عليه وسلم وإلا فإن الله قادر على إهلاكم كما أهلك الأقوام السابقة مثل عاد وثمود وأصحاب الأيكة وغيرهم.

زعيمهم خبأ معاونه الثمينة فأفشى سره يهودي آخر ، وأحضر بعضًا منها، فعذب المسلمون ذلك الزعيم العاثر الحظ كي يحصلوا منه على ما تبقى عنده، وكان هو وابن عمه الوحيدين الذين قتلا من بين يهود خيبر، وذلك باستثناء هام هو "زينب اليهودية" التي ربما كانت السبب في وفاة الرسول فيما بعد، وذلك أنَّها بعدما فقدت كل رجال قبيلتها في المعركة ، دعت الرسول وأبا بكر وغيرهما إلى الغداء ، وقدمت للجميع حملاً دست فيه السم ، وبعد أنَّ لاك الرسول قطعة من اللحم لفظ بقيتها صائحًا إنَّ هذا اللحم مسموم ، وانتابته رعشة وألم ، وظل يشكوا أثر هذا السم حتى يوم وفاته ، وقد مات أحد أصحابه من جراء هذاالسم ، ومن الطبيعي أنَّ زينب قد قتلت" ثم يستطرد قائلاً: "وقد كان لغز خيبر أهمية في حد ذاته ، وذلك لأنَّه قرر مبدأ اتبعه المسلمون بعد ذلك مع تعديل طفيف منهم حينما احتلوا اراضي الأمبراطوريتين المنهكتين الرومانية والفارسية ، سمحوا لليهود بالإبقاء على أرضهم بشرط أن يؤدوا عنها نصف نتاجها للمدينة ، ومع ذلك فلم يظل هذا الاتفاق طويلًا غير أنَّ عمر دائمًا كان أكثر خشونة من الرسول – قد أجلى اليهود مع غيرهم من المسيحيين عن الجزيرة العربية ."[1]

ثم يتحدث عن المستعمرات اليهودية الأخرى ، فيقول: "أمّا المستعمرات اليهودية في سائر المراكز الأخرى فقد سلمت بنفس الشروط دون مقاومة تذكر ، وهكذا أصبح معظم ثروة البلاد التي كانت في أيدي اليهود في أيدي المسلمين الذين لم يعودوا مهاجرين فقراء ، بل أصبحوا من أثرياء ملاك الأراضي ومن وجهائهم، يملكون الإبل والجياد والأسلحة الخاصة بهم، وكانت تلك الأشياء ممتلكات غالية الثمن في الجزيرة العربية." [2]

---

[1] – المصدر السابق : ص 49.

[2] – المصدر السابق : ص 49.

المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي محايد وموضوعي في عرض موقف الرسول (ص) من اليهود في المدينة

لقد كان بحق أرنولد توينبي محايدًا أو موضوعيًا في عرض موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود وفي المدينة ؛ إذ نجده يقول: "كان اليهود والمسيحيون في نظر الإسلام "أهل كتاب" وكان القرآن الكريم آخر ما أنزل على النبيين ، "[1] وقد أنزل قرآنًا عربيًا لعل الناس يعقلون. وقد كان محمد ينظر من المتهودة [2] في يثرب أن يولوه تأييدهم ، وأن يقفوا إلى جانبه، وقد كان ما يحمله على ذلك هو أنّ التوحيد هو الحقيقة الرئيسية في الإسلام ، كما كان في كتب اليهود والمسيحيين. وعلى كل فإنّ اليهود الذين ثابروا أيضًا على يهوديتهم ، ولم يقبلوا بالمسيحية بديلًا عنها، ما كانوا ليتخلوا عن يهوديتهم ، ويقبلوا القرآن وقد أنزل بالعربية ، لم يقبل يهود يثرب كما قبل وثنيوها دعوة محمد إلى الإسلام لكن اليهود تصرفوا تصرفًا متهورًا أخرق دون أن يكون لذلك داع ، فإنَّهم فضلًا عن نيلهم من القرآن بالذات نظموا عصيانًا واشتركوا في مؤامرة ضد المسلمين ، فحل بهم العقاب فصودرت أملاكهم ، وأجلوا عن المدينة تدريجيًا ثم صودرت الأملاك في خيبر "[3]، [4] .

---

[1] – قوله هذا اعتراف منه بأن القرآن من عند الله.

[2] – قوله العهود في يثرب إنه يعتبر أن اليهود في يثرب أصلهم عرب ثم تهودوا، وهذا خلاف ما أثبتناه.

[3] – تويمبي ، أرنولد . (1988م) تاريخ البشرية ، 2/ 85-86 ،ترجمة د . نقولا زيادة " جزءان " طبعة بدون رقم .،الأهلية للنشر والتوزيع – بيروت.

4– لم تصادر أملاك اليهود في خيبر وإنما اتفق علي أن يزرعوها ويأخذ نصف محصولها.

هاملتون جب وكالمرز تأثرا بمرجليوث وجيوم

كما يبدو أنَّ هاملتون جب وزميله كالمرز ذهبا إلى ماذهب إليه مرجليوث بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر كافيًا لشن الغارة على أية جماعة يهودية أو مشركة فيقولان: وبعد أنَّ رسم برنامجه المذكور في سورة الأنعام ٥٥"ومابعدها" بدأ يحاصر بني قينقاع اليهود حصونهم، لم يستمر المنافقون على المعارضة بصفة جدية ، وتخلى اليهود الآخرون عن رفاقهم في العقيدة ، وبصورة مخجلة " أنظر الحشر : 14[1] بحيث اضطر الآخرون أن يهاجروا إلى الأردن [2].

ثم يتحدثان عن أسباب إجلاء يهود بني النضير من وجهة نظرهما ، فيقولان بعد نكسة أُحد "ولكن بدأت تظهر العواقب التي ترتبت على النكسة التي أصيب بها فاليهود لم يشتركوا في القتال ، لم يخفوا فرحتهم بالنكبة التي أصابته ، ثم يستطردا قائلين: "وأظهرت قبائل عدة من الأعراب مبلغ هبوط مكانته عندهم ، وعلى ذلك زادت ضرورة ضرب مثل ، وبدت قبيلة يهودية أخرى في المدينة وهم "بنو النضير" هدفًا مناسبًا بعد أن أفاد مقتل كعب بن الأشرف كمقدمة للعملية ، فاتهموا في سورة الحشر "آية "٤ بأنَّهم شاقوا الله ورسوله ، ولهذا السبب تفند الأحاديث إليهم كافة أنواع الجرائم ، وبعد حصار دام عدة أسابيع اجبروا على المهاجرة إلى خيبر والشام ، وخلفوا وراءهم أسلحتهم وذهبهم وفضتهم غنيمة كبيرة ، احتفظ محمد لنفسه

---

[1] – الآية (" تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى)

[2] – جب وكالمرز . الموسوعة الميسرة ،953/2.

في هذه المناسبة بتوزيعها "الحشر : 6[1]، وما بعدها [2]، ثم يتحدثان عن غزوة بني قريظة غير أنّ الشكوك حول تآمرهم مع الأعداء يوم الأحزاب ، فيقولان "واكتشف أوروبا الشك في أنّ اليهود يتآمرون مع العدو والأحزاب وما بعدها" ، ثم يقولان: فلم يكن ينسحب القائمون بالحصار حتى أعلن النبي الحرب على آخر قبيلة يهودية ذات شأن وهم "بنو قريظة" وبدأ في محاصرة حيهم في المدينة ، لاشك أنّ اليهود كانوا يأملون في النجاة بنفس الطريقة التي نجا بها بنو النضير ، خاصة وأنّ حلفاءهم وهم الأوس كانوا يحاولون بطريقة نشطية جدًا إقناع محمد بإبداء الرأفة ، ولكن في هذه المرة لم تلن قناته ، ونفذ بصورة جادة تهديدًا سبق أن أطلقه "الحشر: 3"[3] ، إلّا أنّ الأحاديث حاولت أن تلقي المسؤولية علي مذبحة بني قريظة على عاتق سعد بن معاذ ، ولكن هناك دلالات شتي علي أن النبي نفسه هو الذي اتخذ القرار وربما أقنع اليهود بالاستسلام ، ثم يتحدثان عن غزوة "خيبر" ويبدو تأثرهما واضحًا بجيوم، فلقد تحدثا عن الغزوة دون أن يبينا أسبابها، فبعد حديثهما عن صلح الحديبية يقولان: وفي بداية سنة ٧ للهجرة "628-629 م"حصل هو والمشتركون معه في العملية على تعويض وافر عن العمرة الفاشلة في ظاهر الأمر، بأن استولى على واحة خيبر الخصيبة التي كان يقطنها اليهود ، وكان هذا العمل أول فتح فعلي يقوم به النبي ، وفي هذه المناسبة وضع قاعدة أصبحت نظامًا فيما بعد عندما يستسلم اليهود أو

---

[1] – الآية قوله تعالى : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[الحشر: 6] إلي قوله تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ).[الحشر: 8]

[2] – الموسوعة الميسرة : 954/2.

3– الآية قوله تعالى: (وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ) [الحشر : 3]

النصارى ، لم يأمر بقتلهم أو نفيهم ، وإنّما سمح لهم بالبقاء كمستأجرين يؤدون الضرائب كل سنة ، هذه الحملة التي أخضعت ايضًا المستعمرات اليهودية في وادي القرى في ظل سلطانه جعلت المسلمين أغنياء "الحشر "18-21"[1]

ولي تعليق :

قبل أن انتقل إلى موقف مستشرق انجليزي آخر لي وقفة عند مواقف مرجليوث وجب وكالمرز: فبالرغم من أنَّهم اعترفوا بالصحيفة ، وأقروا بصحتها، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبرم عهدًا مع اليهود نجدهم تجاهلوا تمامًا نقض اليهود لما جاء في الصحيفة ، وتحدثوا عن إجلاء اليهود من المدينة ، وقتل رجال بني قريظة القادرين على القتال ومحاربة اليهود في خيبر ووادي القري دون أن يتعرضوا للأسباب التي دفعت بالرسول صلى الله عليه وسلم لغزو خيبر، فلقد تحدثوا عن هذه الغزوات من قبيل أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد غير سياسته وأعلن الحرب على كل من لا يدين بالإسلام، كما أنَّه حارب اليهود لتحقيق الثراء بغنم أموالهم ، ونجد مرجليوث يشكك في كون أسباب قتال يهود المدينة أسباباً حقيقية .

هنا يتضح لنا مدى تضليل هؤلاء وتزييفهم للتاريخ ، فالمؤرخ الموضوعي لا يغفل ماحدث من اليهود من جرائم ومؤامرات وخيانات نقضوا بها ما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق أدت إلى طرد بعضهم من المدينة "بنو قينقاع والنضير" وقتل مقاتلي قريظة وسبي نسائهم وأطفالهم ، أمّا محاربتهم في خيبر فقد صدر منهم ما استوجب قتالهم

[1] – المصدر السابق . 954/2، 955،956.

ولاشكك في وقائع حصلت بالفعل ، كما رأينا في موقف المؤرخ ارنولد توينبي .

إنَّ اخفاءهم نقض اليهود للعهود التي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ،و ماحدث منهم من جرائم ومؤامرات وخيانات يصور الرسول صلى الله عليه وسلم بأنَّه هو الذي نقض العهود معهم وأنَّه ظلم ، أمَّا اليهود فهم مظلومون مقهورون مغلوبون على أمرهم.

مونتجمري وات يشكك في أسباب وظروف مهاجمة بني قينقاع والنضير ويقرر أنَّ الحصول على المال من أسباب الهجوم

في بداية حديث "وات" عن المواجهة العسكرية بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة يحاول أن يضفي على بحثه نوعًا من الحيدة والموضوعية فيقول:" حدثت خلال الأشهر والسنوات التي تلت تغيير القبلة عدة اصطدامات مسلحة بين المسلمين واليهود، ومن السهل جمعها معًا من وجهة النظر التاريخية ،ولكن لا يجب الظن بدون فحص دقيق، أنَّ هذه الحوادث نتجت عن سياسة مقصودة أشبعت في632 م [1]قبل بدر، وكان هدفها طرد اليهود أو التخلص منهم، ولكي نعرف ذلك يجدر بنا مناقشة الوقائع ويمكننا تأجيل هذه المناقشة حتى ننتهي من وصف الحوادث التي نعتمد عليها وصفًا موجزًا، ."[2] ثم نجده بعض عرض الأحداث يقول : " الظروف التي ساعدت على مهاجمة قينقاع والنضير لم تكن سوى ظروف وعلل ربما كانت حقيقة " أي أنَّه يشكك في كونها حقيقية .

---

[1] – الصواب 623م بالرجوع إلى النسخة بالإنجليزية . Muhammad at medina p .204.

[2] – وات . محمد في المدينة. ص318 .

ثم يقول في نهاية حديثه عن هذه المواجهة "القول بأنَّ محمدًا كان يجهل غنى اليهود ، تقليل من شأن ذكائه ، ولكن الاعتقاد بأنَّ هذا الغنى كان السبب الوحيد لهجمات محمد ضد اليهود ،هو اتخاذ موقف مادي لا مبرر، ولاشك أنَّ غنى اليهود كان بدون شك [1]عونًا كبيرًا لمحمد وحسَّن كثيرًا وضعه المالي ، ولاشك أن ترقب مساعدة مالية أثر في النبي لتحديد وقت الهجوم على اليهود، ولكن السبب الرئيسي للنزاع كان بالنسبة للفريقين دينيًا.[2]

فالقارئ الذي ليس لديه خلفية عن الإسلام وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وصراعه مع اليهود في المدينة ، وكذلك الذي لديه صورة مشوهة عن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا القارئ أو ذاك عندما يقرأ ما كتبه وات يستشف من قوله إنَّ هناك سياسة مقصودة اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم للقضاء على اليهود في المدينة ، وأنَّ ما قيل من أسباب وعلل مشكوك فيها، وأنَّ العامل المادي من العوامل الرئيسية لمحاربة اليهود .

صحيح أنّ وات لم يصرح بهذا المعنى ، ولكنه استطاع أن يوصله بطريق الإيحاء غير المباشر مع إضفاء الحيدة والمنهجية على كتابته، مع أنَّه منحاز إلى اليهود ، كما لاننسى تلميحه إلى القبلة في مطلع حديثه عن الصدام المسلح أنَّه يريد بذلك أن يجعل تغيير القبلة من أسباب النزاع بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود ، وأنَّ تغييرها كان من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع أنَّه نزلت آية قرآنية بشأن تغيير القبلة يقول تعالى في سورة البقرة آية 144 : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ

---

[1] – رغم أن مذهب وات هو الشك ، إلا أننا نلاحظ هنا ينفي الشك مرتين في جملة واحدة ليؤكد أنَّ هدف الرسول صلى الله عليه وسلم في محاربة اليهود هو الحصول على أموالهم.

[2] – المصدر السابق . ص 335–336.

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)

ولكنَّ مونتجمري وات وزملاءه المستشرقين ينكرون ذلك مع أنَّهم كما أخبرت الآية (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[1]

هذا وعند عرض مونتجمري وات لوقائع الأحداث نجده عندما يتحدث عن حصار قبيلة بني القينقاع وطردها يقول: "كرر محمد بعد عودته من بدر دعوته لليهود ومشيراً إلى الخسائر الضخمة التي تكبدتها، وأنَّ ذلك مثلاً على مصير الذين لا يستجيبون لرسالته ولم يكن اليهود مع ذلك أكثر استعداداً من ذي قبل لاتباع محمد[2] ."

وبعدما يذكر حادثة المرأة العربية في سوق بني قينقاع ، يقول: "ورأى محمد في القضية سبباً للحرب فجمع قوات مسلحة لمحاصرة القبيلة، وابتدأت المفاوضات التي لا نعلم عنها شيئاً ،ثم استسلم اليهود بعد حصار خمسة عشر يومًا ، فأجبروا على مغادرة المدينة حاملين معهم نساءهم وأطفالهم ، وأعطو مهلة ثلاثة أيام لجمع الأموال التي لهم عند الناس ، ولكنهم تخلوا عن أسلحتهم ، وربما عن قسم من ممتلكاتهم كأدوات الصياغة مثلاً ، وتقول النصوص عادة إنَّهم ذهبوا إلى المستعمرة اليهودية

---

[1] ـ البقرة : 146.

[2] – محمد في المدينة . ص 318–319.

في وادي القرى ، ثم رحلوا بعد شهر إلى أذرعات في سوريا "[1]. ثم يتحدث عن وساطة عبد الله بن أبي لتخفيف الحكم عن بني قينقاع [2].

ويتحدث أيضًا عن مقتل كعب بن الأشرف ويذكر أنَّه كان بعد أربعة أشهر من جلاء بني قينقاع أي في الشهر العاشر من السنة الثالثة للهجرة مبينً ا سبب مقتله هو سفره إلى مكة بعد بدر ، ونظمه أشعار ضد المسلمين انتشرت في كل مكان ، واستمرار نشر دعايته ضد الإسلام في المدينة ، فأعلن النبي صلى الله عليه وسلم رغبة في التخلص من كعب ، ثم يبين أنَّ الذين قتلوا كعبًا كانوا ينتمون لعبد الأشهل ، أو حارثة ، ولما كانت النضير "أم كعب من النضير" حليفة عبد الأشهل فلن تودي الجريمة إلى المطالبة بالثأر.[3]

ثم يشير إلى توقيع اليهود معاهدة مع الرسول صلى الله عليه وسلم إثر هذا الحادث ، فيقول : وقد تأثر اليهود لهذا الاغتيال وشكوا في محمد ثم وقعوا معاهدة معه .[4]

أمَّا طرد بني النضير فيبين أنَّه بعد مضي سنة تمامًا من مقتل كعب بن الأشرف طردت قبيلة بني النضير من المدينة مبينًا أنَّ مبرر الطرد يتلخص في ذهاب الرسول إليهم ، وطلبه منهم المساهمة في دفع دية قتيلين ، وبينما كان ينتظر الجواب غادر محمد المكان مسرعًا تاركًا أصحابه هناك ، وعندما لحقوا به في المدينة أخبرهم أنَّ القوم كانوا يتآمرون عليه لقتله ، وطلب من تلك القبيلة مغادرة المدينة تحت طائلة الموت في

---

[1] – المصدر السابق . ص 318–319.

[2] – المصدر السابق . ص319–320.

[3] – المصدر السابق . ص 321.

[4] – المصدر السابق . ص 321.

مدة عشرة أيام ، ويشك وات كعادته في هذا التبرير ، ولكنه يفسر الواقعة بأنَّها دفاع عن النفس ؛ لأنَّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم جيدًا، حسب الآراء السائدة في شبه الجزيرة آنذاك، أنَّه اذا سنحت الفرصة المناسبة انتهزها اعداؤه وقتلوه ، وكان التأخير في إعطاء الجواب لإتاحة الفرصة لقتله ، ولهذا اعتبره عملًا عدائيًا ، وكان نتيجة الحصار المضروب عليهم أنهَّم غادروا المدينة باتجاه خيبر بعد أن تخلوا عن أسلحتهم ، ومحصول التمر الخاص بهم ، واستولى المهاجرون على مساكنهم ومزارع نخيلهم"[1] ، ثم يتحدث عن غزوة بني قريظة مشيرًا إلى أنَّ التآمر ضد اليهود كان من اليهود في خيبر، وأنَّهم قاموا بدور كبير في إنشاء الحلف الكبير الذي جاء لحصار المدينة في إبريل 627م ، ثم يقول "وليس من العجيب إذن أن يقتل زعيمان من زعمائهم وهما أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ، وآسير بن زرام على يد المسلمين، ويبين أنَّ سبب مقتلهما هو تآمرهما مع غطفان ضد المسلمين" ثم يسهب في وصف كيفية مقتلهما ، ويعود إلى بني قريظة مبينًا أنَّها قد ظلت على الحياد إبان الحصار "حصار الأحزاب" ، ولكنها قامت بمفاوضات مع أعداء محمد لو أنَّها وثقت بقريش وحلفائهم من البدو لانقلبت عليه، وهكذا هاجم محمد بني قريظة بعد أن تخلص من أعدائه، وبعد حصارها في أطمها طلبت الاستسلام بنفس الشروط التي استسلم بها بنو النضير، وبعد مفاوضات طويلة استسلمت بدون قيد أو شرط، وخضعت لحكم سعد بن معاذ القاضي بقتل الرجال ، وتقسيم الأموال وسبي الذراري والنساء، وقد نفذ الحكم في اليوم التالي كما يبدو .[2]

---

[1] – المصدر السابق . ص 322–323.

[2] – المصدر السابق . ص 327.

ثم نجده يشير إلى الصحيفة أنَّها كانت بعد إزالة بني قريظة ؛ إذ يقول: "لم يبق بعد إزالة قريظة أي جماعة مهمة يهودية في المدينة ، ولكنه لايزال يوجد عدد من اليهود ، وكان أحدهم أبو الشهم الذي كان ينتسب لبني ظفر، وكان تاجرًا ومدنيًا وقد اشترى قسمًا من نساء قريظة وأطفالها ، وإذا كان تاريخ دستور المدينة صحيحًا فإنَّه وجد في ذلك الوقت عدد من الجماعات الصغيرة اليهودية المنتشرة في المدينة .[1]

هذا ويرد " وات " على انتقاد الكتّاب الغربيين لأنَّه يرى أنَّ الولاء للأمة الإسلامية هو فوق كل ولاء، وأنَّ حلفاء بني قريظة من الأوس عندما تركوهم لأنَّهم نقضوا العهود التي أبرموها مع الرسول .[2]

ثم يقول: "وهكذا فإنَّ هذه السلسلة من المعارك والصراعات أدت إلى إجلاء اليهود عن المدينة، ثم الاستيلاء على معقلهم الأخير في خيبر؛ إذ كان زعماء النضير يعيشون بينهم، وكانت تدفعهم رغبة الثأر من محمد، فكانوا يقدمون أموالهم لحمل العرب المجاورين ولاسيما قبائل غطفان القوية على الانضمام إليهم ضد المسلمين، فكان هذا سببًا كافيًا حمّل محمدًاعلى مهاجمة خيبر، وكان الوقت الذي اختاره لهذا سنة 628 م بعد غزوة الحديبية بوقت قصير، فترة يهمه أن يحصل فيها على الاسلاب لتوزيعها على أتباعه الذين خابت آمالهم من هذه الناحية في الحديبية ."[3]

وبعدما يسهب في تفاصيل الغزوة ينتهي إلى ذكر الاتفاق الذي تم بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود خيبر، والذي ينص على استمرار اليهود في زراعة أراضيهم على أن يسلموا نصف المحصول للمسلمين أي إلى

---

[1] – المصدر السابق .ص 330.

[2] – المصدر السابق . ص 328، 330.

[3] – المصدر السابق , ص 332.

1500 رجلًا الذين اشتركوا في الغزوة ، أو إلى الذين يتنازل هولاء لهم عن نصيبهم .[1]

ويتحدث عن المعاهدات مع المستعمرات اليهودية في فدك ووادي القرى وتيماء، فيبين أنَّه لم يجرؤ أحد على المقاومة بعد سقوط خيبر، وقد عرض على فدك ووادي القرى شروطاً مشابهة لشروط خيبر، أمَّا تيماء فأخذت منها الجزية، وربما عوملت المدن المحصنة معاملة خاصة ، لأنَّ المدينتين الأوليين كانتا شديدتي العداء ،و ألبت عليه القبائل العربية المجاورة، وهي سعد وربما بدر من فزارة.[2]

ويذكر وات العوامل التي ساعدت علي انتصار المسلمين في خيبر .

1-شدة ثقة اليهود بمواقعهم في خبير جعلتهم لم يهتموا بالتزود بالماء الكافي للحصار حتى ولو كان قصير الأمد .

2- فقدان الوحدة عند أهالي خيبر؛ إذ ساعد الرسول صلى الله عليه وسلم " بعض اليهود لضمان سلامتهم وسلامة أهاليهم .[3]"

3- صغر الجماعات العربية الموالية لليهود ، فتخلوا عن ولائهم بفضل دهاء محمد الدبلوماسي[4].

4- عدم تدخل غطفان بشكل فعّال أثناء عمليات خيبر رغم تظاهرها بالتأييد لليهود [5].

هذا ونجده قد اعترف بمهارة الجنود المسلمين عندما قال : "فإذا قارنا بين الرجال فقد كان المسلمون جنودًا ممتازين "[1].

---

[1] -المصدر السابق .ص 333.

[2] - المصدر السابق .ص 333.

[3] - المصدر السابق . ص 332، 342.

[4] - المصدر السابق .ص 334.

[5] - المصدر السابق . ص 334.

إلا أنَّنا نجده أغفل شجاعة علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه" الذي قتل مرحب فارس اليهود المشهور، كما نلحظ تذبذب "وات" في موقفه من غزوة خيبر، فينما نجده يذكر في موضع أنَّ غزوة خبير كانت لوقف يهود وبني النضير ومحاولاتهم تأليف تكتل من اليهود في خبير والعرب المجاورين لها ضد المسلمين [2]، وقوله في موضع ثان: " أنَّ زعماء خيبر كانت تدفعهم رغبة الثأر من محمد فكانوا يقدمون أموالهم لحمل العرب المجاورين ولاسيما قبائل غطفان القوية على الانضمام إليهم ضد المسلمين فكان هذا سببًا كافيًا حمل محمد على مهاجمة خيبر "[3] . ولكنَّنا نجده بعد سطرين في الصفحة ذاتها ينكر أنَّ الرسول . صلى الله عليه وسلم . قد اختار الهجوم على خيبر بعد الحديبية بوقت قصير ؛ فيقول "لأنَّه كان يهمه أن يحصل فيها على الأسلاب لتوزيعها على أتباعه الذين خابت آمالهم من هذه الناحية في الحديبية [4]".

وهذا القول لا يختلف عما قاله المستشرق جون غلوب في كتابه "الفتوحات العربية" بأنَّ سبب غزو الرسول صلى الله عليه وسلم لخيبر هو: إزالة ما لحق بالمسلمين من خيبة أمل في صلح الحديبية[5] ، كما نجده يشير إلى أنّ المسلمين كان لا هم لهم إلاَّ الغنائم عند قوله:" كان يهمه أن يحصل فيها على الأسلاب لتوزيعها على أتباعه الذين خابت آمالهم من هذه الناحية في الحديبية .

---

[1] – المصدر السابق . ص 333.

[2] – المصدر السابق . ص 334.

[3]– المصدر السابق . ص 332.

[4] – المصدر السابق . ص 332..

[5] – العقيلي. د . محمد أرشيد . اليهود في شبة الجزيرة العربية . ص 177.

موقف بودلي من الصراع العسكري بين الرسول (ص)وبين اليهود في خيبر

يتحدث بودلي عن أسباب الشقاق والصراع بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود في المدينة هو رفض اليهود قول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّه النبي الموعود لليهود، فيقول بعدما تحدث عن الصحيفة ومعاهدة النبي لليهود وأورد بعض البنود الخاصة باليهود : "ولكن على الرغم من هذا الإذعان ظل محمد يقول إنَّه النبي الموعود لليهود، بينما اليهود كانوا يؤكدون أنَّه ليس هو؛ إذ كيف يعترفون أنَّهم كانوا على خطأ كما زعموا أنَّ مخلصهم من بني جنسهم ."[1]

ويعلل سبب رفض اليهود نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنّ الحكومة التي يعترف بها بنو إسرائيل حكومة إلهية، ومعنى ذلك أنّها حكومة يحكمها الرب نظريًا ، ومعناها عمليًا أنّها حكومة على رأسها فرد يمكنه أن يقنع رعاياها أنّه الرسول المعبر عن إرادة الله، وماكان اليهود ليحسوا أنّ أي أعرابي يمكن أن يكون ذلك الترجمان ."[2]

ثم يصف مقاومة اليهود بأنّها منطقية قائلًا: "وقد أدت مقاومة اليهود الصغيرة هذه ولو أنّها منطقية ، ورفض عبدالله بن أبي المهادنة ، وذم المسلمين والوقاحة العامة في معاملتهم إلى معركة مكشوفة بين المدينة الجديدة والمدينة القديمة."[3]

ويعتبر تغيير القبلة من أول مظاهر الشقاق الرسمية ، فيقول: "وكان تغيير القبلة أول مظهر رسمي للشقاق ."[4] ويقول أيضًا : " "كانت قبلة

---

[1] – بودلي . الرسول .. حياة محمد. ص 163.

[2] – المصدر السابق .ص 163.

[3] – المصدر السابق .ص 163.

[4] – المصدر السابق .ص 163.

محمد نحو الشمال شطر بيت المقدس حتى اختلفت هو واليهود ولم يكن هذا التوجه لإرضاء اليهود كما ذكر أحيانًا، فقد كان بيت المقدس قبلة المصلين في أيام التعذيب بمكة، لأنّ محمدًا كان يعتقد أنّه مركز جميع الديانات التي جاءت بالتوحيد ، ولأنّ مدينة العالم المقدسة، فلما رأى العقال التي تجري في القسم العبري من الجزيرة انتهى بعد تردد إلى أنّ اليهود لا يبغون مهادنته، فقرر أنّ الوقت قد حان لإجراء تبديل" [1]،[2]

قتل عصماء بنت مروان

يتعرض بودلي إلى قتل عصماء بنت مروان لهجائها النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: "كرهت امرأة تسمى عصماء بنت مروان الإسلام ومحمدًا خاصة، فقد كانت تعتبره مقلقًا للسلام، وكانت موهوبة في الشعر، فكتبت هجاءً ذمًا في نبي الإسلام، وفي هؤلاء الذين يعتقدون فيه، ولما كان الساميون يحفظون الشعر في يسر راحت كلمات عصماء تتردد في فترة قصيرة في شوارع المدينة وحدائقها، فغضب المسلمون الذين كانوا في حالة لا تسمح بالسخرية منهم، فسر ذلك عصماء وأصدقاؤها وتكرار الهجاء .

---

[1] – المصدر السابق .ص 164.

[2] – نلاحظ هنا أنّ بودلي ينفي ماقيل من جعل النبي القبلة شطر المسجد الأقصى لإرضاء اليهود لأنَّها كانت في مكة قبل الهجرة إلى المدينة، ثم نجده يعتبر تغيير القبلة كان قرارًا من الرسول صلى الله عليه وسلم، بعدما تأكد له أنَّ اليهود لايريدون مهادنته، أي أنَّه ينفي ويقر في آن واحد، فهو ينفي في البداية ليهيئنا لقبول ما يقوله فيما بعد، وهذا دأبه دائماً، أي لقبولنا أنَّ قرار تغيير القبلة من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله، وأن التغيير كان بعدما فقد الرسول صلى الله عليه وسلم الأمل في مهادنة اليهود وهو بهذا يقر ما نفاه، وهو أنَّ الرسول صلىالله عليه وسلم جعل القبلة في البداية شطر المسجد الأقصى لإرضاء اليهود ،لأنَّه ما علاقة تغيير القبلة بمواقف اليهود إذا كان في البداية جعله القبلة شطر المسجد الأقصى ليس لإرضاء اليهود؟.

وأصبح هجاءً شخصيًا وراح أعداء محمد ينتظرون كل يوم شعرًا جديدًا يقدم في هؤلاء المتعصبين شاربي الألبان، وقد غاب عنهم أنّ شاربي الألبان هؤلاء قد يصبحون أيضًا ممن يسيلون الدماء، ولم يحصن عليهم طويل وقت حتى تيقنوا ذلك ." [1]، ثم يستطرد قائلًا: "ففي ليلة من الليالي لمّا انتهت عصماء من هجائها الشعري اليومي، ونامت على حصيرها، زحف رجل مسلم يدعى عُمير إلى دارها، وكان أعمى فكان لذلك من الميسور عليه أن يتحرك في الظلام فلما بلغ عصماء وجد إبنها بين يديها فنحاه عنها ، ثم وضع سيفه في صدر المرأة النائمة في قسوة حتى ألصقها بالأرض[2] ، فلما سمع محمد بما فعله عُمير ذهب إلى المسجد وخاطب المصلين وهو يشير إلى عُمير "من سره أن ينظر إلى رجل نصر الله ورسوله، فلينظر إلى هذا"، ثم يقول: "وضحت بجلاء السياسة التي ستتبع نحو اليهود ، وقد انتظر المسلمون أن يبدأ أعداؤهم الزحف الثاني، وقد جاء سريعًا"[3]،[4]

مقتل أبي عفك لهجائه للرسول صلى الله عليه وسلم

يتحدث بودلي عن قتل أبي عفك قائلًا : كان هناك رجل هرم يدعى أبو عفك، وكان يقرض الشعر أيضًا، وكان هدفه محمد، وقد كلفته هذه السقطة حياته[5] ."

---

[1] – المصدر السابق . ص 164.

[2] –هذا يخالف ماجاء في رواية ابن سعد " ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ".

[3] – المصدر السابق . ص 165.

[4] – هذه المقولة تبين لنا موقف بودلي من الصراع العسكري وهو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قرر أن يقضي على اليهود.

[5] – المصدر السابق .ص 165،166.

ثم يستطرد قائلًا " لقد زادت هذه الاعتداوات في حقد عبد الله بن أبي وأعدائه على المسلمين وأضافت خوفًا إلى عداوة اليهود، ولكنها لم تبدل من اتجاههم ، أو من معارضتهم لمحمد[1]."

يوم بني قينقاع في تصور بودلي

ويتحدث بودلي عن خرق بني قينقاع للمعاهدة المبرمة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصف طريقة خرقها "بطريقة ما" ثم يقول: "فدعا محمد روساءهم وقال لهم جزاء لما فعلوا: إمَّا أن يقبلوه كنبيهم أو يتحملوا نتائج أعمالهم ، فاستخف اليهود بِوَعيده وقالوا "لا يغرك يا محمد أنّك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس[2]" .

ثم يعلق بودلي على ما سبق قائلاً" :أخذ محمد بهذا التحدي، فلم يعمل في الحال ورأى أنّه من الأفضل أن يتريث حتى يعتدي اليهود اعتداء آخر قبل أن يضربهم ضربته"[3] ، "ثم يتعرض إلى حادث المرأة المسلمة في سوق بني قينقاع التي كانت سببًا مباشرًا في إجلاء بني قينقاع ، ثم يتحدث عن الغنائم التي غنمها الرسول صلى الله عليه وسلم .[4]

قتل كعب بن الأشرف ومعاهدة جديدة مع اليهود

ويتحدث بودلي عن مقتل كعب بن الأشرف لتحريضه قريش على المسلمين[5] ، وبعد مقتله .

---

[1] – المصدر السابق . ص 166.

[2] – المصدر السابق . ص166.

[3] – المصدر السابق . ص166.

[4] – المصدر السابق .ص167.

[5] – المصدر السابق . ص 168.

أهدر الرسول دم كل يهودي يثير الفتنة[1] ، ثم أعلن الرسول أنّ اليهود إذا التزموا بما بينه وبينهم من ميثاق يتركهم لشأنهم فبرمت معاهدة جديدة، وساد السلام مؤقتًا بين المسلمين واليهود .[2]

إجلاء بني النضير وتزييف بودلي في التاريخ بإخفاء وقائع

عند حديث بودلي عن إجلاء بني النضير نجده يكشف عما كان يحاول إخفاءه – تحيزه لليهود وتزييفه لتاريخ بإخفائه وقائع حدثت بالفعل فيقول: "ماكان له أعداء آخر غير قريش "البدو" حسب اليهود أنّ هزيمة أحد فرصة تهيئ لهم الوقوف أمامه وجهًا لوجه، وتجعلهم يتحدونه على قيادة المدينة ، ولكنه تعقبهم بنفس السرعة والحيوية التي تعقب بها البدو، كانت قبيلة بني النضير أكثر القبيلتين اليهودتين القاطنتين المدينة لغوًا وقد شك محمد في أنّهم يتآمرون على حياته، فلم يحقق الأمر، ولم يفاوضهم بل بعث إليهم رسولاً يحمل هذا الأمر الواضح غير الوضوح، إنّ رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي، لقد أجلتكم عشر فمن رأي بعد ذلك ضربت عنقه [3]، [4]

ثم يشير إلى موقف المنافق عبد الله بن أبي فيقول: "قد شجعهم على تحدي النبي ، وأنّه سيقف إلى جانبهم لو نفذ الرسول وعيده، فلما رفضوا إنذار الرسول ، حدثت المعركة حاملًا لواء الإسلام علي بن أبي طالب "، ثم يذكر أنّ اليهود دافعوا عن أنفسهم دفاعًا طيبًا، وصدوا هجوم المسلمين الأول ،ولكنهم لم يكونوا مستعدين لحصار طويل الأمد؛ إذ تخلى عبد الله بن أبي عن نجدتهم فماتوا جوعًا فاستسلموا بعد قطع محمد صلى الله عليه

---

[1] – المصدر السابق . ص 168.

[2] – المصدر السابق . ص 168.

[3] – المصدر السابق .ص 168.

[4] – المصدر السابق :.ص 168.

وسلم جميع نخيلهم وأتلف حدائقهم [1]، وهاجر بعضهم إلى أذرعات بالشام وبعضهم الآخر انضم إلى اليهود بخيبر التي تبعد مائة ميل من المدينة، وقد كشفوا فيما بعد أنّهم قد ارتكبوا خطأ ." [2]

ويشير إلى سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه اليهود، قائلًا : "أصبح لمحمد الآن – أي بعد جلاء بني النضير – سياسة ثابتة قبل اليهود، فإذا لم يحافظوا على السلام ، ويعترفوا بسلطانه ، فإنّه لا يرغب في وجود أي منهم في أي مكان قريب منه، فإنّه لا يستطيع أن يدع أعداء متأهبين عند بابه الخلف، فهو يحس أنّه آمن كلما غادرت قبيلة يهودية المدينة، وما كانت خيبر في حسابه بعد، ولا كانت بنو قريظة ولكنهما عما قريب ستدخلان في حسابه .[3]

بنو قريظة وهجوم بودلي على موقف الرسول صلى الله عليه وسلم بما يشبه الدفاع

يتحدث بودلي عن نقض بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكر أنّ سعد بن معاذ قد شك في بادئ الأمر في خيانة بني قريظة ، وتأكد من ذلك عندما قالوا له "من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولاعقد."[4] ، ثم يذكر بودلي أنّ الرسول صلى الله عليه

---

[1] – المصدر السابق . ص187.

[2] – المصدر السابق . ص 188.

[3] المصدر السابق . ص 188.

[4] – المصدر السابق .ص 203.

وسلم أرسل رجالاً [1]دون ان يستشير أعوانه ليحركوا ريبة بني قريظة وجنود أبي سفيان ثم يقول:

"دعا الجواسيس إلى معسكر محمد بعد أن بذر بدور الشك ليرتعوا ثمارها [2]".

ويتحدث عن أثر العاصفة[3] التي حلت بجنود قريش والمطر الشديد الذي أفسد خيامهم وأطفأ نارهم ففروا هاربين[4] ، ثم يقول:" وابتدأ محمد في عرض شروطه، بعد أن أشار إلى أنّ بني قريظة قد فجّروا في عهدهم، وأسلموه للعدو، وأنّ هذه ليست حالة خيانة فحسب، بل تآمر على الدولة، فلم يضع عليهم جزية، ولم يوجه إليه اتهامات، ولم يوقع عليهم جزاء من أي نوع، بل طلب منهم أن يدعوا دينهم، وأن يقبلوه زعيمًا لهم فرفض اليهود ذلك، وانسحب الوفد خلف أسوار الحصن، واستمر الحصار، ماكان أمام اليهود في النهاية إلا أن يسلموا أو يموتوا جوعًا ، فقالوا إنّهم يقبلون أي شروط أخرى ماعدا الإسلام، وطلبوا محايدًا ليحكم في قضيتهم، التمسوا زعيماً من زعمائهم وحلفائهم القدامى، "الأوس" ليكون قاضيًا عادلًا فوافق محمد على ذلك، وسألهم أن يعيّنوا واحدًا بالذات فطلب اليهود سعد بن معاذ دون تردد [5]".

---

[1] – الحقيقة أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل رجلاً واحداً هو نعيم بن مسعود ليقوم بهذه المهمة ، وكان قد أسلم ولم يعلم أحد الفريقين إسلامه.

[2] – المصدر السابق . ص 206.

[3] – رغم أنّ منهج بودلي مادي ؛إذ أنكر جميع المعجزات الحسية ،إلاّ أنّه أقر بهذه المعجزة الإلهية.

[4] – المصدر السابق .ص 206، 207.

[5] – المصدر السابق .ص 209.

ويشير إلى عمق جرح سعد بن معاذ من غزوة الخندق وسوء حالته، وبرغم هذا جاء ليحكم ، ثم يذكر حكمه " : فإنّي أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتغنم الأموال وتسبى الذراري والنساء .[1]"

وبعدما يصف تفاصيل تنفيذ الحكم نجده يرد علي من يجادل ويعارض هذا الحكم بقوله "إن إبادة اليهود جملة، موضوع جدال بين الذين يعتقدون في محمد، والذين لايؤمنون به، وإن مايمكن قوله هو أنه لما يصبح الناس متعصبين للدين يصيرون متعصبين فيحبون أن يقتلوا الذين يختلفون معهم في أمور عقائدهم، وهم يقتلون عادة في قسوة وجملة " [2] ، ويدعم قوله بوصف ما قام به النبي داود عليه السلام من أعمال الإبادة بالآمونيين، عندما هزمهم فيقول :

" فبعد مولد سليمان حوالي سنة 1035 قبل المسيح، هزم داود الآمونيين وسلب مدينة ربة، وإننا لنجد في التوراة "صموئيل الثاني، الإصحاح الثاني عشر" وأخرج داود الشعب الذي فيها، ووصفهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس حديد،وأمرهم في أتون الأجر ."[3]

كما يذكر بودلي أنّ شاول أرسل إلى نوب مدينة الرهبان قبل ذلك بسنين قليلة للضرب بحد السيف كلاً من الرجال والنساء والولدان لأسباب شخصية لادينية ." [4]

---

[1] – المصدر السابق . ص 210.

[2] – الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن متعصباً كما يقول بودلي، ولكن لكون الدين الإسلامي نسخ الأديان التي قبله فأصبحت الدعوة إلى الإسلام تشمل معتنقي الديانتين السماويتين السابقتين للإسلام اليهودية والمسيحية ،إضافة إلى الوثنيين والمجوس والبوذيين وغيرهم ممن اعتنقوا ديانات وثنية ابتدعوها ولم تكن من عند الله.

[3] – المصدر السابق .ص 211.

[4] – المصدر السابق .ص 211.

ثم يذكر أنّ مافعله الرسول صلى الله عليه وسلم ببني قريظة لا يختلف البتة عماجاء في الإصحاح العشرين من سفر التثنية "الاشتراع" فيقول: وفي الحقيقة إذا ما فكر يهود المدينة في الأمر لوجدوا أنّ محمدًا ما فعل شيئًا اكثر أو أقل من تنفيذ التعليمات التي وضعها قولهم في الإصحاح العشرين من سفر تثنية الاشتراع "، وحين تقرب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معاك حربًا، فحاصرها وإذا دفعها الرب إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك[1] ."

ثم نجده وهو يدافع عن نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم يصفه بالقسوة فيقول: "ما كان محمد أكثر أو أقل قسوة من أي زعيم ديني في التاريخ[2]، فقد كان عليهم أن يجعلوا الناس يحسون سلطانهم، ويجب ألا يغيب عن البال كيف كان من الضروري بالنسبة ألا يدفع أي شك يساورالناس في سلطانه هذا، وقف محمد وحده في بلاد العرب، وهي بلاد مساحتها ثلث مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، يقطنها حوالي خمسة ملايين نسمة، وما كانت ممتلكاته أوسع بكثير من "السنترال بارك" وكانت وسيلة تنفيذ رغباته [3] ثلاثة آلاف مقاتل مجهزين تجهيزًا، فلو أظهر ضعفًا أو سمح بوقوع خيانات دون أن يوّقع الجزاء الرادع لما عاش الإسلام أبدًا.

---

[1] – المصدر السابق . ص 211.

[2] – اعتبر النبي مجرد زعيم ديني أي جرده من النبوة.

[3] – يصور هنا غزوة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها كانت دفعاً لرغباته وهنا يدس السم في العسل فهو يدافع عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من بني قريظة فتارة يصفه بالقسوة وتارة أخرى يجعل غزواته وفق رغباته.

لقد كانت مذبحة اليهود هذه شديدة ، ولكنها ليست الأولى في التاريخ، وإنّها لعدل في نظر المسلمين ."[1] ، ومن ذلك الوقت أصبحت القبائل العربية واليهود يفكرون مرتين قبل أن يتحّدوا ذلك الرجل الذي صمم على أن يسير في طريقه ."[2]

يوم خيبر وأسباب وضعها بودلي

لقد وضع بودلي أسبابًامن عنده ليوم خيبر ولخصها في ثلاثة :

- السبب الأول: أنّ محمدًا لا يرغب في وجود يهود في جيرته ؛ إذ يبدو أنّهم لم يتلقوا درسًا على الرغم من التحذيرات المتعاقبة ، فما أن تلوح لهم بادرة حتى يبتدئوا في جلب المتاعب إلى المسلمين ، وكانت هذه حالة بني النضير على الخصوص ، فبعد أن سمح محمد لهم بترك المدينة دون أن يتعرض لهم أحد ، لم يفكروا في شئ أفضل من محالفة قريش ونزل بعضهم في خيبر ."

- السبب الثاني :أنّ محمدًا شاء أن يعوض خيبة الأمل التي فرضها على أصحابه في الحديبية[3] .

- السبب الثالث : رغبته في استخدام جيشه الجديد [4] ، [5] .

ثم يتطرق إلى مباردة علي "كرم الله وجهه" لبعض فرسان اليهود، ثم مبارزته لمرحب فارس اليهود ، الذي لم يهزم أبدًا ، وتمكن علي رضي الله

---

[1] – نلاحظ هنا قوله " إنّها لعدل في نظر المسلمين " ، أي أنّها غير عدل في نظر الآخرين والعدل لايتجزأ، أي أنّه يريد أن يقول " إنّها غير عادلة."

[2] – المصدر السابق . ص 212.

[3] – يردد مقوله جون غلوب ومونتجمري وات.

[4] – المصدر السابق . ص 264.

[5] – لم تذكر لنا المصادر عن تكوين جيش جديد بعد صلح الحديبية.

عنه منه وقتله، ويقتل بطل يهود وانسحبوا إلى دورهم فهاجمهم الرسول صلى الله عليه وسلم .[1]

ويقع بودلي مرة ثانية في خطأ تاريخي فادح ، فيقول: "وسلبت المدينة بعد ذلك، وعذب المسلمون زعيم خيبر، ثم قتلوه لما لم يعثروا على الكنز الذي كانوا يعتقدون وجوده ، وقد طرد باقي اليهود جميعًا من خيبر [2]ما عدا صفية عروس زعيم القبيلة.[3]

زينب اليهودية أخت مرحب والشاة المسمومة

ويتحدث "بودلي" عن زينب أخت مرحب التي تكره المسلمين وتمقت محمدًا، فقدمت شاة مشوية مسمومة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام يحب الشاة المشوية فمد يده إلى الوعاء وانتهش منها، فلما ازداد لقمة امتعض ، ثم لفظها وقال إنّها مسمومة، وكان أحد قواده قد ازدرد كل ما في فمه ، فما انقضت دقائق حتى كان ممددًا على الأرض ، وقد مات بعد ساعة وقاسى محمد . صلى الله عليه وسلم . الألم وتعب من السم لمدة طويلة ، ولكن ذلك لم يعييه ، فلما جيئ بزينب أمام محمد سألها: لما فعلت ذلك؟ فلم يكن جوابها مخلصًا ، ولكنه يدل على بديهة حاضرة قالت: وقد بلغت من قولي ما لم يخف عليك ، فقلت إن كان ملكًا استرحت

---

[1] – المصدر السابق .ص 268.

[2] – هذا خطأ تاريخي أخر لبودلي، فلقد كان من بنود اتفاق التسليم جلاء اليهود عن خيبر ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم تسامح معهم ووافق على بقائهم وزراعتهم أرضهم على أن يكون نصف المحصول للمسلمين، وهذا يبين لنا عدم دقة بودلي في كتاباته.

[3] – يقصد بودلي الرسول صلى الله عليه وسلم ،وهنا نجده تارة يعتبر النبي عليه الصلاة والسلام زعيمًا دينيًا وتارة أخرى زعيم قبيلة، ثم أنّ السيدة صفية ليست وحدها التي سبيت في هذه الغزوة.

منـه ، وإن كـان نبيًا فسيخبر" ثم يستطرد بـودلي قـائلًا : " ويقول بعض المعاصرين إنّ زينب قتلت ، ويقول آخرون أنّ محمدًا تركه ا، وقد أثرت فيه إجابتها المتملقة ."[1]

ويقع بودلي في خطأ تاريخي ثالث ؛ إذ يقول : " إنّ الرسول قد عاد بعد خيبر إلى المدينة ؛ إذ لم يكن أمامه شيئًا يفعله. "[2]

أنتوني نتنج كان معتدلًافي حديثه عن موقف النبي (ص) من بني قريظة

لم يتحدث انتوني نتنج عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من بني القينقاع وبني النضير، وإنّما اكتفى بالحديث عن يومي بني قريظة وخيبر، وحديثه عن أسباب يوم بني قريظة كان منصفًا إلى حد ما ، وإن اعتبر القضاء على بني قريظة بتصميم من الرسول صلى الله عليه وسلم ليأخذ بالثأر، وليس بأمر من الله بالتوجه إليهم والقضاء عليهم ، ويقول أنتوني في معرض حديثه عن غزوة الخندق "وزادت الأمور سوءًا عندما رفض يهود بني قريظة في المدينة مديد العون إلى المسلمين ، ناكثين بذلك حلفهم مع النبي ، كما قدمت بعض القبائل اليهودية خارج المدينة مساعدة نشيطة إلى قريش، صمم محمد على الثأر ، وعندما رفع الحصار انقض على معقل بني قريظة ، وبعد مقاومة استمرت خمسة وعشرين يومًا استسلم اليهود على أن يبت في مصيرهم الزعيم العربي سعد بن معاذ الذي كان معروفًا بأنّه يعطف عليهم ، ولكن سعدًا الذي جرح في حصار المدينة ، وجد غدرهم لا يمكن التجاوز عنه. وقضى بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال ، وهكذا نفذ حكم الإعدام في ستمائة يهوديًا ، وكان تأثير هذا

---

[1] – المصدر السابق ..ص269.

[2] – المصدر السابق . ص269.

الانتقام على قبائل الحجاز، والذي جاء في أعقاب فشل قريش في الاستيلاء على المدينة سريعًا وشديدًا كتيار الكهرباء ."[1]

لم يبين أنتوني أسبابًا لفتح خيبر وزيّف في حادثة الشاة المسمومة

ويقول أنتوني نتتج عن فتح خيبر : "وحتى يحافظ محمد على روح جيشه المعنوية بينما ينتظر التطورات على جبهة مكة قضى فترة الهدنة في مهاجمة القبائل التي لا تؤدي الجزية[2] ، فمن بين مواقع أخرى، أغير على مستوطنة يهودية على حدود نجد، وتم الاستيلاء على كنوزها وتقسيمها وفق القاعدة التي جاء بها محمد، وهي أن تكون أربعة أخماس الغنيمة للمحاربين والخمس لبيت المال، ولكن هذه المغامرة كادت تودي إلى موته؛ إذ أثناء الوليمة التي أقيمت احتفالًا بالنصر، نجحت يهودية في أن تدس له السم في طعامه[3] ، وبرغم أنّه عوفي بعد مرض دام أيام قلائل ،فقد أساء السم إلى صحته طيلة ما بقي من العمر .[4]

برنارد لويس يتعاطف مع اليهود ويخفي جرائمهم وخياناتهم

أمّا برنارد لويس فنجده يشير بإشارات عابرة إلى طرد بعض اليهود من المدينة "دون ذكر أسماء القبائل ، ثم يتحدث عن يومي بني قريظة وخيبر مخفيًا أسبابها، ولئلا يبين غدر اليهود وخيانتهم ونقضهم للعهود ، وتآمرهم

---

[1] – انتوني نتتج : العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ص 34، 35.

[2] – هنا خطأ تاريخي فالجزية لم تفرض إلا بعد يوم خيبر، وهذا يبين لنا عدم دقة المستشرقين في تحري الحقائق وهذا يتنافي مع المنهج الذي يدعونه.

[3] – خطأ منهجي آخر فقد زيَّف في الأحداث، فلم يقم المسلمون وليمة احتفالاً بالنصر، وإّنما زينب اليهودية أخت مرحب هي التي قدمت شاة مشوية مسمومة ،وقد ساق أحداث القصة بودلي .

[4] – المصدر السابق . .ص 35–36.

على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحالفهم مع المشركين للقضاء على الإسلام ، وليظهر اليهود بمظهر المظلوم المقهور المغلوب على أمره كعادة اليهود دائمًا ليكسبوا عطف الناس، يقول لويس "ولم يعان المسلمون – نتيجة لمعركة أحد هزيمة حقيقية، بل هاجموا وطردوا قسمًا من القبائل اليهودية القاطنة في المدينة، كما حدث سابقًا بعد يوم بدر ."[1] ، ثم يتحدث عن يوم بني قريظة فيقول بعد حديثه عنها دون أن يشير إلى غدر اليهود " وتلا هذا النصر استئصال يهود بني قريظة ".[2]

يوم خيبر في منظور لويس

ويبدأ حديثه عن يوم خيبر فيقول بعد حديثه عن صلح الحديبية:"قامت معارضة [3]بين بعض المسلمين المتحمسين في وجه هذه النتيجة غير الحاسمة ووجهت هذه المعارضة إلى واحة خيبر اليهودية ، وكان نصر المسلمين في خيبر هو أول احتكاك بين الدولة الإسلامية وشعب مقهور غير مسلم[4] ، كما كان أساس المعاملة في العلاقات المستقبلية من ذلك النوع

---

[1] –برنارد لويس . العرب في التاريخ ص 58–59.

[2] – برنارد لويس. العرب في التاريخ ص 58–59.

[3] – لم تكن هناك معارضة، كل ما هناك أنَّه كان في نفس سيدنا عمر بعض الجرح في قبول الشرط الثاني الذي ينص على أن "من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً محمد مع محمد لم يردوه إليه" ؛إذ كبر عليه هذا الشرط ،وهو عرف عنه صلب في الحق ، وقال ما في نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم فأجابه عليه الصلاة والسلام "أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني" ، فأذعن الفاروق رضي الله عنه، وأثبتت له الأحداث بُعد نظر الرسول .[د.محمد أبو شهبة: السيرة النبوية ،334/2، 335.]

[4] – وهذه النغمة التي يتكلم بها دائماً اليهود، وأنّهم شعب مقهور، وهو يلمح بهذا إلى أنّ اليهود في فلسطين مقهورين.

واتفق على أن يحتفظ اليهود وبأراضيهم لقاء جزية [1]قدرها نصف حاصلاتهم [2].

كارين أرمسترنج تقر أنّ نزاع الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة نزاع سياسي محض

تتحدث كارين عن التصورالغربي لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة وعلاقته بهم فتقول: "من الأمور شديدة الصعوبة علينا في الغرب فَهْمَ علاقات محمد بيهود المدينة، ذلك لأنّ الموضوع يبعث أشباحًا مخزية عديدة من ماضينا، لكن صراع محمد مع القبائل اليهودية الرئيسية الثلاث كان مختلفًا تمامًا عن الكراهية الدينية والعرفية التي أدت إلى أن يشعل مسيحيو أوروبا المذابح لمدة تقرب من ألف عام، ثم وجد إرهاب المسيحيين اللاعقلاني تعبيره النهائي في حملة هتلر الصليبية العلمانية ضد اليهود ، لكن لم يكن لدي محمد تلك المخاوف والأوهام ، كما لم تكن لديه أية رغبة في شعار "الإبادة لليهود" في المدينة ، فقد كان نزاعه مع قينقاع ذا طابع سياسي محض ، ولم يمتد ذلك النزاع ليشمل الشعائر اليهودية الأخرى في المدينة ، الذين حفظوا العهد وعاشوا جنبًا إلى جنب مع مسلمي المدينة في سلام ."[3]

---

[1] – هذه لا تسمى جزية ، وإنَّما خراج ، والجزية هي التي تؤخذ على الرؤوس أي على القادرين على حمل السلاح مقابل حمايتهم ، وتؤخذ من أهل الكتاب وتسقط بإسلامهم ، ثم أنّ الجزية شرعت بعد خيبر.

[2] – العرب في التاريخ . ص 59.

[3] – كارين ارمسترنج . محمد ص 277.

ثم تتحدث عن أسباب يوم بني قينقاع ، كما روتها المصادر الإسلامية، وكذلك كيفية إجلائهم [1].

أمّا في حديثها عن يوم بني النضير فقد قصرت الأسباب في تآمرهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إليهم يطلب مساعدتهم في دفع دية قتيلي بني عامر، إلاّ أنّها تقلل من قيمة الوحي بمؤامرة اليهود فتقول: "وفي الواقع لم يكن تحذير الوحي ضرورة قصوى ، فقد كان بعض أفراد القبيلة مازالوا يريدون الثأر لمقتل الشاعر كعب بن الأشرف ، وتذكر المصادر المسلمة بالتحديد الشخص الذي كان على وشك إلقاء جلمود على محمد من سطح قريب." [2]

ثم تسوق الأحداث الباقية وفق ماروته المصادر العربية[3] ، وكذلك في حديثها عن غزوة بني قريظة[4]، إلاّ أنّها تعلق على ماحدث لبني قريظة فتقول: "ومن غير المحتمل بالنسبة لنا نحن الغربيين أن نفصل تلك القصة عن أفعال النازي الشنعاء ، ولاشك أنّها ستؤدي إلى اغتراب كثير من الناس عن الإسلام اغترابًا أبديًا ، لكن بعض المفكرين الغربيين مثل مكسيم ردونسون ، ومونتجمري وات يقولون إنّه من الخطأ الحكم على تلك الحادثة بمعايير القرن العشرين ، فقد كان ذلك المجتمع بدائيًا ، وأكثر بدائية بكثير من المجتمع اليهودي الذي عاش فيه المسيح [5]، ودعا فيه إلى رسالة الرحمة والحب قبل ذلك بستمائة عام، ففي تلك الرحلة لم يكن لدى العرب مفهوم عن قانون طبيعي ، والذي من الصعب أن لم يكن من المحال أن

---

[1] – المصدر السابق . ص 275، 276.

[2] – المصدر السابق . ص 289.

[3] – المصدر السابق .ص 289، 290.

[4] – المصدر السابق .ص 303 – 307.

[5] – هكذا يصف وات وردونسون مجتمعنا الإسلامي بأنّه مجتمع غارق في البدائية.

يصل إليه قوم في غيابه حتى اليسير من النظام العام كذلك الذي كانت تفرضه الامبراطوريات القديمة في العالم القديم ، أما في زمن محمد فيبدو أنّ الحالة في المدينة كانت تشبه الحالة في القدس في عصر داود الذي كان قاتلًا أعظم أعداء الله ، وقد قام في إحدى المناسبات بذبح مائتين من الفلسطينيين القدماء ، وتم خصيهم وإرسال كومة قلقهم الدامية إلى ملكتهم ، أمّا كثير من المزامير التي نسبت لداود فقد تم تأليفها بعد عدة قرون بعضها كتب عام 55 ق .م ، لكنها تورد تفاصيل دموية لأفعال بشعة كان الإسرائيليون يأملون أن يرتكبوها في حق أعدائهم ، وهكذا لم يكن يتوقع في أوائل القرن السابع الميلادي أن يظهر قائد عربي أية رحمة تجاه خونة مثل القرظيين[1].

ثم تتحدث عن غزوة خيبر وفق ما ورد في الروايات الإسلامية ، وكذلك معاهدة الصلح التي وقعها مع يهود فدك [2]، إلاّ أنها لا تختلف عن بقية مستشرقي المدرسة الإنجليزية من جعل يوم خيبر فرصة للمسلمين لتحقيق ما لم يتمكنوا من تحقيقه في الحديبية ، وكأنّهم ذهبوا للحرب، وليس لأداء مناسك العمرة .

---

[1] – المصدر السابق .ص 307 ، 308.

[2] – الرسول صلى الله عليه وسلم نبي قبل أن يكون قائداً، ثم بماذا يفسر وات ورودنسون المذابح الدامية التي حصلت في القرن العشرين لشعب أعزل ،وهوالشعب الفلسطيني الذي لم يصدر منه ما يبرر المذابح التي فعلها اليهود بهم في دير ياسين وفي مخيمات اللاجئين في صبرا,وشاتيلا في لبنان ،وفي جنوب لبنان ،وفي غزة في نهاية 2008 ،و مطلع عام 2009 م ، وكذلك المذابح الصربية للمسلمين في البوسنة والهرسك وغيرها من المذابح؟؟.

خلاصة موقف المدرسة الإنجليزية من صراع الرسول العسكري مع اليهود في المدينة وخيبر

وبعد هذا العرض لمواقف بعض مستشرقي المدرسة الإنجليزية ومؤرخيها من الصراع العسكري بين الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين وبين اليهود في المدينة وخيبر نستخلص الآتي :

1- نظرًا لإجماع المستشرقين على اختلاف جنسياتهم واتجاهاتهم وتصوير التشريع الإسلامي أنّه مقتبس من اليهودية والمسيحية والوثنية، نجدهم يجمعون على أنّ من أسباب الصراع العسكري بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة هو رفضهم الاستجابة له بعدما حاول استرضاءهم بالتشريعات اليهودية التي شرعها في الإسلام .

2- انحياز الغالبية العظمى من المستشرقين الإنجليز إلى جانب اليهود ، وبشكل واضح ممّا جعلهم يزيّفون في التاريخ ، ويخفون وقائع حدثت أو ينكرونها ، أو يشككون فيها ليظهروا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعتدى على اليهود ظلمًا وبدون مبررات ، وأنّ اليهود مغلوبون على أمرهم مقهورون ؛ إذ نجد بعضهم قد تجاهل تمامًا نقض اليهود للعهود التي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما نجم عن هذا النقض من خيانات ومؤامرات ، رغم أنّ`بعضهم أقر بالصحيفة وما فيها من بنود مع اليهود مثل الفريد جيوم ، أمّا البعض الآخر فقد شكك فيما ورد عن نقض اليهود لمعاهداتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم مثل جب ووات وبودلي ، أما البعض الثالث فينكر أنّ هناك عهودًا بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنّ الرسول هو المعتدي عليهم لأنّه قرر التخلص

منهم مثل مرجليوث وبرنارد لويس ، إلاّ أنّه يستثنى من هؤلاء جميعًا أرنولد توينبي، وكارين آرمسترنج.

3- ادعاؤهم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد حارب اليهود للحصول على الغنائم ، والأموال وذلك لأنّهم يطبقون منهج التفسير المادي للتاريخ في كتابتهم للتاريخ الإسلامي .

4- التركيز على حوادث السرايا التي وجهت لقتل بعض الأفراد ومن اليهود الذين ناصبوا الرسول صلى الله عليه وسلم العداء ، وألبوا الناس على الإسلام لإحداث الفتنة مع تفصيل أحداث كل حادثة، كقتل عصماء بنت مروان ، وأبي عفك وكعب بن الأشرف ، وأبي رافع وأسير بن رزام ، وذلك ليصوروا الإسلام بالصورة الإرهابية .

5- اعتبارهم أنَّ من أسباب غزوة خيبر إزالة ما لحق بالمسلمين من خيبة أمل في صلح الحديبية .

6- زعم بودلي أن ّمن أسباب غزوة خيبر رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تجريب جيشه الجديد .

7- وقوع بودلي في أخطاء تاريخية فادحة لعدم دقته .

8- محاولة بعض المستشرقين دس السموم في العسل فيتظاهرون بالدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يدسون بين طيات الكلام سمومًا تصفه بصفات أشنع من التي يتظاهرون بدفعها عنه، مع أنّهم في النهاية يثبتون أيضًا ماينفونه، وقد ظهر لنا هذا بوضوح في موقف مونتجمري وات في عرضه لأسباب غزوة خيبر، وموقف بودلي في غزوة بني قريظة، وتظاهره بالدفاع عن موقف الرسول منهم ،وكذلك كارين .

9- قول بعضهم بأنَّ عليه الصلاة والسلام قد حارب اليهود ، لأنّه غيّر سياسته ، وقرر القضاء على كل من لا يدين بالإسلام سواء كان يهوديًا أو مشركًا دون أن يشيروا إلى نقض اليهود مابينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا القول يصوره عليه الصلاة والسلام أنّه هو الذي نقض العهد ، لأنّه غيّر فجأة سياسته وقرر ونفذ ما قرره ، وقد ظهر لنا هذا بوضوح في موقف مرجليوث ، وفي محاكمة وات الأخلاقية لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

10- جعل النبي صلى الله عليه وسلم يتخذ قرار الهجوم العسكري ، وينفذ لمجرد أنّه شك في تآمر اليهود مع العدو دون أن يتحقق من الأمر، مثلما تبين لنا ما ذكره هاملتون جب وزميله الهولندي كالمرز في يوم بني قريظة.

الرد على مزاعم وشبهات المستشرقين حول موقف الرسول (ص) من اليهود في المدينة وخيبر

بعدما تحددت لنا مواقف كبار مستشرقي المدرسة الإنجليزية من الصراع العسكري بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين واليهود في المدينة وخيبر وفدك وتيماء "في شمال الجزيرة العربية" أرى أنّه لزامًا عليَّ أن أرد على هذه المزاعم والافتراءات والشبهات من واقع الأحداث التي وقعت وفق روايات موثقة بعد اخضاعها لعلم الجرح والتعديل ، ليتضح لنا مدى تعاطف المستشرقين مع اليهود من جهة ، ومدى تزييفهم للتاريخ من جهة ثانية ،ومدى تحاملهم على النبي صلى الله وسلم من جهة ثالثة ، ومن جهة رابعة خروجهم عن الحيدة والموضوعية ومنهجية البحث العلمي التي يتظاهرون بها حتى آمن بما يقولون بعض الباحثين المسلمين ، وهذا البعض ليس بالقليل للأسف الشديد .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود وبعد وصوله المدينة

عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستقر بها أبرم الصحيفة التي كانت بمثابة دستور الأمة ، وهو أول دستور مكتوب يصدر في بداية تأسيس دولة ظهرت مقوماتها وتوافرت أركانها: شعب يتكون من المهاجرين والأنصار "المسلمين" ومشركين ويهود ولابد من تنظيم العلاقات بين أفراده وإقليم وهو يثرب: نواة الدولة الإسلامية لابد من حمايته من الخارج ومن الداخل ، وسلطة عليا مردها إلى الله ويمثلها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم عند مقدمه إلى المدينة حرص على إصدار هذه الصحيفة المكتوبة لتكون عهدًا وميثاقًا ودستورًا بينه وبين سكان المدينة من مسلمين ويهود ومشركين محددًا حقوق كل فئة والتزاماتها وواجباتها مع نبذ العصبية القبلية ؛ إذ حلت الأمة محل القبيلة، وكفالة الحرية الدينية لليهود مع فتح باب الإسلام لمن يرغب من اليهود والدخول فيه مع حماية الوطن من الخارج ومن الداخل بجعلها حرام على أهل الصحيفة ، وإلزامهم بدفع أي هجوم عليها ، والاشتراك في دفع نفقات الحروب ، وعدم إيواء أي أحد من الأعداء ، أو محالفتهم أو مناصرتهم، كما نجد الصحيفة نصت على رغبة المسلمين في التعاون الصادق مع اليهود في إشاعة الأمن والطمأنينة والقضاء على مدبري الفتن ، وأنّ أي خلاف مرده إلى الله ورسوله للبت فيه ، وأنّ من يرتكب إثمًا يوجب العقوبة نفذت عليه واشتراكه في الصحيفة لا يسقط عنه العقوبة ، كما نددت الصحيفة في أكثر من موضع بهلاك كل من ظلم وفتك ، بل الهلاك يعم أهل بيته ، هذه الصحيفة تبين لنا بوضوح موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة ، وأنّه يريد أن يعيش معهم في هدوء وسكينة وطمأنينة ، ولم يجبرهم على الإسلام ، ولم يضطهدهم في دينهم ، ولم

يحرم عليهم ممارسة عباداتهم وطقوسهم والاحتفال بأعيادهم ولم يصادر ممتلكاتهم ، ولم ينه صحابته عن مجالستهم ولم يطلب منهم مقاطعتهم اقتصاديًا وفكريً ا، بل تركهم يجتمعون بهم في الأسواق والمنازل ودور العلم ، بل نجده عليه الصلاة والسلام قد حاورهم واستمع إليهم وسمح لهم أن ينشروا ماعندهم من معرفة ، وأذن لصحابته بأن ينقلوا أحاديثهم التي تطابق أصل ديانتهم ولا تعارض ما جاء به الإسلام ، فقد احتوت كتب الصحاح والسنن حوارًا متنوعًا طرفاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعض المسلمين من جهة ، وأحبار اليهود وعامتهم من جهة أخرى. إلاّ أنّ اليهود لم يتخلصوا من عقدة التفوق التي أصيبوا بها [1]، ولم يقبلوا بنبي عربي والتعايش بين المجموعات التي تدين بدينه فلم تزدهم الأيام إلا عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يضمرون العداء والحقد والغيظ، ولكن قلة منهم قبلت وارتضت وأقبل بعضهم علي اعتناق الإسلام إيماناً ويقيناً كعبد الله بن سلام رضي الله عنه .[2]

أسباب عداء اليهود للإسلام

يرجع عداء اليهود للإسلام للأسباب الآتية :

1- ينبع السبب الأول من عقدة اليهود نفسها، فقد جاء في سفر التثنية "إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها ، فلا تسمع كلام ذلك

[1] –عبد الناظر. د . محسن بن محمد . حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود ص 15.

[2] – المصري . جميل عبدالله . أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية .ص 67.

النبي أو الحالم ، وذلك النبي ، أو الحالم يقتلّ تكلم بالزيغ من وراء الرب "[1] " الإصحاح ."٣١

2- أما السبب الثاني فيرجع لتهديد الإسلام لمصالح اليهود والاقتصاد ناهيك عن الاحتكار والاستغلال والربا وإنهائه للانقسامات والاضطرابات القبيلة بين الأوس والخزرج .

3- والسبب الثالث يكمن في أنّ اليهود كانوا يطمعون أن يضموا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى صفوفهم ، وأن يزدادو به على النصارى قوة ومنعة فوافقوا على العهد ، ولما ازدادت شوكة المسلمين قوة وغلبة أخذ اليهود المستنيرون من أمثال عبد الله بن سلام يعتنقون الإسلام عن إيمان ، وخشي اليهود أن يتسع انتشار الإسلام بين القبائل اليهودية، فبدأوا بشن العداء ضد الإسلام ورسول الإسلام والمسلمين ليحولوا دون إسلام بقية اليهود ليعضدوا المنافقين .[2]

4- والسبب الرابع سبق وأن ذكرته وهو شعورهم بالتفوق العنصري ، وأنّهم شعب الله المختار، فلم يقبلوا أن يخضعوا للنبي العربي ويدينوا بدينه، ولهذا وقفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الجمود والغدر، فلم يوفوا بوعودهم التي وافقوا عليها ، إلاّ ليخدعوا المسلمين ، وأتفق مع من رأى [3]بأنّ اليهود لم يكونوا مخلصين في عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما دخلوا فيه معه من عهود ومواثيق ، إلا ريثما يجدون لأنفسهم طريقًا آخرًا ؛ إذ رأوا تأجيل

---

[1] – وهذا السفر يبين لنا أنّ التوراة محرفة، لأنّ الله لا يأمر بقتل أنبيائه، ولا يطلب عدم تصديقهم ولا يصفهم بالزيغ والكذب، كما وصفهم هذا السفر.

[2] – المصري . جميل عبدالله . أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية . ص 67 ، 68.

[3] – الاستاذ الدكتور أحمد شلبي في كتابه التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

المجاهرة بالعداء للدعوة الإسلامية إلى الوقت المناسب ، فاليهود هم الذين بيتوا نية التنكيل والغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس الرسول هو الذي بيتها ، كما زعم المستشرقون الذين رسموه بنكث العهود والميل إلى سفك الدماء والطمع في أموال اليهود .

فمزاعم المستشرقين لا تتفق مع الآيات القرآنية وحقائق الوقائع والأحداث التاريخية ويخالف الروايات المتواترة عن نكث اليهود للمواثيق منذ اللحظة الأولى ، فقد كانوا يكيدون للإسلام من الداخل بإعلانهم الدخول في الإسلام ، ثم يعلنون الخروج منه بعد فترة زمنية لإيهام العرب عامة والمسلمين خاصة بأنّ هذا الدين الذي يدينون به ليس بشئ ، فقد قال عبد الله بن حنيف ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف بعضهم لبعض نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكذبه عشية حتى نلبس عليهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه[1] ، فأنزل الله فيهم (يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [2]

كما حاولوا تثبيط همم المسلمين عن دينهم فكانوا يشيعون بينهم عند قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة "إنّ الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنّما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة فإنّما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب[3] ، فأنزل الله فيهم قوله تعالى : (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا

---

[1] – سيرة ابن هشام :2/ 553 ، دار القبلة.

[2] – آل عمران : 71–72.

[3] – المصدر السابق : 2/ 5338.

فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[1]

وكما تبين لنا أنّ كثيرًا من المستشرقين زعموا أنّ اتجاهات النبي صلى الله عليه وسلم في الأيام الأولى من مقدمه إلى المدينة قد تأثرت بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود ، وأنّه كان يرجو أن يدخل اليهود في دينه، إلاّ أنّ الواقع التاريخي يثبت لنا أنّ صلة اليهود ودسائسهم وتعاونهم مع قريش ، ولم تكن الدعوة الإسلامية قد وصلت بعد إلى المدينة[2] ، وأمّا أن يطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إسلامهم ، فهذا مؤكد لأنّ دعوته للناس كافة ، وقد أسلم بعض اليهود .

مواقف اليهود العدائية من الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الصراع العسكري

لم يسفر اليهود عن عدائهم للرسول صلى الله عليه وسلم للإسلام ، وإنّما اتبعوا وسائل كشفت عما في نفوسهم من خبث الطوية وهذه الوسائل :

الحوار الجدلي

ويبرز في القضايا المتعلقة بالعقيدة، والتي أثارها اليهود ليبذروا الشك في النفوس ، وفي هذا تندرج أسئلتهم للرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح ، وكانوا قد وجهوها إليه عن طريق مشركي مكة وواصلوا ذلك بعد الهجرة ، فلقد أخرج البخاري في كتاب "العلم" عن شيخه قيس بن حفص قال: حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الأعمش سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: "بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه

---

[1] – البقرة : 80-81.

[2] – المصرى ، د . جميل عبدالله . مرجع سابق . ص 71.

وسلم في خرب المدينة ، وهو يتوكأ على عسيب معه ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه لا يجئ بشئ تكرهونه ، فقال بعضهم: لنسألنه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت: فقلت إنّه يوحى إليه فقمت ، فلمّا انجلى عنه فقال (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [1]قال :"الأعمش هكذا قراءتنا "[2]

هذا وعند تأملنا لهذا الحديث نجده قدم بطريقة تسمح للباحث دراسة الجانبين النفسي والسلوكي لليهود في المدينة ، وهم يحاورون الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالجدل الذي دار بين اليهود قبل توجههم بالسؤال عن الروح للرسول صلى الله عليه وسلم يظهر الحيرة التي كان عليها اليهود، والخوف الذي أنتابهم ، والجانب التسلطي الكامن في نفوسهم ، لأنّهم يعلمون أنّه النبي الخاتم ، فكانوا يخشون من جوابنه لأنّهم سألوه عن أمر لا يعرفه إلاّ بالوحي ولاشك أنّهم كانوا يودون أن يتلقوا من الرسول صلى الله عليه وسلم جوابًا محددًا يتمكنون بواسطته من أن يكذبوه ، وأن يبينوا أن ّذلك ليس هو المقصود بالروح ، ويريدون بذلك أن ينفض الصحابة من حوله عليه الصلاة والسلام ، كما أنّ سؤالهم هذا يعبر عن النزعة العدائية التي تمكنت في نفوس أغلبهم .[3]

---

[1] . الإسراء: 85.

[2] – لقد أورد البخاري هذا الحديث في التفسير والاعتصام بالكتاب والسنة والتوحيد ، فذكر عند تفسير سورة الإسراء ، وعنون له بباب "ويسألونك عن الروح"وفي الكتاب الثاني "باب ما يكره من كثرة السؤال" وخرج الإمام مسلم الحديث في كتاب المنافقين ضمن باب سؤال اليهود والنبي صلى الله عليه وسلم عن الروح، كما أخرج الحديث أيضاً الإمام أحمد والترمذي.

[3] – عبد الناظر، د . محسن . حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود. ص 24–60.

ومن الحوارالجدلي سؤالهم الرسول صلى الله عليه وسلم لإحراجه من ذلك قول اليهود للمسلمين لو أنّ ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم اتبعناكم فإنّه ينزل بالرحمة والغيث ، وأنّ جبرائيل ينزل بالعذاب والنقمة فإنه عدو لنا[1] ، فأنزل الله قوله تعالى : (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) [2]

قول سلام بن مشكم أحد بني النضير للمسلمين الذين ذكروا اليهود بأنّهم كانوا قد أخبروهم – وهم أهل شرك – بأنّه صلى الله عليه وسلم مبعوث ووصفوه بصفته فكان رد سلام: "ماجاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم "فأنزل الله قوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [3]

ولقد حاول اليهود والنصارى استمالة الرسول صلى الله عليه وسلم لدينهم[4] ، بقولهم "ما الهدى إلاّ ما نحن فيه فاتبعنا يا محمد تهتد" فأنزل الله فيهم (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[5]

- إشاعة رؤساء اليهود وعلمائهم نعوتًا مخالفة لنعت النبي صلى الله عليه وسلم قائلين هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي .

---

[1] – تفسير ابن كثير.

[2] – البقرة : 97–98.

[3] – البقرة 89.

[4] – تفسير ابن كثير . 1/ 72.

[5] – البقرة : 135.

وطلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالمعجزات، كما جاء ذلك في القرآن الكريم ، يقول جل شأنه : (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[1] .

- وطلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بكتاب من السماء ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في سورة النساء (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا.)[2]

-اتباعهم أسلوب التورية قاصدين به التنقيص والسخرية بالإسلام ونبيه ودعوته ، وتأويل القول بحمله على غير معناه الذي وضع له ، وهذا هو تحريف الكلم عن مواضعه في كتبهم من قبل ، فكانوا إذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا: راعنا ويورون بالرعونة [3]، فأنزل الله قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [4]

-محاولتهم إقناع الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوراة والسبت ، فقد جاء إليه عبد الله بن سلام وثعلبة بن ياحين وأسد وأسيد إبنا كعب وسعيد بن عمرو بن زيد وكلهم من اليهود ، قالوا يا رسول الله يوم السبت يوم نعظمه فدعنا فلنسبت فيه ، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها الليل[5] ، فنزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

---

[1] – آل عمران : 183.

[2] – النساء : 153.

[3] – تفسير ابن كثير . 1/ 148.

[4] – البقرة : 104.

[5] – تفسير ابن كثير . 248/1.

الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [1]

وقد لامهم الله عز وجل على عدم إيمانهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الجدال والخصام، يقول جل شأنه : (وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[2]

كما جاء في حقهم قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [3]

- ولما عجزوا عن استمالته صلى الله عليه وسلم وبطلت حججهم عادوا إلى أسلوب الجاهلين والوثنيين استكبارًا وابتغاء عن الحق ، فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته قال له رافع بن حريملة ومالك ابن عوف: "بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرا منا ."[4] فأنزل الله قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)[5] ، وحاول بعضهم إحراج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأسئلتهم فقد جاءه نفر فقالوا : " يا محمد أخبرنا عن

---

[1] – البقرة : .208– 209.

[2] – البقرة : 101.

[3] – البقرة : 89.

[4] – تفسير ابن كثير. 204/1.

[5] – البقرة : 170.

أربع نسألك عنهن فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك " وبعد أن أخذ عليهم المواثيق والعهود أن يصدقوه القول أجابهم على أسئلتهم فنكثوا .[1]

وهكذا يتضح لنا أنّ الدوافع التي حركت اليهود في حوارهم الجدلي مع الرسول صلى الله عليه وسلم لا تخرج عما ركبت عليهم نفوسهم من عُقد نفسية جعلتهم يؤمنون بأنّهم شعب الله المختار، وأنّ معرفتهم لا تدانيها معرفة ، وأنّ الناس جميعًا خلقوا ليكونوا في خدمتهم، وتحت سلطتهم. فلا يكون أحد ملكًا إلاّ إذا سمحوا له بذلك ، ولايصير نبيًا إلاّ إذا أباحوا له ذلك ، وإذا سلموا بصدق شخص ، أوخبر وجب على الناس أن يصدقوه ، وإذا كذبوه وجب على الناس تكذيبه .

وكما اتضح لنا من عرض بعض ما دار بين الرسول وبينهم من حوار، متنوع الوسائل والأساليب التي اتبعوها لتحقيق أهدافهم ، كما تلاحظ من هذا الحوار أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم على علم ودراية بما تنطوي عليه نفوسهم ، فكان لا يطيل معهم في الحوار الجدلي ليسفد مخططاتهم وليظهر أنانيتهم ويجيبهم بآية بينة ، أو بدليل قاطع فيسد أمامهم القيل والقال ، والسؤال الذي فيه مغالطة وهو إلى جانب ذلك يعّمق في المؤمنين إيمانهم بوحدانية الله تعالى وقدرته وحكمته ، وما أنعم عليهم من نعم أهمها الإيمان بالله "الإسلام" ، وبهذا محا الرسول صلى الله عليه وسلم بوحي من الله العقيدة الإسلامية من السلبية ، ومن التحول إلى مجموعة من النظريات المجردة التي لا يمكن تنزيلها إلى الواقع العملي ، أو استخدامها لتعديل السلوك البشري، فلم يترك لليهود ينعمون بفرحة الانتصار؛ إذ كان يجيبهم بطريقة فيها من الإعجاز والإيجاز الشئ الكثير فيظهر أدلتهم ومخالفتها إلى جانب قوة أدلته لأنّها من عند الله ،ونفاذها إلى العقل لما اتسمت به من

[1] – سيرة ابن هشام . 543/2.

رقة في القول وبلاغة في التعبير، وارتباط بالحياة ، وبما جبلت عليه النفس البشرية[1] ، فقد كان الوحي معه وكلما سألوه سؤالًا ينزل الله وحيًا بالجواب.

2 ـ إنشاؤهم حزب المنافقين

لليهود مع النفاق قصة طويلة لازمتهم في كل أدوار تاريخهم الطويل ، وتأتيهم به الأوامر اليهودية من قادتهم وأمرائهم وأحبارهم لايرون فيه بأسًا مادام اليهودي محافظًا على يهوديته سرًا، وقد استطاع اليهود أن يمكروا هذا المكر بكل الأديان ليصلوا عن طريقه إلى مايبتغون. فاستغلوا خبرتهم الطويلة في النفاق ، وكونوا حزبًا مستورًا من المنافقين من عرب يثرب مع بعض أفراد منهم أسلموا نفاقًا، وكان على رأسهم عبد الله ابن أبي ، هذا ومما تجدر الإشارة إليه أنّ العرب عرفوا النفاق من اليهود بديل أنّه لم يظهر منافقون في مكة "في الدور المكي ، لأنّ العرب كانوا صرحاء في حربهم الإسلام – وكان غرض اليهود من ذلك أن يجعلوا من المنافقين جيشًا داخليًا معاديًا للإسلام والمسلمين ينخذل عن الرسول صلى الله عليه وسلم عند الأزمات والمواقف الحاسمة ، ويكون في نفس الوقت سند لليهود عند تعرضهم لنقمة المسلمين فكان الكلام العضوي بين اليهود والمنافقين على طول خط السير الذي سلكوه في معاداة الإسلام والمسلمين ، وكما سيظهر لنا من خلال الصراع العسكري بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومشركي مكة من جهة وبينه وبين اليهود أنفسهم من جهة أخرى ، فلقد عقد بين اليهود والمنافقين حلف طبيعي على السعي والتضامن على الكيد لتقويض الإسلام من

[1] عبد الناظر ، – د . محسن . مرجع سابق . ص 39–40.

الداخل، واتفق هؤلاء مع اليهود في المدينة على أن يبقوا في السر على ما كان بينهم من حلف قبل الإسلام ، وعلى ألا يخلصوا لذلك الحلف الجديد الذي عقدوه مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أكد القرآن الكريم على قيام هذا الولاء المتبادل بين المنافقين وبعض طوائف اليهود يقول جل شأنه (فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ)[1]

ثم أنّ موقف عبد الله بن أبي زعيم المنافقين الودي مع بني قينقاع والنضير بعد حصار الرسول صلى الله عليه وسلم لهما يدل دلالة أكيدة على هذا التعاطف بينهما ، وممّا يؤكد هذا الحب المتبادل بكاء اليهود على عبدالله بن أبي عندما حضرته الوفاة ، وكذلك عندما أراد أحد أبناء عبد الله طردهم غضب عليه أبوه ، وذكر له أنّ قُربهم يشفي صدره ، ولما مات أراد اليهود دفنه ، ولشدة حزنهم عليه أخذوا ينثرون التراب على رؤوسهم [2]، فالمنافقون لم يقودوا ويثبتوا ، ولم يكن منهم كل ذلك الأذى والدس إلاّ لدعم اليهود لهم ومؤازرتهم ، فبدأ عملهم في مرحلة متقدمة من الصراع السلبي استمر إلى ما بعد ذلك بمراحل، فكانوا يقلدون الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، ويفعلون ما يفعلون سخرية واستهزاء[3] ، ومن اليهود الذين اسلموا نفاقًا: جبل القرطي ، وزيد بن الليث "من أحبار القينفاع" الذي قاتل

---

[1] – المائدة : 52–53.

[2] – العقيلي ، د . محمد أرشيد . اليهود في الجزيرة العربية . ص 140.

[3] – عبد الناصر ، د . حسن. مرجع سابق. ص 74.

سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بسوق قينقاع ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم محمد أنّه يأتيه خبر من السماء ، وهو لا يدري أين ناقته[1] ، ورافع بن حرملة ، من أحبار بني قينقاع وكذلك رفاعة بن زيد بن التابوت .[2]

طرد المنافقين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزؤن بدينهم ، فاجتمع يومًا بعض منهم في المسجد ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهامسون خافضي أصواتهم، وقد لصق بعضهم ببعض فأمر بإخراجهم من المسجد .[3]

3-سعيهم في الوقيعة بين الأنصار

يروي لنا ابن إسحاق ماقام به شاس بن قيس اليهودي من دور للوقيعة بين الأنصار فيقول: "ومرشاس بن قيس وكان شيخًا قدعًا"أي أسن وولي" عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسم لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، في جمع قد جمعهم، يتحدثون فيه ... ما رأي من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العدواة في الجاهلية فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم فقال: إعمد إليهم فأجلس معهم، ثم أذكر

---

[1] – سيرة ابن هشام 2/ 527.

[2] – سيرة ابن هشام 2/ 527.

[3] – المصدر السابق .2 /528.

يوم بُعاث وماكان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار[1] ، فاستطاع بالتعاون مع بعض المنافقين أن يحول مجال الحديث إلى الشعر والتفاخر بما كان في أيام الجاهلية ، وخاصة بما كان بين الأوس والخزرج يوم بُعاث فتحركت روح الجاهلية فتكلم القوم وتنازعوا وتغافروا حتى تواثب رجلان من الحيين أوس بن قيظي من الأوس ، وكان منافقً ا، وجبار ابن صخر من الخزرج فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة وتنادوا السلاح ، فبلغ ذلك مسامع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج مع من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين الله، الله أبدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم، فأفاق القوم من غفلتهم فبكوا وتعانقوا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين[2] ، ونزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [3]

وهكذا نجد كيف ان الله جلت قدرته قد أطفأ عن المسلمين كيد عدو الله شاس بن قيس[4] .

---

[1] – سيرة ابن هشام . 555/2.

[2] – المصدر السابق . 556/2، 557.

[3] – آل عمران : 100– 101.

[4] – المصدر السابق . 556/2.

4-محاولتهم إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفتنته

لقد بلغت الجرأة باليهود ما قاموا به من محاولة لمساومة الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأحكام أملًا في فتنته ، فقد روى ابن هشام أنّ جماعة من أحبار اليهود وأشرافهم ذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بحجة أنّ بينهم وبين بعض قومهم خصومة ، فطلبوا منه أن يقضي لهم عليهم مقابل أن يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فرفض الرسول ذلك، وقد نزلت بعض الآيات تنبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحيلة اليهودية [1]، يقول تعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) [2]

كما أورد البخاري [3]أنّ اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له أنّ رجلًا منهم وامرأة قد زنيا ، فسألهم الرسول صلى الله عليه وسلم عما في التوراة من الرجم فأجابهم "نفضهم ويجلدون" إلاّ أنّ عبد الله بن سلام[4] ، كذبهم وإبان بأنّه الرجم واظفرت التوراة، فحاول أحدهم أن يضع يده على آية الرجم إلى أنّ عبد الله بن سلام رفع يده عنها ، وغرض اليهود واضح من تلاعبهم بأحكام التوراة هو امتحان الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم القرآن الكريم أو بقصد إشاعة عدم الثقة بين المسلمين.

---

[1] – تفسير الطبري . 614/4.

[2] – المائدة : 49.

[3] – صحيح البخاري " باب : قل فأتوا بالتوراة " من كتاب التفسير.

[4] – هو من أحبار اليهود ،ومن الذين أسلموا وصدقوا في إسلامهم.

5_ مناواتهم حول تحويل القبلة

لقد استغل اليهود تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة ، فقاموا بمناورات خبيثة هدفها زعزعة إيمان الناس بالإسلام، بل ومحاولة فتنة النبي صلى الله عليه وسلم ليعصي أمر ربه ، فقد جاء نفر من زعمائهم "رفاعة بن قيس ، وقردم ابن عمرو حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق[1] ، فقالوا:" يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنّك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها فنتبعك ونصدقك. "وإنّما يريدون فتنة عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[2]

كما أنّ اليهود استغلوا النسخ في القرآن الكريم ، كما يستغله الآن معظم المستشرقين، على اعتبار أنّ أول نسخ في القرآن الكريم خص القبلة[3] ، فاتخذوا منه مادة للطعن في النبوة، ليفتنوا ضعفاء العقيدة ، فساقوا بعض الشبهات بأنّ محمدًا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، وقد رد القرآن

---

[1] – هو من أحبار اليهود والذين أسلموا وصدق5/2 ، كما وردت في الروض للسهيلي 216/2، ، محمد باشميل موسوعة الغزوات الكبرى : 75/2.

[2] – البقرة : 142-143.

[3] – تفسير ابن كثير : 157/1.

على هذه الشبهات لدحضها وإزالتها من الصدر : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) [1]

6- تحالفهم مع مشركي مكة

لقد علق اليهود آمالًا كبيرة على التقاء جيش مشركي مكة مع المسلمين في معركة بدر، وكان اعتقادهم أنَّ المسلمين سيهزمون فيها ، وأكبر دليل على ذلك الحرب النفسية التي نظمها اليهود مع المنافقين ضد المسلمين أثناء المعركة ، ومن مظاهر هذه الحرب ما أشاعوه بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، وأنّ جيشه قد تحطم في بدر، وأنّ جيش مكة زاحف لاحتلال المدينة ، وكادت هذه الشائعات أن تؤثر في نفوس المسلمين لولا أن جاءتهم البشارة بالنصر ففرح المسلمون به ، وصعق اليهود لهول النبأ ، ولم يصدقوا إلاّ عندما رأوا قادة قريش أسرى .[2]

7- إثارة القبائل العربية الوثنية خارج المدينة

عندما فشلت كل محاولات اليهود الملتوية لتقويض دعائم الإسلام ودولته الجديدة لجأوا إلى محاربة الإسلام بإثارة القبائل العربية خارج المدينة لتجريد الجيوش الوثنية للقضاء على هذه الدعوة ، وكما يبدو أنّ هذه المحاولة

---

[1] – البقرة : 106- 108.

[2] – هو من أحبار اليهود والذين أسلموا وصدق5/2 ، كما وردت في الروض للسهيلي 216/2، ، محمد باشميل موسوعة الغزوات الكبرى . 75/2.

الخطيرة جعلت القيادة الإسلامية تغير من نظرتها التقليدية المتسامحة مع اليهود[1].

وبعد هذا العرض الموجز للحرب النفسية التي وجهها اليهود في المدينة ضد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وما أداروه من حوارات مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما قاموا به من أعمال لإثارة فتن داخلية تمس العقيدة حينًا وتزعزع الإيمان حينًا آخر، وتمزق جسد الأمة أحياناً ثالثة ، وما قاموا به من تحالف مع مشركي مكة ، وإثارة القبائل العربية الوثنية خارج المدينة لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى تكوينهم حزب المنافقين ، وزرع النفاق في المدينة بقصد تكوين مناوئين للرسول صلى الله عليه وسلم ومحاربين له وللإسلام من داخل المدينة يتضامنون معهم ، يتبين لنا من العرض السابق الآتي :

- أولًا : أنّ اليهود في المدينة قد نقضوا الصحيفة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم فكل ما قاموا به يتناقض مع بنود الصحيفة التي أبرمت معه ، أو القضاء عليهم كما يدعي المستشرقون ، بل صبر عليهم كثيرًا مع أنّهم حاربوه جهرًا بالكلام ، ودسوا الدسائس وبثوا الفتن ، وبذروا بذور النفاق وعملوا على إنمائها ، بل كانوا اليد الخفية لحركة المنافقين ، كما تحالفوا مع مشركي مكة ، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا لم يبدأ بقتالهم ، وبدأ بمعاقبة أفراد منهم على ما اقترفوه من جرم في حق المسلمين ، ولم يتوجه لمقاتلة قبيلة منهم بأكملها إلا بعدما أعلنوها صريحة أمامه أنّهم أقدر على مقاتلته وهزيمته من مشركي مكة، ثم اعتدوا على حرية إحدى نساء الإسلام في سوقهم ، وقتلوا مسلمًا ، فبدأ بمقاتلة القبيلة التي صدرت منها هذه الأعمال، وكان ذلك بوحي من

[1] – العقيلي ، د . محمد أرشيد . مرجع سابق. ص١٤١ .

عند الله، وعندما ثبتت له خيانة الأخرى "بني النضير" وتآمرها على قتله توجه إلى محاربتها بوحي من الله وهكذا ، فرغم كل ماصدر منهم لم يبت في أمر مقاتلتهم إلّا بعدما يستوجب الأمر قتالهم وبإذن الله له بذلك ، لأنّه لو تركهم سيكونون خطرًا على الإسلام وينقضون هم على المسلمين ويخرجونهم من المدينة .

-ثالثًا: يتضح لنا بيقين لا يقطعه أدنى شك أنّ المستشرقين قد تجردوا من النزاهة والأمانة العلمية ، ومن الحيدة والموضوعية لإغفالهم كل هذه الوقائع والأحداث التي ورد معظمها في القرآن الكريم، بل كان حدوثها سبباً في نزول كثير من الآيات ، ولو تأملنا سورة البقرة وقرأنا تفسيرها نجد أنّ الآيات التي تخص بني إسرائيل واليهود كانت عما دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة من حوار رداً على أسئلتهم، وتكذيباً لأقوالهم، وإخماداً لما يريدون إثارته من فتن، كما نجدها وردت في كتب الصحاح الستة وفي كتب المغازي والسيرة.

فهل المستشرقون جميعهم لم يقرأوا هذه الأحداث ، ولا يكاد يخلو كتاب سيرة منها مثل سيرة ابن هشام ، والمغازي للواقدي، والطبقات لابن سعد، وتاريخ الطبري ، والروض الأنف للسهيلي ، وعيون الأثر لإبن سيد الناس، والبداية والنهاية لابن كثير، وسُبل الهدى والرشاد للشامي ، وغيرها كثير إضافة إلى أنّ معظمها قد ورد في كتب التفاسير مع أننا نجد المستشرق الفرنسي "أميل درمنغم[1] ، ولم يكن معتدلاً في كتابه محمد بل كان متحاملًا كثيرًا على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام إلاّ أنه مع هذا اعترف بأنّ اليهود لقوا تسامحًا كثيرًا من الإسلام.

[1] – درمنغم ، أميل . حياة محمد.

أسباب قتل بعض الأفراد من اليهود

كما لاحظنا أنّ المستشرقين قد ركزوا على قتل الأفراد الخمسة اليهود ، وفصلوا في كيفية قتلهم ، وقد دافع عنهم المستشرق اليهودي الفرنسي مكسيم ردونسون ، وأطلق على عصماء بنت مروان وأبي عفك لقبًا "صحفي ذلك الوقت" ووصفتها جويل كار مايكل "بمشعلي نار المعارك [1]"، وقد هدف المستشرقون من هذا إظهار النبي صلى الله عليه وسلم بالإرهابي ، مع أنّهم هم المستشرقون أقروا بالأعمال التي قام بها هؤلاء الخمسة :

فعصماء بنت مروان كانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه وتهجوه بالشعر [2] ، وقتلها عمير بن عدي وكان أعمى، أما أبو عفك كان يحرض على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يدخل في الإسلام، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر رجع وقد ظفره الله بما ظفره فحسده وبغي فقال :

قد عشت حينًاوما إن أري من الناس دارًا ولا مجمعًا
أجم عقولًا وآتى إلى منيب سراعًا إذا ما دعا
فسلبهم أمرهم راكب حرام حلال لشتى معًا
فلو كان بالملك صدقتم وبالنصر تابعتم تبعًا

فقتله سالم بن عمير، وكان في شهر شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة [3].

---

[1] – أحمد ، د . بركات . محمد واليهود ونظرة جديدة. ص 102 ، 0103

[2] – الواقدي . المغازي 172/1– 174 ، ابن سعد : الطبقات 27/2–28 ، ابن سيد الناس . عيون الأثر 350/1– 351.

[3] – ابن هشام . السيرة . 4/ 635 ، الواقدي : المغازي : 1/ 174– 175، ابن سعد . الطبقات 20–28، ابن سيد الناس . عيون الأثر 1/ 35.

وفاق الإثنين كعب بن الأشرف أمه من بني النضير، وكان شاعرًا فاجرًا ولما جاءته هزيمة قريش في بدر ومقتل أشرافهم قال :والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها" وخرج إلى مكة ليؤكد الحلف الذي يربط اليهود بمشركي مكة للوقوف ضد المسلمين، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر، ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر ومن شعر الذي أورده ابن هشام هذه الأبيات التي يبكي فيها قتلى قريش ببدر، ويحرض المشركين على القتال وتوجيه الجيوش إلى المدينة:

نُبئت أن بني المغيرة كلهم خشعوا لقتل أبي الحكم وجدعوا[1]

وأبناء ربيعة عنده ومنبه ما نال مثل المهلكين وتبع [2]

نُبئت أن الحارث بن هشامهم في الناس يبني الصالحات ويجم

ليزور يثرب بالجموع وإنما يحمي علي الحسب الكريم الأروع [3]

وعندما عاد إلى المدينة جاهر ابن الأشرف بعدائه وشبّب بنساء المسلمين في المدينة كأم الفضل بنت الحارث وغيرها فآذى المسلمين، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول "من لي يابن الأشرف، فقام بقتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه مع أربعة من الأنصار على رأس خمس وعشرين شهرًا من الهجرة .[4]

---

[1] – التجديع : قطع الأنف.

[2] – تُبَّع ملك من ملوك اليمن.

[3] –الأروع : الذي يرد عن عرضه وماله

[4] – انظر سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف في ابن هشام. السيرة 51/3 الواقدي 184/1–193ابن سعد. الطبقات31/2. :تاريخ الطبري :. 487/2–492،البيهقي. الدلائل . 43/2 ،ابن عبدالبر.آ الدر في اختصار المغازي والسير . ص142 السهيلي . الروض الأنف

وجاء في شرح النووي لحديث مسلم عن قتل كعب بن الأشرف "ذكر مسلم فيه فعلة محمد بن مسلمة مع كعب بن الأشرف بالحيلة التي ذكرها من مخادعته واختلف العلماء في سبب ذلك وجوابه، فقال الإمام المازدي إنما قتله كذلك لأنّه نقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه ، وكان عاهده ألا يعين عليه أحدًا، ثم جاء مع أهل الحرب معينًا عليه ."[1]

هذا وقد ناقش أحد الباحثين [2] مقتل كعب بن الأشرف فقال: "أكثر المؤرخون الغربيون من نقد هذا التصرف ،ووصفوه بأوصاف مختلفة ، وإذا طبقنا عليه مقاييس الشرعية الإسلامية لوجدنا أنّ كعب قد تكون له صفة الموادع ، إذا اعتبرناه من مطلق أهل المدينة من اليهود والذين شملهم عهده صلى الله عليه وسلم لليهود وحين دخلها، قلنا: إنّ ذلك العهد تضمن لهم الأمان في دار الإسلام وهو قد ترك دار الإسلام ، ولحق بدار الحرب وحرَّض أهلها على المسلمين يعتبر بذلك ناقضًا لعهده فتطبق عليه أحكام الحربي ، ونزول عصمة نفسه وماله في دار الإسلام فيحل قتله"[3]

فابن الأشرف يعتبر خارجًا من قوانين العهد الذي أبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة ، وكذلك من سبقه من الشعراء اليهود وعصماء وأبو عفك والصحيفة يذكر فيها في أكثر من بند بإنذار بالهلاك لكل من ظلم أو فتك أو أثم من أهل الصحيفة.

145/3، ابن حزم جوامع السيرة. ص114 . 115، ابن كثير . البداية والنهاية 6/4، ، ابن الأثير الكامل 38/2 ، ابن سيد الناس . عيون الأثر 356/1

[1] – صحيح مسلم / النووي 161/12.

[2] – هو الدكتور مصطفى كمال وصفي في كتابه محمد صلى الله عليه وسلم وبنو إسرائيل.

[3] – المصري ، د . جميل . أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية. ص ٩٩ – 100

أسباب مقتل أبي رافع سلام بن الحُقيق وأسير بن رزام اليهوديين

في الفترة مابين يومي بني قريظة وخيبر قام المسلمون بقتل شخصيتين يهوديتين لهما وزنهما في قومها الشخصيتان هما: أبو رافع سلام بن أبي الحُقيق ، وأسير بن رزام ، فقد كان أبو الحقيق يُحرِّض على قتال المسلمين بعد غزوة بني قريظة ، فهو ممن حزَّب الأحزاب على المسلمين ، وكان على علاقة طيبة بغطفان فتوجه إليهم إليهم قبل الأحزاب وإلى من حوله من مشركي العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمر في تحريض المشركين واليهود ، فعرضت الخزرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذن عبدالله بن عفك ، وعبدالله بن أنيس ، ومسعود بن سنان وأبا قتادة الحرث بين ربعي وخزاعي بن أسود من الخزرج رسول الله بقتل أبي رافع ، فإذن لهم قتله على ألا يقتلوا النساء والصبيان فتمكنوا من قتله .[1]

وبعد مقتل أبي رافع تولى زعامة خيبر اليسير بن رزام الذي استمر يحرض اليهود والقبائل العربية ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة على رأس ثلاثة نفر للتأكد من ذلك ، وكان ذلك في رمضان في السنة السادسة للهجرة ، وعادوا بعدما تبين لهم أنّ أسير يعُد العدة لغزو المسلمين فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن رواحة ثانية ومعه ثلاثون نفرًا لمفاوضة أسير، وفعلًا فاوضوه على أن يأتي معهم إلى يثرب ليستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على خيبر ويحسن إليه ، فخرج

---

[1] – ابن هشام . السيرة 273/3 ، الواقدي : المغازي 394/1 ، ابن سعد : الطبقات : 91/2 ، تاريخ الطبري . 493/2 ، ابن حزم . جوامع السيرة ص 145– 146 ، ابن الأثير . الكامل 42/2.

ومعه ثلاثون رجلًا من يهود إلاّ أنّه في الطريق ندم على خروجه، واقتتل المسلمون واليهود وقتل أسير، ولم يفلت من رجاله إلاّ رجلًا واحدًا[1] ، وكان قتله في السنة السادسة للهجرة .

ويرى ولفنسون أنّ عبدالله بن رواحة ، لم يأت إلى خيبر لعقد معاهدات بل لتنفيذ خطة سياسية خطيرة من شأنها إضعاف اليهود عن طريق قتل بعض زعمائهم[2] ، هذا وليس في المصادر الأساسية ما يشير إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر الوفد بقتل أسير ، في حين نجده لم تتردد المصادر ذاتها بالإشارة إلى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل ابن أبي الحُقيق .[3]

من هنا يتأكد لنا أنّ قتل أسير لم يكن مدبرًا ، وإنّما ترتب على ما دب بين المسلمين واليهود من خلاف في أثناء عودتهم من خيبر إلى المدينة، كما أنّ مصلحة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تتطلب أن يهادن ، أو يحالف يهود خيبر عن طريق بعض زعمائهم ليتمكن من تصفية حسابه مع مشركي قريش الذين غزوه عدة مرات ، ولابد أن يغزوهم في عُقر دارهم ، ومهما يكن من أمر فإنّ القضاء على هذين الزعيمين من زعماء خيبر كان بسبب موقفهما العدائي من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وماسبق ذلك من موقف ليهود خيبر بعد يوم بني قريظة ؛ إذ أصبحت ملجأ لكثير من اليهود – الذين أخرجوا من المدينة – الحانقين على الإسلام والراغبين في مهاجمة المدينة لاستعادة ما فقدوه من سلطان ومال ونفوذ، فكانوا يرسلون الأموال إلى المدينة لفداء عدد من نسائهم وذراريهم ، كما كان سلام ابن مشكم في

---

[1] –الواقدي . المغازي ، ص 567– 568.

[2] – ولفنسون ، إسرائيل . تاريخ اليهود، ص 206.

[3] – العقيلي ، د . محمد أرشيد . اليهود في شبه الجزيرة. ص 175.

الوقت نفسه يتصل بيهود وادي القرى، وبقية يهود لحملهم على تأليف حملة يهودية خالصة للزحف إلى المدينة دون ان يعتمدوا على البطون العربية في هذه الغزوة، ولكن بعض الزعماء عارضه في الرأي[1] .

والذي يؤكد رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في عقد تحالفه مع يهود خيبر في هذه الفترة على الأقل ما كان يهدد كيان المسلمين من جهة مكة ، والتي لا يأمن أن تستعيد قواها وتعود الكرة على المدينة ، ولهذا فقد توجه إلى مكة في ذي القعدة من السنة السادسة ، ولم يكن هدفه حرب قريش – كما زعم المستشرقون – بعدما تيقن من صعوبة التحالف مع يهود خيبر، وليبرهن لمشركي مكة، حُسن النية توجه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون الذين خرجوا معه محرمين بغرض أداء العمرة ، ولكن قريشًا اعتبرت دخولهم مكة انتصارًا للمسلمين وهزيمة لهم.

لذا كان للوساطة دور في تقريب وجهات النظر، وانتهى الأمر بصلح الحديبية الذي كان فتحًا عظيمًا ونصرًا للمسلمين. وقد أشارت سورة الفتح إلى ذلك ، ودل هذا الصلح على بُعد نظر وسياسة حكيمة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس كما صوره بعض المستشرقين أنّه خيبة أمل للمسلمين، فهذا الصلح في مضمونه العام يعلن عن اعتراف قريش بكيان المسلمين ، وأنّهم يمثلون أمة قوية تقف منهم موقف الند ، كما أنّ هذا الصلح هيأ الفرصة للمسلمين ليتفرغوا ليهود وخيبر ليتخلصوا منهم .

وهكذا نجد أنّ قتل هؤلاء اليهود الخمسة كان نتيجة إتيانهم بأعمال استوجبت قتلهم ، فلم يأت قتلهم لإثارة الرعب والإرهاب ، وإنّما بالعكس يدل علي سماحة وعدل الرسول صلى الله عليه وسلم وسعة صدره ليعطي للقبائل اليهودية فرصة تراجع نفسها ، وتقلع عما تنوي القيام به ،فبدأ

[1] – المرجع السابق . ص 177.

بمعاقبة الشخص الذي صدر منه التحريض وإعلان الحرب ، فلم يأخذ الكل بالواحد ، ولم يهجم على القبيلة بأسرها إلاّ عندما يتأكد بأنّ جميعهم يريدون محاربته ونقض العهد معه ، وأي تباطؤ في الهجوم لن يكون لصالح الإسلام ؛ ولذا كان الهجوم على القبائل اليهودية بأمر من الله وبوحي منه.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه كان تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع القبائل اليهودية في المدينة برغم ما بدر منهم من إثارة فتن واستهزاء وسخرية بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم أنّنا لو تأملنا سير الأحداث نجد أنّ قتل هولاء جاء بعد بدر، ولم يتم قتل أي أحد منهم قبل بدر، ولهذا دلالته ، وهي أنّ الوضع قد تغير بعد بدر؛ إذ أصبح المسلمون في حالة حرب مع قريش، وفي حالة الحروب تعلن الطوارئ ، فما قام به اليهود الخمسة كان يشعل حروبًا، وكانت الضرورة تحتم قتلهم للتخلص من شرهم، وحماية الأمة وحفظًا لأمن البلاد طبقًا لقانون الطوارئ المتعارف عليه الآن، فلماذا يعارض المستشرقون قانونًا أُقر دوليًا؟

المواجهة العسكرية بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود " مواجهات الرسول (ص) مع اليهود

من خلال عرض مواقف بعض المستشرقين الإنجليز من الصراع العسكري بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود تبين لنا مدى تجنيهم على الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاطفهم مع اليهود ؛ إذ صور معظمهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي بادر اليهود بالقتال دون سبب بدر منهم يوجب قتالهم وذلك بغية التخلص منهم والاستيلاء على أموالهم غير ملتزم بما بينه وبينهم من عهود، أي جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم نقض ما بينه وبينهم من عهود ومواثيق .

لذا سأورد الأسباب التي أدت إلى جلاء قبيلة قينقاع لتتضح الحقيقة ، وينكشف للمبهورين بالمستشرقين مدى تزييفهم للتاريخ وتضليلهم وتجردهم من الحيدة والموضوعية واتباعهم الهوى وقبل أن يحتدم القتال بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود رأينا كيف كان اليهود يحاربون الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام بطرق ملتوية منها :

- إثارة الشكوك والطعن في النبوة ، وقد سلك النبي معهم طريق المجادلة والإقناع ، كما كان القرآن الكريم يكشف عن سلوكهم ، ويؤنبهم ويهددهم على ذلك ، ولم يشهر اليهود في البداية سلاحهم على الرسول صلى الله عليه وسلم لإعتقادهم أنَّ مشركي مكة سيتولون هذه المهمة وسيخمد الإسلام ، ولكن انتصار المسلمين في بدر جعل اليهود يعيدون حساباتهم ، ورأوا أنَّه لابد من المواجهة مع المسلمين .

-إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية علاقاته مع اليهود تحمل مكرهم وجادلهم بالتي هي أحسن ، ولم يشهر السلاح في وجههم ، وظل الأمر كذلك حتى بدأ اليهود بعد معركة بدر يلجأون إلى إثارة المشركين في مكة وغيرها ، وتأليبهم ضد محمد صلى الله عليه وسلم لتجهيز الجيوش للقضاء على دعوته .

هذه المواقف اليهودية حتمت على القيادة الإسلامية في المدينة أن تفكر في تغيير نظرتها التقليدية المتسامحة نحو اليهود ، وكما رأينا بدأت ببعض الأفراد اليهود والذين جاهروا بالعداء ، وأثاروا الفتن ؛ إذ سبقت المواجهة العسكرية بني قينقاع محاولات من الرسول صلى الله عليه وسلم لتجنبها ، فكان قتل عصماء بنت مروان وأبي عفك .

حصار بني قينقاع

زمن حدوثه: في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة [1] (629م)

مكان حدوثه : داخل المدينة .

أسبابه

يمكن تلخيص أسبابه في النقاط التالية :

1. هم أول من نقض العهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم[2] ، فلما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بدر وقدم المدينة ، بغت يهود وقطعت ما كان بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من العهد ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فجمعهم ، ثم قال "يا معشر يهود ، أسلموا فوالله إنّكم لتعلمون أنّي رسول الله قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش" فقالوا: يا محمد لا يغرنك من لقيت إنّك قهرت قومًا أعمارًا[3] ، وإنّا والله أصحاب الحرب ولئن قاتلنا لتعلمن أنّك لم تقاتل مثلنا.[4] " ، وفي روايات أخرى جاء هذا النص: "من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ، ثم قال: "يا معشر يهود ، احذروا من الله مثلما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فإنّكم قد عرفتم أنّي نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم"، وقالوا: "يا محمد، إنّك ترى

---

[1] – الواقدي . المغازي 176/1 ، ابن سعد الطبقات 92/2 ، الطبري تاريخ الأمم 480/2 ، ابن سيد الناس . عيون الأثر . 352/1. الشامي ، محمدبن يوسف . سُبل الهدي والرشاد 265/4.

[2] – ابن هشام . السيرة ،47/3،تاريخ خليفة بن خيَّاط . ص 66.

[3] – الأغمار جمع غُمرة بالضم والتسكين وهو الجاهل.

[4] – الواقدي . المغازي . 176/1.

إنّا قومك : لا يغرنك أنّك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس."[1]

2. تلا ذلك حادث المرأة المسلمة في سوقهم ، التي قدمت ببضاعة لبيعها ، فباعتها بسوق قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجلسوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًا ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[2] .

وهكذا نجد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بتحذير بني قينقاع ليلتزموا بالعهود والمواثيق المبرمة بينهم وبين المسلمين ، ولم ينس أن يذكرهم بما حل بقريش يوم بدر نتيجة عدوانها وغرورها ، إلاّ أنّ جواب اليهود كان مشوبًا بالغلظة والتحدي ، وهذا يدل على سوء نيتهم نحو الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول عندما حذرهم كان قد أوجس خيفة منهم ، كما أنَّ جوابهم هذا يتسم بالجرأة ، وهذا يظهر لنا أنَّهم كانوا يعتمدون على معاضدة حلفائهم من الخزرج ؛ إذ لا يتصور أنّ قبيلة صغيرة كقبيلة بني قينقاع تجرؤ على إعلان الحرب ضد أغلب قبائل يثرب ، ومن

---

[1] – ابن هشام . السيرة 47/3 ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك 479/2 ، السهيلي . روض الأنف 37/3 ، ابن كثير . البداية والنهاية ٤/٤ . ابن الأثير 432/2 . يوسف الشامي. سُبل الهدى والرشاد 2265 .

[2] – ابن هشام. السيرة 48/3 الواقدي: المغازي 176/1 ابن سعد: الطبقات 29/2السهيلي. الروض الأنف 137/3 ابن الأثير . الكامل 33/2 ابن سيد الناس عيون الأثر 353/1، ابن كثير البداية والنهاية٤/٤ ، ابن خلدون . العبر 2/ 432، الشامي ، محمد بن يوسف . سُبل الهدى والرشاد 266/4، الحلبي. برهان . السيرة الحلبية 208/2.

المعروف أنّ المنافقين من جماعة عبد الله بن أبي معروفون بتعاطفهم مع يهود بني قينقاع ، ومهما يكن من أمر فإنَّ ما يؤكد تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم ليهود بني قينقاع ما ورد في القرآن الكريم : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) [1]، وقد كانت هذه الآية بمثابة إذن من الله بمقاتلتهم .

ورغم جرأة بني قينقاع وتحديهم وتصريح بإعلان الحرب عليه إلاّ أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد كظم غيظه ، ولم يتخذ أي إجراء فوري ضد تحدي بني قينقاع ، إلاّ أنّه أصبح أكثر حيطة وحذراً من هؤلاء اليهود إلاّ أنّ اعتداءهم على حرمة المرأة المسلمة في سوقهم وقتلهم مسلماً كان ذلك الشرارة التي استوجبت حصارهم، ثم إجلاؤهم خاصة وأنّهم كانوا يقطنون داخل المدينة .

وهذه الروايات كما رأينا قد وردت في أهم كتب السيرة والمغازي ، فها هي قد وردت في أكثر من عشرة مصادر من مصادر السيرة ، وقد تعمدت ذكرها جميعها لأبين أنّه لا مبرر البتة لمونتجمري وات أن يشكك في أسباب حصار بني قينقاع فيقول: "والظروف التي ساعدت على مهاجمة قينقاع والنضير لم تكن ظروف ، وعلل ربما كانت حقيقة " [2]، ولا مبرر لمرجليوث قوله " ، وكذلك بالنسبة للقبائل اليهودية في المدينة ، قد كان هناك على أية حال سبب ما حقيقيًا كان أو مصطنعًا[3] "ولا مبرر لبودلي أن

---

[1] – آل عمران : 13-14.

[2] – وات . محمد في المدينة . ص 331.

[3] – مرجليوث . محمد ونشأة الإسلام . ص 362.

يقول عن نقض بني القينقاع للعهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم "بطريقة ما"، ولا مبرر لموير أن يشكك في نقضهم للعهد، وكذلك بالنسبة لالفريد جيوم وهاملتون جب وبرنارد لويس فقد تجاهلوا نقض بني قينقاع لما أبرم بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من معاهدة، وهذا من المصادر الأساسية في السيرة قد روتها لنا أيضًا كتب التفسير. فلو رجعنا إلى أهم كتب التفسير سنجد في تفسير قوله تعالى : (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)[1] سنجد في تفسير الطبري: الجامع مع تأويل القرآن [2]، وتفسير الزمخشري الكشاف [3]، وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن [4]، وتفسير البيضاوي: أنوار التنزيل [5]، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير[6] ، سنجد في هذه التفاسير في الأجزاء والصفحات المحددة في الهامش ما أوردته من كتب السير والمغازي عن تحدي بني قينقاع للرسول صلى الله عليه وسلم في سوقهم بعد بدر وقولهم "لا يغرنك أنّك لقيت قومًا أغمارًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، لئن قاتلتنا لعلمت أنّا نحن الناس ."

وإنّي لأعجب من أمر هؤلاء المستشرقين الذين ينكرون صحة الصحيفة التي أبرمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين واليهود في المدينة، لأنّها – على حد قولهم – لم ترد إلّا في رواية لابن إسحاق لم يذكر سنده فيها متجاهلين كل الروايات التي أوردتها آنفًا ، والتي وردت في

---

[1] – آل عمران : 12.

[2] – 19/3

[3] – 414/1.

[4] – 24/4.

[5] – 15/8

[6] – 350/1.

كتب الصحاح الستة، وتأكيد القرآن الكريم أنّ هناك عهودًا أُبرمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود، إضافة إلى رواية الزهري التي أوردها ابن سلام، في الوقت الذي لا يأخذون بهذه الرواية وأخص بهذا برنارد لويس؛ إذ نجده هو ذاته قد أخذ برواية مفردة للأصفهاني لم يذكر مصدره ، تقول إنّ السكان الأصليين ليثرب هم اليهود، ثم نجد بعضهم يهتم بتفاصيل قتل عصماء بنت مروان وأبي عفك اليهوديين ويهمل الروايات التي وردت عن أسباب غزوة بني قينقاع التي تبين بوضوح نقض اليهود للعهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتي وردت في كتب السير والمغازي والتاريخ العام، كما وردت واحدة منها في كتب التفسير ؛ إذ نزلت آية بسبب تحدي يهود بني قينقاع للرسول صلى الله عليه وسلم والتصريح بمحاربتهم له .

ولا حجة لولفنسون أن يدعي أنّ المسلمين طمعوا في أموال بني قينقاع باعتبار أنّهم كانوا أغنى الطوائف اليهودية في المدينة، فالأسباب واضحة تدعمها روايات صحيحة ، ثم إنّهم هم الذين عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية، ولرسول الله الأموال والسلاح ، وقبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأمهلهم ثلاثة أيام نزحوا إلى أذرعات .

ثُمّ أنّ هناك نقطة هامة جديرة بالطرح أوردها الأستاذ أمين دويدار، وهي عدم وقوف بني النضير وبني قريظة معهم لنجدتهم لأكبر دليل على نقض بني قينقاع العهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم[1] ،وهذه حقيقة لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لو اعتدى عليهم بهتانًا للإستيلاء على أموالهم كما يدعي ويزعم ولفنسون لهبّت سائر القبائل اليهودية

[1] – صور من حياة الرسول . ص338.

لنجدتهم على الأقل، ولاحتجوا وهاجوا ، ولكن سكوتهم وتخليهم عن بني دينهم وجنسهم لدليل قاطع على جرم بني قينقاع في حق المسلمين .

وأتساءل هنا :

هل أسس منهج البحث العلمي تتطلب من الباحث هذا المنهج الذي ينهجه هؤلاء المستشرقون على اعتبار أنّهم دعاة المنهج العلمي وخلعه على أبحاثهم ودراساتهم؟

ولا أجد جوابًا لهذا السؤال إلاّ بالقول: إنّ منهج المستشرقين في كتاباتهم عن السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي والدراسات الإسلامية وعلاقات المسلمين باليهود ، هو ذات المنهج المطبق علينا الآن من قبل السياسة الغربية سواء كانت أمريكية أم أوروبية.

ولو تأملنا واقعنا العربي الآن نجد هذه الحقيقة ماثلة أمام أعيننا، وما علينا إلاّ أن نقارن بما كتبه المستشرقون في السيرة، والمنهج الذي اتبعوه وبين ما يطبق على عالمنا العربي والإسلامي من قرارات ومراسيم أمريكية صهيونية متخذة صفة الشرعية الدولية؛ إذ لا نجد فرقًا بين الأسلوبين والمنهجين .

تصحيح خطأ في الموسوعة الميسرة

لقد استشهد في الموسوعة الإسلامية الميسرة بالآية 55 من سورة الأنعام وما بعدها على أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمد عليها كمبرر تغيير سياسته مع اليهود ، ووضع برنامج مرسوم يقتضي القضاء على اليهود في المدينة ، والذي بدأه بحصار بني قينقاع ، ولو رجعنا إلى كتب التفسير نجد أنّ هذه الآيات نزلت بعد أُحد وحصار بني قينقاع كان بعد بدر وقبل أُحد ، وإليكم الآيات ثم ماجاء في تفسيرها .

(وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ *قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۚ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ). [1]

وجاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى : (قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ) أي العذاب (إن الحكم إلاّ لله) أي يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عمل لكم ما سألتموه من ذلك ، وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة، ولهذا قال: (يقص الحق وهو خير الفاصلين) أي وهو خير من يفصل القضايا وخير الفاتحين في الحكم بين عباده. وقوله تعالى : (قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم) أي لو كان مرجع ذلك إليَّ لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك (والله أعلم بالظالمين) فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنّها قالت

[1] – الأنعام : 55– 58.

لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منه يوم العقبة..[1]

ولعل هاملتون جيب وزميله كالمرز يقصدان الآية (12) من سورة آل عمران التي نزلت إثر تحدي بني قينقاع للرسول صلى الله عليه وسلم وتصريحهم بقتاله ، فنزل قوله تعالى :(قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ.)[2]

[1] – ابن كثير : 136/2.

[2] . آل عمران : 12.

وقفة مع باحث مسلم مستغرب

وقبل أن أنتقل إلى غزوة بني النضير استوقفني ما كتبه أحد الباحثين المسلمين [1]المستغربين ؛ إذ يقول : إنّ ابن اسحاق يبدأ سرده بشأن يهود بني قريظة بهذه الكلمات التالية :

"إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع اليهود في سوق بني قينقاع ، فقال يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا ،" ولكنه لا يخبرنا عن السبب الذي جمع الرسول بني قينقاع من أجله لينذرهم، رغم أنّه يستطرد فيقول: " إنّهم كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد" ثم يتساءل الباحث: "ماذا كان ذلك الاتفاق الذي كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ومتى تم توقيعه وكيف نقضوه؟ ليس ثمة معلومات عن هذا[2] ، وبعد زهاء مائة عام لاحظ ابن هشام المتوفى 218 هـ عن تهذيبه للسيرة إنّ هذه القصة ينقصها بيان مهم فأضاف: أنّ بني قينقاع كانوا قد أهانوا امرأة مسلمة في سوقهم ، هل كان هذا هو السبب الوحيد؟ هل كان عملًا حربيًا؟ هل كان معناه نقض اتفاق عقده بني قينقاع مع الرسول؟[3]

ويريد الباحث من قوله هذا أنَّ يثبت أنَّ بني قينقاع لم يجلوا من المدينة ، وأنَّهم ربما أجلوا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويستدل

---

[1] – الدكتور بركات أحمد واسم كتابه " محمد واليهود، نظرة جديدة " ترجمة محمود علي مراد وقدم لهذا الكتاب المستشرق الإنجليزي اليهودي برنارد لويس.

[2] – مما يجدر ذكره أنّ الباحث يرى أنّ الصحيفة أبرمت بعد إجلاء بني قريظة، ص 83.

[3] – د بركات أحمد : محمد واليهود،ص 38،39.

على ذلك بوجود يهود في المدينة في السنة التاسعة للهجرة[1] ، وأنّ أبا يوسف في كتابه الخراج لم يشر إلى إجلاء بني قينقاع وتقسيم أملاكهم.

هذا يخالف ما جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف ؛ إذ قال "وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرى مالم يقسم ، وقد ظهر على مكة عنوة ، وفيها أموال فلم يقسمها ، وظهر على قريظة والنضير وعلى غير دار من دور العرب ، فلم يقسم شيئًا من الأرض غير خيبر[2] "

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقسم أملاك اليهود في المدينة ، وكونه لم يذكر بني قينقاع لا يعني أنّه لم يجلهم .

كما يستدل على صحة ما ذهب إليه أنّ القرآن الكريم تحدث عن إجلاء بني النضير وعقاب قريظة ، ولم يشر إلى إجلاء بني قينقاع بالرغم من أنّهم كانوا أول من شجر بينهم وبين المسلمين نزاع .[3]

وبعد ذلك نجده يناقض نفسه ، ويذكر أنّ بني قينقاع قد أجلوا من المدينة قبل بني النضير فيقول: "وإذا كان بنو النضير وسائر اليهود لم يتحركوا لنصرة بني قينقاع فإنّهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام ما أصابهم من بلاء، فقد بكى كعب بن الأشرف الذي انتخب كبيرًا لليهود بدلًا من مالك بن الصيف "[4] ، كما نجده يناقض نفسه ثانية عندما يقول عن بني

---

[1] – بل نجده يقول: وسير الرسول لا تتحدث عن أي إجلاء عام لليهود من المدينة في حياته "110 " ، وهنا نجده يناقض قوله في ص 111 عن حديث القرآن عن إجلاء بني النضير وعقاب قريظة ، كما أنّه يناقض قوله هذا ما ذكره عن تاريخ الصحيفة إنّهاوقعت بعد إجلاء قريظة ص 83 ، مع أنّ قريظة لم يتم إجلاؤهم، إنّما كان حكم الله عليهم إزالتهم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم.

[2] – أبو يوسف . كتاب الخراج . ص 68.

[3] – المرجع السابق . ص 111.

[4] – المرجع السابق . ص 112، 113.

النضير " وتكررت معهم قصة بني قينقاع " [1]، وهذا يتنافى مع قوله تعالى في سورة الحشر التي نزلت في بني النضير : (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)[2]

وجاء في صحيح البخاري هذا الحديث: "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين. إلاّ بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ، ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة"[3].

والغريب أنّه يذكر ما دار من حوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قينقاع في سوقهم ، ويتساءل لماذا كان قتالهم؟ ثم يورد رواية ما حدث للمرأة المسلمة في سوق بني قينقاع ، ثمّ يذكر أنّ الواقدي ذكرها ولم يذكرها ابن سعد مع أنّها وردت في الطبقات لابن سعد عند حديث غزوة بني قينقاع في الجزء الثاني صفحة 29، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك .

---

[1] – المرجع السابق . ص 116.

[2] – الحشر : 2ــ 3.

[3] – صحيح البخاري – باب النضير 5/ 112، كما ورد في صحيح مسلم في باب إجلاء اليهود من الحجاز 91/12"حديث صحيح متفق عليه."

وأخيرًا نجده يدافع عن بني قينقاع ويعتبرهم ضحايا فيقول: "إنّ عددًا كبيرًا من العوامل قد تحالفت فيما يبدو في السنة الثانية من الهجرة على خلق ظروف لا يستبعد أن تكون قد جعلت من بني قينقاع ضحية لمؤامرة لم تدر لهم بخلد من جانب المنافقين[1] ."

وهكذا نجد هذا الباحث المستغرب متذبذبًا في آرائه متناقضًا في أقواله ، وكلها لا تتفق مع وقائع الأحداث ومع ما ورد في القرآن الكريم وكتب الصحاح الستة وكتب السير والمغازي ، ومع هذا نجد ف.انبرز من جامعة نيويورك يتحدث عن هذا الكتاب بقوله: "نموذج حي للبحث التاريخي في أعلى مستوياته، وقصة كاملة حُكيت دون تحيز ودون التزام مسبق. وهذا الكتاب يسهم إسهامًا حقيقيًا في تيسير فهمنا لحدث من الأحداث الهامة في تاريخ الإسلام واليهود ، وهو حدث اصطبغت به العلاقات بين المجموعتين المذكورتين منذ ذلك اليوم إلى الآن"[2]

---

[1] – أحمد ، د. بركات ، واسم كتابه " محمد واليهود، نظرة جديدة " ترجمة محمود علي مراد،ص 117.

[2] – الغلاف الخلفي للكتاب.

جلاء بني النضير

مكانه : حرة واقم شرقي المدينة .

زمانه: ذهب بعض العلماء أنَّها وقعت بعد بدر، والبعض الآخر يرى أنَّها وقعت بعد أُحد وبئر معونة ، وأرجح الأخير لأنَّ سياق الروايات عن أسباب الجلاء يؤيد هذا التاريخ ، ونزول سورة الحشر، وبذلك تكون ، كما قال ابن إسحاق.

أسبابه

يمكن تلخيص هذه الأسباب في التالي :

1. ما نجم من بني النضير بعد السويق التي وقعت بعد بدر في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة ؛ إذ نقض بنو النضير العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعطوا كفار قريش معلومات سرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وقد أورد ابن اسحاق خبر هذه الغزوة عن رواية عبد الله بن كعب بن مالك [2].[1]

هذا وقد أورد هذه الرواية بهذا السند عدد من مؤرخي السيرة والتاريخ العام[3] ، كما أورد الواقدي في المغازي هذه الرواية سند آخر،

---

[1] – أنظر نص الرواية في كتاب السير والمغازي " ابن إسحاق " تحقيق د . سهيل ذكار، ص 310.

[2] – ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وروي عن عمر وعثمان وعلي وغيرهم "ابن حجر :الإصابة 64/8 ، وجاء عنه في التهذيب أنَّه ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن سعد سمع عن عثمان ، وكان ثقة "تهذيب التهذيب : 321/5.

[3] – سيرة ابن هشام 44،45/4، ابن سعد .الطبقات 2/ 30ابن حبان. السيرة النبوية ص 112 تاريخ الطبري 483/2 ،البيهقي دلائل النبوة 2/ 433 ، السهيلي. الروض الأنف 136/3، ابن الأثير. الكامل 36/2 ، وأوردها مختصرة ابن سيد الناس. عيون الأثر

وهو محمد بن عبدالله عن الزهري ، وإسحاق بن حازم عن محمد بن كعب[1]، وجاء فيها أنَّ أبا سفيان خرج في مائتي راكب في حديث الزهري ، وأربعين راكبًا يف حديث ابن كعب ، وذكر فيها خبر اتصاله ببني النضير، ورفض حُيي بن أخطب فتح الباب بينما تعاون معه سلام بن شكيم ، كما نجد البيهقي قد أورد ثلاث روايات هي:

أ – رواية عبد الله بن كعب التي أوردها ابن إسحاق التي ورد فيها ذكر خيانة بني النضير[2] .ب – رواية عن أبي الأسود عن عروة ، وفيها يذكر خروج أبي سفيان إلى المدينة سرًافي ثلاثين فارسًا ، ولكن لم يذكر اتصاله ببني النضير[3] .

جـ – رواية عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب وذكر فيها أنَّ أبا سفيان خرج سرًا في ثلاثين فارسًا وحرق صورًا من صيران نخيل العُريض، وعاد هاربًا إلى مكة ، ولم يدركه الرسول صلى الله عليه وسلم[4].

هذا ونلاحظ أنّ البيهقي قد انفرد بهاتين الروايتين الأخيرتين ، إذ لم يوردها مؤرخو السيرة والتاريخ العام الذين ورد ذكرهم في هذا

211/2، ابن كثير . البداية والنهاية 3/ 276، ابن خلدون . العبر 2/ 431، السيرة الشامية 252/4 ، السيرة الحلبية 211/2.

[1] – محمد بن كعب بن مالك الأنصاري المدني وهو الأصغر، أما محمد الأكبر فإنّه مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عن أبيه وأخيه ، وروى عن الزهري وروى له مسلم عن أخيه عن أبي إمامة الحارثي "تهذيب التهذيب" 365/2 ، كما ترجم له ابن الأثير في أسد الغابة 329/4–330.

[2] – البيهقي . دلائل النبوة . 333/2–444.

[3] – المرجع السابق . 433/2.

[4] – المرجع السابق . 432/2.

البحث ؛ إذ نجد ابن حزم – كما يبدو . قد اختصر رواية عبد الله بن كعب التي أوردها ابن إسحاق ، فلم يورد خبر بني النضير[1]، وكذلك فضل ابن عبد البر[2].

وهكذا نجد أنَّ خبر خيانة بني النضير للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ، ونقضهم للعهد بتآمرهم خفية مع مشركي مكة ، وإعطائهم معلومات سرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وفي هذا خرق صريح لما جاء في بنود الصحيفة – خبرًا صحيحًا .، فرواية عبد الله بن كعب رواية صحيحة السند ، وعبد الله بن كعب بن مالك صحابي جليل ، وهو من الثقات ، وقد عاصر الحدث ، وكذلك رواية أخيه محمد بن كعب بن مالك ، التي أوردها الواقدي ، صحيحة لأنَّه صحابي ، وقد أورد ترجمة ابن الأثير في أسد الغابة ، وهاتان الروايتان نصتا على خيانة بني النضير واتفقتا تمامًا في تفاصيل ما حدث ، كما نجد رواية الزهري ، وهو تابعي جليل تتفق في سرد تفاصيل ما جرى بين أبي سفيان وحُيي بن أخطب الذي رفض أن يفتح له الباب وترحيب سلام بن مشكم به وضيافته ، وإعطائه معلومات عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ؛ لذا لا أجد مبررًا لقول الدكتور محمد أرشيد العقيلي عنه "وإذا صحت هذه القصة " بعدما سرد رواية محمد بن كعب بن مالك [3].

---

[1] – ابن حزم . جوامع السيرة . ص139.

[2] – ابن عبد البر . الدرر . ص 139.

[3] – العقيلي. محمد رشيد . اليهود في الجزيرة . ص 151.

2. رسالة كفار قريش إلى اليهود وغدرهم على إثرها بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحاولتهم قتله بعد غزوة بدر الكبرى ، فقد قال عبد الرزاق في المصنف عن معمر[1] عن الزهري قال: وأخبرني عبد الرحمن[2] بن عبدالله بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنّ كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبي بن سلول ، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر، يقولون إنّكم أويتم صاحبنا، وإنّكم أكثر أهل المدينة عدوًا ، وإنّنا نقسم بالله لتقتلنه أو لتخرجنه أو لتستعين عليكم العرب ، ثم نسير إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ، ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك ابن أبي ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا فأجمعوا وأرسلوا ، وأجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقيهم في جماعة قال: "لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت لتكيدكم بأكثر ممّا تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وأخواتكم ، فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله

---

[1] – معمر بن راشد الأزدي ، وصف أنّه ثقة ثبت فاضل من كبار السابعة، مات سنة 54 هـ /673 م ، وهو ابن 28 سنة ، روى عن الزهري وعن عبد الرزاق وغيره، " ابن حجر "تهذيب التهذيب 219/10.

[2] – عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي ، روى عن أبيه وجده ، وعمه عبيد الله وأبي هريرة وجابر وسلمة بن الأكوع ، على خلاف فيه ، وعنه الزهري وغيره ، وقيل إنّه كان أعلم قومه ، وقال النسائي ثقة ، وقال خليفة بن خياط مات في خلافة هشام بن عبد الملك "تهذيب التهذيب 194/4 ، وهو عالم من الثالثة ، ويبدو أنّ صاحب المصنف قد قلب اسمه فذكره عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، هذا وقد أورد هذه الرواية أبو داود في سُننه 3/ 155- 156 ، والبيهقي في دلائل النبوة 2/445-446 ، وابن كثير 4/451-452.

عليه وسلم تفرقوا وعرفوا الحق ، فبلغ ذلك كفار قريش فكتبوا بعد وقعة بدر إلى اليهود: "إنّكم أهل الحلقة والحصون ، وإنّكم لتقاتلن صاحبنا أو لتفعلن كذا وكذا، ولا يحول بين خدم [1]" ، فلما بلغ كتابهم اليهود اجتمعت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك ، وليخرج منا ثلاثون حبرًا ، حتى نلتقي في أمر بمكان نصف بيننا وبينك ، فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بكم آمنا بك كلنا ، فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلًا من أصحابه ، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود حتى إذا برزوا في براز من الأرض قال بعضهم لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلًا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله ، فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون رجلًا أخرج في ثلاثة من أصحابك ، ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا ، فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بكم آمنا بك، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر "وآرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار ، فأخبرته خبر ما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أخوها سريعًا حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسّاره بخبرهم قبل أن يصل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فذكر الحديث وهذه الرواية إسنادها صحيح ، ورواتها كلهم ثقات ، إلاّ أنّ فيه إيهامًا حيث أنّ عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب

[1] – خدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال : أي لا يمنع من أخذ نسائكم شيء.

لم يذكر من هو الصحابي الذي روي عنه عبد الرحمن ، ولكن عدم ذكر الصحابي في السند لا يفيد لأنّهم كلهم عدول[1] ،أخرجه عبدالرزاق في مصنفه وأبو داود في سُننه .

3. تآمر يهود بني النضير على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إلى بني النضير يستعين بهم على دفع دية رجلين معاهدين قتلهما خطأ عمرو بن أمية الضميري في أعقاب حادثة الرجع ، وقد أخبره الوحي بذلك ،فانصرف مسرعاً إلى المدينة ، ثم أمر بحصارهم ، وسأورد هذه الرواية التي تكشف لنا حقيقة ما يضمره هؤلاء القوم للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولماذا كان غزوهم وإجلاؤهم وهي رواية ابن إسحاق ، وقد أوردها معظم كتاب السيرة والتاريخ العام[2] ، قال ابن إسحاق :"ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الغمري ، وبين بني عامر عقد وحلف فلما آتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنّكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ،

---

[1] – السندي، أكرم حسين علي . مرويات تاريخ يهود والمدينة في عهد النبوة رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة. إشراف الأستاذ الدكتور أكرم العمري، مقدمة من شعبة الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1399هـ – 1400 ص 128.

[2] – ابن سعد. الطبقات ،2/57–58،البلاذري. فتوح البلدان . ص 27 ، وقد أورد الرواية باقتضاب إلاّ أنه ذكر أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إليهم يأمرهم بالجلاء عن بلده ؛ إذ كان منهم ما كان من الغدر والنكث فأبوا ذلك ، وأذنوا بالمحاربة ، وذكرها الطبري "تاريخ الأمم والملوك" 2/483– 484،ابن حبان "السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص 234 – 235 ، وقد أورد فيها خبر إنذار الرسول صلى الله عليه وسلم بالجلاء عن طريق محمد بن مسلمة ابن حزم ، جوامع السيرة ص 135 ابن عبدالبر. الدرر . ص 164– 165،السهيلي. الروض الأنف 3/ 240، ابن الأثير . الكامل . 2/64–65.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد – فمن رجل يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جماش بن كعب ، أحدهم ، فقال: أنا لذلك ، ليلقي عليه صخرة ، كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم أجمعين ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال رأيته داخلًا المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود ، وأرادت الغدر به ، وأمر عليه الصلاة والسلام بالتهيئ لحربهم والسير إليهم [1]، ثم سار بالناس حتى نزل بهم[2] ، فتمنعوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه أن يا محمد ، قد كنت تنهي عن الفساد وتصيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها[3] ، وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم "عدو الله" عبد الله بن أبي بن سلول، ووديعة ومالك بن أبي قوْقل وسويد وداعس قد بعثوا إلي بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ،

---

[1] – قال ابن هشام : " واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم."

[2] – قال ابن هشام .: "وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصرهم ست ليال، ونزل تحريم الخمر. "

[3] – قال السهيلي :. قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شئ حتى أنزل الله تعالى " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها."

فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[1]ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم من سار إلى الشام ، فكان أشرافهم من سار منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيده فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام ، فكان أشرفاهم من سار منهم إلى خيبر، سلام بن أبي الحُقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحُيي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . وهذه الرواية موقوفة على يزيد بن رومان ، وهو من صغار التابعين لكنها تتقوى مع المتابعة وقد توبعت برواية عروة بن الزبير في مغازي موسى بن عقبة ، فقد ذكر إضافة لما ذكر ابن إسحاق قال: هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث خرج إلى بني النضير يستعينهم في عقل الكلاَّبين ، وكانوا زعموا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحضوهم على القتال ودلوهم على العورة[2] ، كما نجد أبا نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة ذكر نفس نص رواية ابن إسحاق ولكن برواية ابن لهيعة [3]عن أبي الأسود

---

[1] – الحلقة : السلاح كله أو خاص بالدروع.

[2] – البيهقي . دلائل النبوة . 447/2.

[3] – هو عبد الله بن لهيعة "بفتح اللام وكسر الهاء" ابن عقبة الحضرمي، أبو عبدالرحمن المصري، القاضي ، صدوق من السابعة، مات سنة أربع وسبعين ، وقد ناف على الثمانين ، وروي عن أبي الأسود وغيره "ابن حجر."

[1]عن عروة [2]بن الزبير وفيها إضافة موسى بن عقبة [3]، كما ذكر أبو نعيم رواية عن ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [4]أنّه ذكر في تفسيرها مناسبة الآية ، وهي تآمر بني النضير على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إليهم طالبًا مساعدته في دية القتيلين الذين قتلا خطأ إثر عودته من بئر معونة[5] ، كما ذكرها الطبري في تفسيره.

هذا وقد ذكر الواقدي في مغازيه ما ذكره ابن إسحاق في روايته ، ولكن بسند آخر عن محمد بن عبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح، ومحمد بن يحيي بن سهل ، وابن أبي لبيبة ، ومعمر بن راشد ، وأضاف في هذه الرواية تفصيلات أخرى منها ذكر حُيي بن أخطب

---

[1] – أبو الأسود : هو محمد بن عبدا لرحمن بن نوفل الأسدي ، أبو الأسود المدني ، يتيم عروة، ثقة من السادسة مات سنة بضع وثلاثين [أكرم السندي – روايات يهود والمدينة في عهد النبوة ، ص 132.]

[2] – عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزي بن قصي الأسدي ، روي عن أبيه وأخيه عبدالله وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة ، كماروي عن علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأسامة بن زيد ، وأبي هريرة، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة وغيرهم كثير، وقد ذكره ابن سعيد في الطبقة الثانية من أهل المدينة ، وقال كان ثقة كثير الحديث فقيهًا عالمًا ثبتًا مأمونًا ، وقال العجلي مدني تابعي ثقة ، وكان رجلًا صالحًا لم يدخل في شئ من الفتن ، وقال هشام عن أبيه كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة ، وكانت أعلم الناس ، وقال ابن عُيينة كان أعلم الناس بحديث عائشة ، وعروة وعمرة والقاسم مات سنة 99 أو مائة وواحد ، وهو ابن 97 سنة.

[3] – أبو نعيم . دلائل النبوة . ص 433.

[4] . المائدة: 11.

[5] – المرجع السابق . ص 422–423.

ممن حرص على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنّ عمرو بن جماش هو الذي عرض تولي المهمة وطرح الصخرة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ سلام بن مشكم حذرهم من ذلك ، لأنَّ الله سيخبره بغدرهم، وفي هذا نقض العهد بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم علم اليهود أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبره الوحي بمؤامرتهم، فندموا وقال لهم كنانة صُويراء "قد أخبر محمد ماهممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم ، والله إنّه لرسول الله ، وما قام إلاّ أنّه أخبر بما هممتم به ، وإنّه لآخر الأنبياء كنتم تطمعون أن يكون من بني هارون فجعله الله حيث شاء ، وإن كتبنا" والذي درسنا في التوراة التي لم تغير ولم تبدل أن مولده بمكة ، ودار هجرته في يثرب وصفته بعينها ماتخالف حرفًا مما في كتابنا" ثم نجد في هذه الرواية ذكرًا لإنذار الرسول ببني النضير بالجلاء ، إذ بعث إليهم محمد بن سلمة ليقول لهم: "إنّ رسول الله أرسلني إليكم أن أخرجوا من بلده [1].

وهذه الروايات أسانيدها صحيحة ويؤيدها تبويب البخاري لغزوة بني النضير، ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم في دية الرجلين وقيامهم بالغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

فالشاهد هنا تبويب البخاري وإيراده الحديث على ذلك فيه دليل على أنّ ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم كان في ديّن الرجلين ، وغدرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، هو من ضمن أسباب وقوع

---

[1] – الواقدي . المغازي . 1/ 363-371.

[2] – صحيح البخاري . باب بني النضير . 5 /612، صحيح مسلم بشرح النووي باب إجلاء اليهود من الحجاز ص 91 ، وأبو داود في سننه . 156/3 والبيهقي في الدلائل . ص 451.

موقعة بني النضير وإيراده الحديث تحت هذا العنوان فيه دلالة على أنَّهم هم الذين نقضوا العهود أعلنوا الحرب حتى اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوم نحوهم.

4. هناك سبب رابع اهتمت به بعض كتب التفسير؛ إذ جعله بعض المفسرين من أسباب غزوة بني النضير في تفسيرهم لسورة الحشر التي نزلت فيهم ، والتي قال عنها ابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر سورة بني النضير؛ إذ نجد كلًا من الزمخشري [1] ،والبيضاوي[2] ، والألوسي [3]، وفخر الدين الرازي[4] ، يُرجعون غزوة بني النضير ذهاب كعب بن الأشرف إلى مكة في أربعين راكبًا بعد أُحد ليحرض كفار قريش على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وبعد مقتله بأشهر، وبعدما كان منهم عندما قدم إليهم في طلب الدية وتآمرهم على قتله توجه إلى قتالهم ، وهذا ما ذهب اليه الألوسي ، أمّا الزمخشري ، والبيضاوي فاكتفيا بذكر خيانة كعب بن الأشرف ، ونقضه العهد سببًا في غزوة بني النضير .

أمَّا ما ذهب إليه ولفنسون أنّ من أسباب غزوة بني النضير، رفضهم الاشتراك في غزوة أحد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بحجة السبت ، وأنّه لم يشترك فيها سوى مخيريق وهو حبر من أحبار اليهود [5]الذي قتل في

---

[1] – الكشَّاف . 4/ 79.

[2] – أنوار التنزيل . 2/ 79..

[3] – روح المعاني . 15/ 54–55.

[4] – فخر الدين الرَّازي . التفسير الكبير أو مفاتح الغيب . 15/ 464.

[5] – ذهب السهيلي في الروض الأنف أنّ مخيريق قتل مسلمًا لايهوديًا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "مخيريق خير يهود" أي خير بني يهود،ولم يقل خير اليهود، "أي خير من يدين

أُحد، فقال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم مخيريق خير يهود[1] ، فهذا قول مردود ، ولم نجد في كتب الحديث والسير والتاريخ رواية تثبت غضب الرسول صلى الله عليه وسلم على بني النضير لعدم خروجهم للقتال معه في أحد بدليل ذهابه إليهم بعد بئر معونة يطلب منهم المساعدة في دفع دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، وكان عليهما أمان الجوار، ثم أنّ بني قريظة أيضًا لم تقاتل معه في أُحد ، فلماذا لم يقاتلهم بعد أُحد إن كان ذلك سببًا في قتال بني النضير، وإنّما خرج لقتالهم لخيانتهم ، وغدرهم وتآمرهم فنقضوا مابينه وبينهم من عهد ، ولم يذهب إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلا لأنّهم ملزمين بدفع الدية بناء على العهد المبرم مع بني عامر .

ثم أنّ رواية ابن سعد في الطبقات والتي مضمونها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد حتى إذا كان بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل "أي أصوات وضوضاء" فقال ما هذا؟ قالوا: حلفاء ابن أبي من يهود فقال: "لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل

باليهودية ، وقد ترجم له ابن حجر في الصحابة "الإصابة في تمييز الصحابة" ، وقال إنّ = الواقدي ذكر أنّه أسلم واستشهد بأحد، وقد أورد ابن حجر رواية ابن إسحاق عن الزبير بن بكار، وقد أوصى فيها مخيريق بأمواله للرسول صلى الله عليه وسلم بتصرف فيها كما يشاء ، كما ذكر عمر بن شبه حديث بن شهاب الذي جاء فيه "وأوصى مخيريق بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد أحدًا فقتل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مخيريق سابق يهود ، وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة ، ودلالة هذا الحديث أنّ مخيريق قد أسلم لقوله عليه الصلاة والسلام مخيريق سابق يهود إضافة إلى قوله يهود ولم يقل اليهود ، ثم أنّه كان في صدقات الرسول صلى الله عليه وسلم أموالاً لمخيريق .[" أنظر ابوزيد عمر بن شبه النميري البصري 173- 262 هـ " تاريخ المدينة المنورة ١ /173، وانظر ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة 3/ 393 ، وانظر السهيلي : الروض الأنف].

[1] – ابن هشام : السيرة ،2/ 88.

الشرك، ورواية ابن هشام عن محمد بن اسحاق عن الزهري : " أنّ الأنصار يوم أحد قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ، يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود : قال : " لا حاجة لنا فيهم [1] .

ورواية ابن سعد أوردها الواقدي في المغازي[2] ، إلاّ أنّ ولفنسون يغض الطرف عن رواية ابن سعد لأنّها تتناقض مع رواية ابن اسحاق عن مشاركة مخيريق ، أمّا رواية ابن هشام عن الزهري شكك بها لأنّها لغير ابن إسحاق ، ثم يستدل بموقف المستشرقين وارتيابهم من هذه الرواية ، فيقول: غير أنَّ المستشرقين يرتابون في صحة هذا الحديث ، كما هو شأنهم في كل مايرويه ابن هشام عن غير ابن إسحاق ، ويستدلون على عدم صحته بأنّ الرسول غضب من اليهود بسبب عدم اشتراكهم معه في يوم أحد ، واتخذ من امتناعهم عن ذلك سببًا لإعلانه الحرب على بني النضير[3] .

هذا ويعلق الدكتور محمد السيد الوكيل محقق كتاب "تاريخ اليهود في بلاد العرب. لولفنسون علي هذا القول ، فيقول: "للمستشرقين أن يرتابوا في صحة الحديث، فذلك شأنهم في كل ما لا يؤيد رأيهم ، والحديث صحيح فهم لم يشتركوا معه يوم أحد ، وقوله إنّ الرسول اتخذ من عدم خروجهم معه يوم أحد ذريعة لإعلان الحرب عليهم كذب على التاريخ [4] .

ويعلق الاستاذ أمين دويدار [5]على موقف ولفنسون فيقول تحت عنوان "منطق عجيب" فما دام ابن هشام يروي من غير ابن إسحاق فحديثه

---

[1] – ابن هشام .السيرة . 3/ 64.

[2] – الواقدي . المغازي .1/ 215– 216.

[3] – ولفنسون . تاريخ اليهود في بلاد العرب . 174.

[4] – حاشية صفحة 174 من كتاب تاريخ اليهود في بلاد العرب.

[5]– أمين دويدار . صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ص 393– 394 . ط 5. دار المعارف .

موضع الشك ، وما دام حديثه موضع الشك ، فهو غير صحيح ، ومادام غير صحيح فعكسه صحيح ، إذن فالرسول لم يقل يوم أُحد "ولا حاجة لنا في اليهود" وما دام لم يقل ذلك فهو في حاجة إليهم، ومادام في حاجة إليهم فلابد أن يخرجوا معه ، ومادام لم يخرجوا معه ، فقد غضب عليهم ، ومادام غضب عليهم فقد اتخذ من امتناعهم عن الخروج معه سببًا لإعلان الحرب على بني النضير، ثم يستطرد قائلًا : " هذا هو منطق الدكتور إسرائيل ومنطق المستشرقين الذين أرادوا أن يستشهد بأقوالهم.. وإلا.. فأي علاقة بين عدم صحة الرواية وبين غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقامه من بني النضير، حتى أنّ الرواية مع هذا ليست لابن هشام، ولكنها للزهري كما ذكر ابن كثير في تاريخه البداية [1]، ويستطرد الباحث قائلًا: أمّا رواية ابن إسحاق فقد جعل المؤلف يعتصرها ويلويها حتى استطاع أن يخرج معها بأنّ الرسول اثنى على مخيريق ، ومادام قد أثنى على مخيريق لأنّه قد خرج معه فقد غضب على غيره ممن لم يخرجوا معه، ومادام قد غضب عليهم ، وهذا ما أراد المؤلف حين قال: ويؤيد صدق نظر المستشرقين في هذا الزعم ما نلقناه عن ابن هشام نفسه من ثناء الرسول على مخيريق وقوله: مخيريق خير اليهود[2] ، فإنه لم يقل ذلك إلاّ لأنّ مخيريقًا لم يتخلف عن تلك الموقعة كما تخلف بقية اليهود.. ثم يبين الأستاذ أمين تحريف ولفنسون لنص الرواية ، فيقول: " ولكي يموه المؤلف على قارئيه بأنّ مخريق ظل من اليهود حتى بعد إيمانه بأنّ نصر محمد حق ، وبعد استشهاده في سبيل نصرة الدين الذي جاء به محمد ،

---

[1] – وهو حديث مرسل، وقد ذكر هذا ابن هشام عندما أورد الرواية.

[2] – نلاحظ هنا تحريف ولفنسون للحديث، أنّ نص الحديث هو " مخيريق خير يهود " وفرق كبير بين خير يهود وخير اليهود، وسبق أن أوضحت هذا الفرق.

وبعد وصايته بأن يكون ماله لمحمد يصنع فيه ما أراد الله ، عمد ولفنسون إلى عبارة ابن اسحاق فغير منها وبدل ، فحذف منها ما أراد ، وحرَّف منها ما أراد وفرَّق بين أجزائها وباعد بين معانيها حتى تصل به إلى مراده."

ولنتوقف هنا عند حديث ابن سعد، فقد رواه عن خالد بن خداش أخبرنا الفضل بن موسى السينائي عن محمد ابن عمرو عن سعد بن المنذر عن أبي حميد الساعدي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم أحد حتى إذا جاوز ثنية الوداع ؛ إذ هو بكتيبة خشناء ، فقال من هؤلاء؟ قالوا هذا عبد الله بن أبي بن سلول في ستمائة من مواليه من اليهود من أهل قينقاع، وهم رهط عبد الله ابن سلام قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله ، قال: قولوا لهم فليرجعوا فإنّا لا نستعين بالمشركين على المشركين[1] .

وعند التحقيق في هذه الرواية نجد أنّ :

خالد بن خداش : أبو الهثيم المهليتي صدوق ، والفضل بن موسى السنائي مولى بن قطيعة قال ابن معين وابن سعد : ثقة : وقال أبو حاتم صدوق صالح ولد سنة 105 هـ[2] ، وتوفي سنة 192هـ [3]، [4].

---

[1] –الطبقات . 48/2 كما أقر به الحاكم في المستدرك :٢/ 122 والبيهقي في سُننه :٩ / 37والحازمي في الاعتبار ص174 والطبراني كما في مجمع البحرين 233/2،وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: ٤ / 222 ، وفي أتحاف الخيرة المهرة : 4 / 101،وذكره الهيثمي في مجمع الذوائد : 6/ 203 ، وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه سعد بن المنذر، وذكره ابن حبان في الثقات وبقية رجاله ثقات "حسين أحمد الباكري، [مرويات غزوة أحد – رسالة ماجستير إشراف أ.د. أكرم العمري، حصلت عليها من مكتبة الاستاذ الدكتور أكرم العمري الخاصة " حاشية صفة "٨٦ والرسالة صادرة من شبه السُنة المشرفة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة – 1399–1400هـ.]

[2] – سنة 723م.

[3] –سنة 807م .

[4] – ابن حجر . تهذيب التهذيب 249/8– 250.

ومحمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ذكر ابن حبان في الثقات، وقال يخطئ وقال أحمد بن ابي مريم عن ابن معين ثقة ، وروى له البخاري مقرونًا بغيره ومسلم في المتابعات [1] .

وسعد بن المنذر هو ابن أبي حميد الساعدي الأنصاري المدني ، وقد ينسب إلى جده ، روى عن جده وحمزة ابن أبي أسيد ، وعنه محمد بن عمرو بن علقمة وعبد الرحمن بن سليمان وابن الشبل ، وذكره ابن حباه في الثقات[2] ، وهذا الحديث له شاهد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر بحرة الوبرة ، أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم جئت لأتبعك وأصيب ملك، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "تؤمن بالله ورسوله قال: لا قال: فارجع فلن نستعين بمشرك" وساق الحديث. والذي يتضح لنا من هذه الأحاديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يستعين بغير المسلمين في هذه الغزوة رغم قلة عدد المسلمين ، وفي هذا رد على الدكتور ولفنسون ، وعلى المستشرقين الذين أوجدوا سببًا ليس له أساس واعتبروه سببًا لغزوة بني النضير وإجلائهم .

أمَّا قول ولفنسون أنّ المستشرقين ينكرون صحة رواية ابن هشام ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر ،[3] فهو قول مردود لأنّ المستشرقين ليسوا بحجة ، فقد ثبت لدينا صحة الرواية بعدما اخضعناها لمنهج المحدثين في التحقيق ، والتثبت من صحة الرواية طبقًا

---

[1] – المرجع السابق . 9/324-325.

[2] – المرجع السابق . 8/421.

[3] – ولفنسون . تاريخ اليهود في بلاد العرب ز ص178.

للجرح والتعديل ، وهناك رواية عبد الرزاق التي أوردها في مصنفه، ثم الروايات الأخرى التي وردت في الصحيحين وسُنن أبي داود ، ودلائل البيهقي كلها ذات سند صحيح تثبت دحض مزاعم المستشرقين وكذبهم ، ومن يقول بهذه المزاعم ، ثمَّ أنّنا نجد ابن كثير في تفسيره ، ذكر أنّ ما بدر من يهود بني النضير من تآمر لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو عندهم بشأن طلب المساعدة في وضع دية القتيلين ، ثمَّ أنّ السورة نزلت في بني النضير، وتحدثت عن جلائهم ولو لم يبدر منهم أمر خطير ، ومحاولتهم لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه السورة بشأن بني النضير، والتي أجمع المفسرون باستثناء البصري أنَّها نزلت في بني النضير، وقد ذكر هذا القرطبي والشوكاني ؛ إذ قالا أجمع المفسرون أنّ سورة الحشر نزلت في بني النضير ، وخالفهم في ذلك الحسن البصري ، وقال هم بني قريظة [1] .

وقال ابن عباس[2] ، ومجاهد والزهري وغير واحد:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدًا وذمة أن لا يقاتلهم ولايقاتلوه ، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينهم فأحل الله بهم بأسه الذي لا يرد ، وأنزل قضاءه الذي لا يصد فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ماطمع فيها المسلمون – وظنوا هم أنّها ما نعتهم من بأس الله ، فما أغني عنهم من الله شيئًا ، وأخرجهم من حصونهم الحصينة، وسيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجلاهم من

---

[1] – القرطبي. الجامع لأحكام القرآن ،30/8الشوكاني. فتح القدير 239/5وقد عقب على الحسن البصري بقوله: وهو غلط، فإنّ بني قريظة ماحشدوا ،بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه فحكم عليهم بأن تقتل مقاتلهم وتسبي ذراريهم وتغنم أموالهم"...

[2] – تفسير ابن كثير :330/4.

المدينة فكانت منهم طائفة ذهبوا أذرعات من أعالي الشام ، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزل منها على أنّ لهم ما حملت إبلهم ، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ، ولهذا قال تعالى: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)[1]

فهل يوجد وضوح أكثر من هذا أنّ بني النضير نقضوا ما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله بهم بأسه ، وكتب عليهم الجلاء وأصبحوا يخربون بيوتهم بأنفسهم ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء" ذلك بأنّهم شاقوا الله ورسوله.

فالآيات الكريمة واضحة وذات دلالات واضحة فماذا يريدون أن يقول جل شأنه، أيريدون أن يقول لقد نقض بني النضير عهدهم مع الرسول؟، ثم أنّه ورد في القرآن الكريم آيات عن نقض اليهود للعهود والمواثيق وغدرهم بل وقتلهم لأنبيائهم ، كما حاولوا قتل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة، وآخرها تقديم الشاة مسمومة له من قِبل زينب اليهودية إثر فتح خيبر، يقول تعالى عن نقض اليهود للعهود وغدرهم. (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) [2]

من النصوص السابقة التي تم تحقيقها ، والتثبت من صحة مروياتها وفق قواعد المحدثين يتضح لنا الآتي :

---

[1] . الحشر : 2.

[2] – البقرة : 87 ، والآيات عن نقض اليهود للعهود كثيرة منها آية 21 من سورة آل عمران ، وآية 28 من سورة الأنفال والآيتين 26 و 27 من سورة الأحزاب.

1. إنّ الصحيفة التي أبرمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة صحيحة ، وأنّ بني القينقاع والنضير وقريظة شملتهم هذه الوثيقة ، وقد سبق أن أثبتُ صحة الصحيفة ، وهذه الروايات تؤكد صحته.
2. صحة أسانيد الروايات التي حدثتنا عن بني النضير ومواقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وتكرر خيانتهم ، وتآمرهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والغدر به ، ولا يخلو كتاب من كتب السير والمغازي والتفسير والحديث والتاريخ العام من ذكرها كما اتضح لنا.
3. أنّ هذه الروايات تؤكذ أنّ بني النضير نقضوا الميثاق والعهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة .

أ – عندما استضاف سلام بن شكم أبا سفيان في أرض المدينة ، وأذاع له اسرارًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وهي أسرار حربية لأنّ المسلمين كانوا في حالة حرب مع مشركي مكة .

ب – استجابة يهود بني النضير لرسالة كفار قريش التي على إثرها هموا بالغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحاولتهم قتله بعد بدر غدرًا بحجة مناظرة أحبارهم .

جـ – محاولتهم الغدر به وقتله مرة ثانية عندما ذهب إليهم بعد أحد وبئر معونة يطلب منهم المساعدة في دفع دين القتيلين من بني عامر وذلك بناء على العهد الذي أبرم مع بني عامر .

د – تآمرهم مع كفار قريش أثناءموقعة أُحد وإفشاؤهم أسرارًا تهدد أمن المسلمين في المدينة .

هـ – خروج كعب بن الأشرف إلى مكة بعد بدر بدون إذن الرسول صلى الله عليه وسلم وتحريض كفار قريش علي محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم .

و – لم يرد في كتب الحديث والسيرة والمغازي والتفسير ذكرًا لغضب الرسول صلى الله عليه وسلم من بني النضير لعدم مشاركتهم في أحد ، بل جاء في الروايات ما يثبت عدم الاستعانة بمشرك في قتال مشرك .

4. أنَّ مخيريق اليهودي قد أسلم قبل أن يشارك في قتال أُحد ، ومات مسلمًا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "مخيريق خير يهود" وقوله "مخيريق سابق يهود، وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة ، وعدم قبوله مشاركة عبد الله بن أبي ومواليه من اليهود، وسؤاله: هل أسلموا؟ فعندما قيل له لا قال: فليرجعوا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، وكذلك قبوله أموال مخيريق التي أعطاها للرسول صلى الله عليه وسلم التي صرفها الرسول صلى الله عليه وسلم علي المسلمين ، كما ذكر ابن حجر في الإصابة، وذكرها قبله حمّاد ابن إسحاق بن إسماعيل (199–267هـ/ 814– 880م) في كتابه تركة النبي صلى الله عليه وسلم التي وجهها فيها[1] .

5. تعاون بني النضير على المنافقين ، ومشركي مكة ضد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين .

---

[1] – أنظر ص 128 من الكتاب المذكور: تحقيق د. أكرم العمري ،طبعة 404هـ / 1984م، والمؤلف يرى أنّ مخيريقًاً يعلم بأنّ محمدًا رسول الله ،ولكنه لم يسلم، إلاّ أنّ ترجمة ابن حجر لمخيريق تثبت إسلامه ، وكذلك قبول النبي صلى الله وسلم لأمواله ، وهذا ما يراه محقق الكتاب، والباحثة تؤيد هذا الرأي ، والله أعلم.

6. إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتخذ قرار الحرب ضدهم ، إلاّ بعدما تكرر غدرهم وخيانتهم مما احتد خطرهم ، وبعدما نزل قرآن بشأن إجلائهم، ولم يكن في الحسبان الإستيلاء على أموالهم، لأنّه لو كان الهدف ذلك لانتهز الرسول صلى الله عليه وسلم فرصة إيواء سلاَّم بن مشكة لأبي سفيان في داره في المدينة، وإعطائه أسرار حربية عن المسلمين ، وقاتل بني النضير، فهذا سبب كان لإجلائهم .
7. لقد أنذرهم عليه الصلاة والسلام بالجلاء ، ولو كان هدفه أموالهم لما سمح لهم حمل ما استطاعوا منها .

إذن لقد بات لدينا أنّ خيانة بني النضير أمرًا مؤكدًا ، ولا مبرر لقول الفريد جيوم "وبعد قليل أصبح بنو النضير مشكوكًا في خيانتهم" ولا مبرر أيضًا لقول بودلي "وقد شك محمد في أنّهم يتآمرون على حياته"، ولم يحقق الأمر ولم يفاوضهم مع أنّ هذيْن المستشرقيْن لم يدققا في الروايات التي اثبتت لنا أنّ غدر بني النضير تكرر خمس مرات، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أنذرهم بالجلاء ، وأرسل محمد بن سلمة رضي الله عنه يخبرهم بذلك ، ولكنهم عاندوا وكابروا ، ووقفوا في تعضيد عبد الله بن أبي لهم ، ولا مبرر أيضًا لقول: "وات" أنّ ظروف غزوة بني النضير وقينقاع ظروف وعِلل ربما كانت حقيقية ، ويشك في تآمرهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحاولتهم قتله عندما ذهب إليهم في أمر الدية .

كما أنّ هذه الروايات تدحض مزاعم مرجليوث الذي يدعي كذبًا وافتراءً أنَّ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قامت على اللصوصية وقطع الطرق .

ولامبرر البتة لتجاهل الموسوعة الإسلامية اليسرة هذه للروايات التي وردت في كتب الحديث والتفسير والسير والمغازي والتاريخ العام ، وثبتت

صحة أسانيدها ؛ إذ ورد في هذه الموسوعة "وأظهرت قبائل عدة من الأعراب مبلغ هبوط مكانته عندهم ، وعلى ذلك زادت ضرورة ضرب مثل قبيلة يهودية أخرى في المدينة هم بنو النضير هدفًا مناسبًا بعد أن أفاد مقتل كعب بن الأشرف كمقدمة للعملية ،فاتهموا في سورة الحشر "آية 4 " بأنّهم شاقوا الله ورسوله ، ولهذا السبب تعزوا الأحاديث إليهم كل أنواع "الجرائم" ، وكذلك تجاهل برنارد لويس لأسباب غزوة بني النضير نتيجة غدرهم وخيانتهم فيذكر طردهم دون ذكر الأسباب .

وأنّه لا داعي البتة نفي ولفنسون نيتهم بالغدر فيقول: "والذي يظهر لكل ذي عينين أنّ بني النضير لم يكونوا ينوون الغدر بالنبي واغتياله على مثل هذه الصورة ، لأنّهم كانوا يخشون عاقبة فعلتهم هذه من أنصاره ، ولو أنّهم كانوا ينوون اغتياله غدرًا لما كانت هناك ضرورة لإلقاء الصخرة عليه من فوق الحائط، بل كان في استطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحادثهم ؛ إذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه .

وهذا قول مردود لأنّهم ارادوا قتله بطريقة تظهر أن الأمر قضاء وقدر فلا يثأر له أصحابه لأنهم لو قتلوه عمدًا فستقوم حربًا بينهم وبين المسملين لايعلم مداها إلا الله فتحليل ولفنسون واه وضعيف ولاسيما أنّ مؤامرة بني النضير لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة وردت في روايات صحيحة ، فإن كان هؤلاء المستشرقون لا يؤمنون بأنّ القرآن من عند الله ولايؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلديهم كل هذه الروايات وبأسانيد صحيحة ، ووقائع وشواهد تاريخية كلها تثبت خيانة بني النضير وغدرهم.

ثم أين منهج البحث العلمي الذي يتشدقون باتباعه؟

أليس من أبسط قواعد وأسس المنهج العلمي الحيدة والموضوعية، والتثبت من صحة الروايات قبل تكذيبها أو التشكيك فيها وتجاهلها؟

إنّ ما قام به هؤلاء المستشرقون تزييف في التاريخ وإخفاء حقائق ووقائع ، ومن هنا يتبين لنا مدى بُعد هولاء المستشرقين عن المنهج العلمي والحيدة والموضوعية ، وأنّ ما يكتبونه تحت هذه الشعارات يبعد كل البُعد عن المنهجية والحيدة والموضوعية ، ويمثل أهواءهم وأهواء وخطط ساساتهم التي رسمها لهم قساوستهم وحكوماتهم .

تأثر بعض الباحثين المسلمين بدعاوي مرجليوث

والغريب في الأمر أنّ باحثًا مسلمًا [1]يكرر مقولات مرجليوث وغيره من المستشرقين عن إجلاء يهود بني قينقاع والنضير ، وإزالة رجال بني قريظة وسبي نسائهم وذرياتهم إنّما نتيجة مخطط "تصفوي" وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم لتصفية أعداء الدولة معتبرًا إجلاء بني النضير الحملة التصفوية الثانية ، وأنّه اتخذ من محاولتهم قتله عندما ذهب إليهم في أمر الدية مجرد ذريعة لتنفيذ مخططه ، مثلما اعتبر حادثة المرأة المسلمة في سوق بني قينقاع ذريعة لإجلاء بني القينقاع [2] .

[1] – الباحث هو الدكتور محمد رواس قلعة جي.

[2] – التفسير السياسي للسيرة على ضوء اختصار وترتيب تهذيب السيرة لابن هشام، ص 249.

حصار بني قريظة

مكان حدوثه : حرة واقم شرقي المدينة

زمان حدوثه : أخر ذي القعدة ، وأول ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة .

أسبابه

يرجع سببه إلى نقض بني قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم في وقت حرج وخطير بالنسبة للمسلمين ؛ إذ كانوا محاصرين من قبل عشرة آلاف مقاتل من الأحزاب ، وقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام لاستطلاع خبرهم والتأكد من خيانتهم ، فعن أبي نعيم عن سفيان عن محمد بن المنكدر [1]عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب ، قال الزبير أنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إنّ لكل نبي حواريًا وحواري الزبير "[2].

هذا وقد استشكل ذكر الزبير في هذه القصة أمام المحققين حيث ذكر البعض أنّ الذي ذهب لكشف خبر بني قريظة حذيفة رضي الله عنه ، ثم عقّب على ذلك ابن حجر ، وذكر أن القصة التي ذهب لكشفها الزبير رضي الله عنه غير القصة التي ذهب لكشفها حذيفة رضي الله عنه، ثم

---

[1] – هو من الطبقة الرابعة قال الذهبي: مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل، قال البخاري سمع عن عائشة، وقال مالك سيد القراء وقال الحمد ابن المنكدر حافظ قال الواقدي: توفي سنة 130 [الذهبي تذكرة الحفاظ 127/1– 128.]

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه باب فضل الطليعة في الجهاد والسير4/ ٣٣، وباب غزوة الخندق في المغازي ، 310/5،وسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده والترمذي في سُننه ، باب مناقب الزبير بن العوام وقال عنه حديث صحيح 310/5 ، وابن ماجة في سُننه . 45/1،في باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الزبير رضي الله عنه.

عقّب على ذلك ابن حجر ، وذكر أنّ القصة التي ذهب لكشفها الزبير رضي الله عنه غير القصة التي ذهب لكشفها حذيفة رضي الله عنه .

فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة ، وذهابه إليهم أن يطلع هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشًا على محاربة المسلمين؟

أمّا قصة حذيفة فكانت لاستطلاع أحوال قريش حين اشتد الحصار على المسلمين في الخندق ، وتمالأت عليهم الطوائف ، ثم وقع بين الأحزاب اختلاف وحذرت كل طائفة الأخرى ، وأرسل الله تعالى عليهم الريح ، واشتد البرد تلك الليلة ، فانتدب النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر قريش ، فعين لهذه المهمة حذيفة رضي الله عنه ، ودخل بين قريش وعرف عن حالهم ، ورجع وأخيرًا النبي صلى الله عليه وسلم بقصتهم[1] .

موقف بني قريظة في الأحزاب

لقد اتضح لزعماء الأحزاب وليحيي بن أخطب "من يهود بني النضير الذين أجلوا عن المدينة ، ونزحوا إلى خيبر، أنّه يسهل عليهم دخول المدينة من الجهة الجنوبية لابد من أن ينضم إليهم بنو قريظة ، كما أنّ انفعالهم إليهم يزيدهم قوة خاصة بعدما فترت همة بعضهم. وتولي حُيي بن أخطب مهمة إقناع بني قريظة نقض المعاهدة التي كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كعب بن أسد سيد بني قريظة .

كيف تم ذلك؟

[1] – فتح الباري في صحيح البخاري.

يحدثنا عن تفاصيل ماحدث عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري [1] في حديثه عن ابن المسيب [2]مطولاً وفيه: وكان حُيي بن أخطب استجاش المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلاك [3] لبني قريظة فاستفتح عليهم ليلًا فقال سيدهم : " إنّ هذا رجل شؤوم فلا يشأ منكم حُيي فناداهم: يا بني قريظة: ألا تستجيبوا؟ ألا تحلقوني؟ ألا تضيفوني؟ فإنّي جامع مغرور فقالت بنو قريظة: والله لنفتحن له، فلم يزالوا حتى فتحوا له ، فلما دخل عليهم أطمهم قال: يا بني قريظة جئتكم في عز الدهر ، جئتكم في عارض برد لا يقوم لسبيله شيء ، فقال لهم سيدهم: أتعدنا عارضًا بردًا ينكشف عنا، وتدعنا عند بحر دائم لايفارقنا ، إن تعدنا الغروز ، قال فواثقهم وبما عاهدهم ، لأنّ انقضت جموع الأحزاب أن يجئ حتى يدخل معهم أطمهم ، فأطاعوه حينئذ بالغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فلما قصد الله جموع الأحزاب انطلق حتى إذا كان بالروحاء [4]، وذكر العهد والميثاق الذي أعطاهم فرجع حتى دخل معهم ، وقال أبو نعيم [5]حدثنا سليمان بن

---

[1] – سبق ترجمته.

[2] – سعيد بن المسيب القرشي المخزومي . وصف أنه أحد العلماء الأثبات، من القضاة والكبار من الطبقة الثانية، اتفقوا على أنّ مراسيله أصح المراسيل [الذهبي : تذكرة الحفاظ،1/54-56.]

[3] – فجلاك : الصواب فجاء إلى بني قريظة.

[4] – الروحاء من الفرح قيل علي نحو أربعين ميلاً من المدينة، وقيل أقل من ذلك ويقال هو الموضع الذي نزل به تبع حين رجع من قتال أهل المدينة، يريد مكة فأقام بها وآراح فسادها فسماها "الروحاء" "السمهودي: وفاء الوفا."

[5] – الدلائل . ص 437، 438.

أحمد [1]إملاء وقراءة ، حدثنا إسحاق[2]بن إبراهيم عن عبدالرزاق [3]عن معمر [4]عن الزهري ، عن سعيد بن السيب ، ثم ذكر الحديث نحوه مختصرًا.
فالرواية صالحة للاحتجاج بها مع المتابعة ، وهي من مراسيل سعيد بن السيب ومرسلاته من أصح المراسيل .

رواية ابن إسحاق

وقد روي ابن إسحاق هذه الحادثة فقال: وخرج عدو الله حُيي بن أخطب النضري حتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده ذلك وعاهده، فلما سمع كعب حيي أبن أخطب أغلق دونه بعد حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له فناداه حُيي: ويحك يا كعب: افتح لي قال ويحك ياحُيي: إنّك امرؤ شؤوم ، وإنّي قد عاهدت محمدًا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلاّ وفاءً وصدقًا ، قال ويحك أفتح لي أكلمك ، قال: ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دوني إلاّ عن جشيتك [5] أنّ أكل معك منها ، فأحفظ الرجل، ففتح له فقال: ويحك يا كعب ، جئتك بعز

---

[1] – سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني : أبو القاسم الحافظ ، ثبت لا ينكر له تفرد في سعة ماروي ، وقد ذكر أنه واسع العلم كثير التصانيف ، روي عنه أبو نعيم توفي سنة 360 هـ , [تذكرة الحفاظ]

[2] – إسحاق بن إبراهيم البخاري : أبو بكر صدوق من الحادية عشرة مات سنة 42 ، روي عن عبد الرزاق وغيره [التهذيب]

[3] – عبد الرزاق بن همام الحميدي ، ثقة حافظ، مصنف شهيد ، من التاسعة توفي سنة 111 هـ/ 729م، وله خمسة وثمانون.

[4] – معمر بن راشد : ترجمته وهو ثقة ثبت فاضل من السابعة.

[5] – الجشيشة طعام يصنع من الجشيش وهو البر يطحن غليظاً، وهو الذي نقول له العامة " دشيش " بالدال والصواب بالجيم

الدهر وببحر طام[1]جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبفطغان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي [2]إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا، أو من معه ، قال: فقال له كعب: جعلتني والله بذل الدهر وبجها [3] قد هراق ماءه وفهو يرعد ويبرق ليس فيه شئ، ويحك ياحُيي فدعني ، وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلاّ صدقًا ووفاءً ، فلم يزل حُيي بن كعب يقتله في الندوة والغارب أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد وبرئ مما كان بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهي الخبر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن لقمان وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة بن وكيم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهم عبدالله بن رواحة ، أحد بني الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير أخذ بنو عمرو بن عوف .

فقال: انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًا فالحقوا لي لحنًا[4] أعرفه ولا تفتوا في أعقاد الناس[5] ، وإنّ على الوفاء فينا بيننا وبينهم فاجهروا به للناس قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلًا فيه حدة ، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك

---

[1] – ببحر طام.

[2] – بذنَب نقمي : موضع بقرب أُحد " الحموي :معجم البلدان"

[3] – جهام : الجهام السحاب الذي لاماء فيه.

[4] – اللحن : اللغز هو ان يخالف ظاهر الكلام معناه.

[5] – يفتوا في أعقاد الناس : يقال فت في عقيدة إذا أضعفه وأوهنه.

مشاتمتهم فيما بيننا وبينهم أري من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعيد ، ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه ، ثمّ قالوا عضل والقارة ، أي كفور عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، خبيب وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر : أبشروا يا معشر المسلمين .[1]

قال موسى بن عقبة [2]": وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حُيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان ، ورهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم، إن رجعوا ولم يناجزوا محمدًا ، قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلًا من أشرفهم ، فنازلهم حُيي علي ذلك ، فنقضوا العهد ، ومزّقوا الصحيفة التي كان فيها العقد ، إلاّ بني سعفة أسد وأسيد وثعلبة فإنّهم خرجوا للرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا ويرى أحد الباحثين[3] ، أنّ ما ذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة ضعيف ، لأنّه بدون إسناد، وأنا لا أوافقه على هذا القول لأنّ كلًا من ابن إسحاق وموسى بن عقبة "مولى آل الزبير" محدثان فلقد حدث عن موسى ابن جريج ، ومالك ، وابن عُيينة، وحاتم بن اسماعيل وابن المبارك ، وأبو صخرة وغيرهم ، وقال أحمد بن حنبل عليكم بمغازي موسى بن عقبة ، فإنّه ثقة وهو من الطبقة الرابعة من الحفاظ توفي سنة

---

[1] – (٤)ابن هشام: ٧ / 222 ،أنظر نقض بني قريظة العهد، والواقدي: 7/ 457–، 459 ، ابن سعد : الطبقات 67/2،الطبري: تاريخ الأمم. 2/ 570– 572ابن حزم . جوامع السيرة . ص 139 ابن عبدالبر. الدرر 171– 172، السهيلي . الروض الأنف . 264/3– 266،ابن الأثير. الكامل 71/2، ابن سيد الناس . عيون الأثر . 82/2–83،،ابن كثير البداية والنهاية ، 104/4، ابن خلدون . العبر . 441/2–442، الشامي . سُبل الهدى والرشاد . 526/4– 528، والسيرة الحلبية.

[2] – أنظر ابن كثير البداية والنهاية . 104/4،والسيرة الشامية 4/ 527.

[3] – الباحث هو أكرم حسين السندي . مرويات تاريخ اليهود في المدينة . ص 205. رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة.

141هـ [1] ،[2]، وقال عنه ابن سعد كان ثقة ثبتًا كثير الحديث ، وقال إبراهيم بن النذر عن ابن عيسى كان مالك يقول: "عليكم بمغازي موسى بن عقبة ، فإنّه ثقة وفي رواية أخرى عنه عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة ، فإنّها أصح المغازي ، وفي رواية فإنّه رجل ثقة طلبها على كبار السن ، ولم يكثر كما أكثر غيره ، وذكره ابن حُبان في الثقات [3]؛ إذ أجمع العلماء أنّه من الثقات .

أمّا محمد بن إسحاق بن يسار (ت151 هـ /768م) فلقد رأى أنسًا وابن المسيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن ، وروى عن أبيه وعميه عبد الرحمن وموسي الأعرج وعبيد الله بن عبدالله بن عمر، ومعبد ابن كعب بن مالك ، وابن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه من شيوخه يحيي بن سعيد الأنصاري ويزيد بن ابي حبيب ، وقال الدوري لقد سمع محمد بن إسحاق من أبان بن عثمان ، وأبي سلمة بن عبدالرحمن والقاسم بن محمد ، وقال ابن أبي خيثمة عن هارون بن معروف سمع أبا معاوية يقول: فيه شيئًا ، وقال البخاري رأيت علي بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحاق، قال: وقال علي مارأيت أحدًا يتهم ابن إسحاق قال، وقال لي إبراهيم بن المنذر عاصم بن عمر بن قتالة، وقال أبو زرعة الدمشقي ، ابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقًا ، خيرًا مع موجة لابن شهاب ، وقد ذاكرت .. قول مالك فيه ، فرأى أنّ ذلك ليس للحديث ، وإنّما هو لأنّه اتهمه بالقدر ، وقال ابن حبان لم يكن أحد بالمدينة يقارب إبن إسحاق في علمه ، ولا يوازيه في جمعه وهو من

---

[1] – أي سنة 758م..

[2] –الذهبي . تذكرة الحفاظ . 148/1.

[3] – ابن حجر . تهذيب التهذيب . 10/ 321–323.

أحسن الناس سياقاً للأخبار إلى أن قال وكان يكتب عن فوقه ومثله ودونه ، فلو كان ممن يستحل الكذب لم يحتج إلى النزول فهذا يدلك على صدقه ، وخلاصة القول: إنّ العلماء وثقوه إلاّ أنّ بعضهم رأي ليس بحجة[1] .

وممّا سبق يتضح لنا أنّ هذيْن المحدثيْن على درجة كبيرة من الثقة ، ولاسيما موسى بن عقبة الذي أجمع على أنَّ مراسيله أصح المراسيل ، وأنّه حجة في المغازي وابن استحاق ثقة العلماء ماعدا بعضهم ، فلماذا نعتبر روايتهما إسنادهما ضعيف ، وهناك مايقويها ، ويدعمها من أحاديث صحيحة، والأكثر من هذا تدعيم القرآن الكريم بنزوله بشأن الأحزاب وبني قريظة من ذلك الآيات 9 ، 10 ، 26، 27 من سورة الأحزاب .

فروايتي ابن اسحاق موسى بن عقبة تتفق مع ماجاء في هذه الآيات مما يؤكد صحتها ، فالآية رقم 10 تتطابق معها رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه والآية 26 تؤكد نقض بني قريظة العهد "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب."

والذي أريد قوله: إنّنا عندما نريد أن نطبق مناهج المحدثين على الروايات التاريخية ينبغي أن نبحث في سيرة راوي الرواية ونطابق الرواية مع روايات أخرى ذات سند متصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نطابقها بما نزل من قرآن في الحادثة التي نحن بصددها ، وكذلك نتعرف على مواقف المؤرخين من هذه الرواية هل اعتمدوها أم لا؟ إذ نجد مثلًا رواية ابن إسحاق التي نحن بصددها قد أوردها معظم كتاب السير والمغازي والتاريخ العام ، ولم يأخذوا عليها أنّها موقوفه بسند ابن إسحاق ، وكذا الحال بالنسبة للموقف من الصحيفة التي أوردها ابن إسحاق كاملة ، ودون أن يذكر سنده فهناك رواية أخرى عن الزهري أوردها عبيد بن سلام في الأموال عن

[1] – المرجع السابق . 9/33-38.

طـريقين ، كمـا أوردهـا ابـن زنجويـة فـي الأمـوال بـنفس إسـناد ابـن سـلام وجميعها تتفق فـي جميـع بنودها مـع روايـة ابـن إسـحاق مـع اخـتلاف فـي بعض الكلمات ، كما أنّه يؤيدها كثير من الآيات القرآنية إلى تشير إلى نقض اليهود العهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كثير من الأحاديث الصحيحة التي وردت في الصحاح الستة ، وكذلك سير الأحداث والوقائع والشواهد التاريخية .

مما سبق يتضح لنا الآتي :

1. لقد أجمع المحدثون والمؤرخون على وجود عهد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين بني قريظة وأنّ بني قريظة نقضت العهد أثناء غزوة الأحزاب بالتحريض من حُيي بن أخطب النضري في أحرج ظرف يمر به المسلمون ؛ إذ حوصروا من قبل عشرة آلاف مقاتل.
2. أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل الزبير بن العوام رضي الله عنه ليتأكد من أمر بني قريظة ، وهل نقضوا العهد أم لا؟ كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره.
3. أنّه صلى الله عليه وسلم أرسل للمرة الثانية بعض الصحابة زيادة في التأكد، وهذا بحد ذاته يدحض مزاعم المستشرقين بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يتخذ قرارته بمحاربة اليهود بمجرد الشك في خيانتهم أو تآمرهم أو نقضهم العهد.
4. أنّ هناك بطنًا من بطون قريظة وهي بني سعت أسد وأسيد وثعلبة لم ينقضوا العهد .

توجه الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال بني قريظة بأمر من الله :

لما حدث من بني قريظة في غزوة الأحزاب أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم إثر عودته من الخندق بقتال بني قريظة ، فأمر النبي صلى الله

عليه وسلم أصحابه بالتوجه إليهم ، وقد أعلم اصحابه بأنّ الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصونهم ، ويقذف في قلوبهم الرعب ، وأوصاهم أنّ لا يصلين أحد العصر إلاّ في بني قريظة ، كما في رواية البخاري [1]أو الظهر – كما في رواية مسلم[2] ، وأدرك العصر بعضهم وهم في الطريق فبعضهم صلى ومنهم من أخر وأقر الرسول صلى الله عليه وسلم الطرفين ومن – أخر فصلاها بعد العشاء كما أوضح ابن إسحاق ، ولقد جمع العلماء بين روايتي البخاري ومسلم بالقول باحتمال أن يكون بعضهم قد صلى الظهر قبل الآخر، وبعضهم لم يصلها فأمر من لم يصلها ألا يصلي الظهر، ومن صلاها أن لا يصلي العصر، وقيل باحتمال أن تكون طائفة قد ذهبت بعد طائفة فقيل للأولى الظهر وللثانية العصر.

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه إلى بني قريظة مستخلفًا عبد الله بن أم مكتوم على المدينة ، وقد وردت آثار مرسلة تتقوى ببعضها إلى رتبة الحسن لغيره، وتفيد أنّه بعث عليًا على المقدمة برايته[3] ، وقد انفرد ابن سعد بذكر عدو جيش المسلمين فذكر أنّهم كانوا ثلاثة آلاف رجل معهم ستة وثلاثون فرسًا[4]، وتختلف الروايات في مدة حصاره لبني قريظة وهل كان شهرًا[5] ،أم (25) يومًا[6]، أم (15) يومًا[1] ،أم بضع عشر ليلة[2] ، وأقوى

---

[1] – صحيح البخاري .143/5.

[2] – صحيح مسلم بشرح النووي " باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعاقبين " 97/12.

[3] – سيرة ابن هشام .1/ 234، وابن سعد : الطبقات ،74/2، وابن حزم : جوامع السيرة. ص 133.

[4] – ابن سعد .الطبقات 74/2، وابن سيد الناس . عيون الأثر . 95/2.

[5] – تاريخ الطبراني . 583/2.

[6] – المصدر السابق والصفحة ذاتها.

الأدلة تبين أنّه كان (25) ليلة ، وتميل معظم كتب المغازي إلى ذكر هذه المدة وفقًا لرواية ابن إسحاق [3] .

هذا ولما اشتد الحصار على بني قريظة ، أراد الاستسلام والنزول على أن يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم وقد استشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر من الصحابة وكان حليفًا لهم فأشار إلى أن ذلك يعني ذبحهم ، وقد قدم على هذا وربط نفسه إلى إحدى سواري المسجد النبوي حتى قبلت توبته[4] .

أمّا بنو قريظة قبلوا النزول على حكم سعد بن معاذ ، ورأوا أنّه سيرأف بهم بسبب الحلف بينهم وبين قومه الأوس ، وجيئ بسعد محمولاً لأنّه كان قد أصيب في الخندق بسهم في ذراعه ، وقضى في بني قريظة بأن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى النساء والذرية ، وأن تقسم أموالهم فأقره الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال: قضيت بحكم الله[5] ، وبذلك تبرأ سعد بن معاذ من حلف بني قريظة ، ولم يقع في نفوس الأوس شئ رغم تحالفهم مع بني قريظة وقرب عهدهم بالإسلام ، فسيدهم سعد هو الذي حكم فيهم ، وكان

---

[1] – ابن سعد .الطبقات . 72/2، البلاذري . فتوح البلدان. ص 32.

[2] –– ابن كثير . البداية والنهاية . 121/2

[3]– انظر سيرة ابن هشام . 2 / 236 ، وقد أوردها الطبري في تاريخه . 573/2وابن حزم في جوامع السيرة ص 43–59ا ابن عبدالبر في الدرر ص 138، وابن الأثير في الكامل . 7/2وابن سيد الناس في عيون الأثر جـ 2.

[4] – أنظر أمر لبابة في سيرة ابن هشام . 3/ 236، 237، كما ورد أمر لبابة في طبقات ابن سعد . 74/2.

[5] – صحيح البخاري "باب مرجع النبي من الأحزاب" ومخرجه إلى بني قريظة ومحاضرته لهم ،5/ 142 ، كما أخرجه في باب ذكر الملائكة . 3/ 142، كما أخرجه ابن سعد في الطبقات ، 76/2وأبو نعمي في الرسائل . ص 427 ، وأحمد في المسند، وعبد الرزاق في المصنف، والبيهقي بسند متصل إلى السيدة عائشة رضي الله عنها.

عدد مقاتلتهم الذين نفذ فيهم الحكم أربعمائة ، ونجا ثلاثة من بني قريظة بدخولهم في الإسلام[1] ، فأحرزوا أنفسهم وأموالهم، وربما نجا ثلاثة آخرون منهم بحصولهم على الأمان من بعض الصحابة ، أو لما أظهروه من وفاء العهد خلال الحصار، فقد وردت أخبار كثيرة في ذلك لكنها لا تبلغ درجة الاحتجاج بها [2] ، وقد حبس أسراهم في دار بنت الحارث[3]، ثم نفذ القتل في سوق المدينة حيث حفرت أخاديد، وقتلوا فيها بشكل مجموعات [4]، ولم يقتل من نسائهم ولا امرأة واحدة[5] كانت قد قتلت صحابيًا هو خلاد بن سويد برحى ألقتها عليه ، أمّا الغلمان غير البالغين فقد أطلق سراحهم [6]، وبعد إنفاذ حكم الله في مقاتلة بني قريظة شرع في تقسيم أموالهم بين المسلمين [7]، وقد اصطفى الرسول صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت عمرو من بين السبي لنفسه ، وهو قول ابن إسحاق وابن سعد وغيرهم كثير، وقال الواقدي أنّه تزوجها .

هذا ونستنتج من الروايات السابقة عن موقف بني قريظة يوم الأحزاب وروايات غزوة بني قريظة الآتي :

1. تحري الرسول صلى الله عليه وسلم خبر نقض بني قريظة العهد أثناء غزوة الخندق ، وتأكده من ذلك وزيادة في التأكيد أرسل مرة

---

[1] – صحيح البخاري وصحيح مسلم، والثقات هم ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسد بن عبيد.

[2] – العمري ، د . أكرم . السيرة النبوية الصحيحة . 316/1.

[3] – وهذه رواية ابن رسحاق أوردها ابن هشام في السيرة . 240/3–241، عروة ذكر أنّها في دار أسامة بن زيد ، والجمع بينهما أنّ الأسرى وضعوا في الدارين لكثرهم.

[4] – مسند أحمد وسنن الترمذي.

[5] – سيرة ابن هشام جـ 3 ، ومسند أحمد.

[6] – طبقات ابن سعد . 76/2–77.

[7] – صحيح البخاري . 5 /142.

أخرى عدد من الصحابة رضوان الله عليهم ليكتشفوا الأمر، وروايات التحري صحيحة وردت في صحيح البخاري.

2. عظم أمر خيانة بني قريظة حيث عّجل الله شأنه في عقابهم ، أرسل جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عقب غزوة الخندق ، ولم يسترح بعد هو والمسلمون ليأمره بالتوجه إلى بني قريظة .
3. استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لطلب بني قريظة مرتين : الأولى عندما طلبوا أبا لبابة لاستشارته في أمرهم ، والثانية في طلبه سعد بن معاذ ليحكم في أمرهم .
4. لعظم جرم بني قريظة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم الخندق أنّ القرآن نزل بشأن أبي لبابة لخيانته لله عز وجل وللرسول صلى الله عليه وسلم عندما بين بالإشارة لبني قريظة أن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الذبح."
5. التأكيد بأنّ ما صدر في بني قريظة هو حكم الله ، وذلك يتطابق حكم سعد بن معاذ مع الحكم الذي أصدره الرسول صلى الله عليه وسلم وأفصح عنه أبو لبابة ، فطلب بنو قريظة على إثر ذلك أن يحكم في أمرهم سعد بن معاذ الذي كان مريضًا في خيمته ولا يعلم بما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
6. تيقن لبني قريظة أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو رسول الله والنبي الخاتم ، وأصروا على كفرهم وتكذيبهم .
7. لم ينشب قتال بين المسلمين وبين بني قريظة ، فلم تتطرق كتب السيرة والمغازيإ أية إلى أية بين الفريقين ، وأمّا استشهاد خلاد بن سويد ، فكان من جراء إسقاط أحدهم رحى عليه فقتلته ، فحربهم لم

تكن حرب مواجهة ، وإنّما كانت حرب أعصاب ، ولم يصمدوا أمام الحصار طويلًا رغم أنّه لم ينفد غذاؤهم ولم تنضب ماؤهم .

8. إنّ عقاب بني قريظة كان من جنس عملهم ، فنحن لو تأملنا وضع المسلمين يوم تحالف الأحزاب عليهم نجد أنّ الأعداء كانوا محيطين بهم، وقد بينت لنا ذلك الآية الكريمة (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)[1]

وما رواه ابن سعد في يوم الخندق يوضح الحال التي كان عليها المسلمون، فقد نجم النفاق ، وفشل الناس ، وعظم البلاء ، واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء ، وكانوا كما قال تعالى: (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) [2] ، فالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون يتعقبون خندقهم ويحرسونه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنّه كان يخاف على الزراري من بني قريظة[3] ، وفي وقت كان يهود بني قريضة يبثون الرعب في قلوب النساء والأطفال حسب رواية صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كان رجل من بني قريظة يطوف بحصن فارغ حيث النساء والأطفال ، ولم يكن معهم أحد سوى حسان بن ثابت ، وعندما رأت السيدة صفية رضي الله عنها رجلًا من بني قريظة يحوم حول الحصن خافت منه

---

[1] – الأحزاب : 10.

[2] – الأحزاب : 10.

[3] – ابن سعد . الطبقات . 67/2.

على من بالحصن ، وطلبت من حسان بن ثابت قتله فقال لها : لا يستطيع ذلك ، فخرجت وقتلته بعمود .

فحكم سعد بن معاذ بقتل المحاربين من بني قريظة هو نفس ما كان سيفعله الأحزاب بالمسلمين لو انتصروا بخيانة بني قريظة ، ثم أن تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع بني النضير، وسماحه لهم بالجلاء دون القاتل ترتب عليه هذا الخطر الكبير الذي تعرض له المسلمون ، لأنّه كما ثبت أنّ بني النضير الذين ألبوا الأحزاب، وجمعوهم لقتال المسلمين، وتحريض بني قريظة لنقض العهود ، فلو ترك محاربوا بنو قريظة وأجلوا عن المدينة فماذا سيترتب على ذلك أن يجتمع يهود خيبر وبني النضير وبني قريظة؟ فكان قتلهم هو الحل الوحيد لحماية الإسلام والمسلمين من غدر اليهود وحقدهم وعدائهم ، ثم أن مابدر من بني قريظة يعد في القانون الدولي خيانة ، فهم خونة متواطئون مع العدو؛ إذ لايمكن اعتبارهم كالعدو الذي يستسلم وهو يخوض حربًا مشروعة فالحكم على من في مثل حالتهم معروف دوليًا ، وهو لايقل عن الإعدام بأية حال من الأحوال، وقد نجا من مقاتلي بني قريظة من حافظ على العهد ولم ينقضه .

إنّ هذا الحكم قد صدر من لدن الخالق جل شأنه، وهو أعلم بخلقه وبما هو الأصلح لهم، وعدالته لا تعادلها عدالة ، وما نال بني قريظة لا يختلف عما جاء في الإصحاح العشرين من سفر تثنية الاشتراع ، كما ذكر بودلي وسبق إيراد نص الإصحاح ، وإن كان هذا الحكم في الإسلام لم ينزل سوى بشأن قريظة .

وأخيرًا أقول: لقد أتضح لنا بعد عرض كل أسباب المواجهة بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة المنورة ليس للحصول على أموالهم ، كما ادعى المستشرقون وفي مقدمتهم مرجليوث ، وإنّما لأسباب

استوجبت إجلاء بعضهم وقتل مقاتلي بني قريظة بعدما تكرر غدرهم وخيانتهم ونقضهم لما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق ، والتأكد من خيانتهم وأنّ الله عز وجل قد أنزل قرآنًا في كل قبيلة منهم توضح غدرهم وخيانتهم ، ومهما اختلفت الروايات ، فالذي لا خلاف فيه ولا جدال هو قول الحق سبحانه وتعالى الذي لم يعتريه باطل ، ثم أنّ كل الروايات التي سُقتها ثبت صحتها ، وهي تؤكد صحة الوقائع التي تدين اليهود وتثبت نقضهم العهد .

زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بريحانة والرد على بودلي

يدعي بودلي أنّ ريحانة رفضت الإسلام ، ورفضت الزواج بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وصارت جاريته وحظيته ، ولكنها لم تعش طويلًا ، ولعلها لم تنس مذبحة الثمانمائة يهوديًا[1] .

وما قاله بودلي يخالف ماجاء في كتب الحديث والسير والمغازي، فهي ريحانة بنت زيد بن عمرو ابن خنانة بن شمعون بن زيد من بني النظير، وكانت متزوجة رجلًا من قريظة يقال له الحكم فنسبها بعض الرواة إلى بني قريظة[2] ، وكانت من سبابا بني قريظة فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها ، ماتت عنده ، وقد ذكرها ابن سعد من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد أورد ابن سعد عدة روايات بعدة طرق تفيد إسلام ريحانة وعتقها وزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها هذه الرواية عن محمد بن عمر عن صالح بن جعفر بن محمد بن كعب قال: "كانت ريحانة من أفاء الله عليه، فكانت امرأة محلية وسيمة فلما قتل زوجها وقعت في السبي ، فكانت

---

[1] – بودلي . الرسول حياة محمد ،ص 210.

[2] – ابن سعد . الطبقات . 126/8.

صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بني قريظة ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الإسلام وبين دينها فاختارت الإسلام فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، وضرب عليها الحجاب ، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة وهي في موضوعها لم تبرح ، فشق عليها وأكثرت البكاء ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على تلك الحال فراجعها فكانت عنده حتى ماتت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

فالروايات كلها أجمعت على إسلام ريحانة وزواج الرسول صلى الله عليه وسلم بها، وتوجد رواية واحدة أوردها ابن سعد تنتهي بأبي جشهم تفيد إسلام ريحانة وعدم زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأوردها ابن هشام وابن الأثير في الكامل، وفي أسد الغابة [2].

إنّ ترك بودلي كل هذه الروايات وأخذ الشق الأول من رواية واحدة، ولم يكمل ماجاء فيها عن إسلامها يبين لنا أي منهج يسير عليه المستشرقون؟

الرد على افتراء إسرائيل ولفنسون على سوء الحالة الزراعية والتجارية والصناعية في المدينة بعد جلاء اليهود

يقول ولفنسون: "وقد طرأ تغير عظيم على يثرب بعد خروج اليهود منها؛ إذ تدهورت شؤونها التجارية والصناعية تدهورًا شديدًا ، ولو لم يكن لهذه المدينة ضريح الرسول، ولو لم تكن عاصمة الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين لما كان ليثرب شأن يذكر بعد تلك الحوادث في الجزيرة العربية ، ثم يقول : وقد أضمحل شأن هذه المدينة بعد عصر الخلفاء الراشدين ، ولم تعد إليها مكانتها القديمة من الوجهة التجارية ".

---

[1] ' – طبقات ابن سعد . 8/ 130. وابن سيد الناس . عيون الأثر . 2/ 384.

[2] – أسد الغابة . 5/ 460 . وابن حجر . الإصابة . 5/ 309.

ثم يستطرد قائلًا: "هذا ما يميل إليه المستشرقون ، وقد يكون من الصعب تفنيد هذا الرأي وتجريده من الصحة ، على أنّ هاك نقطة جوهرية يجب أن نتنبه إليها ، ونحن نبحث أسباب الضعف الذي طرأ على يثرب بعد أن مُحيت منها سلطة اليهود ، فقد يظهر لكل باحث في تاريخ المسلمين بعد الخندق بني قريظة ظاهرة جديدة في منطقة يثرب أولًا، وفي الحجاز كله بعد زمن قصير هي أنّ مرافق الحياة من زراعة وتجارة وصناعة أهملت إهمالًا شديدًا ، وأخذت أفراد البطون وزعمائهم يتجهون نحو الشؤون الحربية التي شغلت العرب بما جلبت لهم من الغنائم ، وبما مكنت لهم فيما يملك أعداء الإسلام في الجزيرة العربية .[1]"

ويرد "وات" على "ولفنسون" عندما قال: "ولما كانت قبيلة قينقاع قد كرّست نفسها للتجارة ، فلقد أصبح من الصحب توفير الرزق في هذا الميدان لبعض المسلمين في الأيام الأولى بعد الهجرة ، ثم تحسنت الأحوال بعد طرد بني قينقاع .[2]"

هذا وقد تجاهل ولفنسون وجود الموالي الذين كانوا يشكلون في المجتمع المدني ضرورة اجتماعية لا غنى عنها لاعتماد الكبير عليهم لقيامهم بكثير من الأعمال والخدمات التي تصعب على المجاهدين القيام بها لانشغالهم بأمر الغزوات ونشر الإسلام ، على أنّ هناك من الموالي من شارك في كثير من الغزوات وأظهروا براعة فائقة في القتال[3] .

---

[1] – تاريخ اليهود في بلاد العرب . ص 198.

[2] – وات . محمد في المدينة . ص 198.

[3] –ابن إدريس ، د . عبدالله عبد العزيز . (1412هـ / 1992م) مجتمع المدينة في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ، ص 73 بعمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعوود. ط 2.

إنّ معظم أهل المدينة كانوا يملكون البساتين وحدائق النخيل ، وكانوا يعملون فيها بأنفسهم يستوي في ذلك الصغير والكبير، وذكر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فاستقبله سعد بن معاذ سيد الأوس ، فقال ما هذا الذي أري بيدك يا سعد؟ قال : " من أثر المسحاة، أضرب وأنفق على عيالي" ، وربما عمل الرجل الذي ليس لديه حائطًا خاصًا به في حيطان أهل المدينة بأجر معلوم من التمر ، وقد يعمد صاحب الحائط إلى إعطاء حائطه لشخص يزرعه ويسقيه ويتعهده مقابل ربع الثمرة أو ثلثها أو نصفها أو أقل من ذلك أو أكثر، وهي طريقة تعرف بالزراعة، وكانوا يعتمدون في سقيا زراعتهم عل. مياه الأودية أو مياه الآبار حيث يرفعونها مستخدمين الإبل النواضح ، كما استخدموا البقر حرث أراضيهم [1] .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينظم أمور استغلال موارد المياه، وعن حفص بن غياث عن جعفر ابن محمد عن أبيه قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيل مهزور أنّ لأهل النخل العقبين ، ولأهل الزرع إلى الشراكين ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم، وعن عروة أنّ رجلًا من الأنصار خاصم الزبير بن العوام رضي الله عنه في أشراج الحرة[2] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ، ثمّ أرسل إلي مبارك، وبفضل سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم الزراعية أقبل بعض المهاجرين

[1] – – المرجع السابق . ص 204.

[2] – أشراج الحرة : مسايل الماء.

على الزراعة في المدينة بعد أن نعمت بالهدوء فحفروا فيها الآبار وزرعوا عليها[1] .

هذا وقد اتبعت وسائل عديدة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لحث الناس على الزراعة والإقبال على ممارستها ، فكان العرف السائد أنّ من أحيا أرضًا ميتة فهي له ، هذا بالإضافة إلى التوسع في إقطاع الأراضي الزراعية لعظم المهاجرين في وادي العقيق، وفي منطقة العالية ، ويذكر أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى أحد المهاجرين من حرة الوادي، مبذر صاع ، وأعطى غيره بئرًا بوادي العقيق ، وهذا يدل على أنّ القطائع كانت لجميع الفئات ، ولذلك اقتصد في توزيعها حتى ينال كل نصيبه.

ونتيجة لهذا التوسع الزراعي خارج المدينة أصبح معظم ساقيتها في ظاهرها، ومحيطة بأكثرها[2] ، وقد اتبعت وسائل عدة للحفاظ على الثروة النباتية في المدينة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فمنع قطع إلاّ من حرث ، وقد استمر هذا التقليد إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ عين حارسًا مهمته معاقبة من يقطع من الثمر شيئًا[3] .

---

[1] – البلاذري. فتوح البلدان ص 18 ، وأنظر محمد محمود وأمين: الزراعة والري في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين ص 322 ، الجزء الثاني من الجزيرة العربية في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ، الخلفاء الراشدين، وانظر أيضاً د.عبدالعزيز بن إدريس ، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ص 205.

[2] – المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . تحقيق م . ج دي غوج . ط ٢ ز 1906م ، ص 80.

[3] – إدريس ، د . عبدالعزيز. مرجع سابق . ص 205.

وقد ملك المهاجرون كثيرًا من الأراضي الزراعية الواسعة بالغابة [1]، وبالحرة الشرقية[2]، وكانت أإموال بني النضير العالية قد أصبحت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم[3] بعد إجلائهم في ستة أربع للهجرة ، وكان يزرع تحت النخيل في أرض تلك الأموال ، فيدخر من ذلك قوت أهل وأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ستة ومافضل .. الكراع والسلاح ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبطع بعض المهاجرين واثنين من الأنصار بعض أراضي بني النضير .[4]

وتعد النخلة أهم الأشجار المزروعة في المدينة ، وأكثر أموال أهلها[5] ، ومنها معاشهم وأقواتهم [6]، وقد بلغ من أهمية زراعة النخلة ، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أن أصبح من حق العبد أن يكاتب صاحبه على عدد من النخيل يحييها له بالفقير[7] ، أمّا غلات الحبوب ، مثل القمح والشعير ، فتأتي بعد محصول التمر من حيث الكثرة ؛ إذ كانوا يزرعونها تحت النخيل، ولم يكن هناك مزارع خاصة إلاّ بعد قيام المهاجرين بتولي

---

[1] – ابن حجر . الإصابة . ج4.

[2] – اللاذري . فتوح البلدان . 1/ 7.

[3] – المرجع السابق . 27/1.

[4] – المرجع السابق . 1/ 27.

[5] – سيرة ابن هشام.

[6] – طبقات ابن سعد . ج2.

[7] – سيرة ابن هشام جـ١، والفقير للنخلية: الحفيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي عريسة ، يثم يقال لها دية ثم فسيلة، ثم إشادة، فإذا أتت اليد فهي جبارة، وهي العضيد ، والكتيلة ، ويقال للتي لم يخرج من للنواة لكنها اجتثت من جنب أمها: قلعة وجثيثة ، وهي الجثائث ، والهراء ، ويقال للنخلة الطويلة : عوانة، بلغة عُمان ، وعيدانة بلغة غيرهم وهي فيعالة من عدن بالمكان أقام به " السهيلي . الروض الأنف جـ 1.

هذا الأمر، وكان الشعير يحتل المقام الأول في اعتماد الناس عليه[1] ، بينما كانت زراعة القمح فيما يبدو لا تكفي حاجة أهل المدينة، وذلك ذكر أنّ القمح كان يحمل من البلقاء إلى المدينة[2] .

وقد عمل المهاجرون فيما بعد على التوسع في زراعة القمح على وجه الخصوص ، ما ذكر من أنّ طلحة بن عبيدالله التميمي كان أول من زرع القمح بوادي قناة شمالي المدينة ، ومع ذلك فإنّ محصول القمح لم يكن يسد حاجتهم، ولذلك اتجهوا إلى تعريض النقص بالاستيراد من الخارج، حيث ذكر أنّ عبدالرحمن بن عوف قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام عانة ، وإلى جانب ما ذكر كان يزرع في المدينة بعض الفاكهة ومن يساقيها ماكان يحمل الفاكهة في السنة مرتين ، وكان أشهرها العنب، وهو أنواع مختلفة، منها الرادوي وهو أجودها لرقته وحلاوته ، وأحسنه ما كان في حدائق قباء ، ثم العالية، ثم جفاف وباقي بساتين المدينة ، وحكى أنّ لسعد بن أبي وقاص بالعقيق كرم تباع ثمرته بألف دينار وهذا إلى جانب زراعتهم للبطيخ والخربز[3] .

هذا عن أحوال الزراعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما رأينا أنّ هناك اهتمامًا بالزراعة خلاف ما زعم ولنفسون .

وكذلك بالنسبة للتجارة فقد كان سوق المسلمين غربي المسجد النبوي، وكان اختيارهم لهذا الموقع موقفًا ممّا يدل على عمق تجربتهم وفهمهم بأمور البيع والشراء؛ إذ كان واقعًا في جهة هي بمثابة المدخل الرئيسي

---

[1] – ابن إدريس ، عبدالعزيز . مرجع سابق نقلًا عن الكتاني التراتيب الإدارية . 35/2 . بيروت.

[2] – البلقاء : مدينة في الشام من عمل دمشق، سميت بالبلقاء نسبة إلى مؤسسها البلقاء بن سوريا بن عميل بن لوط.

[3] ابن إدريس ، د . عبد العزيز . مرجع سابق. ص 207.

للمدينـة ، سـواء مـن جهـة الشـام أو الـيمن ومكـة ، وديـار سـائر القبائـل المجاورة ، ممّا مكنهم من تلقي التجارة والوفود حال وصولهم موفرين عليهم مشقة الالتفاف برواحلهم المحملة حول بيوت المدينة أو حتى التخلخل بينها حتى يصلوا إلى سوق اليهود داخل المدينة ، وقد مارس أهل المدينة أنواع النشاط التجاري بحكم وضعهم الزراعي المتسم بالاستقرار ولوقوع المدينة على طريق التجارة بين الشمال والجنوب. وكانت سوق المدينة الجديدة بعد الهجرة ربحة واسعة لابقاء فيها ولاظلة ، وكان الراكب ينزل بها ليضع رحله ، ثم بطون بالون ورحله بعينه يبصره ولا يغيبه عنه شيء ، وكانت السوق أقرب إلى الطول منها إلى العرض ، ومن ضمنها المنطقة المعروفة اليوم بالمناخة ، ويرجح أنّها تمتد من الحد الشمالي لمصلى العيد ، أو هو في موضع مسجد الغمامة اليوم إلى منطقة جرار سعد في منازل بني ساعدة، قرب ثنية الوداع شمال المدينة ، كانت بداية موضع السوق – عند جرار سعد مقابر قديمة في بني ساعدة أعطوها للرسول صلى الله عليه وسلم فجعلها من السوق [1]، وقد حوت السوق معظم أنواع البضائع مثل التمر والحنطة والسمن والأقط، وسائر الطعام ، كما عرض فيها البيع أنواع الجلود المدبوغة ، ومواد بعضها مثل أعشاب القرظ ، وبيع فيها أيضًا البز، وهو نوع من الثياب ، وقيل الثياب خاصة من أمتعة البيت ، وكان للبزازين وهم بائعوا الثياب مكان معروف بهم في السوق، ويذكر أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بزازًا ولم يحترف غير البزازة ، وكذلك طلحة بن عبيدالله ، وقد عرض في السوق أيضًا جميع مصنوعات المدينة من السهام والرماح

[1] – انظر السمهودي . وفاء الوفاء . 2/747– 757 . ماجاء في سوق المدينة الذي تصدق به النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين."

والسيوف والحلي ، كما عرضت فيها أنواع الماشية ، وكان للخيل قسم خاص من السوق يعرف بيقع الخيل ، وكذلك الإبل، والبقر والغنم[1] .

هذا وقد كان يباع في سوق المدينة جميع ما يرد إليها من الخارج مثل القمح والزيت والعسل وكذلك الخيل والسلاح ، وبعض الكماليات[2] .

وقد نظم السوق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بنفسه مع بعض الصحابة بتعسس أحوال السوق ومراقبة أمورها وما يجري فيها ، وذكر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم مر على رجل يبيع طعامًا ، فأدخل يده فإذا هو ميقل: فقال: "من غشنا ليس منا"[3] .

وهذا يعني أنّ سوق المدينة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن عليها عامل بعينه ، على الرغم من أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعمل على سوق مكة ؛ إذ أنّ قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مع كبار الصحابة بمراقبة السوق، كان يفي بالغرض المطلوب [4]، وكان من ضمن ضوابط أمر السوق: مراقبة الأسعار وتحديدها بما تقتضيه المصلحة العامة ، كما منع احتكار ما يأتي إليها من البضائع والطعام ووضعت الحدود الكفيلة بمنع أي غبن بين البائع والمشتري ، ومن ذلك النهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها ، وإنّ من باع نخلاً قد أبرت فثمرها للبائع ، إلاّ أنّ يشترط المبتاع ، كما حرم بيع أنواع الفاكهة مثل البطيخ والخربز وكذلك الخضار، كالقثاء والجزر مالم يبدو صلاحها ، كما نهى عن بيع

---

[1] – السمهودي . وفاء الوفا .754/2.

[2] – ابن حجر . الإصابة.

[3] – السمهودي . وفاء الوفاء . 755/2،رواه أحمد والطبراني .

[4] – ا بن إدريس. مرجع سابق. ص 211.

حاضر لباد وهو أن يكون للبائع سمسار[1] بتولى العقد بين البائع والمشتري بأجر[2] .

وقد كان أمر تنظيم البيع والشراء قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة منعدمًا في أسواقها ولم تكن هناك رقابة رادعة على التجار الذين يغشون في الكيل ويحتالون على الناس ، وقد تغير الأمر بظهور الإسلام ؛ حيث نزلت آيات خاصة بضبط المكاييل والموازين [3]، وكان تجار المدينة عند قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم من أسوأ الناس كيلًا فأنزل الله تبارك وتعال(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)[4].

وقد مارس أهل المدينة أعمال الصيرفة ، وكانوا يعتبرونها نوعًا من التجارة ، وقد نظمت أمورها وبين حكم الله فيها ، ويعد الربا أبرز تلك الأعمال التي كانوا يتعاملون بها حتى فرق الله بينهم[5] ..وأعمال الصيرفة كانت قاصرة على بيع الذهب بالفضة يدًا بيد ، وفي بعض الأديان يكون البيع بالنسأ أو التأخير، لم يكن شائعًا[6] .

---

[1] – السمسار: هذا هو الدَّلال – وحتى الآن أهل المدينة يسمونه دلالًا– وسمي دلالًا لأنّه يدل المشتري على البائع وهو الوسيط بين البائع والمشتري،وقيل أنّ سمسار لفظ فارسي معرب "المعجم الوسيط جـ١ ، جـ٤.

[2] – مجتمع المدينة في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم، مرجع سابق ص 211

[3] – انظر سورة المطففين 1–3.

[4] . المطففين : 1 ـ 3.

[5] – أنظر سورة البقرة ،آية 257.

[6] – مجتمع المدينة . مرجع سابق . 212.

وقد أقر الإسلام للنساء نصيبًا مما اكتسبت[1] ، ومنهن بائعات للعطر، يطفن به على النساء في البيوت [2]، وكان للقبائل المجاورة للمدينة دور كبير ساهم في ازدهار ورواج التجارة في أسواقها ؛ إذ كانوا يفدون إليها حاملين معهم بضائعهم للبيع والشراء خلال السنة [3] ، وأهم ما يقدمون به الإبل والغنم ويذكر أنّ بني سليم كانا يجلبون اليها الخيل والإبل والغنم والسمن ، ويبيعون الإبل بالدنانير، وقد ابتاع النبي صلى الله عليه وسلم من رجل من بني قرازة فرسًا بعشر أواق من الفضة [4].

وكان لأهل المدينة اتصالات تجارية خارجية خصوصًا ، وأنّ المدينة كانت واقعة على طريق القوافل التي تحمل الطيوب بين اليمن والشام[5] ، وبلاد فارس وقد تعلم تجار المدينة من غير اليهود اللغة الفارسية ليسهل لهم التعامل مع الفرس ، وقد ذكر أنّ أبا معلق الأنصاري – بعد الهجرة - كان تاجرًا يتجر بما له ولغيره ، ويضرب في الآفاق ، كما أنّ من كبار الصحابة رجال لم تصدهم مشاغلهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم عن طلب الرزق ابتغاء فضل الله بمعالجة التجارة الخارجية حيث ذكر أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج في تجارة إلى بعدي قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بعام وبعد نعيمان وسويبط بن حرملة [6]، وذكر أنّ أحد

---

[1] – انظر سورة النساء، آية 32.

[2] – الواقدي . المغازي.

[3] – ابن خيَّاط . الطبقات . ص 57–58.

[4] – ابن سعد . الطبقات .ج1.

[5] – حتي ، فيليب . تاريخ العرب.

[6] – مجتمع المدينة . مرجع سابق. ص 214 نقلًا عن الخرازي : الدلالات الحية . ص 201.

تجار فارس سمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه فخرج بتجارة معه حتى قدم المدينة فأسلم [1] .

وقد ازداد رواج التجارة في المدينة بعد الهجرة حيث حول معظم المهاجرين تجارتهم إلى المدينة ، واستمروا في مزاولة رحلاتهم التجارية بينها وبين الشام ، وكانوا يحملون من الشام إلى المدينة القناديل والزيت والمقط ، كما استوردوا من الشام الأواني الفضية ، واستوردوا أيضًا المسك من الهند عن طريق دارين ، وكانت فرضة على الخليج العربي ، وهي المنطقة المعروفة حينذاك باسم البحرين ، وكان في دارين سوق يحمل إليها مسك من ناحية الهند ، ولذلك كان بائع العطر يعرف بالداري نسبة إلى دارين ، وقد تميزت قوافلهم بكثرة عدد رجالها ؛ إذ بلغت أحيانًا أربعمائة وخمسين رجلًا ، ممَّا يدلل به على كبر حجم التجارة الخارجية للمدينة بعد الهجرة ، وقد ذكر أنّ عبد الرحمن ابن عوف لما هاجر إلى المدينة قال دلوني على السوق حيث اشتغل بالتجارة فكثر ماله ، حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البرد والدقيق والطعام ، فأصبحت المدينة بعد هذا الازدهار الكبير في تجارها "سوق العرب تقصد بالبضائع من الأطراف البعيدة ، ومن صلات المدينة التجارية بالخارج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتها بنجد.

وهكذا نجد بطلان زعم ولفنسون أنَّ التجارة أهملت إهمالًا شديدًا في المدينة بعد جلاء اليهود منها كما اتضح لنا من قبل بطلان زعمه بشأن الزراعة .

وننتقل الآن إلى الصناعة حيث زعم ولفنسون أنَّها أهملت من قبل المسلمين بعد جلاء اليهود من المدينة ، فلقد كان النشاط الحرفي والصناعي بصفة عامة جيدًا في المدينة ومؤديً مهمته لسد حاجات الناس

---

[1] – ابن حجر .. الإصابة . ج3.

واكتفائهم ، وخاصة تلك الصناعات المعتمدة على إنتاج النخيل مثل صناعة القفاف، والحصر ونحوها من الخوص[1] ، وكان صاحب تلك المهنة يدعى بالخواص ، هذا إلى جانب أنّهم كانوا يفتلون الحبال من الصوف والليف ، كما أنّ هناك صناعات قائمة على طرق وإذابة المعادن لسبك الحلي وصناعة الأسلحة مثل القسي والرماح والسيوف ، ولم تحظ حرفة الصياغة باحترام كبير في المجتمع المدني لأنّ الصائغ ربما كثر الفساد والكذب في صنعته ، وكان يتعاطاها في الغالب اليهود ، وبينما كان الحداد يحظي بشيء من الاعتبار ولذلك ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يستكنف من دفع ولده إبراهيم حين احتاج إلى مرضعة إلى أم سيف زوج معين بالمدينة يقال له أبو سيف وهو حداد من الأنصار كان يزاول صنعته في بيته[2] ، وإلى جانب هذه الصناعات كانت صناعة النسيج ، وكانت النساء تقوم بهذه الصناعة ، كما كانت الخياطة والدباغة من الصناعات والحرف التي يحترفها بعض الناس ، كما كان يوجد بناؤن وعمال يقومون على النحت وضرب الطوب ، وصناع يصنعون آنية المنازل وأدواتها من نحاس وفخار للأكل والشرب ، وما إلى ذلك من مصنوعات هي مستعملات الناس وحاجاتهم اليوم [3] .

وهكذا كانت الصناعة كثيرة في المدينة ، وكان يقوم عليها أناس من أهلها من العرب ومن اليهود ، ومن الموالي والعبيد ممن قدموا إلى المدينة، وأقاموا فيها أو استقدمهم أهلها أو اشتروهم للعمل لهم ، وقد كان في المدينة

---

[1] – الشريف ، د . أحمد إبراهيم . مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول،.مرجع سابق . ص 399.

[2] – المرجع السابق . ص 401.

[3] – المرجع السابق ، والصفحة ذاتها.

بعض من هولاء منهم فرس وروم وقبط وأحباش ، أقاموا بالمدينة وعملوا لأنفسهم أو لسادتهم بها .

إذن الصناعة في المدينة لم تكن قاصرة ممارستها على اليهود حتى يزعم ولفنسون أنّها أهملت إهمالًا شديدًا بعد إخراجهم من المدينة وإزالة بني قريظة . وهكذا اتضح لنا بطلان مزاعم ولفنسون حول إهمال التجارة والزراعة والصناعة في المدينة ذات الإهمام الشديد بعد جلاء اليهود عنها، بل تبين لها مدى ازدهارها بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر مما كانت عليه قبل الهجرة.

يوم خيبر

مكانه : تقع خيبر شمال المدينة وتبعد عنها بحوالي 165 كم ، وهي واحة زراعية تقع في حرة ترتفع عن سطح البحر بنحو 850 م[1] ، وتعني خيبر بلغة اليهود " الحصن " وكان بها سبع حصون ومزارع ونخل كثير [2].

زمان حدوثها : السنة السابعة للهجرة[3] . أي سنة 628 م.

أسبابه

يمكن تلخيصها في الآتي :

1. ما بدر من يهود بني النضير الذين نزحوا إلى خيبر، واستقروا بها بعد إجلائهم من المدينة ؛ إذ حزبوا الأحزاب ، وألبوا غطفان وقريش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحرضوا بنو قريظة في المدينة على نقض ما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود الانضمام إلى الأحزاب ، وقد سبق وأن أوضحت ذلك بروايات صحيحة .
2. اتجاه يهود خيبر إلى تكوين تكتل آخر يهودي مع العرب المجاورين ضد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة ، ويتضح

---

[1] – الشهري، عوض . مرويات غزوة خيبر – رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة قُدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – قسم الحديث عام 1399– 1400هـ إشراف د. السيد محمد الحكيم ، وقد حصلت عليها من مكتبة الدكتور أكرم العمري الخاصة بالدوحة – قطر "ص٨."

[2] – الحموي ، ياقوت . معجم البلدان 468/2.

[3] – سيرة ابن هشم 4 / 328 ، الواقدي. المغازي 2/ 634 ،وابن سعد. الطبقات 106/2، فتوح البلدان . ص 32 الطبري. تاريخ الأمم ج3، ابن عبد البر . الدرر. ص 136،ابن حزم. جوامع السيرة . ص 157 . الحموي. معجم البلدان 468/2.

هنا من مواقف بعض زعمائهم كأبي رافع سلام ابن أبي الحُقيق ، وأسير ابن رزام ، ففي رواية الواقدي عن حبيبة عن داوب بن الحصين عن أبي سفيان عن إبن عباس قال: كان أسير رجلًا شجاعًا، فلما قتل أبو رافع أقرت اليهود أسير بن زرام، فقام في اليهود فقال: إنّه والله ماسار محمد إلى أحد من اليهود إلاّ بعث أحدًا من أصحابه فقالوا: وما عسيت أن تصنع مالم يصنع أصحابك، قال أسير في غطفان وأجمعهم فسار في غطفان فجمعها، ثمّ قال : يا معشر اليهود ، نسير إلى محمد في عُقر داره فإنّه لم يغز أحد في داره، إلاّ أدرك منه عدوه بعض ما يريد ، قالوا نعم ما رأيت فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر الحديث [1] . هذا وقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة على رأس ثلاثة نفر للتأكد من ذلك ، وكان ذلك في رمضان في السنة السادسة للهجرة ، وعادوا بعد أن تبين لهم أن أسير يعد العودة لغزو المسلمين ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة ثانية ، ومعة ثلاثون نفرًا لمفاوضة أسير، وفعلًا فاوضوه على أن يأتي معهم إلى يثرب ليستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على خيبر ويحسن إليه فخرج ومعه ثلاثون رجلًا من يهود إلاّ أنّه وهو في الطريق ندم على خروجه ، واقتتل المسلمون واليهود وقتل أسير ولم يفلت من رجاله إلاّ رجل واحد[2] .

3. بعد صلح الحديبية أصبح المسلمون يأمنون أهل مكة ، بينما لا تزال المدينة مهددة بالخطر من ناحية خيبر في الشمال ، ولذا رأى

---

[1] – الواقدي . المغازي ، 566/2، وابن سعد . الطبقات . 91/2,.

[2] – الواقدي . المغازي ، 567/2–568.

الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه لابد من تصفية حسابه معهم بعد أن اتضحت نواياهم ، وأنّهم كانوا يعدون العدة لغزو المدينة.

4. توحيد الجزيرة العربية تحت راية الإسلام لنشر الدعوة خارجها، إذ تيقن للرسول صلى الله عليه وسلم أنّ اليهود لن يندمجوا في المجتمع الإسلامي؛ لذا رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه لابد من وضع حد لنفوذ اليهود في خيبر وما جاورها[1].

5. وجود اليهود في خيبر سيعرقل مسيرة الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية، فالرسول صلى الله عليه وسلم بدأ في إرسال كتبه ورسله إلى ملوك العرب والعجم منذ السنة السادسة للهجرة ؛ إذ أرسل رسلاً الى قيصر الروم وكسرى الفرس، إلى الملك الغساني، وإلى نجاشي الحبشة، ولا يستبعد أن يتصل يهود خيبر بهولاء ليؤلبوهم على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يدفعونهم إلى توجيه جيوشهم إلى المدينة ، وقد يقدمون لهم العون، لذا وجد الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه لابد من قطع دابر يهود خيبر قبل أن يؤلبوا القبائل العربية داخل الجزيرة والدول الكبرى خارجها ضد المسلمين .

أمّا قول بعض المستشرقين وعلى رأسهم مرجليوث إنّ الهدف الأول من غزو المسلمين لخيبر إنّما هو الحصول على الغنائم ؛ إذ يذكر أنّ محمدًا قد عاش في المدينة على التلصص والسلب والنهب ، وإذا كان هناك ما يبرر نهبه لأهل مكة والقبائل اليهودية في المدينة ، إلاّ أنّ أهل خيبر لم يرتكبوا في حقه ما يعد تعديًا منهم جميعًا ، وينتهي مرجليوث إلى أنّ المسلمين إنّما غزوا خيبر للحصول على ما فيها من الغنائم، كما يشير إلى عامل آخر ، وهو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد غيّر سياسته مع

[1] – العقيلي ، د . محمد أرشيد . اليهود في شبه الجزيرة العربية . ص 178.

اليهود والمشركين ، فأصبحت الآن مجرد القول بأنّ جماعة يهودية أو مشركة كافيًا لشن غارات عليها ؛ إذ تسلطت عليه الشهوة التي سيطرة على الاسكندر من قبله ، ونابليون من بعده ، وهي التي دفعته لشن غارات متتابعة على غيره[1] .

مما لاشك فيه أنّ هذا القول تتحكم فيه الأهواء والأغراض لأنّه بعيد كل البعد عن الموضوعية والمنهج العلمي والحيدة ، فكما ثبت لدينا أنّ اليهود في خيبر أصبحوا يشكلون خطرًا كبيرًا على الإسلام ؛ إذ انطلقت منها دعوة تجييش الجيوش من القبائل اليهودية والوثنية في الجزيرة العربية ، فكانت غزوة الأحزاب، كما ثبت أنّها في طريق شن أحزاب ثانية على المسلمين في المدينة ، فقد باتت خيبر مكمن خطر كبير، ومع هذا فقد عرض على زعيم خيبر أسير بن رزام أن يكون عامله في خيبر إلاّ أنّه حاول الغدر بعبد الله بن رواحة وباقي أفراد بعثته والوفد الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم للتفاوض معه ، مع العلم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مع ثلاثة نفر للتأكد بما وصل إليه من أخبار عن تأليب "أسير" القبائل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنّه يُعد العدة لقتاله أي أنّه يعيد دور حُيي بن أخطب .

ثم أنّه لو كان غرضه الأموال لما وافق على بقاء اليهود في خيبر ولهم نصف ثمارها وأرضها، بعدما عقد معه اتفاقًا عل مغادرة خيبر نهائيًا، وترك كل ما يملكون، ولما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وهو يحمل اللواء متقدمًا الجيش إلى معين ناعم، بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يداهمهم وقوله له :"فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"، وعندما سأله علي :

---

[1] – 1- Mohmmad and the rise of Islam,P.362.

يا رسول الله على ماذا أقاتل؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله [1] .

ولو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه هدفهم الحصول على المال لما هاجروا من موطنهم تاركين كل ما يملكون في سبيل الله والدعوة إلى دينه .

أمّا القول بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد غزا خيبر ليعوض أصحابه خيبة الأمل التي فرضها عليهم في الحديبية مثلما قال " وات " و " بودلي " قول مردود لأنّ صلح الحديبية كان نصرًا كبيرًا للمسلمين :

- ففيه اعتراف من قريش بكيان المسلمين لأول مرة ، فعاملتهم معاملة الند للند .

- ذهاب هيبة قريش بدليل مبادرة خزاعة الانضمام إلى حلف المسلمين دون خشية قريش مثلما كان في السابق .

- مهادنة قريش لمدة عشرة أعوام يتيح الفرصة للمسلمين التفرغ ليهود خيبر خاصة ، ويهود تيماء وفدك بصفة عامة بعدما ظهر خطرهم في الأحزاب، واعتزالهم شن حرب أحزاب أخرى .

هذا من جهة ومن جهة أخرى يتيح فرصة للمسلمين مضاعفة جهودهم لنشر الإسلام في داخل الجزيرة وخارجها بعدما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته للملوك إلى الإسلام حتى أصبح عدد المسلمين عند فتح مكة عشرة آلاف، بينما كانوا قبل سنتين في الحديبية ألف وأربعمائة في قول جابر [2] .

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه ،171/5.

[2] – رزق الله ، د . سهدي . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية 495 – 496.

- إنّ الله بشّر المسلمين بفتح كبير هو فتح خيبر ووعدهم بمغانم كثيرة ؛ إذ هزموا يهود خيبر، وقد أشارت سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية قال تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)[1]

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هي خيبر، وهذا على قوله عز وجل فعجل لكم هذه أنّها صلح الحديبية[2] ، ونزول هذه الآيات في خيبر لدليل كاف على أنّه وجب قتال يهود خيبر لاستفحال خطرهم ؛ إذ لا مناص من قتالهم هذا، وممّا يؤكد خطر يهود خيبر على الإسلام وعلى المسلمين نتائج هذه الغزوة التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

1. القضاء على النفوذ السياسي والاقتصادي لليهود في الجزيرة العربية قضاء تاماً ليس في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ، وإنّما في العصور التي تلت ذلك ، وهذه الحقيقة أقر بها مونتجمري وات نفسه ، فمن المعروف أنّ أهم ما يميز خيبر ما جاورها من مستعمرات يهودية هو الثراء والتحكم في عصب الحياة الاقتصادية .

---

[1] – الفتح : 18-21.

[2] – ابن كثير. تفسير القرآن العظيم < ٤/191 ، الطبري. جامع البيان 351/11، فخر الدين الرازي. التفسير الكبير 14/ 332،القرطبي. الجامع لأحكام القرآن 16/ 278. البيضاوي. تفسير البيضاوي4/2 . الزمخشري. الكشاف 546/3

2. انقطاع اسباب الخصومة إلى حد كبير بين المسلمين واليهود ، ووقف تيار المطاعن الذي كان يشنه اليهود علي الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وقد ترتب على هذا أنّ المسلمين سمحوا لبعض الأفراد من اليهود العودة إلى سكنى المدينة وممارسة الزراعة والصناعة.
3. إنّ انتصار المسلمين في خيبر خيّب آمال اعداء المسلمين الذين كانوا يترقبون نتائجها باهتمام زائد ولاسيما كفار قريش ، ومن ذلك القصة التي أوردها ابن هشام وبعض مؤرخي السيرة أنّ الحجاج بن خلاط السلمي أسلم ولم يعلم مشركي مكة بإسلامه وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذه الغزوة أن يأذن له بالذهاب إلى مكة ليحضر مالًا كان له على بعض أهلها، وعندما وصل مكة سأله أهلها عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما صنع بخيبر، فأفادهم بأنّه هزم وأسرته يهود، وأنّهم لن يقتلوه حتى يبعثوا به إلى مكة فسروا لهذا النبأ، وقدموا الضحايا وأعانوه على جمع ماله ، ثم أتاه العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن الخبر، فأعلمه الحقيقة، وأنّه تحايل على قريش ليجمعوا له ماله ، وسأل العباس أن يكتم الحقيقة ثلاثة أيام خوف الطلب ، وبعد ذلك أخبر العباس قريشًا بأنّ محمدًا انتصر وفتح خيبر، وأخذ أموالها فصاروا يتوعدون الحجاج ، ولكن بعد فوات الأوان [1].
4. من نتائج فتح خيبر كان فتح مكة، فبعدما اطمأن المسلمون إلى جانب اليهود في الشمال ، وجهوا بعض الحملات خارج الجزيرة

[1] – انظر أمر الحجاج بن علاط السلمي، سيرة ابن هشام . 4/345–347. وطبقات ابن سعد . 4/422.

العربية ، فكانت غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة ، ثم غزوة تبوك ، وبعض المناطق المجاورة على حدود بلاد الشام الجنوبية ، والذي يهمنا هنا بالذات أنّه في أثناء وجود الجيوش الإسلامية في تبوك عقد الرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض الجماعات اليهودية التي كانت تعيش في بعض الجهات المجاورة لتبوك من الشمال معاهدات صلح ، فقد أورد البلاذري[1] أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حين حل بتبوك صالحه أهلها على الجزية ، وأتاه هو بها يحفه ابن رؤية صاحب أيلة ، وهو من يهود فصالحه على أن جعل له على كل حالم بأرضه دينارًا في السنة فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار ، واشترط عليهم قرى من مر بهم من المسلمين ، وكتب لهم كتابًا أن يحفظوا ويمنعوا.

وأمّا يهود بني عاديا وعريض فيذكر ابن سعد في طبقاته أنّهم دخلوا في حلف مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكتب لهم كتابًا بأنّ لهم الذمة ، وعليهم الجزية ، وقد أورد تفاصيل ذلك .

هذا ومما يلفت النظر ما أورده البلاذري عن عهود بني حبيبة وأهل مقنا ، وهما قرب إيلة ، من أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم صالحهم على ربع عروكهم ، وغزولهم ، وربع كراعهم ، وثمارهم ذاكرًا بأنّ بعض أهل مصر أخبره أنّه رأى كتابه بعينيه في جلد أحمر دارس الخط فنسخه [2].

---

[1] – البلاذري . فتوح البلدان . ص 79– 80.

[2] – العقيلي ، د . محمد أرشيد . اليهود في شبه الجزيرة . ص188–190.

الرد على ما أثاره بودلي ووات من شبهات حول زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حُيي

يقول بودلي في غزوة خيبر زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حُيي بن أخطب "سلبت المدينة بعد ذلك ، وعذّب المسلمون زعيم خيبر، ثم قتلوه لما لم يعثروا على الكنز الذي كانوا يعتقدون وجوده وقد طرد باقي اليهود جميعًا من خيبر ماعدا صفية عروس زعيم القبيلة ، كانت صفية ابنة حاكم بني قريظة ، وقتل فيمن قتل من اليهود بعد غزوة الخندق ، وكانت رائعة الحُسن ، وكانت نهازة للفرص ، ففي اللحظة التي دخلت فيها علي محمد جعلت من الواضح رغبتها في مصادقته ، فألقى محمد الذي كان يحتاج إلى تشجيع طفيف من سيدة جميلة، بُردته عليها ، دليلًا على أنّها في كنفه ، وبعد مدة قصيرة حجبها عن جنده ، فعلموا أنّها زوجة جديدة ، قد أضيفت إلى زوجات الرسول[1] ، ثم يقول: " وسبب قدوم صفية إلى دور النبي زوبعة أخرى ، ولكن صفية كانت ماهرة ، كما كانت جميلة فعالجت الأمر في حذق وحزم ، وتمكنت من أن تقدر التيارات المعارضة دور النبي ، فقررت أن تنضم إلى جانب عائشة وحفصة على الرغم من ذلك ، فما كان الأمر سهلًا، كان عليها أن تتحمل تعريض بأصلها على الرغم من أنّها قد أسلمت ، وقد أحست عائشة تأنيبًا لما روت صفية على قول من أقوالها اللاذعة بقولها: كيف أكون أقل منك ، وأخي هارون وعمي موسى وزوجي محمد؟ ومن ذلك اليوم أصبحت صفية في الحزب المضاد لعلي ، وقد لعبت بعد ذلك دورًا في سياسة المدينة والمسلمين ، فإنّها لم تمت إلاّ بعد موت محمد بأربعين سنة ."

[1] – بودلي . الرسول حياة محمد. ص 268.

- أمّا مونتجمري وات فيقول عن أم المؤمنين صفية بنت حُيي رضي الله عنها: صفية بنت حيي "يهودية النضير" أسرت في خيبر سنة 7 هـ [1] وكانت من نصيب محمد عمرها 17 سنة ، وربما كانت مخطئة في أول الأمر ثم اعتنقت الإسلام وأطلق سراحها ، وما ذكره بودلي ووات يختلف عما ورد في الصحيحين وأورده كتاب السيرة ، فلقد ذكر ابن سعد في الطبقات أنّ صفية [2]كانت ممن اصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وعرض عليها النبي أن يعتقها أن اختارت الله ورسوله ، فقال: "أختار الله ورسوله ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عنقها مهرها ، ورأى بوجهها خضرة قريبًا من عينيها ، فسأل ما هذا؟ قالت يا رسول الله رأيت في المنام قمرًا أقبل من يثرب حتى وقع في حجري فذكرت ذلك لزوجي كنانة فقال: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة؟ فضرب وجهي واعتدت حيضة ، ولم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر حتى طهرت من حيضتها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ولم يعرس بها، فلما قرب البعير لرسول الله ليخرج وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجله لصفيه لتضع قدمها على فخذه ، فأبت ووضعت ركبتها على فخذه وسترها رسول الله وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها ، ثم شده من تحت رجلها وتحمل بها وجعلها بمنزلة نسائه وأعرس بها على بريد خيبر، ويبعد عن خيبر بأكثر من ستة أميال ، وأدله عليها ماكانت وليمته

---

[1] – 628م.

[2] – صفية بنت حُيي بن أخطب بن سعفة بن عبيد بن كعب بن أبي حبيب من بني النضير، وهو من سبط لاوي بن يعقوب ، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام ، وكانت تحت سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحُقيق يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي ، فأخذها دحية ، ثم استعادها النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعتقها ، وتزوجها ثبت ذلك في الصحيحين من حديث أنس مطولًا ومختصرًا.

إلا الحبس ، وما كانت قصاعهم إلاّ تطاع ، فتغذى القوم يومئذ ، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بالقصيبة ، وهي على ستة عشر ميلًا[1].

وهذا يبين لنا أنّ أم المؤمنين السيدة صفية لم تكن قط مخطئة لدى الرسول صلى الله عليه وسلم كما يزعم وات ؛ إذ تزوجها وبنى بها ، وأولم عليها ليلة العرس وكان ذلك قبل وصوله المدينة ، كما تبين لنا الروايات خطأ بودلي في اعتباره حُيي بن أخطب حاكم بني قريظة مع أنّه نضيري وأجلي مع بني نضير إلى خيبر، ويبدو أنّه قد اختلط عليه الأمر، لأنّه كان مع بني قريظة عند تنفيذ الحكم عليهم ، لأنّه هو الذي حرّض بني قريظة على الغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعاهدهم أن يعيد ما يصيبهم إن هزموا ، وخطأ بودلي يبين لنا عدم دقته في الكتابة ، وأخطاؤه كثيرة لأنّه اعتمد علي السماع من الآخرين في كتاباته لها الكتاب .

ويلاحظ تحامل بودلي الشديد على السيدة عائشة رضي الله عنها ، وليس في هذا الموضع فقط ، بل نجده يعرَّض بها كلما يتحدث عن زيجة من زيجات الرسول صلى الله عليه وسلم مصورًا بيت النبوة أنّه مليء بالصراعات الحزبية ، وأنّ السيدة عائشة تمثل حزب المعارضة ، ومعها السيدة حفصة ، كما نجده يعرض بالسيدة عائشة في حادثة الإفك ، وهذا ما سأوضحه عند حديثي عنها في غزوة بني المصطلق ، كما نجده يلمح كثيرًا إلى أحداث الفتنة ، وكأنّ السيدة عائشة هي المحرضة على قتال سيدنا علي كرم الله وجهه.

---

[1]- ابن سعد . الطبقات،6/90-91، وانظر ابن هشام 336/4، وابن حجر . الإصابة 8 /210-211.

وبعد هذا العرض لمواقف مستشرقي المدرسة الإنجليزية من الصراع العسكري بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة وخيبر، والرد على ما أثاروه من شبهات بالتحقيق في الروايات وتطبيق علم الجرح والتعديل عليها واعتماد الصحيح واستبعاد الضعيف تبين لنا الآتي:

1. التأكد من صحة الصحيفة ، وأنّ هناك عهدًا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود في المدينة .
2. أنّ اليهود نقضوا ما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق ، وليس كما يزعم المستشرقون أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي نقض العهود معهم.
3. أنّه عليه الصلاة والسلام لم يحارب أي منهم أو يجلهم إلا بعدما تكرر نقضهم للعهود وتأكد من ذلك ، وليس لمجرد الشك في نقضهم للعهود كما زعم المستشرقون .
4. إنّ زحف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خيبر كان بعد تأكده من أن يهود خيبر أخذوا يُؤلّبون عليه القبائل ويعدون العدة لغزوه أحزاب أخرى، ممّا يدحض مزاعم مرجليوث أنّ هدفه هو الحصول على المال والغنائم ، كما يدحض مزاعم وات بأنّه خرج إلى خيبر ليخفف على المسلمين ماحدث في صلح الحديبية.
5. تبين لنا بطلان مزاعم بودلي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد تحرك إلى خيبر ليجرب جيشه الجديد ، والرسول صلى الله عليه وسلم آنذاك جيشًا جديدًا
6. إنّ السرايا التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم لقتل بعض الأفراد من اليهود ، والذين كانوا يحرضون على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين لخطورة ماكانوا يقومون به

، ولأنّه لم يرد تصعيد الموقف مع اليهود وإعلان الحرب عليهم لنقضهم العهد ، واكتفى في البداية بالقضاء على بذور الفتنة بالقضاء على مثيريها.

الفصل السابع

حروب الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين

.

تمهيد

سأتحدث في الجزء الرابع عن النظام الحربي في الإسلام ، وسأبين فيه نظرة الأديان السماوية الثلاثة للحروب ، كما سأبين الغاية من تشريع الإسلام للقتال ، ولماذا شرع في الدور المدني. ولم يؤذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالقتال في الدور المكي ، كما سأبين كيف استقى القانون الدولي بنوده من الإسلام بالموازنة بينها .

هذا كما سبق وأن تحدثت عن مواجهات الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود في المدينة وشمالها " خيبر – وادي القرى – فدك ."

لذا سأقصر حديثي هنا عن حروبه الرسول صلى الله عليه وسلم ضد المشركين ، ولما كان هذا البحث ليس سرداً للسيرة النبوية ، وإنّما لتوضيح موقف المدرسة الإنجليزية الإستشراقية منها مع تفنيد مفترياتها وشبهاتها والرد عليها من خلال التحقيق في الروايات وإخضاعها لمنهج المحدثين في الجرح والتعديل لمعرفة الروايات الصحيحة من الضعيفة من الموضوعة ، والإسرائيليات منها لنصل في النهاية إلى غايتين :

أولاهما: كتابة السيرة النبوية العطرة وفق الروايات الصحيحة ، وتنقيتها من الموضوعات والإسرائيليات وفق منهج التفسير الإسلامي للتاريخ بعد تخليصها من المنظور الاستشراقي الخليط من المنظور المادي والقومي وغيرها.

ثانيهما : توضيح منهج مستشرقي المدرسة الإنجليزية الذي اتبعوه في كتاباتهم للسيرة النبوية لنرى هل التزموا بالمنهج الذي أعلنوا أنهّم سيتبعونه أم خرجوا عنه؟ وما مدى التزامهم به وما مدى خروجهم عنه؟

لذا – ولعل القارئ الكريم يلحظ هذا – حرصت على التركيز على الأحداث والأحكام والقضايا التي بحث فيها مستشرقو المدرسة الإنجليزية ، كما حرصت على عرض آرائهم ومواقفهم من خلال ما كتبوه وصاغوه ؛ إذ لم أصغ آرائهم بأسلوبي ، وإنّما عرضت آراءهم بأساليبهم هم حرصًا مني على أمانة النقل من جهة ، ولئلّا أصبغ آراءهم بوجهة نظري ، فأنقلها إلى القارئ وفق منظوري أنا من جهة أخرى، ولكني تركت كل مستشرق يعرض موقفه ورأيه بنفسه دون تدخل مني ليدرك القارئ بنفسه أبعاد مواقفه وحقيقة أهدافها.

ممّا تقدم توضيحه فسأتوقف هنا عند السرايا والغزوات التي حاول المستشرقون من خلال أحداثها إثارة الشبهات وبث السموم من خلال روايات ضعيفة أو موضوعة أو افتراضات واستنتاجات هم افترضوها واستنتجوها وفق أحداث هم تصوروها ، ثم بنوا أحكامهم عليها وأكدوا أنّها الكائنة ولا غيرها يكون .

سرية وادي نخلة

قد تزول دهشة القارئ لاهتمام حشد كبير من المستشرقين ليس مستشرقي المدرسة الإنجليزية فقط، وإنّما مستشرقي المدارس الأخرى أيضًا بهذه السرية الصغيرة التي خرجت كحملة استطلاعية للتعرف عن قرب وبسرية تامة تحركات قريش وأوضاعها ، وذلك عندما يعرف ما حدث فيها ؛ إذ رأى قائد السرية عبد الله بن جحش باجتهاد منه أن يعترض عير لقريش مرت بالموضع "وادي نخلة" الذي أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعسكر فيه ليراقب قريش ويعلم أخبارهم ، فاعترضها وكان ذلك في آخر

يوم من رجب ، ورجب من الأشهر الحرم[1] ، وكان في العير أربعة رجال هم الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل والحكم بن كيسان، وتشاور الصحابة ، وكانوا تسعة في أمر الاستيلاء على هذه العير، لأنّ ذلك كان في أخر يوم من رجب وهو شهر حرام ، فخشوا أن يترتب على هذا القرار نتائج غير مرضية.

وعندما وجدوا أنّهم تركوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليتمنعن به منهم ، تشجعوا وأجمعوا أمرهم على قتل من يقدرون عليه منهم وأخذها معهم ، فقتل ابن الحضرمي ، وأسر عثمان بن المغيرة ، والحكم بن كيسان وأفلت نوفل ، وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيريْن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنّه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام ، وأبى أن يأخذ العير والأسيريْن ، وظن ابن جحش ومن كان معه أنّهم هلكوا ، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما فعلوا.

وقالت قريش إنّ محمدًا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال أسروا فيه الرجال فأنزل الله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ

---

[1] – الأشهر الحرم هي "رجب، ذو القعدة ، ذو الحجة ، ومحرم" وتحريم القتال في الأشهر الحُرم كان حكمًا معمولًا به من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وكان من حرمات الله قال تعالى في 97 من سورة المائدة (جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) وذلك لما دعا إبراهيم لذريته بمكة ؛إذ كانوا بواد غير ذي زرع أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، ففرض الله على الناس حج البيت وجعل الأشهر الحرم لحماية الحجاج والمعتمرين فرجب للعمرة وذو القعدة وذو الحجة ومحرم للحجاج ؛ إذ تستغرق رحلة الحج هذه الأشهر الثلاثة [السهيلي: روض الأنف ،29/3]

بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1]

وبنزول هذه الآية فرج الله على المسلمين ما كانوا فيه من الهم ، وأخذ الرسول صل الله عليه وسلم الغنائم وفادي الأسيرين مع قريش [2].

هذه خلاصة أحداث سرية وادي نخلة وفق ما روته المصادر العربية .

ولنقرأ الآن ما كتبه مستشرقو المدرسة الإنجليزية عن هذه السرية بصورة خاصة والسرايا التي سبقتها بصورة عامة وسأبدأ بـ :

وليم موير يصف السرايا " أعمال عدائية "

تعّرض "موير" للسرايا التي سبقت بدر، ووصفها بأنّها أعمال عدائية ، وأشار إلى أنّها ازدادت بعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، والذي لم يترك فرصة مناسبة لتهديد القوافل التجارية القرشية المسافرة إلي الشام والعائدة منها إلا واستغلها.

ثم يقول: وقد أباح الإسلام لأتباعه القتال في الأشهر الحرم ، وقد برر الرسول . صلى الله عليه وسلم . هذه الأعمال العدائية بانتقام المهاجرين من مضطهديهم السابقين الذين أخرجوهم من ديارهم وقاتلوهم وظاهروا عليهم لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه ، وهكذا أفادت سلسلة المناوشات الأولى بين

---

[1] – البقرة : 217– 218.

[2] – رزق الله ، أحمد د . مهدي . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. ص 334 ، العمري ، د . أكرم . المجتمع المدني في عهد النبوة " الجهاد ضد المشركين . ص 28– 29.

الطرفين – وهي التي أطلق عليها المؤرخون الإسلاميون اسم " السرايا " إلى معركة بدر الكبرى التي تعتبر فتحًا جديدً ا في تاريخ الإسلام [1]".

الفريد جيوم يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهك حرمة الشهر الحرام

يقدم الفريد جيوم حديثه عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بالحديث عن كيفية إقناعه للمهاجرين بقتال أهلهم في مكة ، والأنصار بقتال أصدقائهم وأصهارهم في مكة ، وكأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي شرّع القتال وأذن به ، يقول جيوم: " ليس من السهل أن تغري أهل المدينة بمقاتلة أصدقائهم القدماء في مكة ، أولئك الذين كانوا يرتبطون معهم بالمصاهرة والتجارة ومناسك الحج القديمة ، وكذلك كان لابد من إغراء المهاجرين المكيين أيضًا ليحملوا سلاحهم لمقاتلة مواطنيهم الكفار، ولابد أن نذكر أنّ علاقة الدم كانت رابطة مقدسة معروفة بين العرب جميعًا، وهي قديمة قدم الناس أنفسهم ومع ذلك فقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل أتباعه على مقاتلة المكيين بجعله الحرب عملًا مقدسًا اسمه " الجهاد ."[2]

ثم يتحدث عن السرايا بصورة عامة وسرية "وادي نخلة" بصورة خاصة، فيقول: "وقد بدأت بين الفريقين مناوشات كتلك التي نسميها الآن حملات استطلاعية ، فقد كانت مكة تعتمد اعتمادًا كليًا على تجارتها التي كانت تقدر بأكثر من 3000000 من الجنيهات الذهبية سنويًا "وربما أكثر" وكان المكيون يحصلون منها على ربح وفير، ولا يوجد مركز أحسن من

[1] – مزير . وليم . حياة محمد. الترجمة د . ساسي الحاج ضمن كتابه الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية . 192/3.

[2] – جيوم ، الفريد . الإسلام . ص 42.

المدينة يقطع طريق التجارة مع سوريا[1] ، ولم يشترك في الغارة الأولى الموفقة أكثر من عشرة رجال[2] ، فقد هاجم ستة من المسلمين قافلة يحرسها أربعة من القرشيين فقتلوا واحدًا منهم وأسروا اثنين وهرب الرابع ، ولما كان هذا الهجوم قد وقع في الشهر الحرام الذي تبطل فيه أعمال الحروب، فقد شاع في المدينة نوع من السخط حين عاد المهاجرون بالأسلاب ؛ إذ خالف محمد الشعور العربي ، ممّا جعل كثيرًا من الكتّاب الأوروبيين ينظرون إلى ذلك العمل نظرة عدم ارتياح. أمّا وجهة نظر الرسول فهي كما يقول المسلمون – تتمثل في الحكم الإلهي الذي تعبر عنه (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[3] وبعبارة أخرى فإنّ الخروج على اتفاق اجتمع عليه العرب جميعًا ليس أمرًا سهلًا، ولكن التحرج في مثل هذه الأمور يجب ألا يعرقل ضرورة إبادة الوثنية[4] .

نلاحظ هنا كيف حرَّف الفريد جيوم أحداث السرية وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر بانتهاك الأشهر الحرم ، ثم نزلت الآية في إباحة القتال فيها ، كما نلاحظ أنّه وقع في أخطاء ، وقبل أن أرد على مزاعمه وأصحح أخطاءه، فسأدع باقي زملائه يتحدثون موضحين حقيقة

---

[1] – الطريق بين مكة والطائف والمهمة ليست لاعتراض القوافل وإنما لمعرفة تحركات قريش.

[2] – ثمانية رجال حسب رواية ابن إسحاق عن عروة.

[3] – البقرة : 217.

[4] – المرجع السابق :42.

مواقفهم من سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة عامة وسرية " وادي نخلة " بصورة خاصة، وحان الآن دور هاملتون جب وزميله كالمرز فليتحدثا :

هاملتون جب وكالمرز، هدأ محمد غضب الناس في المدينة بالآية 217 من سورة البقرة

أمَّا هذا الثنائي "هاملتون جب وكالمرز" فقد أثارا نقاطًا كتلك التي أثارها جيوم ، وهي موقف المهاجرين والأنصار من قتال كفار قريش لما يربطهم من أواصر القرابة ، والمصاهرة فيقولان: "فإذا كانت زيارة الأماكن المقدسة في مكة وحولها فرضًا على المسلمين الذين صدروا عن البلدة صارت الضرورة الحتمية إجبار مكة على السماح لهم بالدخول فيها، وبالإضافة إلى هذا كان بين النبي وأهل مكة حساب يجب تسويته؛ إذ أنّهم عندما أخرجوه إنّما انتصروا عليه في أعين العالم ، كما أنّ العذاب الذي توعدهم به لم يتحقق على خلاف العقوبات المشابهة التي نزلت بالكفار على ما جاء في قصص الأنبياء ، وهذا أدى إلى أمر جديد هو القتال في سبيل الله ، أي الجهاد وتحريك مثل هذه الحرب المقدسة أصبح الآن الهدف من جهوده التي قابلها في إصرار غير أنّه كانت هناك صعاب بالغة في طريق تحقيق هذا الهدف ، فأهل المدينة لم يتعهدوا إلّا بالدفاع عنه كواحد منهم إذا هوجم ، ولكن تجار مكة الشجعان لم يكونوا ميالين إلى إرضائهم بأن يبدأوا الحرب أنفسهم ، حقيقة لم يكن المهاجرون ملتزمين علي هذا النحو، ولكن برغم هذا فقاد كان مما يتعارض جدًا مع مشاعرهم كعرب أن يحاربوا بشكل سافر أفراد قبيلتهم وذوي أرحامهم ، أمّا إلى أي حد ضايقته معارضتهم فتبينه عبارات العتاب العنيف الذي يوجهه إلى أتباعه بهذا

الصدد "البقرة : 21[1]، الحج :38[2] ، وما بعدها ومع كل ، نجح في إيجاد مخرج من الصعوبة يمكن أن يمهد الطريق إلى أعمال عسكرية دون أن تسيئ كثيرًا إلى مشاعرهم[3]، ثم يتحدثان عن سرية "وادي نخلة" فيقولان: "فبعد أن أرسل رجالًا مختلفين مع قوات مسلحة صغيرة لم ينجحوا في لقاء العدو بعث في رجب ، وهو أحد الشهور التي يحرم فيها القتال ببعض أتباعه إلى نخلة حيث كان من المتوقع وصول إحدى القوافل ، وأعطى قائدهم أوامر مختومة، وترك لهم حرية التصرف حسبما يتراءى لهم ، لم يخيبوا أمله[4] ؛ إذ أنّهم انقضوا على القافلة التي كانت تشعر بالأمان حتى نهاية الشهر، وقتل أحد المكيين أرسلت الغنيمة الكبيرة [5] إلى المدينة ، حيث كانت عاصفة الغضب الشديد قد ثارت في هذه الأثناء ، وغير أنّ محمدًا أتاح للقوم وقتًا ليفيقوا من هذا ، وأخيرًا هدأ من غضبهم بالآية21 من سورة البقرة ، وكان لنجاح الضربة تأثيرًا في المدينة بحيث أنّه لما طلب أتباعه في رمضان من سنة 2 هجرية القيام بغارة جديدة سوف يقودها بنفسه لم يعرض المهاجرون وحدهم خدماتهم ، ولكن عرضها أيضًا عدد من الأنصار[6] .

---

[1] – يقصد قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام . والملائكة وقُضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور)

[2] – قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور).

[3] – جب وكالمرز . الموسوعة الإسلامية الميسرة 952/2.

[4] – يلمحان بقولهما إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد انتهاك حرمة الأشهر الحرم ويعترضوا العير القرشية.

[5] – كيف عرفا أنّها كبيرة والمصادر العربية لم تذكر ذلك ، ثم أنّها قافلة يحرسها أربعة كيف تكون كبيرة؟

[6] – المصدر السابق . 952/2.

نلاحظ هنا أيضًا قد لمحًا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد اعتراض عير قريش في الشهر الحرام ، كما نلاحظ أنّهما أغفلا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما علم بما حدث ورفع استلام الغنيمة والأسيريْن حتى نزلت آية "الفرج" بشأن ما حدث في الشهر الحرام ، كما نلاحظ أنّهما جعلا القرآن من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنّه ينظر حتى هدأة عاصفة الغضب فأنزل الآية .

وات يضع رواية وينسبها إلى ابن إسحاق حول سرية وادي نخلة

في الفصل الأول من كتابه "محمد في المدينة" وفي بداية الفصل يتحدث وات عن عدد معارك الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعتمد قائمة الواقدي التي تقول: إنّها أربع وسبعين غزوة[1] ، ثم يعلق على معارك والسرايا والمعاهدات التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بدر فيقول: "نستطيع أن نرى في كل ذلك نية مبيتة من محمد لتحدي المكيين ، ولما كان الأنصار قد اشتركوا في الحرب فلابد أنّهم كانوا على علم بهذا المخطط ، ولاشك أنّ زعماءهم اطلعوا على سياسة محمد قبل دعوته إلى المدينة [2]، ثم يتحدث عن سرية وادي نخلة ، ويزعم أنّ رواية ابن إسحاق عن عروة وقد نقلها عن الزهري ويزيد بن رومان تقول[3]: إنّ عبد الله بن جحش ، وهو حليف بني عبد شمس أرسل ومعه جماعة من ثمانية إلى

---

[1] –عدد معارك الرسول صلى الله عليه وسلم وبعوثه وسراياه 47.

[2] – محمد في المدينة . ص 27.

[3] – جاء في سيرة ابن هشام عن سرية عبد الله بن جحش هذا النص "وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مقفلة من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً وأمره أن لاينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدًا " سيرة ابن هشام 601/2.".

إثني عشرة شخصًا وجميعهم من المهاجرين ، وقد أرسل معه محمد رسالة أن لا يفتحها إلاّ حين يصبح على بعد يومين من المدينة ، ففتحوا الرسالة ، ووجدوا فيها أمرًا بالسير إلى نخلة الواقعة على الطريق من الطائف إلى مكة ، وأن ينصبوا كمينًا لقافلة مكية[1] ، فالتقوا بقافلة مكية في نخلة، وبددوا شكوك المكيين لتظاهرهم بأنّهم حجاج حتى إذا ما سنحت فهم الفرصة بدأوا بالهجوم ، فقتلوا أحد المكيين الأربعة المرافقين للقافلة هو عمرو بن الحضرمي ، وأسروا اثنين بينما فر الرابع، وبالرغم من إنذار العدو، فقد استطاعوا العودة بالقافلة والأسرى إلى المدينة[2]. وهناك ظهر الخوف من

[1] – جاء في رواية ابن إسحاق: "فلما سار عبدا لله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فاحصن حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب ، قال: سمعًا وطاعة ، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة، أرصد بها قريشًا حتى آتيه منهم بخبر وقد نهاني أن استكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه أصحابه ولم يتخلف منهم أحد 602/2.

[2] – جاء في رواية ابن إسحاق هذا النص: وقال ابن إسحاق: فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فوقف العير والأسيرين ، وأبي أن يأخذ من ذلك شيئًا، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سُقط في أيدي القوم ، وظنوا أنّهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة ، إنّما أصابوا ما أصابوا في شعبان ، وقالت يهود – تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم – عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو، عمرت الحرب ، والحضرمي ، حضرت الحرب، وواقد بن عبدا لله ، وقدت الحرب ، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم. فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم {يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله} أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم

عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم "والفتنة أكبر من القتل" أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} أي ثم هم مقيمون علي أخبث من ذلك وأعظمه ، غير ثابتين ولا نازحين ، فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرَّج الله تعالى على المسلمين ما كانوا فيه من الشفق "الخوف" قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبدا لله والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا فقد يمكثا حتى يأتي صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان- فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم ، فقدم سعد وعتبة ، فأخذاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات كافرًا، فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا في الأجر، فقال يا رسول الله. أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المهاجدين؟ فأنزل الله عز وجل فيهم: {إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله. والله غفور رحيم} فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء. والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان عن عُروة بن الزبير، قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أنّ الله عز وجل قسم الفيء حين أصله، فجعل أربعة أخماس الفيء ، أفاء لله وخمسًا إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير "سيرة ابن هشام :2/602- 605 ،ونص وات باللغة الإنجليزية In due course they opend the letter, and found in it an order to proceed to Nakhlah on the if to Mecca and there to am bush a Meccan صvoad from at - ta caravan. They eventually met a Meccan caravan at Nakhlah and lulled the suspicions of the Meccans by making out that they were pilgrims. Having found a suitable opportunity they attcked. Of the four Maccans who appear to have been the sole attendants of the caravan, they killed one, Amr. b. al-Hadrami. and captured two, wile the fourth escabed. Although warning was thus given to the enemy, the party appears to have had no difficulty in bringing the caravan and their prisoners back to Medina .

وقد جاء إلى المدينة وفد من مكة للاتفاق على فدية الأسرى ، فوافق محمد على جعلها 1600 درهمًا عن كل شخص بعد عودة المسلمين اللذين انفصلا عن سائر الجماعة .

وبمقارنة ما كتبه وات ونسبه إلى رواية ابن إسحاق ، وبين نص رواية ابن إسحاق ، أوردها ابن هشام ندرك إلى أي مدى كان وات غير أمين في نقل رواية ابن إسحاق ؛ إذ نجده حرَّفها وفق ما يريد، ويظهر تحريفه في الآتي:

1. في رواية ابن إسحاق عدد رهط المهاجرين الذين خرجوا مع عبد الله بن جحش رضي الله عنه ثمانية ، بينما وات يجعلهم من ثمانية إلى إثني عشر.
2. في رواية ابن إسحاق أنّه جاء في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشًا ، وتعلم لنا من أخبارهم، بينما يقول وات "ففتحوا الرسالة ووجدوا فيها أمرًا بالسير إلى نخلة ، الواقعة علي الطريق من الطائف إلى مكة ، وأن ينصبوا كمينًا لقافلة مكية [1].
3. لم يرد في رواية ابن إسحاق أنّهم تظاهروا بأنهم حجاج ، بينما يذكر ذلك وات .
4. بيّن ابن إسحاق موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اعتراض العير في الشهر الحرام، فقال: فلما قدموا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر

---

[1] – Muhammed at medina p . 5

الحرام فوقف العير والأسيرين وأبي أن يأخذ من ذلك شيئًا ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيدي القوم " ثم بين موقف المسلمين في المدينة إلى أن نزل قوله تعالى : (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) ، بينما نجد وات يغفل تمامًا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إذ يقول: " فقد استطاعوا العودة بالقافلة والأسرى إلى المدينة. وهناك ظهر الخوف من مقتل المكي خلال شهر رجب الذي يحرم فيه سفك الدماء، ولم يوزع محمد الغنيمة في أول الأمر. ولم يقبل الخمس الذي هو من نصيبه حتي نزل الوحي وبرر فعلهم .

5. لم يذكر ابن إسحاق مقدار فدية أسيري قريش، ولكن وات يذكر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم جعلها 1600 لكل شخص ، وقد أخذ هذا من رواية الواقدي التي لم يذكر فيها إسناد ، وإنّما بدأها بقوله "قالوا" مع أنه كذب رواية سعد بن أبي وقاص.
6. لقد ذكر ابن إسحاق إسلام ابن كيسان ، بينما وات لم يذكر شيئًا عن إسلامه .

وهكذا نجد وات صاغ رواية من عنده ونسبها إلى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير ، وأخذ يحلل روايته ويستنتج استنتاجاته ويفترض افتراضاته ، وهو بهذا قد أخل بأصول وقواعد المنهج العلمي والأمانة العلمية في النقل ، ولو ذكر روايته دون أن ينسبها إلى ابن إسحاق لكان أشرف له ، وكونه ينسبها إلى ابن إسحاق ويحرف فيها وفق ما يشاء ، ويقول على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، أنّه أمر عبد الله بن جحش ومن معه أن ينصبوا كمينًا لقريش، ويغفل اعتراض الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال في الشهر الحرام قبل نزول آية إباحته ورفض استلام الغنيمة

والأسيريْن ، ولم يقبلهما إلاّ بعد نزول آية إباحة القتال في الشهر الحرام ، فهذا التحريف يبين لنا سوء نية وات تجاه الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، وبُعده عن الحيدة والموضوعية، ومدى وقوعه في التضليل ظنًا منه أنَّ القارئ لن يفطن إلى تحريفه وذلك لسخريته واستهزائه بالقارئ العربي ، وكأنِّي به متيقن أنّ القارئ العربي لن يفطن إلى تحريفه، أمّا بالنسبة للقارئ الغربي فهو من السهولة بمكان أن ينخدع ويضلل لأنَّه لم يكلف نفسه عناء البحث في سيرة ابن إسحاق والتيقن من صحة النص ، فلا يهمه ماذا يقال عن الإسلام ونبي الإسلام، بل أنّ ما يكتبه وات يوافق أهواء هذه النوعية من القراء ، أو لأنَّ القارئ الأوروبي يثق في مستشرق مثل وات، ولا يخطر بباله أنه يجر ويحرّف في النصوص .

هذا وأعود إلى استنتاجات " وات " التي بناها على روايته وجميعها تمثل الحقيقة، لأن ّروايته من صنع خياله ولا أساس لها من الواقع .

من هذه الاستنتاجات قوله:"كما أنّ تردد رجال الحملة حين قراءتهم لأوامر محمد كان الخطر البديهي على الحملة ، وكذلك الشعور بالخزي مّما يطلب إليهم فعله، وربما كان العربي شجاعًا حتى الجنون إذا ما أثير ، ولكنه في حالة الهدوء يحاول تجنب الأخطاء ، ولهذا قال محمد لعبد الله بن جحش، أن يعيد كل الذين لا يرغبون في تنفيذ المخطط ، وهذا ما نجده في قصة سعد بن أبي وقاص ، ورفيقه على ظهر البعير عتبة بن غزوان. أمّا أن يكون بعيرهما قد ضل وإنّهما في بحثهما عنه قد ابتعدا عن الحملة ، فهذه هي القصة التي رواياها عن عودتهما للمدينة بعد عدة أيام على عودة

الغزاة المنتصرين ، وإذا كانت تلك هي القصة التي رواها فإنّ ذلك لا يعني أنّ القصة صحيحة[1] .

أي أنَّه يكذب هذين الصحابيين الجليليْن ، لأنّ ما قالاه لا يوافق هوى وات ورواية وات ، فهو يريدهما أن يقولا أنّهما تعمدا ترك جماعتهم بحجتهم البحث عن بعيريهما لئلا يتورطا في القتال في الشهر الحرام حيث أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك. فالذي لا يوافق رواية وات غير صحيح وروايته هي الصحيحة ، ولست أدري هل وات كان معاصرًا لهذا الحدث، أو كان من فريق الحملة؟ .!

من استنتاجات وات الباطلة المبنية على روايته الباطلة

قوله: " كان الشيء الأساسي في أوامر محمد المختومة إلى عبد الله بن جحش ، أن يذهب إلى نخلة وينصب كمينًا لقافلة قرشية ، والشيء الثاني "حسب روايات أخرى" أن يرفع تقريرًا لمحمد، وهذه إضافة لاحقة تحاول أن تجعل كلمة "ترصدوا" بمعنى راقبوا بدلًا من أن ينصب كمينًا، وهكذا ترفع المسئولية عن محمد بسبب أي معركة دموية .

ثم نجده يؤكد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقيام هذه المهمة فيقول: "ومما لاشك فيه أنّ محمدًا أمر بالقيام بهذه المهمة مع علمه بأنّها تؤدي إلى سقوط القتلى من رجاله أو من رجال أعدائه ، ولا نعرف ما إذا كان محمد يعلم بأنّ هذه القافلة خاصة ستمر بنخلة في هذا الوقت ، أم أنَّه أرسل رجاله لاحتمال وجود القوافل ، في هذا الوقت ، ولربما قدر أنَّ كل

[1] – نلاحظ هنا أنّ وات يشكك في كل الروايات التي نصت على أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بترصد أخبار قريش ، وأنّ روايته " رواية وات " أن ينصبوا كمينًا لقريش هي الصحيحة.

قافلة تسير على الطريق الآمنة بين الطائف ومكة ، تتبعها حراسة ضئيلة ، بسبب الجهود التي بذلت لحماية القوافل إلى سوريا ، حين مرورها بمنعرج المدينة ، من الممكن أن يكون محمد قد تصرف اعتمادًا على الإمكانية هذه ، ولكنه لا يستحيل أنّه وصلته معلومات خاصة."[1]

نلاحظ هنا وات يستنتج ولا يستبعد حدوث ما استنتجه: "لكننا نجده يشكك في الروايات العربية فيقول: "أمّا القول بأنّ المهاجمين لم يكونوا يعرفون ما إذا كان الشهر الحرام انتهى أو لم ينته ، فهذه محاولة لغسل العار الذي أصبح مشهورًا[2] ، كما يشكك في الروايات التي تقول بأنّ ذلك حدث في نهاية رجب ، فيقول "وممّا يدعو للشك أنّه بينما تقول بعض المصادر بأنّ ذلك كان في نهاية رجب ، ومصادر أخرى تقول إنَّ ذلك كان في مطلع شهر رجب ، ويبدو أنّها كانت تعلم بأنّ الحادث وقع خلال شهر رجب ، والباقي يقوم على الافتراض ، وإذا كان الأمر كذلك فقد وقع الحادث نحو منتصف الشهر ، وقد انتظرت أوامر محمد نصب الكمين أثناء الشهر الحرام." [3]

ثم نجده يبرر خرق النبي صلى الله عليه وسلم للشهر الحرام بأنّه أمر غير معيب ، لأنّه مرتبط بالوثنية التي كان يحاربها ولهذا خرق الشهر الحرام كتحطيم الأصنام [4] .

وفات وات أنّ الأشهر الحرام "حُرّم" القتال فيها من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فتحريم القتال فيها يعود إلى ديانة أبي الأنبياء

---

[1] – وات. محمد في المدينة . ص 12، 13.

[2] – المرجع السابق . ص 13.

[3] – المرجع السابق .ّص 13.

[4] – المرجع السابق ، والصفحة ذاتها.

إبراهيم عليه السلام ، والرسول صلى الله عليه وسلم استحالة أن يخرقها من تلقاء نفسه دون أن يأذن له ربه.

يعود وات إلى استنتاجاته الباطلة التي بناها على روايته الباطلة ، فيبدأ بتردد الرسول صلى الله عليه وسلم في قبول خُمس الغنيمة ، وهو في الحقيقة لم يكن ترددًا ، وإنّما كان رفضًا: يقول وات: "ولكن ماذا تقول عن تردد محمد في قبول خُمس الغنية؟ إذ لا يعقل أن يتخلى عن أصحابه أو يخشى قريش، وإن كان بعض اليهود في المدينة جعلوا يتندرون حول كلمة قاتل ومقتول ، مما يدل على أنّ الحرب كانت معلنة، وأسهل حل هو التفكير بأنّه اكتشف بعد الحادث ردود فعل قوية، حول خرق الشهر الحرام، أكثر ممّا ينتظر، وربما خشي بعضهم عقاباً تنزله بهم الآلهة[1] ، وهو عقاب ربمّا أثر بالطائفة جميعها فيما لو قبلوا الغنيمة ، كما لاحظ البعض التناقض بين نقض الشريعة الإلهية من ناحية ، ودعوة محمد إلى التضحية في سبيل الله من ناحية أخرى[2] .

وأقول ليس هناك تناقض البتة لأنّه لم يكن هناك أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم بنقض الشريعة الإلهية ، وإنّما جاء التناقض من زعم وات الباطل، وهو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بخرق الشهر الحرام ، ولكن وات فعل مثل "جُحا يكذب الكذبة ثم يصدقها" ، فهو يعلم أنّ ما قاله باطل ، كما أنّه ناقض نفسه فهو من قبل قليل قال إنّ الأشهر الحرم مرتبطة بالوثنية ، وأنّ محمدًا يسعى إلى القضاء عليها ، وخرقه للشهر الحرام بمثابة تحطيم للأصنام ، والآن يقول أنّها تشريعات إلهية.

---

[1] – يتحدث عن غضب الآلهة ، وكأن المسلمين وثنيون حتى يخشون الآلهة فالله أحد لا شريك له.

[2] – المرجع السابق . ص 14.

إذن هو يدرك أنّها تشريعات إلهية ، وما قوله العبارة الأخيرة إلاّ ليقول إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بخرق الشهر الحرام ، وفي هذا مخالفة للتشريعات الإلهية ، فكل هذا اللف والدوران من وات ليوهم القارئ ويضلله بهذه الشبهة الخطيرة التي يلحقها بالرسول صلى الله عليه وسلم .

بودلي يردد مزاعم من سبقه من المستشرقين من أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم صرح لابن جحش بالقتال

لم يخرج بودلي عن المخطط الاستشراقي من إثارة شبهة اختراق الرسول صلى الله عليه وسلم لحرمة الشهر الحرام ، لذا نجده في بداية حديثه عن هذه السرية يركز على أنّها كانت في رجب الشهر الحرام ، يقول بودلي: "ففي شهر رجب المحرم حين كان من المسلّم به بين العرب جميعًا تحريم الإغارة أو القتال، بعث محمد عبد الله بن جحش من المدينة في سرية مع ستة ، أوثمانية رجال ، وكان الأمر الرسمي الذي صدر إليهم أن يرصدوا حول مكة والطائف ليروا ما يفعل الأعداء ، وكانت التعليمات السرية في كتاب مختوم، دفعه محمد إلى عبد الله بن جحش ، وأمر ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما فض الكتاب وقرأه وجد أنّه متروك له حرية أن يفعل ما تقتضيه الظروف[1]، أمدت محتويات هذا الكتاب عبد الله ببلاغ مدهش ، ألا وهو: إمكان قتال أية قافلة لقريش يصادفها ، ولم يذكر في الكتاب أنّ هذا الشهر حرام ، ولكن ما كان لعابد الأصنام السابق أن ينسى تقاليد شب عليها ، فأصدر عبد الله أوامره إلى أتباعه الذين رأوا أنّها فرصة طيبة ليجمعوا أسلابًا دون أن يتعرضوا للمخاطرة ، وكانت نتيجة هذا القرار أن وقعت قافلة عظيمة لقريش كانت تظن أنّها آمنة في الشهر الحرام

[1] – نلاحظ هنا تأكيده على الشهر الحرام ، ويقصد بهذا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يهتم بأن يكون قتال في الشهر الحرام أم لا ، فهو يزعم زعماً باطلًا، بأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام أمره بقتال أي قافلة لقريش يصادفها ، ثم يلصق بهذا الزعم أنّه لم يهتم بحرمة الشهر الحرام.

[1]غنيمة في أيدي المسلمين[2] ، ثم نجده يغفل موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ممّا حدث ، وقوله إنّه لم يأمر بقتال في الشهر الحرام ، بل نجده يزعم أنّ الرسول قال إنّه كان يعتقد أنّ ابن جحش سيتريث قبل أن يبدأ في العصر أي مكان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ابن جحش بالقتال ، فلنقرأ ما قاله أو بالأحرى ما زعمه بودلي: "وكان لاستياء سبب خرق هذا التقليد العتيق مخيفًا، وكان الاعتراض حتى في المدينة عظيمًا حتى أنّ محمدًا قال: "إنّه كان يعتقد أنّ عبد الله سيتريث قبل أن يبدأ في العصر حتى ينقضي الشهر الحرام ، وقد رفض أن يستولي على نصيبه من الغنائم ليؤكد للحادث[3] ، ثم يعلق على ما رواه فيقول: "ولن يعرف أحد حقيقة الأمر ولكن هناك أمرين :

الأول: هو هل كان محمد أميًا ؟ [4]

فإن كان لا يستطيع أن يخطط أوامر قليلة ، فمن من أهله أو من صحابته يوثق به ، ليكتب هذا الأمر المشكوك فيه، لو أنّ أبا بكر أو عليًا أو حمزة كان يدري ما كان في ذهن محمد لاعترضوا على ذلك دون شك.[5]

الثاني: أن رأي محمد عن الحرب كان سابقًا لأوانه "فقد قال مرة "الحرب خدعة ، وقد قال ميكافلي شيئًا كهذا بعده بتسعة قرون ، ونابليون بعده بألف ومائتي عام ، وقال بذلك اليابانيون من سنين قليلة مضت ، وقد كانوا جميعًا على صواب ، فإذا كانت الحرب وسيلة لا غاية فلماذا نراوغ في

---

[1] – نلاحظ تأكيده للمرة الثالثة على هذه النقطة ، وهي وثنية الرسول (ص)، وهو لم يكن وثنيًا ، ولم يكن عابدًا للأصنام قط.

[2] – بودلي . حياة محمد ، ص 148–149.

[3] – المصدر السابق . ص149.

[4] – نجده هنا يشكك في أمية الرسول صلى الله عليه وسلم.

[5] – هنا يؤكد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى أمرًا بالقتال.

الوسائل [1]، ثم يطعن في الإسلام طعنتين بحق وأنا أقرأ ما قاله ، ويزعم بودلي قائلًا: "وعلى كل حال لم يكن لمحمد في ذلك الوقت شهرة ميكافلي أو نابليون ، فلما هدأت الضجة الأولى فعل شيئًا سيلجأ إليه كلما وجد حرجًا، إنّه يوحى إليه [2]، وهذا الوحي يحمل إليه رأي الله في الأمر الذي يقلق رسوله قال : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه .)[3]

وهكذا نجد موقف بودلي لا يختلف عن زملائه ، بل نجده يشكك في أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويزعم أنّه صلى الله عليه وسلم حرر الكتاب بنفسه ، لأنّه لو حرره له أحد كتّابه ، أو صحابته لاعترضوا على ذلك ، أي أنّه يريد أن يقول: إنّ أبا بكر وعليًا وحمزة رضي الله عنهم أجمعين يعترضون على خرق الشهر الحرام ، أمّا الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يرى مندوحة في ذلك ، ولعلمه بموقفهم واعتراضهم حرر هو الخطاب حتى لا يعلم أحد بما يدور في ذهنه ، لأنّه يصمم على القتال في هذا الشهر الحرام.

فهذه افتراضات لا أساس لها من الصحة، وهو هنا يحذو حذو "وات" ويسير على نهجه يزعم زعمًا من عنده ويعتبره صحيحًا ويبني عليه استنتاجاته التي يؤكد على صحتها ، ويبعد الشك في عدم صحتها فما يقوله صحيح ، وصواب ،وما ترويه أصدق الروايات وأصح المصادر على ألسنة أصحاب الحدث نفسه هي روايات عند وات وأمثاله غير صحيحة ، أي أنّهم يريدون أن يكتبوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكتبوا تاريخنا

---

[1] – المصدر السابق : ص 149.

[2] – يقصد بقوله هذا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يصطنع الوحي ، أي أنّ ما يوحى إليه عنده وليس من عند الله ، وأنّه يجعل من الوحي وسيلة لتبرير ما يريد أن يفعله، حاشا لله.

[3] – المصدر السابق . 149– 150.

وفق ما يريدون ، وما يقولون ويرددون ويفترضون ويستنتجون وإن أبدينا – نحن المسلمين – اعتراضنا على ما يكتبون ويقرون اتهمونا بأنّنا سيئو النية ، وأنّه لا علم لنا بقواعد وأصول المنهج العلمي ، وبمذهب النقد التاريخي ، وغيره من المذاهب المستحدثة ، وذلك لنتقبل ما يكتبونه بل ونتبنى مذاهبهم .

برنارد لويس يصف سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّها غارات للحصول على الغنائم

كما مر بنا من قبل أنّ موقف برنارد لويس كمستشرق يهودي من سرايا وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم يتفق مع نظيره المستشرق اليهودي مرجليوث بأنّه لم يبق أمام المهاجرين الذين أصبحوا معدمين إلاّ أن يمتهنوا مهنة السطو ، فهي المهنة الوحيدة التي كانوا يستطيعون مزاولتها ، ومن هذا المنظور يتحدث برنارد لويس فيقول: "ولما كان المهاجرون معدمين من الناحية الاقتصادية ، ولا يرغبون في أن يعتمدوا كليًا على المدنيين ، فقد تحولوا إلى المهنة الوحيدة الباقية وهي السطو[1] ، وقد عبّر الكتّاب الأوروبيون عن استيائهم البالغ ، وهم محقون في ذلك، حين رأوا رسول الله يقود المسلحين في غارات على قوافل التجار من أجل الحصول على الغنيمة ، إلاّ أنّه طبقًا لظروف ذلك الزمن ، وطبقًا لمبادئ العرب الأخلاقية ، كان السطو مهنة طبيعية وشرعية ، وقيام الرسول بمثل ذلك العمل لا يلحق به أي عار، وحققت غارات المسلمين على التجار

[1] – لقد تجاهل برنارد لويس أنّ المهاجرين كانوا تجارًا أثرياء وليس بدواً تقوم حياتهم على السطو، إنّ المجتمعيْن المكي والمدني كانا في الحضر وليس من البادية ، وحياة الحضر تختلف عن حياة البادية ؛ لذا نجد مثلًا الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ليأمن جانب البدو ويحمي الناس من غاراتهم عمل على توطين البادية، وإعطائهم أراض ليزرعوها ويستقروا فيها.

المكيين غرضين : أولهما : أنّها ساعدت على فرض حصار على مكة ، لم يكن من المستطاع إخضاعها إلاّ عن طريقه .

وثانيهما : أنّها ساعدت على إنماء قوة المدنيين وثروتهم ونفوذهم[1] .

وهنا أسأل لو كان الهدف السطو لماذا كانت جميع القوافل التي اعترضها المسلمون لقريش؟

ألم يمر بطرق التجارة في الجزيرة العربية سوى قوافل قريش ، فقبائل اليمن مثلًا وتجارتها تمر بطرق تجارة قريش ليست لها قوافل تجارية؟.

فإن كان الهدف السطو ، كما يزعم برنارد لويس ومرجليوث وغيرهما لاعترضت جميع القوافل ، ولمَ كان التحديد على قوافل قريش؟

إذن هناك أهداف من هذا الاعتراض السطو ليس منها ، وهي إضعاف القوة الاقتصادية لقريش ليتمكن المسلمون من مواجهتها لتطهير البيت الحرام من رجس الوثنيين ، ثم أنّ هزيمة قريش أكبر قبائل الجزيرة العربية تمكين للإسلام والمسلمين بانتشار الإسلام في ربوع الجزيرة العربية ، وهذا ما حدث بالفعل إثر فتح مكة .

أيضًا كان الهدف من هذه السريا والمعارك إضعاف قوة قريش السياسية بعقد معاهدات صلح مع القبائل الأخرى في الأبواء[2] ، أو ودان وهي أول غزوة غزاها الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقع فيها قتال ، وتم فيها الصلح مع قبيلة بني صخرة، ومعنى صلح لا غنائم ، أي لم يحصل فيها المسلمون على غنائم وكانت في السنة الثانية للهجرة قبل بدر .

---

[1] – لويس ، برنارد . العرب في التاريخ : ص57–58.

[2] – الأبواء : قرية من عمل الفرع، بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا.

وسرية عبيدة بن الحارث لم يحدث فيها قتال وأصيب فيها سعد بن أبي وقاص بسهم.[1] وسرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبًا من المهاجرين ولاقى أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة ، ولم يحدث بينهم قتال ، وكان موادعًا للفريقين .[2]

موقعة بواط[3] وقعت في شهر ربيع الأول قبل بدر قال ابن إسحاق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول يريد قريشًا حتى بلغ بُواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادي الأولى[4] .

---

[1] – سيرة ابن هشام . 591/2.

[2] – المصدر السابق ، والجزء الصفحة ذاتهما.

[3] بُواط : جبل من جبال جهينة قرب ينبع.

[4] – سيرة ابن هشام . 598/2، وتاريخ خليفة بن خياط . ص 57.

موقعة ذي العشيرة

قال ابن إسحاق: "ثم غزا غزوة العشيرة في جمادي الأولى ، فلم يكن كيدًا فوادع بني مديح[1] ، وغزوة سفوان: قال ابن إسحاق "ثم خرج في طلب كرز بن جابر، وكان أغار على سرح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان من ناحية بدر في جمادي الآخرة ، ورجع في رجب ولم يلق كيدًا ، وهي غزوة بدر الأولى .[2]"

موقعة ناحية جهينة : قال علي : ثم غزا جهينة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان فلم يلق كيدًا[3].

فكما رأينا أنّ هذه الغزوات والسرايا لم تكن بغرض الحصول على الغنائم لأنّ جميعها تم بالصلح ، فالقصد منها إضعاف قوة قريش السياسية في المقام الأول باعتراض قوافلها مما يضعف من هيبتها بين القبائل من ناحية وعقد صلح وموادعة مع القبائل الأخرى لضمان عدم تحالفها مع قريش لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة ثانية ، ولزعزعة الاستقرار الاقتصادي لدي قريش من ناحية ثالثة إذ أصبحت القبائل الأخرى تخشي على تجارتها وأموالها بتكليف قريش ، لأنّ قوافل قريش أصبحت غير مؤمنة وعرضة للهجوم ، وهذه في الحقيقة ضربة قوية في الصميم لقريش التي قاومت الإسلام وناهضته حفاظًا على مكانتها وسيطرتها الاقتصادية ، فكان ضرب اقتصاد قريش بهذه السرايا والغزوات الصغيرة خطة عبقرية

---

[1] – سيرة ابن هشام . 599/2، وتاريخ خليفة بن خيَّاط . ص 57.

[2] – سيرة ابن هشام . 601/2، خليفة بن خياط . ص 57.

[3] – وتاريخ خليفة بن خيَّاط .ص 57.

لكسر غرور كفار قريش ، وإضعاف هيبتهم. فلماذا كل هذا الاستياء من كتّاب أوروبا؟

أليس من حق الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن يعملوا لتطهير البيت الحرام من رجس الوثنية وحماية المسلمين المستضعفين في مكة من تعذيب قريش؟ وحماية المسلمين في المدينة من عدوان كفار قريش للقضاء عليهم؟.

لماذا كل هذا الاستياء من كتاب أوروبا؟

أليس من حق الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين أن يزوروا مكة المكرمة موطنهم الأصلي الذين أجبروا على الخروج منه والهجرة منه؟

أليس من حقهم أن يجتمع شملهم بأهليهم وذويهم وأن تعود لهم ممتلكاتهم التي تركوها فارين بدينهم؟

ماذا يريد هؤلاء؟

أيريدون من المسلمين الخنوع وقبول سياسة الأمر الواقع فيرضوا بإخراجهم من ديارهم؟

كأنّي بهم يريدون أن يقولوا ليس من حق الشعب الفلسطيني أن يناضل من أجل العودة إلى بلاده التي طُرد منها؟

هذا الذي يريدون قوله لنا من خلال ما أبدوه من علامات استياء على محاولات الرسول صلى الله عليه وسلم إضعاف قريش حتى يتمكن من هزيمتها عند المواجهة ، لأنّه بعث لمهمة هي تبليغ ونشر الإسلام ، ولقد أمضى ثلاثة عشر عامًا يدعو إليه بينهم ، وتحمل هو ورفاقه الأذى وعذبوا صنوف العذاب ، وحوصروا وجوّعوا ، وصبروا الصبر كله على هذا الأذى امتثالًا لقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ

أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) [1]

ولكن لما بلغ السيل الزبى ، وتآمرت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفريق دمه بين القبائل ، أذن الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة ، وبعدما استقر في المدينة وأرسى قواعد وأسس الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي أذن له بالقتال لحمايته وحماية المسلمين ، حتى يتمكن من تبليغ الدعوة ونشر الإسلام ، لأنّه لو لم يقاتلهم الرسول لتآمروا عليه مع اليهود ، وغزوه في عقر داره ، ولا يستطيع لهم دفعًا، ولعل سير الأحداث وتآمر الأحزاب "من اليهود وقريش وقبائل أخرى " يؤكد هذا.

كارين آرمسترونج تستعير من وات تبريراته حول سرية وادي نخلة

قبل أن تتحدث "كارين آرم سترنج" عن سرية وادي نخلة نجدها قدمت بحديثها من هذه السرية ومواقع الرسول صلى الله عليه وسلم بمقدمة مفادها أنّ هذه السرايا من أجل الحصول على الغنائم ، لأنّه لم يقصد بها نشر الإسلام .

تقول كارين : "أما الغزوة فقد كان طريقًا جاهزًا وعرًا يضمن تداولًا لا بأس به للثروة المتاحة في عصر البداوة ، فقد كان من عادة الغزاة [2] يهاجمون أراضي القبيلة المعادية ، ويستولون على بعيرها وماشيتها وغيرها من المتاع ، ورغم هذا فقد كانوا يحرصون على تحاشي سفك الدماء ممّا يترتب علي ذلك من أفعال ثأرية ، أمّا موقع المدينة فكان مكانًا مثاليًا لمهاجمة قوافل مكة في طريقها من الشام وإليها ، حيث لم يكن يحرسها سوى تجار قلائل

---

[1] – النساء : 77.

[2] –الصواب : الغُزاة.

وبناءً على ذلك أرسل محمد عام623 م مجموعتين من المهاجرين للغزو ومهاجمة القوافل ، بيد أنه أّوكل أمر الحملات إلى رجال مثل حمزة ، وعبد الله بن الحارث المحارب المتمرس ، ولم يتوقع أحد أن تلغي هذه الحملات عقائد أحد ، ولابد أن القوم قد أدهشهم جرأة المسلمين على مهاجمة ذويهم الأقوياء غيرّ أن غزوات عام623 م لم تنجح نجاحًا كبيرًا ، فإنّ الحصول على معلومات دقيقة عن تحرك القوافل كان من الصعوبة بمكان ، ورغم أنّه المسلمين لم يتمكنوا من الاستيلاء على أية بضائع ، وأنّه لم يحدث أي اشتباك لا قتالي ، فقد تضايق أهل مكة وانزعجوا[1] ، ثم تقول:" ورغم فشل هؤلاء الغزاة المبكرين في القوافل ، فقد عقدوا معاهدات مع بعض القبائل التي كانت تحتل مواقع استراتيجية في نقاط متنوعة علي طول الطريق[2] ، ثم تتحدث عن غزوة بواط فتقول:" وفي سبتمبر من عام623 م قرر محمد أن يقود بنفسه غزوة ضد قافلة كبيرة يقودها أمية من عشيرة جُمح ، والذي كان قد سام أبا بكر العذاب من قبل ، وكانت تلك القافلة تتكون من 250 من البعير، ونظرًا لأنّ الغنائم كانت تبدو واعدة ، فقد تطوع حوالي مائتي مسلم للذهاب معه [3]، غير أنّه حدث مرة أخرى أن راوغت القافلة المسلمين ولم يحدث قتال [4] .

---

[1] – كارين : محمد ،ص 255–256.

[2] – المصدر السابق : ص 255–256.

[3] – من أين أتت بهذه الرواية لم ترد في سيرة ابن هشام ولا طبقات ابن سعد ، ولا في مغازي الواقدي ولا في تاريخ خليفة بن خياط، ولا الطبري في تاريخه، ولا ابن حزم في جوامع سيرته ؟ ولم يورد هذا ابن عبد البر في درره وكذلك ابن الأثير في كتابه الكامل وابن سيد الناس في عيون الأثر،. وواضح أنّها تريد أن تثبت بالباطل أنّ هم المسلمين الغنائم.

[4] – آرم سترنج ، كارين . محمد . ص 256.

ثم تتحدث عن سرية وادي نخلة فتقول: "أمّا في أشهر الشتاء فكانت قريش ترسل قوافلها إلى اليمن فقط ، وعلى هذا فلم تكن تلك القوافل تمر بالمدينة ، لكن محمدًا ومن أجل أن يبرهن لقريش عن جدية نواياه ، فقد أرسل فريقًا صغيرًا من الغزاة يتكون من تسعة رجال بقيادة ابن عمته عبد الله ابن جحش لمهاجمة إحدى القوافل المتجهة جنوبًا. وكان ذلك في نهاية شهر رجب "الحرام" "يناير 624 م" حيث كان يوم القتال في أنحاء الجزيرة وأعطى محمد عبد الله بعض التعليمات في رسالة مغلقة لا تفتح إلاّ بعد يومين من رحيل الحملة ، وأخذ منه عهدًا لا يمارس أية ضغوط على رفاقه ، فقد كانوا في سبيلهم للاقتراب من مكة بدرجة أكبر من أي وقت مضى ، وكان احتمال الخطورة أمرًا واردًا، وفتح عبد الله الرسالة بعد يومين ، وتحدثنا المصادر بروايات مختلفة عن نص الرسالة فبينما يذكر ابن إسحاق أنّ المسلمين أُمروا بالذهاب إلى نخلة بين مكة والطائف ، وأن يقوموا فقط بالتجسس على القافلة[1] ، يروي محمد بن عمر الواقدي مؤرخ القرن التاسع الميلادي أنّ فحوى الرسالة كان أمرًا للمسلمين أن يذهبوا إلى وادي مكة ، ويقيموا كمينًا لقريش [2]، ويعني ذلك أنّه كان على المسلمين أن ينتهكوا حرمة الشهر الحرام ، وفي حالة تصديق الرواية الثانية فيمكن القول إنّه لم يكن لدى محمد الكثير من المحاذير في ذلك الوقت، فقد كانت تلك الأشهر الحرام مازالت جزءً من النظام الوثني الذي كان يحاول هو التغلب عليه، وربما بدا انتهاكه لها مساويًا للتقليل من شأن تلك الآلهة الوثنية [3]، ويبدو أنّ

[1] –مهمة السرية ليست التجسس على قافلة ، وإنّما لمعرفة أخبار وتحركات قريش عن كثب ، وهذا ما حمله نص كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أعطاه لعبد الله بن جحش.

[2] – رواية الواقدي بلا إسناد ، فقد بدأ بقوله : قالوا .." فهي لا يؤخذ بها ؛ إذ لا يعقل أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث سرية في الشهر الحرام ويطلب من فيها القتال.

[3] – يبدو أنّها أخذت هذا التبرير من وات.

اثنين من الغزاة رغبًا في أن يستبعدا أنفسهما من الحملة ، وذلك لأنّهما فقدا بعيرهما حينما توقفت الحملة بعد ذلك، وطلبا من السبعة الباقين المواصلة دونهما، وحينما وصل عبد الله وصحبه إلى نخلة وجدوا قافلة صغيرة قد توقفت قرب الوقع، وكان اليوم هو الأخير من شهر رجب، فإن هم انتظروا حتى اليوم التالي حين يسمح بالقتال فستكون القافلة قد وصلت إلى الحدود الآمنة لمكة، وهكذا أقروا أن يهاجموها وقتل السهم الأول واحدًا من التجار الثلاثة ، واستسلم الآخرون فورًا، واصطحب عبد الله الغنيمة والرجلين عائدًا إلى المدينة [1]، ثم تستطرد قائلة: "لكن بدلًا من الترحيب بهما أبطالًا فاتحين، فقد هال أهل المدينة الأمر، عندما سمعوا أنّ الغزوة [2]، قد انتهكت الشهر الحرام. وكما رأينا فلم يُعلق عرب المدينة إلغاء محمد عبادة الآلهة الوثنية ، فقد كان اليهود قد أعدوهم للرؤية التوحيدية[3] ، وكانوا مستعدين تمامًا لنبذ ذلك الجزء من الديانة الوثنية[4] ، غير أنّهم وبدون شك كان إحساسهم قويًا جدًا تجاه الأشهر الحرم ، ولم يكونوا مستعدين للتخلي عن هذه القيمة الدينية، وقام محمد بالتبرؤ من الحملة ورفض تقبل الغنيمة وكان ذلك تصرفًا برجماتيًا[5]عمليًا رغم أنّه يبدو وكأنّه يحيطه الشك كعمل

---

[1] – كارين . محمد . ص 256– 257..

[2] – هذه ليست غزوة وإنما سرية . الغزوة هي التي يشارك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ويقودها.

[3] – كما مر بنا وباعتراف أحد مؤرخي اليهود ، أنّ الديانة اليهودية بما تعرضت له من تحريف لم تعد ديانة توحيدية.

[4] – الأشهر الحرم وعلاقة لها بالوثنية نهاية أيام سيدنا إبراهيم عليه السلام

[5] – البرجماتية" "Pragmatism" الذرائعية" مذهب فلسفي أمريكي أسسه وليام جيمس 1842/ 1910م" وتشارلز ساندرز ليرس 1839/ 1913م" مواده أنّ معيار صدق الفكرة أو الرأي هو النتيجة العملية التي تترتب عليها من حيث كونها مفيدة أو مضرة [المهندس ، مجدي وهبة

ذرائعي ، فإنّ محمدًا لم يكن يطيق تقديم أية تنازلات في الأساسيات ، فقد حدث أحد عرض حياة المسلمين للخطر حينما رفض حلًا من قريش يسمح بأحادية العبادة مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى ، أمّا في ذلك الوقت فقد كان سبيله لإرساء دين الله تدريجيًا ، خطوة خطوة ، وكما تتكشف الأحداث ، ولم يكن لديه أي تصور تفصيلي واضح عن الدين في البداية ، وكان يعمل منفردًا في غياب موروث راسخ ، لذا فقد كان عليه أن يتحسس طريقه للإمام عن طريق المحاولة والخطأ، وربما كان علي استعداد تام للتخلي عن الأشهر الحرم ، فلم تكن تبدو حينئذ ذات قيمة دينية رئيسية[1] ، ثم تقول: "ولكنه..... حينما عادت الغزوة ورأى استياء الأنصار، تأكد أنّه قد داس على أحاسيسهم الدينية دون قصد منه ، ولم تكن هناك فائدة من التمسك بالموقف بعناد ، وعلى ذلك فقد رأى أنّه إذا كان القوم يرغبون في الإبقاء على الأشهر الحرم فليسمح لهم بذلك ، لأنّه ليس في تلك الممارسة ما يغير دين الله[2] .

ثم تقول:"وحزن عبد الله ورفاقه حزنًا شديدًا حينما تبرأ محمد من الغزوة ، فقد بدا لهم وكأنّهم اتخذوا قرارًا خاطئًا ، وأنّ خلاصهم نفسه محاط بالخطر، وكان واجب محمد أن يقدم لهم السلوان، وأيضًا أن يتحسس طريقه للإمام مرة أخرى[3] ، ثم تتحدث عن نزول الآية 217 من سورة البقرة وتبادل الأسرى ، وإسلام ابن كيسان [4].

كامل . (1979م) معجم المصطلحات العربية في اللغة . . 44 طبعة بدون رقم . مكتبة لبنان.

[1] – آرم سترنج . محمد . ص 257–258.

[2] . المرجع السابق . ص 257–258.

[3] – المصدر السابق . ص 258– 259.

[4] – المصدر السابق . ص 258– 259.

هذه وجهة النظر الاستشراقية الإنجليزية في التسعينات من هذا القرن ، وهي كما رأينا لم تتخلف عن النظرة الاستشراقية الإنجليزية في مراحلها المختلفة، وهذا يبين لنا أنّ الموقف الإستشراقي من الإسلام ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتغير سوى تغيرًا بسيطًا، ثم نجده غير مستقر في رأيه وفي تغيره، فيتخذ موقفًا محايدًا، ثم يتراجع ويعود إلي سيرة ما سبقه من مستشرقين، بل نجد هذه المستشرقة تجاوزت كل الحدود عندما وصفت الرسول بأنّه برجماتياً يأمر بفعل عمل ثم يتبرأ منه عندما يدرك أنّه خطأ، وهو حكم خاطئ بنته على رواية باطلة، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بقتال في الشهر الحرام، وكيف يأمر به ولم يؤذن به من عند الله .

بدر الكبرى[1]

تاريخ حدوثها : في السابع عشر من رمضان (2هـ / 623م)
مكان حدوثها : على بُعد أربع مراحل من المدينة ، وهي في الطريق بين المدينة ومكة.

أسبابها

كان المسلمون في حالة حرب مع كفار قريش ، ولما كان تهديد طرق قوافلهم إلى الشام يزعزع أمن تجارتهم ، عماد حياتهم ، ويضعف من هيبتهم ، وقوتهم السياسية أيضاً، إضافة إلى تأمين المدينة من القبائل المجاورة لها بعقد المصالحات ،وإبرام الاتفاقيات تمكينًا للإسلام ولقيام دولته واستمرار أحكامه .

لذا كان اعتراضه صلى الله عليه وسلم لقوافل قريش في طريقها من وإلى الشام . وكما مر بنا في الغزوات والسرايا السابقة لبدر أنّ المسلمين لم يشتبكوا مع قوافل قريش في قتال حاسم ، مّما جعل قريش تواصل إرسالها قوافلها التجارية مع تأمين الحراسة لها .

ولما علم المسلمون بتحرك قافلة كبيرة لقريش عائدة من الشام ترصدوها ، وكان يقودها أبو سفيان صخر بن حرب ، وكانت تحمل أموالًاعظيمة لقريش، ويحرسها ثلاثون أو أربعون رجلًا[2] ، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بسبس لاستطلاع أخبار القافلة ، فلمّا رجع إليه بخبرها ندب أصحابه للخروج ، وتعجل بمكن كان مستعدًا دون أن ينتظر من رغب في الخروج

---

[1] – بدر: اسم بئر حفرها رجل من غفار اسمه " بدر " ، وقيل هو بدر بن قريش بن يخلد الذي سميت قريشاً وقيل إن " بدراً " اسم رجل كانت له بدر.

[2] – ابن حزم. جوامع السيرة ص 79.

من المهاجرين والأنصار لئلا تفوتهم القافلة فلم يكن جيش المسلمين ببدر ممثلًا كل طاقتهم العسكرية، لأنّهم خرجوا من أجل اعتراض قافلة وليس من أجل مواجهة جيش قريش ، وقد ذكر عكرمة أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل عدي بن الزغباء وبسبس بن عمرو إلى بدر طليعة للتعرف على أخبار القافلة فرجعا إليه بخبرها[1] ، وخبر إرسال بسبس ثابت في صحيح مسلم ، وهو دليل على الأخذ بالأسباب ، ومن ذلك التجسس على العدو وجمع أخباره[2] .

عدد جيش المسلمين وعدد إبلهم

وقد خرج المسلمون إلى بدر وهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فقط[3] منهم مائة من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار، إذا أخذنا برواية الزبير بن العوام ، وقد ذكرت المصادر أسماء 340 صحابيًا ممن شهدوا بدرًا ، وهذا بسبب الاختلاف بينهم في شهود بعضهم الغزوة[4] ، وكان مع المسلمين سبعون بعيرًا يتعاقبون على ركوبها[5] ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو لبابة وعلي بن أبي طالب يتعاقبون على بعير واحدة ، فأرادا أن يؤثراه

---

[1] – ابن سعد . الطبقبقات 24/2 بإسناد صحيح إلى عكرمة مرسلًا. .

[2] – العمري ، د . أكرم. المجتمع المدني في عهد النبوة " الجهاد ضد المشركين ". ص 40.

[3] – صحيح مسلم / النووي 84/12، وفي صحيح البخاري ربما بضعة عشرة وثلاثمائة عن البراء رضي الله عنه .94/5.

[4] – ابن كثير "البداية والنهاية "348/3 ؛ إذ أشار إلى أن الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي ذكرهم 340 مرتبين عليى حروف العجم مع البداءة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بأبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، كما أورد هذه القائمة نبذة موجزة عن كل صحابي. [أحمد محمد العلمي باوزير في مرويات غزوة بدر. ص 365– 419 .

[5] – ابن هشام . السيرة 613/2 . ابن حزم " جوامع السيرة " . ص 79.

بالركوب فقال: "ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى من الأجر منكما" الرسول صلى الله عليه وسلم كانت سنه آنذاك خمسة وخمسون عامًا ، ومع هذا آثر الأجر والثواب على الراحة ، كما أنّه حرص على أن يستوي القائد والجند في تحمله الشدائد ، هذا ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عند خروج عبد الله بن أم مكتوم للصلاة بالناس ، ثم أعاد أبا لبابة من الروحاء – وهي على أربعين ميلًا من المدينة وعيّنه أميرًا على المدينة[1] ، مما يبين أهمية وجود الأمير في الحضر والسفر والسلم والحرب [2] .

وعندما بلغ أبو سفيان خروج المسلمين لأخذ القافلة ، سلك بها طريق الساحل وأرسل ضمضم ابن عمرو الغفاري لاستنفار أهل مكة ، فلما علمت قريش الخبر استعدت للخروج دفاعًا عن قافلتها، وقد ذكر ابن عباس وعروة بن الزبير أنّ عاتكة بنت عبد المطلب رأت في المنام أنّ رجلًا استنفر قريشًا، وألقى بصخرة من رأس جبل أبي قبيس بمكة فتفتت، ودخلت سائر دور قريش، وقد أثارت الرؤيا خصومة بين العباس وأبي جهل حتى قدم ضمضم وأعلمهم بخبر القافلة، فسكنت مكة وتأولت الرؤيا [3] .

عدد جيش المشركين وعدد خيولهم

وسارعت قريش للخروج ، وجندت كل طاقاتها ، ولم يتخلف أحد من فرسانها ورجالًا إلاَ البعض، وبلغ عدد جيش المشركين تسعمائة وخمسين مقاتلًا معهم مائة فرس يقودونها[4] ، ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين

---

[1] – سيرة ابن هشام 612/2.

[2] – العمري ، د . أكرم. المجتمع المدني الجهاد ضد المشركين . ص 41.

[3] – ابن هشام . السيرة 607/2 رواه ابن إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيد ابن رومان عن عروة بن الزبير.

[4] – ابن سعد الطبقات . 14/2 ، وفي صحيح مسلم84/12.

بهجاء المسلمين[1] ، وقد أنشق بنو زهرة ، ورجعوا إلى مكة بعد أن نصحهم بذلك الأخنس بن شرين حين علموا بنجاة القافلة ، وهم بالجحفة شرق رابغ ، ولكن معظم الجيش تقدموا حتى وصلوا إلى منطقة بدر، وذلك لتأديب المسلمين ، وتخليص طرق التجارة من تعرضهم وإعلام العرب بقوة قريش وسلطانها ، وسقط بعض خدمهم أسرى بيد المسلمين عند عيون المياه ببدر ، وقد عرف منهم الرسول صلى الله عليه وسلم عدد الجيش ، وموقعه وزعماءه ، فقد ذكروا عدد ما ينحرون من الإبل لطعامهم كل يوم فقال : " القوم ما بين تسعمائة وألف"[2]

القرآن الكريم يصور موقف المسلمين

لم يرتح بعض المسلمين لنجاة القافلة ومواجهة جيش المشركين لأنّهم لم يستعدوا للقتال ، وقد صور القرآن الكريم موقفهم في الآيات التالية : (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ *يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)[3]

مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه عامة والأنصار خاصة

كان الأنصار قد بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية على أن يجمعوه في بلدهم ، ولم يبايعوه على القتال معه خارج المدينة ، لذلك اقتصرت السرايا التي سبقت بدر على المهاجرين ، ونظرًا لوجود الأنصار مع المهاجرين ببدر وتفوقهم العددي الكبير، فقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة رأيهم في الموقف الجديد ، فكان أن شاور أصحابه

---

[1] – سيرة ابن هشام . 2619 .

[2] – سيرة ابن هشام . 617/2.

[3] – الأنفال : 5– 6.

عامة وقصد الأنصار خاصة ، وقد روى ابن إسحاق خبر المشورة بسند صحيح قال : فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قال المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله: إمعن لما آراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الجمار لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشيروا عليَّ أيها الناس: وإنّما يريد الأنصار، وذلك أنّهم كانوا عدد الناس ، وأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنّا براء من أمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك ممّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلّا من دهمه بالمدينة من عدوه ، وأنّ ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل .

قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدًا ، إنا نصبر في الحرب ، صُدُق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسرْ بنا على بركة الله، فسُر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول

سعد ، ونشطه ذلك ثم قال سيروا وابشروا فإنّ الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم [1].

الخلافات في جيش المشركين

كان عتبة بن ربيعة يريد العودة دون قتال المسلمين لئلا يكثر الثأر بين الطرفين ، وبينهم أرحام وقرابات ، أمّا أبو جهل فكان مصرًا على القتال وقد غلب رأيه[2] ، فقام المشركون بإرسال جاسوس لهم للتعرف على عدد المسلمين ، فأخبرهم بعددهم ، وأخذ أبو جهل يدعو على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم أينا كان أقطع للرحم ، وآتانا لما لان عرف فأضنه الغداة ، فكان ذلك استفتاحه الذي أشارت إليه الآية الكريمة (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)[3]

نزول الرسول صلى الله عليه وسلم على مشورة الحباب بن المنذر

لقد وصل المسلمون إلى بدر وقاموا باستطلاع المكان قبل وصول المشركين ، وقد ورد بسند حسن إلى عروة لكنه مرسل أنّ الحباب بن المنذر أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بأن يترك مياه بدر خلفه لئلّا يستفيد منها المشركون ، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قبل مشورته [4].

---

[1] – سيرة ابن هشام . 2/614– 615 عن رواية ابن إسحاق بسند صحيح ، وقال ابن كثير وله شواهد كثيرة فمن ذلك رواية البخاري والنسائي وأحمد ، ويشير ابن كثير إلى رواية البخاري ورواية الإمام أحمد لقول المعتاد مع الأسود "البداية والنهاية . 2/298–299.

[2] – تاريخ الطبري. 3/3 . طبعة دار الفكر .

[3] – الأنفال : 19.

[4] –المصدر السابق .47/3.

نزول المطر يوم بدر

ومن نعم الله على المسلمين يوم بدر أنّ الله أنزل في هذه الليلة مطرًا طهّر به المؤمنين وثبت الأرض تحت أقدامهم وجعله وبالًا شديدًا على المشركين ، وفي هذا قال تعالى : (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) [1]"وقد وصف علي رضي الله عنه في رواية صحيحة كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر وأمامهم معسكر المشركين قال: "لقد رأيتنا يوم بدر وما منا إلاّ نائم إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّه كان يصلي إلى شجرة ، ويدعو حتى أصبح ، ثم إنّه أصابنا من الليل طش[2] من المطر، فانطلقنا تحت الشجر والجح [3]نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول:"اللهم إنّك أنْ تهلك هذه الفئة لا تعبد"فلما طلع الفجر نادى "الصلاة عباد الله" فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرّض على القتال[4] .

فمن نعمه جل شأنه على المسلمين يوم بدر أيضًا أن غشيهم النعاس أمنة منه ، كما في صدر آية نعمة المطر ، يقول جل شأنه (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ....)[5] ، فكما روى الإمام علي ما منا إلا نائم إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما روى ذلك الإمام أحمد بسنده إلى أنس بن مالك أنّ أبا

---

[1] – الأنفال : 11.

[2] – الطش : القليل.

[3] – الجحف : التروس من جلود ،وليس فيها خشب ولاعقب.

[4] – العمري ، د . أكرم . المجتمع المدني " الجهاد ضد المشركين " . ص 46 عن محمد في مسند بإسناد صحيح.

[5] – الأنفال : 11.

طلحة قال : " غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر، فكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وآخذه[1]" .

استجابة الله جل شأنه لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وإمداده بالملائكة

أخرج مسلم في صحيحه هذا الحديث "حدثنا هناد بن السريّ، حدثنا ابن المبارك عن عكرمة ابن عمار حدثني سماك الحنفي، قال سمعت ابن عباس يقول حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر حدثنا زهير بن حرب "واللفظ له" ، حدثنا عمر بن يونس الحنفي ، حدثنا عكرمة ابن عمار حدثني أبو زميل "هو سماك الحنفي" حدثني عبد الله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: " لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا ، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه "الله أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فآتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل (إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلأَقْدَامَ)[2] (فأمده الله بالملائكة)[3]

---

[1] – رزق الله . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية . .ص 344.

[2] – الأنفال : 11.

[3] – صحيح مسلم . النووي ،12/84-85.

تنظيم الرسول صلى الله عليه وسلم للجيش

وفي صبيحة اليوم السابع عشر من رمضان نظم الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه في صفوف كصفوف القتال ، وهو أسلوب جديد في القتال يخالف ما جرت عليه عادة العرب من القتال بأسلوب الكر ، والفر وهو الأسلوب الذي قاتل به المشركين ببدر، ومما لاشك فيه أنّ نظام الصفوف يقلل من خسائر المسلمين ، ويعوض عن قلة عددهم أمام المشركين ، وفيه مزية السيطرة على القوة بكاملها ، وتأمين العمق للجيش حيث تبقى دائمًا بيد القائد قوة احتياطية في الخلف يعالج بها المواقف التي ليست في الحسبان [1].

وقد بُني للرسول صلى الله عليه وسلم عريش أو قبة كان فيها ليدير منها المعركة باقتراح من سعد بن معاذ [2] ، وذلك لأهمية الحفاظ على القائد في المعركة [3] .

ولما اقترب المشركون من المسلمين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ، فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض".

وجاءت ريح لم يرد مثلها شدة ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية ميكائيل عليه السلام

---

[1] – خطّاب ، محمود شيث . (1960م) الرسول القائد . ص 81 ،.ط ٢ . بغداد . دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة .

[2] – طبقات ابن سعد. 15/2.

[3] – العمري ، أكرم العمري . مرجع سابق . 47.

في ألف من الملائكة من ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بُلق[1] ، ويؤيد هذه الرواية قوله تعالى (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[2]

ومشاركة الملائكة في القتال في بدر ثابت لا مجال للشك فيه ، فها هي الآيات الكريمات تخبرنا بذلك في مواضع كثيرة ؛ إذ يقول جل شأنه في سورة الأنفال مؤكدًا على مشاركة الملائكة ليس في قتال بدر فقط بل ولتثبيت المسلمين ، وإلقاء الرعب في قلوب الكافرين (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [3]

هذا وبلغ عدد قتلى المشركين سبعين قتيلًا منهم أبو جهل وأسروا سبعين[4] ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بسحب قتلى المشركين إلى آبار بدر فألقوا فيها ، وأقام ببدر ثلاثة أيام ودفن شهداء المسلمين وهم أربعة عشر شهيدًا أسمتهم المصادر[5] ، وزاد ابن حجر عليهم في الإصابة

---

[1] – ابن سعد . الطبقات. 16/2.

[2] – آل عمران : 123–126،في سورة الأنفال آية 10 يقول جل شأنه { وما جعله الله إلا بُشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم.}

[3] – الأنفال : 12

[4] – صحيح مسلم . 86/12.

[5] – سيرة ابن هشام .706/2– 708.

اثنين آخرين[1] ، ولم يذكر أنّه صلى الله عليه وسلم وهي السنة في الشهداء ، ولم ينقل أحد منهم من بدر ليدفن في المدينة[2] .

استشارته صلى الله عليه وسلم في أمر أسرى بدر

لقد استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فيما يصنع بالأسرى ، فأشار أبو بكر رضي الله عنه أن يأخذ الفدية منهم ، وعلّل ذلك بقوله فتكون لنا قوة على الكفار، فلن يهديهم الله للإسلام ، وأشار عمر بن الخطاب بقتلهم "فإنّ هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها"< ومال النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأي أبي بكر بقبول الفدية ، فنزلت الآية الكريمة في موافقة رأي عمر رضي الله عنه (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) "[3] وقتل اثنان من الأسرى لعداوتهما الشديدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهما النضر بن الحارث وقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعقبة بن أبي معيط فقتله عاصم بن ثابت ، وقد تباين فداء الأسرى فمن كان ذا مال فقد أخذ فداؤه أربعة آلاف درهم ، وقد فدت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها أبا العاصي بن الربيع بقلادة ، فأطلق الصحابة أسيرها وردوا عليها قلادتها إكرامًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن لم يكن لهم فداء من الأسرى جُعل فداؤهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، ولم يكن هم المسلمين أخذ المال من هؤلاء قدر إضعافهم معنويًا ، فقد قال

---

[1] ابن حجر ، الإصابة . 110/6، وهما معاذ بن الحارث وهلال بن المعلى بن لوزان.

[2] – العمري ، .د.أكرم .مصدر سابق . 53/2.

[3] – الأنفال :67–68.

الرسول صلى الله عليه وسلم "لو كان مطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتني لأطلقتهم له "[1] ، وقد أراد الأنصار إعفاء العباس من دفع الفدية ، فهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم وجدته أنصارية ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال: لا تذرون منه درهمًا ، فليست هناك محاباة ولو مع عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل الكل سواء أمام حكم الله ورسوله ، رغم أنّه أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنّه كان مسلمًا ، وقد أكره على الخروج إلى بدر، فوضع العباس مائة أوقية ودفع عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية ، في حين دفع بعض الأسرى الآخرين أربعين أوقية فقط ، وأطلق ممن لم يقدر على فداء ، منهم المطلب بن حنطب المخزومي وصيفي بن أبي رفاعة وأبو عزة الشاعر [2] .

الغنائم

وقع خلاف بين المسلمين حول الغنائم لأنّ حكمها لم يكن قد شرع آنذاك ، فقال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا إلى طلب العدو لستم بأحق بها منا ، فنحن نفينا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أصدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لستم بأحق منا فنحن أصدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واستشغلنا به فنزلت (يسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم

[1] – وذلك لما قام به من حماية للرسول صلى الله عليه وسلم عندما عاد من هجرته إلى الطائف ودوره في تمزيق صحيفة المقاطعة " د . رزق الله . السيرة النبوية . ص 360.

[2] – سيرة ابن هشام . 659/2.

مُّـؤْمِنِينَ)[1]، فقسـمها رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم علـى المسـلمين بالتساوي[2] ."

هذه باختصار أحداث يوم بدر وأسبابه وفق ما جاء في المصادر الإسلامية الأصلية وعلى رأسها القرآن الكريم ، ثمَّ الحديث ، ثمَّ كتب السيرة وفق الروايات الصحيحة ، فما هو موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من هذه الغزوة وما روته المصادر الإسلامية عنها؟

هذا ما سنعرفه الآن إن شاء الله .

موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من يوم بدر

كان الموقف بصورة عامة موقفًا معتدلًا إلى حد ما إلاّ أنّنا نجدها فسرت أحداث الغزوة تفسيرًا ماديًا بحتًا ؛ إذ أغفل بعضهم مشاركة الملائكة في القتال وبعضهم أشار إلى وجود معجزة إلهية ، والتغير المفاجئ لدى المدرسة الإنجليزية هو موقف المستشرقة البريطانية كارين التي لم تنكر مشاركة الملائكة في القتال وتشير إلى فكرة تدخل الله في مسار التاريخ وفي المعركة غريبة وغير محببة للقارئ الغربي المعاصر .

ولتتضح لنا معالم موقف مستشرقي المدرسة الإستشراقية الإنجليزية ولتحديد بالضبط أهم مستشرقيها سأورد بعض النصوص التي كتبوها بشأن هذه الموقعة ونتائجها .

وليم موير يقر بأنّ تائج بدر الحربية معجزة إلهية

بعدما يتعرض موير لأسباب هذه المعركة وردود أفعالها يشير إلى اشتراك الأنصار فيها بقيادة سعد بن معاذ وهو دليل علي أن بيعة العقبة

---

[1] – الأنفال : 1

[2] – د . رزق الله . السيرة النبوية عن أحمد في مسنده.

الثانية كانت تتضمن الدفاع عن الرسول والمشاركة في الأعمال الهجومية التي يقودها ضد أعدائه ، يفصّل القول في هذه المعركة طبقاً للروايات الإسلامية المعروفة ، ويصل إلى نتيجة مفادها أنّ هذه المعركة تعتبر نقطة تحول دقيقة وخطيرة في حياة الرسول ، فقد برهنت لأعدائه والمترددين في اعتناق رسالته في المدينة على أنّ نتائجها الحربية كانت بمثابة معجزة من الله الذي ساانده في مهمته خاصة أنّ قوته الصغيرة تغلبت على قوة قريش التي تفوقها عددًا وعُدة وتعزز موقفه الشخصي الذي أصبح أكثر قوة ممّا كان عليه ، كما أنّ نتائج هذه المعركة لا تتحدد فحسب كعلامة على وقوف الله بجانب نبيه ، ولكنها قضت على معظم رؤساء معارضي الرسول القرشيين الذين أصبحوا بين قتيل وأسير[1] .

الفريدجيوم يقر بأنّ الإيمان القوي بعون الله من عوامل النصر في بدر

يتحدث الفريد جيوم عن موقعة بدر: "هاجمت قوة تتكون من ثلاثمائة مسلم بقيادة الرسول نفسه آلافاً من المكيين في بدر، وقد كان هناك عاملان حاسمان في تحقيق هذا النصر: الأول: اتقاد قلوب المسلمين بروح الحماسة الدينية ، والإيمان القوي بعون الله والثاني: هذه المهارة العظيمة التي أبداها الرسول في اختيار الأرض التي يحارب عليها ، وفي هذه الموقعة قضى على عدد من معارضيه الألداء ، كما سبق جمع غفير من الأسرى إلى المدينة في انتظار الفدية[2] ، ثم يقول:"حقًا لاشيء ينجح كالنجاح نفسه! فقد بدأ الأعراب ينضوون تحت لواء الحركة الجديدة بأعداد

---

[1] – موير ، وليم . حياة محمد من ترجمة د . ساسي الحاج في كتابه الظاهرة الإستشراقية . ص 193.

[2] – جيوم ، الفريد . الإسلام . ص 42–43.

متزايدة حتى هؤلاء الحريصون من أهل المدينة الذين فضلوا الانتظار أطول مدة ممكنة – انضموا إلى الرسول علانية[1] .

هاملتون جب وكالمرز يشيران إلى الآيات التي نزلت في بدر

بعدما يتحدثان عن أسباب موقعة بدر واستعداد قريش لها يقولان: "ما وصل إليها [2]، محمد مع رجاله متوقعًا الالتقاء بقافلة أبي سفيان العاجزة ، فلما اكتشفوا غلطتهم شابهم الرعب "الأنفال" وما بعدها[3] ، أنظر بقية رواية عروة الطبري ولكن النبي رأى في اللقاء قضاء الله الذي شاء أن يضطرهم إلى القتال ، واستطاع بقوة إيمانه أن يلهم رجاله ، بحيث وجدوا عدوهم الذي يفوقهم عددًا بكثير، وقتل عدد من أهل مكة بما فيهم أبو جهل زعيم الاستقراطية إلى المدينة بعدة أسرى منهم العباس عمر محمد فأمر النبي بقتل اثنين منهم هما النضر وعقبة بن أبي معيط، بينما أخذت الفدية من الآخرين هذه المشاجرة غير ذات شأن في أعيننا والتي أبداها دوني الذي عرف البلاد؛ لذا أصبحت على أكبر قدر من الأهمية بالنسبة إلى تاريخ الإسلام ؛ إذ رأى محمد في انتصاره تثبيتًا قويًا لإيمانه بقدرة الله " الأنفال :

---

[1] – المرجع السابق . ص 42– 43.

[2] – يقصد بدر.

[3] – كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون."

17، 65 [1]،آل عمران : [2]123 ، أنظر كعب بن مالك في السيرة لإبن هشام[3] .

فهذه شهادة من هذيْن المستشرقيْن على مشاركة الملائكة في القتال، وهذه أكبر دليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، ومع هذا استمرا في إنكارهما ، كما نجد وليم موير والفريد جيوم قد أقرا بأنّ الله كان مع المسلمين ، بل اعترف وليم موير أنّ انتصار المسلمين في بدر معجزة إلهية، والفريد جيوم أقر بعون الله للمسلمين ، وكل هذا يثبت أنّ المسلمين على حق، وأنّ اعتراضهم لقوافل قريش ليس من أجل السطو والسلب والنهب والحصول على الغنائم ، وإنّما لإضعاف شوكة الشرك والكفر حتى تنتصر كلمة الله ، وإنّني لأعجب حقًا أنّ هؤلاء المستشرقين قبل أسطر قليلة كانوا يكيلون التهم للرسول صلى الله عليه وسلم ويتهمونه بقطع الطرق وانتهاك الشهر الحرام ، نجدهم يقرون بعون الله له وإمداده بملائكة تقاتل مع المسلمين يوم بدر، مع أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى بدر بقصد اعتراض قافلة لقريش، أي لنفس الغرض الذي سُيرت من قبل من أجله السرايا وحدثت بعض الغزوات .

ننتقل الآن إلى مستشرقي المدرسة الإنجليزية الذين أخذوا موقفًا مغايرًا لأولئك المستشرقين ، ويمثل هذا الفريق مونتجمري وات، وبودلي ، وأنتوني نتنج وبرنارد لويس وسأبدأ بـ

---

[1] – الآية 17 من سورة الأنفال "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي"، والآية 65{"ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال. إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون }

[2] – {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين } " آل عمران 124.

[3] – جب وكالمرز. الموسوعة الإسلامية الميسرة. 2/ 952– 953.

"مونتجمري وات" يفسر انتصار المسلمين في بدر تفسيرًا ماديًا

على الرغم من التفاصيل الدقيقة التي ذكرتها المصادر العربية الأصيلة عن سير غزوة بدر والوضع في المعسكرين: معسكر المسلمين ومعسكر المشركين إلاّ أنّه كعادته يحب أن يثير الغموض أو الشكوك فيما يتعلق بالسيرة النبوية العطرة ؛ إذ نجده يقول في مقالته عن بدر في دائرة المعارف الإسلامية " ، ولدينا عن هذه الوقعة تفصيلات وافرة جاءت بها المصادر المتقدمة ، ومع ذلك فإنّه من العسير أن نسوق بيانًا واضحًا بالمعركة ، والحوادث التي أدت إليها[1] .

ويقول في كتابه " محمد في المدينة " وإذا كانت المصادر صحيحة حول التفاصيل ، فقد علم القرشيون في اليوم السابق على القتال أنّ محمدًا كان قريبًا منهم ، ولكن لم يعلموا مكانه بالتأكيد [2].

أمّا عن عدد قتلى المشركين في بدر فيقول في كتابه "محمد في المدينة" مابين 45–70 قرشيًا ، ومنهم أبو جهل نفسه وعدد من الزعماء الآخرين ووقع عدد مماثل من الأسرى[3] ، إلاّ أننا نجده في مقاله عن بدر يقول: "فقد قتل منهم نحوًا من سبعين رجلًا ومن بينهم أبو جهل ونيف وعشرة من وجهائهم وأُسر قرابة سبعين أسيرًا افتدوا بعد بمبالغ كبيرة ، ولم يقتل من المسلمين إلا خمسة عشر رجلاً تقريبًا[4] .

---

[1] – دائرة المعارف الإسلامية 400/6، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الششتاوي ، د . عبد الحميد يونس . دار الشعب – القاهرة.

[2] – محمد في المدينة . ص 20.

[3] – المصدر السابق ،والصفحة ذاتها.

[4] – دائرة المعارف . 6/ 401.

وات يثير الشبهات حول أسرى بدر

ويثير وات الشبهات حول أسرى بدر فيقول: "وقد عومل أسيرًا وأسيران بشدة وقسوة معروفتين عند العرب في ذلك العصر، وكانت العادة أن يفعل الإنسان ما يريد بأسيره ، وكان لا ينظر إلا إلى النفع الذي يعود عليه وعلى قبيلته. وقد حدث في بدر أن جاء مسلم بأسير، فرآه جماعة من المهاجرين الذين كانوا يكرهونه فوثبوا عليه وقتلوه. وهكذا أضاعت الفدية على الرجل الذي أسره ، وقد وضع محمد حداً لهذه الأعمال ، وكانت سياسته عامة أن يحتفظ بالأسرى ودفع الفدية. أمّا الذين كانوا من قبيلته ، أو كانت تربطهم علاقة ما بالمسلمين ، وكذلك الذين لم يكونوا مستنفذين ولا أغنياء وتدفع دياتهم فكان يطلق سراحهم بدون دفع الدية [1]".

وقول وات أنهّ من كان من قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم من ضمن الذين طلق سراحهم بدون فدية وهو قول مردود ، وزعم باطل ، فلم تكن هناك محاباة قط بالنسبة للأسرى، فالعباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، رغم أنّه أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه أسلم ، وأنّه أكره على الخروج مع قريش ورغم أنّ الصحابة رضوان الله عليهم رأوا إطلاق سراحه بلا فدية إكرامًا للرسول صلى الله عليه وسلم ، إلاّ أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام أصر على أن تؤخذ منه فدية. وقال "لا تذرون منه درهمًا". ودفع مائة أوقية وعقيل بن أبي طالب "ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم" ، وهو بمثابة أخيه لأنّه عاش معه في بيت واحد عندما كفله عمه أبو طالب ، أخذت منه فدية وقدرها ثمانون أوقية ، بينما أخذ من باقي الأسرى الذين دفعوا فدية أربعين أوقية ، أما إن كان يلمح إلى إطلاق سراح زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون فدية ؛ إذ رُدت

[1] – محمد في المدينة . ص 20.

القلادة التي قدمتها زينب رضي الله عنها فداء لزوجها ، فلقد خيّر الرسول الصحابة في أخذه منها أو رده إليها .

أمّا ذكره عن معاملة الأسيرين بقسوة وقتلهما ، فلقد بيّن هو نفسه سبب ذلك؛ إذ قال "واستثنى عقبة بن أبي مويت من سياسة اللين هذه ، فقتل بسبب عدائه القديم لمحمد لأنّه نظم هجاءً فيه . كما قتل النضير بن الحارث الذي كان قد أعلن أن قصصه عن الفرس تساوي قصص القرآن[1] ".

هذا ويستنتج وات من استقراء الروايات الإسلامية المختلفة أنّ الأنصار لم يتعهدوا بالدفاع عن محمد إلا داخل أراضي المدينة ، فيقول: "ويقول بأنّ الأنصار لم يتعهدوا بالدفاع عن محمد إلّا داخل أراضي المدينة، وأنّ محمدًا قبل خوض القتال، اجتمع بهم وطلب إليهم ما إذا كانوا سيساندونه في هذه الظروف.[2]"

وهنا نجده لم يشر إلى مقالة سعد بن عبادة التي برهن فيها على ولاء الأنصار له ، أنّهم سيخوضون أي معركة مهما كانت نتائجها ، وأنّهم سيستعرضون معه البحر لو استعرضه ، وهذه المقالة تدل على أنّ بيعة العقبة الثانية كانت تتضمن الدفاع والهجوم على حد سواء ، ولكن إغفال وات لهذه المقالة كأنّه يقصد بها أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد جر الأنصار إلى دخول هذه المعركة بدون إرادتهم ؛ إذ نجده يقول بعد مقولته عن اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم "نستطيع القول بأنّ المسلمين حين علموا بمكان القرشيين كانوا قريبين منهم ، ولهذا كان كل انسحاب

[1] – محمد في المدينة . ص 21.

[2] – المصدر السابق . ص 19.

عارًا عليهم ، ولكن الأقرب أن نقول بأنّ محمدًا وجد الفرصة سانحة لمهاجمة القرشيين في ظروف مواتية واستطاع إقناع أصحابه بصواب رأيه [1] .

إغفال وات أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورة أصحابه في بدر

كما تقدم بنا مدى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على مشاورة أصحابه فيما يستلزم المشورة ، ولكن وات أغفل هذه المواقف ، فكما أغفل طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما المشورة في أمر الأسرى نجده أغفل أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأي الحُباب بن المنذر بأن يترك الآبار خلفه ويعسكر عند بئر حتى لا يجد المشركون ماء ، فيقول وات: "وقد استولى محمد في الليلة السابقة ، بعد أن علم بمسير أبي جهل إلى بدر، على آبار المياه ما عدا البئر القريبة من مكة، حيث أقام رجاله[2] .

مبررات وات لانتصار المسلمين في بدر

جاءت مبررات وات لانتصار المسلمين في بدر مبررات مادية بحتة مستبعدًا المعجزات الإلهية التي أقر بها موير، وجيوم ، وجب فيقول وات: "وقد ساعد عدد من العوامل على هذا الانتصار الذي حققه المسلمون. وكان أحد هذه العوامل عدم الوحدة بين صفوف القريشيين. وجعلت الانسحابات المتتالية عدد الجيش البالغ 950 رجلًا في البداية يصبح -700 600، ولم يكن كل هؤلاء الباقين أنصار مخلصين لسياسة أبي جهل ، كما كانوا شديدي الثقة بأنفسهم ، وقد كان لحماس المسلمين ضد مثل هذا

[1] – المصدر السابق . ص19.

[2] – محمد في المدينة . ص 19.

العدد وأثره الكبير[1] ، كما أنّ إيمانهم بحياة ثانية كان يشجعهم على القتال ، وثقة محمد بالنصر توحي لهم الثقة بالنصر، وقد عادت عليهم قيادتهم بتفوق تكتيكي، تلك هي أهم الأسباب لانتصار المسلمين. ولا شيء يسمح بالقول بأنّ صفات الأنصار الحربية كانت أعلى من صفات القرشيين. وتذكر قائمة الكفار الذين قتلوا اسم المسلم الذي قتل رجلًا خاصة ، ولك لا يمكن الاطمئنان كثيرًا إلى التفاصيل ، لأنّ عدد ضحايا علي وحمزة لاشك مبالغ فيه ؛ وإذا حسبنا حساب المبالغة نستطيع القول بأنّ مزارعي المدينة لم يكونوا محاربين متفوقين على تجار مكة، كما يجب أن نتذكر أنّ الكفار أو الذين قتلوا كانوا أكبر سنًا من غالبية المهاجرين، وربما كانوا يعانون العطش ، ولم يكن المهاجرون سوى الأنصار غير أنّهم قاموا كما يجب بنصيبهم من القتال[2] .

نجد وات هنا خفض من القيمة العددية لجيش المشركين الذي واجه المسلمين في بدر، كما نجده أرجع هزيمة المشركين إلى عدم الوحدة بين صفوف المسلمين ، وأنّ المشركين الذين قتلوا كانوا كبارًا في السن ، وأنّه ربما العطش من أسباب الهزيمة ، كما نجده قلل من كفاءة الأنصار القتالية ، إلاّ أنّه استبعد المعجزات الإلهية ، وقال : "إنّ ذلك كان بالنسبة للمسلمين

[1] – هنا يناقض وات نفسه ؛ إذ سبق أن قال لو علم المسلمون أنّه سوف تحدث معركة لامتنعوا عن السير، "ص18، ويناقض وقوله "وكان مثل هذا اللقاء الذي ساقته الصدفة خليقًا بأن ييسر علي النبي أمر إقناع أنصاره بالقتال "دائرة المعارف الإسلامية .6/ 401.

[2] – محمد في المدينة . ص 21–22.

تأييدً الإيمانهم أفاءة الله عليهم " سورة الأنفال الآية 17[1]و 43[2] ، وقد اعتقدوا أنّه تعالى قد أرسل ملائكته لنجدتهم. [3] "

بودلي يحذو حذو وات في تبرير هزيمة المشركين في بدر ويثير الشبهات حول أسبابها

بدأ بودلي حديثه عن هذه الموقعة بأسبابها، وهو يرى أنّ سببها أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد خاض غمار الحرب من أجل السيادة ، يقول بودلي " ، وعلى الرغم من عدم تكافؤ عدد القوتين ، قرر محمد أن يخوض غمار القتال مخاطرًا بمستقبله وسمعته بل بحياته في سبيل السياسة "[4]، ثم يلمح أنّ الهدف الثاني هو السلب ، فيقول: "كان عرب بلاد العرب قبل أيام الحروب الإسلامية المنظمة يحبون السلب، ولم تكن فكرة القتل على الأخص محببة إليهم ، وكانوا يمقتون أن يقتلوا أنفسهم ، ولكن محمداً رفع من روحهم"[5] ، ثم يبين سببًا ثالثًا لهذه الغزوة وهو الثأر، فيقول: "يجب ألا يغيب عن البال ، أنّ هذه المعركة كانت معركة ثأر، وكانت شريعة السن بالسن مبجلة في ذلك الأوان ، ولم ينتشر بعد المذهب السياسي للمعارك ، فإذا ما أخذ آخذ بثأره فإنّه كان يترك باقي المعركة لتقرر مصيرها بنفسها ، أو يتخلى عنها ، وهي في منتصفها [6].

---

[1] – الآية (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى)

[2] – الآية (إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر)

[3] – دائرة المعرف الإسلامية . 401/6.

[4] – بودلي .الرسول ... حياة محمد . ص 151.

[5] – المصدر السابق . ص 151.

[6] – المصدر السابق .ص 153.

فهذه شبهات أراد بودلي بثها ، ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم طامعاً في سيادة أو ملك لما رفض عرض قريش له في بداية دعوته أن ينصبوه ملكًا ؛ إذ وسطوا عمه أبو طالب أن يبلغه ذلك فكان رد الرسول صلى الله عليه وسلم لهم "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر أو أهلك دونه ."

ولو أراد مالًا هو وأصحابه لما رفض عليه الصلاة والسلام عرض قريش له ما يريد من المال مقابل أن يترك تسفيه أصنامهم وأوثانهم ، ولما ترك صحابته كل ما يملكون وهاجروا فرارًا بدينهم ، أمّا قوله أنّ كل فرد يحارب ليأخذ بثأره ، فإذا ما أخذ بثأره ترك المعركة فالمسلمون لم يحاربوا من أجل الأخذ بالثأر ، وإنّما من أجل إعلاء كلمة الله ، ولذا كان أجر الشهيد الجنة ، ولو كان القتال من أجل الثأر لما اعتبر القتيل شهيدًا

إنّ الجهاد في سبيل الله لا يدرك معناه ولا أبعاده إلاّ المسلمون المخلصون لدينهم، وقد يدرك المستشرقون حقيقته وأفضليته بالنسبة للمسلم ، لذا نجدهم يقللون من أهمية الجهاد ويرددون هذه العبارة "الجهاد ليس فريضة على المسلم فهو لم يكن من الأركان الخمسة" وهم يقصدون بهذا قتل روح الجهاد عند المسلمين ، ومنهم من يقول إنّ تشريع الجهاد مؤقتًا ، وقد انتهى من تحقيق غرضه في حين أنّ النصوص الإسلامية أوضحت أن تشريع الجهاد ليس مؤقتًابظرف ، وإنّما هو فرض ديني دائم ، ففي الحديث "الجهاد باق إلى يوم القيامة" و"من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق " أخرجه مسلم في صحيحه .

ثم يتحدث عن أسباب انتصار المسلمين وهزيمة المشركين ، ويفسر هذا الانتصار تفسيرًا ماديًا ، يقول بودلي :

"على الرغم من أنّ عدد القرشيين كان ثلاثة أضعاف عدد المسلمين كان المسلمون الأعلين لبعد نظر محمد ، فقد كان الماء معهم ، بيد أنّ المكيين كانوا يحاربون تحت شمس صحراء بلاد العرب المحرقة ، دون أن يكون في مقدورهم أن يرودا غلتهم إلا بالتقهقر إلى المؤخرة، حيث متاعهم وإبلهم ، وإنّ القليلين الذين حاولوا الوصول إليى ماء بدر سقطوا صرعى تحت سهم المسلمين ".[1]

ونجده أغفل نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بدء المعركة وذلك استجابة لدعائه ما رواه مسلم في صحيحه عن نزول قوله تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) [2] ويقول بودلي "وراح محمد وأبو بكر يرقبان المعركة من فوق تل، وكان حتى هذه اللحظة التي بدأ الهجوم العام فيها هادئًا قابضًاعلى زمام نفسه ، ولكن مرت به حالة من التهيج جعلته يفقد وعيه ، فلما عاد إلى نفسه برقت عيناه غبطة وتناول حفنة من الحصباء ، واستقبل بها الأعداء وصاح " شاهت الوجوه " [3]

ثم يقول منكرًا المعجزات "وإنَّ الذين يعتقدون في المعجزات يقولون إنّ شيئًا غير عادي قد وقع في هذه اللحظة ، فإنّ جيشًا من الملائكة على رأسه جبريل [4] قد استجاب لنداء محمد وشاركوا المسلمين في قتالهم ، وندع هذا ليكون كما يكون ، فإنّ ما حدث كان عظيمًا دون تدخل من الملائكة فما ألقى محمد الحصباء حتى هبت فجأة عاصفة من العواصف الشديدة التي تهب في الصحراء، وأقبلت الريح المحرقة من وراء محمد مباشرة ،

---

[1] – المصدر السابق . ص154.

[2] –الأنفال : 9.

[3] – المصدر السابق . ص154.

[4] – إن الله الذي استجاب لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأرسل جبريل عليه السلام بالملائكة وليس جبريل هو الذي استجاب لدعائه.

وراحت تهب كنار كور في عيون الأعداء ، لقد نال التعب والعطش من قريش ، ونال من روحهم المعنوية فتك المسلمين بهم ، فاتخذوا خطة الدفاع ، وزادت العاصفة في إحجامهم وربكهم دعاء محمد على الكافرين وصيحاته المدوية المحرضة للمؤمنين به الذين أصبحوا تواقين للثأر من أعدائهم ."[1]

من خلال قراءتنا لكتاب بودلي "الرسول .. حياة محمد" نجده أنكر جميع المعجزات فأقصاها عن السيرة ، والمعجزة الوحيدة التي لم يجد بدًا من إنكارها هي تسليط الله الريح الباردة على جيوش الأحزاب ففروا هاربين، فهذا المستشرق نهج منهج التفسير المادي للتاريخ كغيره من المستشرقين ، ولاسيما عند كتاباتهم للتاريخ الإسلامي بصورة عامة والسيرة النبوية بصورة خاصة التي تكثر فيها المعجزات الإلهية من لحظة مولده صلى الله عليه وسلم حتى وفاته. ومما يؤسف له حقاً أنّ بعضًا من الباحثين والمؤرخين المسلمين تأثروا بهذا المنهج وأخذوا بوجهة نظر المستشرقين وتبنوها في كتاباتهم ، فالمستشرقون ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي ينكرون المعجزات الإلهية التي صاحبته خلال حياته ، مثل حادثة شق الصدر، والإسراء والمعراج ، ومسيرة الهجرة إلى المدينة المنورة، ومشاركة الملائكة في القتال في بدر، ونزول المطر في بدر ليلة المعركة ، وتهدئة نفوس المهاجرين والأنصار بأن غشيهم النعاس حتى يتمكنوا من القتال ، هبوب الريح الباردة على مخيمات جند الأحزاب ففروا هاربين إلى الكثير من المعجزات ، وأهمُّ هذه المعجزات نزول الوحي ، ولكن إمعان هؤلاء المستشرقين في كفرهم لنبي الله ورسالة الإسلام، أنكروا كل هذه المعجزات، ونجدهم حتى لو اعترفوا بإحدى المعجزات كمشاركة الملائكة في قتال بدر، كما رأينا من تلميح من بعض المستشرقين بذلك ، وكما نرى تصريح كارين

[1] – بودلي . ص 155.

بـذلك ، وكمـا سـنرى بـودلي سـيعترف بـأنّ هبـوب العاصـفة البـاردة علـى الأحـزاب كانـت معجـزة إلهيـة لحمايـة المسـلمين ؛ إذ كـانوا فـي وضـع حـرج للغايـة ، فكانوا بين فكـي كماشـة العدو محاصـرين من كل جانب ومهددين مـن الـداخل مـن قبـل يهـود بنـي قريظـة الـذين نقضـوا العهـد وتحـالفوا مـع الأحـزاب ضـد المسـلمين ، رغـم هـذه الاعترافـات إلاّ أنّهـم مصـرون علـى إنكارهم نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

إشارة إلى استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر حول الأسرى

لم يغفل بودلي مشورة الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبيه حول الأسرى ، فقد أشار إلى أخذه برأي أبي بكر رضي الله عنه[1].

ثم نجده يتحدث عن أصداء انتصار المسلمين في بدر ونتائجه ويفسره أيضًـا تفسيرًا ماديًا ، فيقول:" هكذا انتهت أول معارك محمد الأرضية ، فكانت نصرًا تامًا وتأييدًا لمحمد كقائد ، كما أمدت الإسلام بالتألق الذي كان ينقصه حتى اليوم ، وقد حرصت القبائل على اعتناق هذا الدين الذي يكافئ من بقي على قيد الحياة ومكافأة دنيوية ، ويكافئ الشهداء مكافأة روحية ، كما أرضت محمدًا نفسه كل الرضا، فقد أحس أكثر ممّا أحس في أي وقت مضى ، أنّ ما يدافع عنه هو الحق ، وقد أحس أكثر من أي وقت مضى أنّ صبره خلال الأيام السود في مكة كان صوابًا ، وقد ظلت معركة بدر في ذهن محمد كذكرى عظيمة ، فخصّ الثلاثمائة الذين قاتلوا القرشيين معه بمنزلة خاصة [2]، ثم يرجع انتشار الإسلام في كل الأصقاع إلى الانتصار في بدر وهذا حق يقول بودلي مشيرًا أنّ الإسلام انتشر بحد

---

[1] – المصدر السابق . ص 156.

[2] – المصدر السابق . ص 157– 158.

السيف "فهم الذين صهروا الأسلحة التي ستحمل الإسلام إلى ممالك كثيرة في العالم وهم الذين اختبروها ، وأنّه في خلال القرون القادمة سيسمع السوريون والفرس والمصريون والبربر والروم والأسبان والهنود والصينيون ، وأهل الملايو والروم والترك ، ذلك الهتاف الذي انطلق من حناجر الصناديد الثلاثمائة ، لما حملوا على ماء بدر: الله أكبر.. الله أكبر ."[1]

أنتوني نتنج أرجع أسباب بدر إلى الانتقام من قريش

لم تختلف نظرة أنتوني نتنج إلى أحداث غزوة بدر أسبابها عن نظرة بودلي المادية ؛ إذ نجده يفسر أسبابها بقوله "أصبح محمد الآن رجل دين محاربًا ، صمم على أن ينقل الحرب إلى عقر دار عدوه ، وأن يحطم الذين تآمروا ضده[2] ، ثم يقول: ولكي يحارب روح الهزيمة في صفوف رجاله ، أعلن مذهب القضاء والقدر، سوف يأتي الموت إليه وإلى أتباعه في الأجل المقدر، سواء كانوا في الفراش أو في المعركة [3] لم يتحدث عن أسباب هزيمة قريش ولكن كل الذي قاله "ولكن الأنصار كانت لهم ميزة الأرض المرتفعة [4]" ، وجاء الأمر عندما التقط محمد بعد أن فرغ من صلاته حفنة من التراب وألقاها في اتجاه العدو ، وهو ينادي في الأنصار بصوت عال "لا يقاتلكم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلاّ أدخله الله الجنة" ، ثم يقول نتنج: "دمرت قريش ولكن هزيمتها إنمّا زادت من جنون أبي سفيان وغضبه" ، وفي العام الثاني625 م كانت المعركة

---

[1] – المصدر السابق . ص 157– 158.

[2] – نتنج ، أنتوني . العرب انتصار دائم وأمجاد الإسلام . ص 32.

[3] – المصدر السابق . والصفحة ذاتها.

[4] – المصدر السابق . والصفحة ذاتها.

سجالًا بين الطرفين في أحد[1]" نلاحظ أنّ انتوني نتنج وجد أنّ الأحداث تفرض عليه أن يتحدث عن الجانب الديني الروحي في هذه المعركة الفاصلة ؛ إذ غلب عليها هذا الطابع رغم إرادة الماديين ، فلم يجد بداً من الإشارة إليها ، وإن كان لم يلقها بالًا ، وهو يتحدث عنها ثم أغفل تمامًا الوحي الذي نزل تباعًا في هذه الوقعة، ومشاركة الملائكة في القتال ونزولهم إلى ميدان المعركة وما صاحب ذلك من اشتداد هبوب الريح ، كما نلاحظ أنّ جميع المستشرقين اغفلوا فداء الأسرى تعليم أبناء الأنصار الكتابة ، لأنّ هذا يبين أنّه ليس الهدف من هذه الغزوات الحصول على المال ، كما يدل على اهتمام الإسلام بالعلم والتعليم ، وهذا سبق للإسلام، لم تسبقه إليه الأمم ، ولم يسجل التاريخ قبل بدر أنّه كان فداء الأسرى تعليم الكتابة ، ولكن المستشرقين – كعادتهم – يريدون سلب الإسلام كل مميزاته وأهدافه ويشوهون صورته ، كما نجدهم أغفلوا التكتيك الجديد الذي أدخله الرسول صلى الله عليه وسلم في القتال ؛ إذ أدخل نظام الصفوف بدل الكر والفر الذي كان متبعًا من قبل .

هذا كما نجد أنتوني نتنتج قد وقع في خطأ تاريخي عندما قال " ولكن الأنصار كانت لهم ميزة الأرض المرتفعة " فالأنصار لم يشاركوا وحدهم في هذه الغزوة ؛ إذ كان معهم من المهاجرين ما بلغ عددهم المائة .

برنارد لويس يخطئ خطأ تاريخيًا كبيرًا بقوله إنّ الهجوم في بدر كان على قافلة مكية

جميع المصادر الإسلامية أجمعت على أنّ أبا سفيان غيّر طريقه عندما علم بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض المهاجرين والأنصار إلى بدر لاعتراض قافلته، ونجا بالقافلة ، وأقر بهذه الحقيقة

[1] – المصدر السابق . ص 32–33.

المستشرقون إلاّ أنّه لغرض في نفسه غالط برنارد لويس الوقائع والحقائق التاريخية وقال " وفي آذار من سنة 624 م ، فاجأ ثلاثمائة مسلم ، بقيادة محمد قافلة مكية في بدر، وفاز الغزاة بأسلاب وافرة ، ومجَّد القرآن أعمالهم التي كانت تنفيذًا لإرادة الله "[1]

ثم يتحدث عن آثار ونتائج غزوة بدر فيقول: "وساعدت معركة بدر في تثبيت المجتمع الإسلامي ، كما كانت نقطة البداية لنوع جديد من الوحي ، فمنذ ذلك الوقت أصبحت الآيات تختلف جد الاختلاف عن الآيات المكية ، تناولت الآيات الجديدة مشاكل الحكم العملية ، وتوزيع الغنائم ، وما شاكل ذلك ، وقد جعل نصر بدر من الممكن قيام رد فعل ضد اليهود ، وبالتالي ضد النصارى الذين اتهموا الآن بتحريف كتبهم المقدسة ، لكي ينفوا النبوءات التي تبشر بظهور محمد وأخذ الإسلام نفسه يتطور، فقد بدأ محمد ينشر دينًا جديدًا بصفته خاتم النبيين ، وأصبح الدين الجديد عربيًا بكل ما في الكلمة من معنى ؛ إذ أصبحت الكعبة مكانًا للحج ، فقد صار فتحها واجبًا دينيًا .[2]

وهكذا نجد لويس قد أثار عدة شبهات في هذه الأسطر القليلة وهي :

1. أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم سطا على قافلة أبي سفيان في بدر رغم أنّ هذا لم يحدث ، وقد أثبتت الروايات ذلك ، وأقر بها المستشرقون من مستشرقي المدرسة الإنجليزية على وجه الخصوص ، ولكن لأنّ لويس قال قبل أسطر قليلة أنّ الهدف من الغزوات هو السطو ، فكيف تحدث موقعة بدر ، وهي أول أوّل ولا يكون فيها

[1] – العرب في التاريخ . ص58.

[2] – العرب في التاريخ . ص58.

سطو مع أنّ جميع الغزوات التي حدثت ابتداء من بدر إلى مؤتة وتبوك لم تكن من أجل اعتراض قوافل ، وكما بيّنتُ سابقًا أنّ المواقع والسرايا التي سبقت بدر كانت من أجل إضعاف قريش اقتصاديًا وزعزعة الأمن في طرق قوافلها ، وإضعاف هيبتها ، ولم يحدث في تلك الغزوات والسرايا استيلاء على غنائم ، وإنّما كانت هناك معاهدات صلح مع القبائل ، وذلك لتأمين المسلمين في المدينة باستثناء سرية وادي نخلة ، التي لم يكن الهدف منها قتال ، وإنمّا استقصاء أخبار، وموقعة بدر حدثت لأنّ كفار قريش هم الذين أصروا على الحرب وتوجهوا إلى بدر رغم علمهم بنجاة قافلة أبي سفيان. وأحد والخندق قريش هي التي جاءت بنفسها في أُحد للانتقام لما حدث لها في بدر، وجاءت مع قبائل أخرى للقضاء على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وتضامن معهم يهود بني قريظة ، أمّا صلح الحديبية فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم بقصد العمرة وليس الحرب ، فكيف يُطلق عليها غزوات ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يذهب إلى بلادهم لغزوهم ، وإنّما هم قدموا إليه ، وغزوه.

أمّا مواجهات صلى الله عليه وسلم ضد اليهود ، فلأنّ اليهود نقضوا العهود والمواثيق وتآمروا أكثر من مرة على قتله صلى الله عليه وسلم ، وألبوا الأحزاب ضده. وغزوة خيبر كانت لابد أن تحدث لأنّ اليهود في خيبر أخذوا يحرضون القبائل ويعدون العُدة لحرب أحزاب ثانية . فالهدف من الغزوات هو محاربة من يحارب الإسلام ، ويتآمر على قتل النبي صلى الله عليه وسلم لإخماد دعوته والقضاء على دين الإسلام .

2. اختلاف الوحي المدني عن الوحي المكي ، لم يختلف فجأة ، وإنّما كما نعلم أنّ القرآن نزل كاملًا وجملة واحدة في السماء الدنيا ليلة السابع والعشرين من رمضان "ليلة القدر" ثم نزل منجمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفق ما يحدث من أحداث في سابق علم الله ، وأنّها ستحدث ، لأنّ الله جل شأنه هو مسبب الأسباب ، ومن الطبيعي أن يكون الوحي المدني يختلف عن الوحي المكي لاختلاف الظروف ، فالدور المكي كان بداية الدعوة ، وكما نعلم أن تبليغ الدعوة كان على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى كانت سرية، والمرحلة الثانية يمثلها قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [1]، ثم المرحلة الثالثة ، وهي الجهر بالدعوة ، أما الدور المدني فكان فيه تأسيس دولة وقيام مجتمع إسلامي لابد أن تضع أسس وقواعد لتلك الدولة ، وهذا المجتمع وفق قيم ومبادئ الإسلام فجاءت التشريعات لوضع أسس نظام الحكم والإدارة والنظام المالي والحربي والاجتماعي والحدود والعقوبات ، وإكمال العبادات ، ولكن لا يعني هذا أنّ الوحي المكي لم يشمل على تشريعات فالصلاة والزكاة شرعتا في مكة ، والمرحلة الأولى من تحريم الربا نزلت في مكة وكثير من الأحكام والعبادات كصلاة الجمعة .

3. أن نصر بدر جعل من الممكن القيام برد فعل ضد اليهود، وهذه الشبهة لم يوجهها لويس وحده كذلك وجهها المستشرقون الإنجليز

---

[1] ـ الشورى : 214.

مثل الفريد جيوم ؛ إذ قال: وفي ذلك الوقت بدأ محمد سلسلة من العمليات كان هدفها إجلاء اليهود من الحجاز.[1]"

وكذلك جب وكالمرز ؛ إذ قالا " من ثم أدى نشاطًا أكبر واستطاع أن يستغل المزايا التي ظهر بها ، وبعد أن رسم برنامجه المذكور في سورة الأنعام "55 وما بعدها " بدأ يحاصر بني قينقاع [2] .

وكذلك وات إذ قال عن محاربة الرسول صلي الله عليه وسلم لليهود في المدينة "الواقعة الأولى المهمة هي حصار قبيلة القينقاع وطردها، ذكر محمد بعد عودته من بدر دعوته لليهود مشيرًا إلى الخسائر الضخمة التي تكبدتها مكة .[3]

وهؤلاء وغيرهم تجاهلوا نقض اليهود للعهود التي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وإعلان يهود بني قينقاع جهرًا وأثناء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم معهم في سوقهم أنّهم أشد شراسة من مشركي مكة ، وأنّه لم يلق في بدر محاربين وهذا نص ما قالوه "لا يغرك يا محمد أنّك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس" فهذا إعلان صريح منهم بالحرب ، إذن لو لم ينقض اليهود في المدينة ما بينهم وبين الرسول من عهد ولم يحرضوا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ويتآمروا علي قتله ، ويألبوا الأحزاب ضده لما أخرجهم وأجلاهم عن المدينة .

---

[1] – جيوم ، الفريد . الإسلام . ص 43.

[2] – يقصد قوله تعالى : (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ* قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)"[الأنعام : 55-56.]

[3] – الموسوعة الميسرة . 2 / 93.

كارين آرمسترونج تقرر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن القائد الحربي للأمة

بعدما تتحدث كارين عن أسباب الغزوة وتحرك قريش وحشدها ألف مقاتل وتحركهم متوجهين نحو بدر نجدها تقرر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن القائد الحربي للأمة فتقول: "وحينما سمع محمد تلك الأخبار المخيفة قام بعقد مجلس حرب ، ولما لم يكن محمد القائد الحربي للأمة ، لذا لم يكن بوسعه إقرار أفضل الوسائل لمواجهة تلك الأزمة الطارئة دون التشاور مع الرؤساء الآخرين ."[1]

ثم نجدها تشير إلى موقف الأنصار وتذكر كلمة سعد بن معاذ كاملة التي أغفلها وات ، بل وألغاها من التاريخ ليقرر أنّ الأنصار لم يعاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية على الدفاع عنه خارج المدينة ."[2]

ثم نجدها تذهب خلاف ما ذهب إليه "وات" فتقرر أنّ أهل قريش لم يكونوا محاربين فتقول: "ولم يكن أهل قريش بالمحاربين ، ولم يكونوا مؤثرين أو متمرسين في ميدان القتال "[3]، ثم تعود وتقول: ولم يكن محمد قد رأى الجيش المكي ، ولم تكن لديه فكرة عن عدوه، وربما لو كان الأمر كذلك لعدّل رأيه بشأن القتال ."[4]

ثم نجد هذه المستشرقة تشير إلى ما لم يشر إليه مستشرقو مدرستها ؛ إذ تشير إلى زخ المطر وأثره في تسهيل حركة المسلمين ، بينما صعّب

---

[1] – آرمسترنج ، كارين . محمد . ص 261.

[2] – المصدر السابق . ص 261.

[3] – المصدر السابق والصفحة ذاتها.

[4] – المصدر السابق والصفحة ذاتها.

حركة المكيين الذين كان عليهم أن يجاهدوا كي يتسلقوا التل[1] ، كما نجدها تشير إلى التكتيك الجديد الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة ، فتقول "أما جيش المسلمين ، فقد كان يخضع للتنظيم الشديد ، كما أنهّم كانوا في حالة استبسال دفاعي ، وكانوا قد تم تدريبهم بعناية من قبل محمد ، وفجأة أظهر محمد مخططًا حربيًا تكتيكيًا بارعًا ، فقد وضعهم في تنظيمات متلاصقة بدأت بإمطار العدو بالسهام ."[2]

ثم تتحدث عن مشاركة الملائكة في القتال مبينة أن ذلك أسباب النصر، فتقول: "كما أنّ النصر غير المتوقع أو التغير المفاجئ في الأقدار في تاريخ الحروب المقدسة في الديانات التوحيدية الثلاث ، يبدو أنّه فعل إلهي يملأ القوم دومًا بالثقة والاقتناع ومثلهم مثل الصليبيين في موقف مشابه ، تعرض المسلمون لما يشبه ما قد يطلق عليه في الغرب الهلوسة الجماعية ، ورأوا جحافل من الملائكة تقوم بمساعدتهم ، ومن منظور لهم متأخر عن الحدث بدا لهم كل شيء من ترتيب الله ، فقد قادهم الله للنصر رغمًا عنهم تقريبًا ، فلم يكونوا متوقعين أن يخوضوا معركة ، كما أنّهم كانوا غير متحمسين للقتال ، وحتى جهلهم بالتفوق العددي لعددهم بدا لهم جزءً من خطة إلهية وحدث في لحظة ما أثناء القتال ، أن ألقى محمد بحفنة من الجمرات على العدو، فيما بدا ، وكأنّه فعل طقوسي تقليدي ، لكن بعد النصر صوّر القرآن ذلك الفعل ومحمد وصحبه على أنّهم مجرد وسيلة لتنفيذ إرادة الخالق، (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[3]، وكانت

---

[1] – المصدر السابق والصفحة ذاتها.

[2] – السابق , ص 264.

[3] – الأنفال :17.

قضية المسلمين حتى بدر تبدو كأنها أمر ميئوس منه لكن بعد ذلك النصر تملكت المسلمين الثقة والبهجة ، وبدا كأن شيئاً لم يقف في سبيلهم (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِأْئَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مِّنكُمْ مِّأْئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ* الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُمْ مِّأْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِأْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[1]، ثمّ تتحدث عن المعجزات الإلهية وموقف الإنسان الغربي المعاصر منها فتقول : "وقد تبدو فكرة تدخل الله في مسار التاريخ وفي المعركة غريبة وغير محببة "للقارئ الغربي المعاصر" ، لكن مثل تلك الأفعال الإلهية عامل حاسم في التقاليد الدينية التوحيدية ، ففي اليهودية والمسيحية فسرت أحداث جارية على أنّها تجليات إلهية ، واعتقد أنّ الله قد تجلى في تلك المعارك ، والتقلبات السياسية والإنجازات وأصبحت بعض الأحداث لحظات صد وتمت أسطرتها "أي تحويلها إلى أسطورة" حتى أصبحت محملة بأهمية رمزية غيرت تمامًا من طبيعة ما حدث، وتضرب على ذلك مثلًا ، فتقول: "حادثة غرق فرعون وجيشه في البحر الأحمر، وقد رأى كاتبوا المزامير والأنبياء، والحكماء جميعًا تلك الحادثة على أنّها اقتحام إلهي للتاريخ أصبح نوعًا من الخلاص، وقد جرى تأمل تلك الواقعة من جانب المسيحيين ورأوا فيها رمزًا بنبئ بخروج المسيح من الموت إلى الحياة ، كما أصبحت أيضًا نمطًا لعملية التعمير الذي يسجل انتقال المسيحي من حالة اليأس والضياع إلى حالة أمل وحياة جديدة ، ويسمي عبور البحر الأحمر في القرآن الكريم بالفرقان وهو لفظ دال على الخلاص وفصل ما هو عادل عما

[1] – الأنفال :65 – 66. .

هو ظالم ، وقد سمى القرآن نفسه بالفرقان ، لأنّه بدَّل حياة المؤمنين حيث فصلهم بطريقة فجائية عن أهلهم."

ثم نشير إلى نقطة هامة لم يشر إليها كثير من الباحثين المسلمين، وهي نزول القرآن بصورة مواكبة للحدث في بدر ، فتقول: "كما أنّ تنزيل القرآن وحضوره بصورة مواكبة للحدث بحيث كان مرشدًا للأمة ومؤولًا للأحداث ، تذكرة بالحضور الإلهي الغامض ، وتدخله في الأمور الدنيوية بأسلوب فاصل ، وكذلك أصبحت معركة بدر " فرقانًا ، أي آية على الخلاص فقد فصل الله بين العدل والظلم بانتصار المسلمين ." [1]

ثم تتحدث عن إحسان معاملة أسري بدر مشيدة بالتعاليم الإسلامية التي تحث على الإحسان إلى الأسرى كأفراد وأسرهم ، وما أثمرت هذه المعاملة الحسنة من الإسلام بعض هؤلاء الأسرى،وما قالته كارين عن معاملة أسرى بدر شهادة من راهبة مسيحية في عصرنا الحاضر عن حُسن معاملة الإسلام للأسرى تقول كارين "غير أنّ بقية الأسرى احضروا إلى المدينة آمنين ، ومُنحوا إقامة إنسانية في منازل الأشخاص الذين أسروهم ، وبعد ذلك مباشرة أتى القرآن بسياسة إنسانية في منازل الأشخاص الذين أسروهم ، وبعد ذلك مباشرة أتى القرآن بسياسة إنسانية تجاه أسرى الحرب ، فأمر ألا تساء معاملتهم بأي شكل ، فإمّا أن يطلق سراحهم وإما أن يفتدوا ، وإذا لم تتوافر الدية لأسير فبإمكانه العمل وكسب المال لشراء حريته ، كما حثَّ آسريهم على معاونة سجنائهم بدفع الفدية من مالهم الخاص ، كما أنّ إعتاق الأسرى امتدح كعمل خير فاضل، وفي حديث نبوي لاحق يأمر الرسول المسلمين أن يعاملوا أسراهم كأفراد في أسرهم ، ويقول الحديث ما معناه "فلتطعموهم ، كما تطعمون أنفسكم، ولتلبسوهم مما تلبسون أنفسكم ،

[1] – المصدر السابق . ص 263.

ولا توكلوا إليهم المشاق ، وعاونوهم فيما تكولونه إليهم " [1]و"وأثرت تلك المعاملة الإنسانية العادلة ، وتأثر بعض الأسرى بأسلوب المعاملة في الأمة فاعتنقوا الإسلام[2] .

[1] – كارين . محمد . ص 269–270.

[2] – المصدر السابق , ص 270.

موقعة أُحد

مكانها: جبل أُحد ، يقع في شمال المدينة ويبعد عن المسجد النبوي الشريف خمسة كيلو مترات ونصف الكيلو متر، بدء من باب المجيدي أَحد أبواب المسجد النبوي الشريف، ويتكون أُحد من صخور جرانيتية حمراء وله رؤوس متعددة ، ويقابله من جهة الجنوب جبل صغير يسمي "عينين" وهو الذي عرف بعد المعركة بجبل الرماة وبين الجبلين واد عرف بوادي قناة .[1]

زمان حدوثها : اتفق كتّاب السيرة على أنّ أُحداً كانت في شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، واختلفوا في اليوم الذي وقعت فيه ، وأشهر الأقوال أنّها في يوم السبت النصف من شوال .[2]

أسبابها

خرجت قريش لقتال المسلمين في أحد للسببين التاليين :

1. استهدفت الثأر لقتلاها ببدر واستعادة مكانتها عند العرب بعدما زعزعتها بدر .
2. إنقاذ طرق التجارة إلى الشام من سيطرة المسلمين ، إذ استمر الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة فرض الحصار الاقتصادي على قريش، فقد غزا الرسول صلى الله عليه وسلم بحران من ناحية الفُرع على الطريق التجارية بين مكة والشام ولم يقع قتال.

---

[1] – العمري ، د . أكرم . المجتمع المدني في عهد النبوة " الجهاد ضد المشركين " . ص 65.

[2] – المرجع السابق . ص 65.

وعندما حاولت قريش الإفادة من الطريق التجارية عبر نجد تجاه العراق للإفلات من الحصار الاقتصادي ، فخرج أبو سفيان في تجار من قريش في تجارة معظمها من الفضة ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقي القافلة في ماء من مياه نجد يدعى القَردة ، ففر الرجال تاركين القافلة غنيمة له [1]، وكان ذلك بعد ستة أشهر من يوم بدر الكبرى [2]،وذكر ابن سعد أنّ جند زيد ابن حارثة كانوا مائة، وأنّ القافلة كانت تحمل وزن ثلاثين ألف درهم من الفضة، وأنّ قيمتها بلغت مائة ألف درهم[3] ، وبذلك فشلت خطة قريش في إيجاد طريق جديد لتجارتها، وهكذا أحكم الحصار الاقتصادي عليها وأحست بشدة وطأته على اقتصاد مكة التجاري فكان لابد أن تقوم بعمل حاسم لإنقاذ اقتصادها وسمعتها[4] .

لهذه الأسباب جميعها خرجت قريش لمحاربة المسلمين مرة ثانية ، وقد ذكر ابن إسحاق عن جمع من شيوخه أنّ قريشًا أعدت لغزوة أحد منذ هزيمتها ببدر حيث خصصت القافلة التجارية التي نجت أو أرباحها لتجهيز جيشها ، ويذكر ابن إسحاق أنّهم أخرجوا معهم ثماني نسوة سماهن [5]في حين يذكر الواقدي أنّهن أربعة عشر سماهن[6] ، وبلغ عدد جيش قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم مئتًا فرس جعلوا على ميمنتها خالد بن الوليد ، وعلى

---

[1] – سيرة ابن هشام 50/3 ، ابن سعد . الطبقات 36/2 . الطبري . تاريخ الطبري 2/ 492 ، ابن سيد الناس . عيون الأثر 36/1 ، ابن كثير " البداية والنهاية " 5/4.

[2] – ابن كثير . البداية والنهاية .8/4.

[3] – ابن سعد . الطبقات 3/ 55.

[4] –العمري، د . أكرم . مرجع سابق . ص 62.

[5] – سيرة ابن هشام . 3/ 62.

[6] – الواقدي . المغازي 1/ 202–203 ، وقد ذكر ابن سعد، خمسة عشر 2/ 36 ، بينما ذكر الطبري عن الواقدي أنهن خمسة عشرة،504–506.

ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وكان فيهم سبعمائة دارع ،[1]ويتكون هذا الجيش من قريش ومن أطاعها من كنانة وأهل تهامة رؤيا رسول الله صلي الله عليه وسلم .

علم المسلمون بقدوم جيش المشركين لغزو المدينة ورأي الرسول صلي الله عليه وسلم رؤيا ، ورؤيا الأنبياء حق وهي من الوحي حكاها لأصحابه ، فقال:" رأيت في رؤياي أني هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أُحد، ثم هززته أخري فعاد كأحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت بقراً – والله خير – فإذا هم المؤمنون يوم أُحد رواه البخاري [2].

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا بأنّ هزيمة تكون في أصحابه وقتلًا يقع فيهم ، وفي رواية ابن إسحاق " ورأيت أني دخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ".

مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه

لقد شاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في البقاء في المدينة والتحصن فيها ، أو الخروج لملاقاة جيش قريش، فقال: "إنا في جُنة حصينة" ، فقال أناس من أصحابه من الأنصار: يا نبي الله إنّا نكره أن نقتل في طرق المدينة ، وقد كنا نمنع من الغزو في الجاهلية ، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه ، فأبرز إلى القوم فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته[3] ، فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله صلى الله عليه وسلم يأمر وعرضتم بغيرهر، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه

---

[1] – ابن سعد . الطبقات 2/ 37 ، تاريخ الطبري 2/ 205.

[2] – سيرة ابن هشام . 3/ 62.

[3] – اللأمة : الدرع الحصينة وسائر أداة الحرب.

وسلم "أمرنا لأمرك تبع" فأتى حمزة فقال له: "يا نبي الله أن القوم قد تلاوموا فقالوا : أمرنا لأمرك تبع " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنّه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز [1] "رواه ابن إسحاق .

ومن هنا يتضح لنا الآتي :

1. أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشاور أصحابه فيما لا نص فيه ليعودهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة .
2. أنّه عوّد أصحابه على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي ، ولم يحدث أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لام أحدًا لأنّه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه ، فأخذ الشورى من أسس الحكم في الإسلام – كما سبق وأن مر بنا – إذ جاء في قوله تعالى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[2]

وهذا الموقف يبين لنا الوعي السياسي لدى صحابته رضوان الله عليهم، فرغم أنّ لهم حرية إبداء الرأي ، إلاّ أنّه ليس لهم فرضه على القائد ، وحسبهم أن يبدوا رأيهم وللقائد حرية اختيار ما يترجح لديه من الآراء ، فلما رأوا أنّهم ألحوا في الخروج ، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عزم على الخروج بسبب إلحاحهم ، عادوا فاعتذروا إليه ، لكن الرسول الكريم علمهم درسًا آخر، وهو من صفات القيادة الناجحة ، وهو عدم التردد بعد

---

[1] – سيرة ابن هشام : 3/ 63 وحكم عليه الألباني في فقه السيرة بصحته " د . أكرم العمري، مرجع سابق، ص 67.

[2] – آل عمران : 159.

العزيمة والشروع في التنفيذ فإنّ ذلك يزعزع الثقة بها ،ويغرس الفوضى بين الأتباع، وكان رأي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن وافقه مبنيًاعلى الإفادة من حصون المدينة في الدفاع ، ممّا يقلل خسائر المدافعين، ويزيد في خسائر المهاجمين، ثمّ الإفادة من طاقات سائر السكان حتى الذين لا يستطيعون القتال في الميادين المكشوفة من النساء والصبيان ،بينما كانت وجهة نظر الراغبين في الخروج إظهار الشجاعة أمام الأعداء ورغبة الذين فاتتهم المشاركة في غزوة بدر أن يشاركوا في موقعة مماثلة[1] .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من المسلمين منهم فرسان فقط ومائة دارع [2] في ثلاثة ألوية، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ودفع لواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر، ويقال إلى سعد بن عبادة، ودفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ويقال إلى مصعب بن عمير [3]رضي الله عنهم جميعًا ، واستعمل ابن مكتوم على الصلاة في الناس[4] ، حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأُحد تخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس ، وقال أطاعهم وعصاني ما ندري "علام" نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة فيقول: "يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أن يكون قتال، قال: فلما استعصوا

---

[1] – العمري ، د . أكرم . مرجع سابق . ص 67–68.

[2] – ابن سعد . الطبقات 39/2، الطبري 505/2.

[3] – ابن سعد الطبقات . 38/2–39.

[4] – سيرة ابن هشام . 64/3.

عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه [1] .

وفي رواية لابن إسحاق مرسلة عن الزهري أنّ الأنصار يوم أُحد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال : " لا حاجة لنا فيهم ."[2]

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بعدوة الوادي ، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد وجعل وراده الرماة وهم خمسون رجلاً، وأمر عليهم عبد الله بن جبير [3]، وأوعز إليهم، فقال: "قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا .[4]

واقتتل الناس قتالًا شديدًا ، وأمعن في الناس حمزة وعلي وأبو دجانة في رجال من المسلمين وأراد الله نصره للمسلمين ، وكانت الهزيمة على المشركين وهرب النساء مصعدات في الجبل ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون[5] ، ويأخذون ما فيه من الغنائم وتكلم الرماة الذين على عينين واختلفوا بينهم وثبت أميرهم عبد الله بن جبير في نفر سيردون العشرة مكانهملا ، وقال: لا أجاوز أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [6]، فقالوا لم يُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ، قد انهزم المشركون فما مقامنا هاهنا، فانطلقوا يتبعون العسكر ينتهبون معهم وخلوا الجبل ، ونظر خالد بن الوليد

---

[1] – سيرة ابن هشام 64/3 ، ابن الأثير . الكامل ،45/2–46..

[2] – سيرة ابن هشام . 64/3.

[3] – ابن الأثير .الكامل . 46/2–47.

[4] – ابن سعد . الطبقات . 39/2–40.

[5] – ابن الأثير . الكامل . 48/2.

[6] – فأنزل الله تعالى " منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة."

إلى كلاء الجبل وقلة أهله فكرَّ بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم، وقتل أميرهم عبد الله بن جبير رحمه الله، وانتقلت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم ومالت الريح فصارت دبوراً، وكانت قبل ذلك صبًا.[1]

وفي المرحلة الأولى من القتال استشهد حامل اللواء مصعب بن عُمير فأخذه علي بن أبي طالب[2] ، وقاتل الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أُحد قتالًا شديدًا ، فرمى النبل حتى فني نبله ، وانكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره، وكُسرت رباعيته السفلى صلي الله عليه وسلم وشقت شفته وكُلم في وجنته وجبهته في أصول شعره ، ولما جُرح رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول :"كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله [3] ، وقاتل دونه نفر خمسة من الأنصار فقتلوا ، وترَّس [4]أبو دجانه – الذي أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم سيفه ليقاتل به في أُحد - رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه ، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناوله السهم ويقول: "ارم فداك أبي وأمي"، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فكانت أحسن عينيه[5] ، وعلا بن

---

[1] – طبقات ابن سعد . 42/2.

[2] – بشرح خليفة بن ضياحا ص 67 ، وفي رواية من مرسل سعيد بن سيب ومراسيله قوية كما تقدم لنا، تاريخ الطبري :،2/ 516 ابن الأثير: الكامل 50/2 أما ابن سعد فإنّه يرى أنّه لما استشهد مصعب حمل اللواء ملك في صورته "الطبقات 42/2.

[3] – ابن الأثير .الكامل . 49/2–51.

[4] – ترَّس : أي صير نفسه ترساً يقيه النبل.

[5] – ابن الأثير . الكامل . 5/2.

قيئمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفه فضربه به على شقه الأيمن ر، واتقاه طلحة بن عبيد الله بيده فشلت أصبعه، وادعي ابن قيمئة أنّه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقى المهاجرون والأنصار ما بأيديهم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : "ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد رسول الله قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم "، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل [1] ، فوجدوا به سبعون ضربة وطعنة ، وما عرفه إلا أخته عرفته بحسن بنانه [2] ، ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين هذه الآية (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [3]

وقد خرجت بعض النسوة مع جيش المسلمين إلى أحد منهن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية التي اضطرت للقتال دفاعًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرحت جراحًا كثيرة [4]، وكانت حمنة بنت جحش الأسدية تسقي العطشى وتداوي الجرحى[5] ، وثبت أن أم سليط كانت تحمل قرب الماء لسقاية المسلمين .[6]

ورغم ما أصاب المسلمين من جراح ، وما لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم من أذى فقد استمر القتال بين الطرفين وأجهد الجانبين ، وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالانسحاب نحو شعاب أُحد وقد لحق به المسلمون

---

[1] – الطبري . تاريخ الرسل والأمم والملوك 2/ 517 ، ابن الأثير 2/50– 51.

[2] – ابن الأثير . الكامل . 51/2.

[3] – الأحزاب : 23.

[4] – سيرة ابن هشام : 81/3.

[5] – مغازي الواقدي 1/ 249،ابن حجر: الإصابة ،88/8.

[6] – ابن حجر: الإصابة ،408/8.

حتى صعد في أحد شعابه ، وتمكن المسلمون من المشركين عنه ، وقد ثبت أنّ الله تعالى أرسل جبريل وميكائيل من الملائكة ليقاتلا عنه لأنّ الله تعالى تكفل بعصمته من الناس ، ولم يصح أنّ الملائكة قاتلت في أُحد سوى هذا القتال ، وأنّ الله تعالى يمدهم لأنّه جعل وعده معلقًا على ثلاثة أمور: الصبر والتقوى وإتيان الأعداء من فورهم ، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد [1] (إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)[2]

ولما يئس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم، وتعبوا من طولها، ومن جلادة المسلمين فكفوا عن مطاردة المسلمين في شعاب أُحد ، ولكن أبا سفيان تقدم في المسلمين وخاطبهم فقال: "أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أتى القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أتى القوم ابن الخطاب؟ فقال : إنّ هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا .

فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: أعلى هُبل: فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال: أبوسفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي أجيبوه قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال ، وتجدون مثله لم آمر بها ، ولم تسؤني وفي رواية قال عمر: "لا سواء قتالنا في الجنة وقتلاكم في

---

[1] – تفسير ابن كثير :ص 409.

[2] – آل عمران : 123–125.

النار". هذا وقد كان السكوت إجابة أبي سفيان في البداية تصغيرًا له حتى انتشى ، وملأه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر وردوا عليه بشجاعة [1]، ويقر ابن إسحاق والواقدي أنّ أبا سفيان، وأعدهم لحرب أخرى بعد عام، وأنّهم وافقوا على الموعد .

وذكر ابن إسحاق والسُدي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل عليًا ليعرف وجهة قريش ، وهل تنوي غزو المدينة أم العودة إلى مكة[2] ، إلاّ أنّ قريشًا رضيت بما أحرزت من انتقام دون أن تتطلع إلى نصر حاسم يتعقب المسلمين في شعاب أُحد والقضاء عليهم قضاء تامًا أو بغزو المدينة .[3]

شهداء أحد

عندما غادرت قريش المكان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدفن الشهداء وكانوا سبعين شهيدًا[4] ، وأُتي له بحمزة بن عبد المطلب فلم يغسله ، ولم يغسل الشهداء وقال لفوهم بدمائهم وجراحهم، أنا الشهيد على هؤلاء، فكان حمزة أول من كبّر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أربعًا ثم جُمع إليه الشهداء ، فكان كلما أتي بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة[5] ، ودفنوا شهداء أُحد حيث استشهدوا وسميت المنطقة بـ "سيد الشهداء" ، وتعرف الآن بهذا الاسم "سيد الشهداء وهو سيدنا حمزة رضي الله عنه" ، ويزور قبور شهداء أحد أهالي المدينة المنورة ، وكذلك والحجاج والمعتمرون .

---

[1] – العمري، د . أكرم . مرجع سابق . ص 81.

[2] – سيرة ابن هشام . وتفسير الطبري.

[3] – العمري، د . أكرم . مرجع سابق ص 81.

[4] – ذكرهم إبن إسحاق 65 شهيدًا وأضاف عليهم ابن هشام خمسة، فذكر أن الشهداء من الأنصار 70 شهيدًا ، وثمانية من المهاجرين ، 42/2–43، وذكر الواقدي أنّهم 74 شهيدًا.

[5] – ابن سعد . الطبقات، 44/2 . وفي رواية ابن إسحاق

وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنًا شديدًا على شهداء أُحد ، ولكن كان حزنه أشد على عمه حمزة بن عبد المطلب الذي مُثل به ، إذ أخرجت هند بن عتبة زوج أبي سفيان كبده ولاكتها ، كما حزنت عليه شقيقته صفية بنت عبد المطلب وبكته نساء الأنصار.

وعندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم بإمرة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرنيه حتى أنظر إليه، قال : فأشير لها إليه إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل – تعني صغيرة .[1]

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحيبًا وبكاءً لأهل المدينة على قتلاهم فقال: لكن حمزة لا بواكي له. فبكته نسوة الأنصار، فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ، ونهاهم عن النياحة أشد ما يكون النهي ، وبذلك حُرمت النياحة على الميت إلى الأبد ، ولم يؤذن سوى بدمع العيون[2] .

وقد نزل في شهداء أُحد قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[3] ، وكذلك نزل قوله تعالى تخفيفًا لجراح المسلمين ، وإزالة آثار أُحد المحزنة معزيًا لهم (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[4]

---

[1] – سيرة ابن هشام : 99/3.

[2] –رواه أحمد في سنده والحاكم في سنده " د . العمري . مرجع سابق . ص 84.

[3] – آل عمران : 169.

[4] – آل عمران : 139.

وقوله جل شأنه : (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)[1]

وقوله جل شأنه : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[2] ، وقد نزلت 85 آية في سورة آل عمران حول وقعة أُحد. هذا ومما تجدر الإشارة إليه لم يقع أسرى من المسلمين في هذه الوقعة.

تعقب كفار قريش في حمراء الأسد [3]

كان المسلمون يواجهون في المدينة اليهود والشامتين والمنافقين ، والمرجفين ويواجهون في أطراف المدينة الأعراب المشركين الذين كانوا يتطلعون بشراهة إلى ثمار المدينة وخيراتها ، وكان ثمة احتمال أن تندم قريش فتعود لمهاجمة المدينة ، وقد فكر بالفعل المشركون في الكرة مرة أخرى على المسلمين ليقضوا عليهم قضاءً مبرمًا، وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بنيتهم ندب الناس إلي المسير إلى لقائهم ، وقال: "لا يخرج معنا إلا من شهد القتال ، فاستجاب له المسلمون ، رغم إصابة الكثير منهم بالجراح ، ولم يأذن لسواهم بالاشتراك في حملة المطاردة هذه سوى جابر بن عبد الله لما أخبره أن أباه خلفه على أخواته فلم يشهد أحدًا ، وقد سارع سبعون من الصحابة للاشتراك ، ثم بقية الجيش فصار عددهم ستمائة وثلاثين . وقد أثنى القرآن الكريم على مبادرتهم بالخروج قال تعالى (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ

---

[1] – آل عمران : 140.

[2] – آل عمران : 142.

[3] – تقع حمراء الأسد على بُعد 8 أميال من المدينة على الطريق إلي مكة.

وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ)[1] ، وروى البخاري أنّ الزبير وأبا بكر كانا من هؤلاء عن السيدة عائشة رضي الله عنهم جميعًا

ويذكر ابن إسحاق أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أقام بحمراء الأسد ثلاثة أيام هي "الإثنين والثلاثاء والأربعاء" وأنّ معبد الخزاعي مر به ، ثم لقي أبا سفيان والمشركين بالروحاء – ولم يعلم بإسلامه ، وقد اعتزموا العودة لاستئصال المسلمين ، فخذلهم وأخبرهم بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد ونصحهم بالعودة إلى مكة .[2]

وكانت هذه الغزوة في الثامن من شوال على رأس اثنين وثلاثين من الهجرة ، وقيل غير ذلك ؛ إذ قال ابن إسحاق : إنّها في يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال .[3]

إنّ خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد لم يشف من جراحه، يعد مظهرًا من مظاهر الكمال المحمدي من شجاعة وتحمل وصبر وعدم استسلام لأي مظهر من مظاهر الهزيمة وحُسن سياسته ، وبيانًا لفضل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وما كانوا عليه من طاعة وصبر وتحمل واستجابة لله وللرسول ، وفيه رد على مزاعم المستشرقين أنّ خروج المسلمين لقتال المشركين من أجل الغنائم ، فهاهم تسابقوا في أُحد وفي حمراء الأسد من أجل الجهاد في سبيل الله ، وليس من أجل غنائم قوافل قريش ، كما زعم ذلك المستشرقون عند خروج المسلمين إلى بدر.

وممّا لاشك فيه أنّ حمراء الأسد قد حققت الأهداف المرسومة بإظهار قدرة المسلمين على التصدي لخصومهم من الأعراب وقريش رغم ما

---

[1] – آل عمران : 172.

[2] – سيرة ابن هشام . 11/3.

[3] – المصدر السابق . 1 101.

أصابهم في أُحد، فإنّهم إذا كانوا قادرين على التحرك السياسي والعسكري خارج المدينة، فهم أقدر على مواجهة اليهود والمنافقين داخلها. [1]

موقف المدرسة الاستشراقية الإنجليزية من موقعة أُحد

عند دراستنا لموقف مستشرقي المدرسة الإنجليزية من يوم بدر نجد أنّ مونتجمري وات أكثر المستشرقين الإنجليزي تحاملًا وتشكيكًا :

وليم موير يزعم أنّ شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أُحد شجاعة طارئة

أشار موير إلى أنّ السبب لهذه المعركة هو انتقام قريش لقتلاها في معركة بدر، واسترداد مكانتها وهيبتها بين العرب التي تضعضعت كثيرًا بعد هزيمتها في تلك المعركة ، وقد سرد تفاصيل المعركة وحوادثها ، وما حصل فيها طبقًا لما أوردته الروايات الإسلامية خاصة الواقدي وابن هشام . وركز بالخصوص على ذلك الخلاف الذي حصل بين المسلمين حول اختبار مكان المعركة ، وكيف أنّ الرسول وذوي الأسنان من قومه كانوا يفضلون استدراج القرشيين إلى المدينة لمحاربتهم في شوارعها ، وكيف أنّ الشباب كانوا يفضلون الخروج إليهم في جبل أُحد لمقارعتهم هناك ، وكيف أنّ الرسول وإن كان من أصحاب الرأي الأول إلا أنّه استجاب لحماس الشباب ، الأمر الذي نتج عنه انسحاب ابن أبي وأتباعه من المعركة ، وبعدما يصف موير شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم الشخصية إبان انهزام المسلمين عنه ، وتركه وحيداً أمام أعدائه الذين عقدوا العزم على الفتك به، ثم يقول في مناسبة أخرى: إنّه لم يتمتع بهذه الشجاعة طوال

[1] – العمري ، د . أكرم . المجتمع المدني في عهد النبوة " الجهاد ضد المشركين " . ص 86.

حياته ، وهو تناقض غريب ينبئك عن دواخل نفسه، وما يضمره من حقد على النبي ، وعندما يعدد "موير" نتائج معركة أُحد فإنّه لا يرى منها تضعضع إيمان المسلمين ونبيهم بصدق رسالته ، ولكن هذه الهزيمة كانت دليلًا على اختبار الله لقوة إيمانهم ، وحثهم على التجمل بالصبر في مواجهة الكوارث ، وليجعل الله منهم شهداء ، كما يرجع سبب الهزيمة إلى انقسام المسلمين قبل بداية المعركة ، وإلى عدم إطاعة الرماة لأوامر الرسول للبقاء في أمكنتهم، وإلى قوة قريش المعنوية والمادية التي صممت على الأخذ بثأر قتلاها في معركة بدر .[1]

أمّا ما أثاره موير حول شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من شبهة ، وأنّه لم يظهر شجاعة إلا في أُحد فقد سبق وأن رددتُ عليها في الدور المكي.

الفريد جيوم يلغي مبدأ الشورى ويجعله أمر وإرغام

أما الفريد جيوم فبعدما تحدث عن أسباب موقعة أُحد تحدث عن نزول الرسول صلى الله عليه وسلم على رأي الشباب بالخروج لملاقاة العدو بطريقة فيها إساءة إلى مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكأنِّي به يريد أن يصور ضعف موقفه صلى الله عليه وسلم ، والإساءة إليه ملغيًا مبدأ الشورى الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم يقول جيوم:" وفي السنة الثالثة للهجرة وقعت في يد الرسول قافلة غنية ، مما جعل قريشًا تصمم على القضاء على عدوها فجمعت قوة تتألف من ثلاثة آلاف رجل ، وسارت إلى المدينة، وعند ذلك أمر الرسول رجاله بالبقاء في داخل المدينة، وكان حكيمًا في ذلك – استخدام كافة المزايا التي يحققها لهم مركزهم الحصين

---

[1] – Muir life of Mohmmad p2 . v . 2 . ترجمة د . ساسي الحاج . الظاهرة الاستشراقية ،3/195-196.

حيث يستطيعون رمي العدو في الخلاء ، ولكن أتباعه ركبوا رؤوسهم فاضطر مرغمًا إلى التسليم لهم بما طلبوه من الخروج إلى العدو وقتاله ، فالتقى الفريقان المتحاربان في أُحد التي تبعد عن المدينة بنحو ميل ، واضطر المسلمون ، وكانوا نحو سبعمائة رجل إلى الفرار بعدما حققوا نصرًا مبدئيًا[1] .

وهكذا نجد الفريد جيوم حوّر مبدأ الشورى الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصحابة رضوان الله عليهم ؛ إذ عودهم أن يشاورهم فيما لم يرد فيه نص ليتعودوا على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة ، وشاورهم في البقاء في المدينة والتحصن فيها أم بالخروج لملاقاة العدو ، ورأى الشباب بحماس الخروج باستجابة لرغبتهم ليس مرغمًا ، فهو له هيبته ومكانته وليس الضعيف الذي يرغم بدليل أنّ الذين تحمسوا للخروج لاموا أنفسهم فيما بعد ، وقالوا لولا إلحاحنا لما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج إلى الأعداء ، وطلبوا من سيدنا حمزة رضي الله عنه أن يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّهم يتبعون رأيه، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد لبس لباس الحرب ولن يتراجع ، وذلك لأنّه عليه الصلاة والسلام لم يكن رسولًا ونبيًا وقائدًا فقط ، وإنّما كان مربيًا ومعلمًا ، فهو يريد أن يربي شباب الأمة ويعلمهم درسًا ، وهو أنّ من صفات القيادة الناجحة عدم التردد والتراجع بعد العزيمة والشروع في التنفيذ ، كما أراد أن يبين لهم نتائج رأيهم وإيجابياته وسلبياته ليستفيدوا من أخطائهم ، ونلاحظ أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما حدث ما حدث لم يلم أحدًا، أشار بالخروج لملاقاة العدو على رأيه ، والحقيقة أنّ موقعة أُحد كلها دروس وعبر .

---

[1] – جيوم ، الفريد .الإسلام . ص 44–45.

فليس هناك أمر وليس هناك إرغام وإنّما شوري وإعطاء الحرية في إبداء الرأي ومشاركة في مسئولية تنفيذ هذا الرأي ، وذلك امتثالًا لقوله تعالى : (وشاورهم في الأمر) ومبدأ الشورى الذي هو أساس من أسس الحكم في الإسلام والالتزام بتطبيقه تطبيقًا عمليًا – كما رأينا – في الأمور التي لم يرد فيها نص يغفله المستشرقون تمامًا ، وإذا أضطر إلى سرد حدث فيه إصرار للمشاورة ، وأخذ الرأي يحرفونه إلى اتجاه آخر ويعكسون الهدف منه ،كما فعل الآن الفريد جيوم ، أو يغفلون ويحذفون ما يجئ من حوار مثلما عمل وات عندما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الأنصار رأيهم فلم يشر وات إلى مقالة سعد بن معاذ .

هذا ونلاحظ أنّ الفريد جيوم أغفل تمامًا انسحاب عبد الله بن أبي وفرقته في الطريق قبل وصولهم إلى أحد ، وكان عددهم ثلث عدد الجيش الذي خرج من المدينة ، فهذه أيضًا مغالطة تاريخية من جيوم ، ومحاباة منه لزعيم المنافقين ، لأنّ انسحابه وصمة عار في جبينه لم يرد جيوم أن يلصقها به ، وهو حليف يهود وحبيبهم ؛ إذ حزن على إجلائهم وبكت يهود على وفاته .

أما قوله إنّ المسلمين اضطروا إلى الفرار، فهو قول مردود فالمسلمون يوم أُحد كما هو ثابت لم يفروا ، بل احتموا بالجبال بدليل أنّ المشركين بعدما مشوا من ساحة القتال جمع الشهداء وصلى عليهم ودفنوا حيث استشهدوا ، كما أنّه لم يؤسر مسلم واحد ، وذلك لأنّ الله لم يرد للإسلام أنّ يذل ويذل معتنقوه.

شهادة من الفريد جيوم على عظمة عمل الرسول صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد

بالرغم من حقد جيوم على الإسلام وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى الرغم من كثرة الشبهات التي أثارها حول الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنّه لم يستطع أن يخفي إعجابه بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد وصلابته وشدة عزيمته وشجاعته وقوة تحمله ، فقال قولة حق تعد شهادة لصالح الإسلام والرسول من رجل عادى الإسلام وعادى رسوله يقول جيوم: "لا شيء يصور روح الرسول العالية أكثر من إصراره على اقتفاء أثر عدوه في اليوم التالي ، فعلى الرغم من جراحه وجراح أتباعه، سار تجاه مكة ، وعندما عسكر إلى جوارها أمر بإشعال نار عظيمة حتى تضطر قريش إلى ملاحظة تحديه لها، وبقي هناك بضعة أيام، ثم كر عائدًا إلى المدينة ، وهذا العمل العظيم لا يمكن أن يخفف في رفع الروح المعنوية بين رجاله ، فقد كان عليه أن يواجه موقفًا حرجًا ."[1]

وبعد هذه الإشادة يثير شبهات :

وبعد تلك الإشادة بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم في صحراء الأسد يعود جيوم لإثارة شبهات ، فيقول: "وإذا كانت بدر دليلًا على وقوف الله إلى جانبه ، فماذا يقال في أُحد؟ لقد ارتفعت أصوات الحسرة والبكاء من كل جانب ، وكل من فقد أبًا أو أخًا لام محمد لأنّ له يدًا في فجيعتهم .

الرد على شبهات جيوم

إنَّ الله جل شأنه لم يتخل عن عباده المؤمنين الصادقين في أي موقع في أي زمان ، الله لم يتخل عن رسوله الكريم في أُحد وكان جبريل وميكائيل يدافعان عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان النصر

[1] – المرجع السابق . ص 45.

للمسلمين إلا أنه مخالفة بعض الرماة لأوامره صلى الله عليه وسلم ، ونزولهم من الجبل من أجل الغنائم ، وجعل ظهر المسلمين مكشوفاً لأنّه لم يبق على الجبل سوى قائدهم عبدا لله بن جبير وعشرة منهم ، فكان من السهل القضاء عليهم ، وبالفعل قتلوا ،وتمكن خالد بن الوليد من الصعود على الجبل ، وتغيرت دفة القتال ، فكانت هناك مخالفة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفة لأوامر القيادة ، فهل يكافئ الله هؤلاء المخالفين بأنّ ينزل ملائكته تحارب معهم وتدافع عنهم؟ .

إذا حدث هذا لا تحترم أوامر القادة ، في كل الأحوال "أحوال السلم والحرب" وتصبح الأمور فوضي ، فهناك خطأ فادح حدث وخلل كبير وقع ولابد أن يلقن الدرس جيدًا ليعوه جيدًا ، ولا يكرر ثانية ، فهذه الحكمة الإلهية من عدم مشاركة الملائكة في القتال في أحد.

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن المشركين لم يفكروا تعقب المسلمين وملاحقتهم للقضاء عليهم ولعل الفريد جيوم قد تعجب من ذلك وتساءل : لماذا لم ينتهز المكيون فرصة نصرهم ليجهزوا على أعدائهم؟

- لأنّ الله جل شأنه كفهم عن المسلمين، ووجد فيما حدث درسًا كافيًا ليتعلموا كيف يطيعون قادتهم.

أمّا قول جيوم إنّ كل من فقد أبًا أو أخًا لام محمدًا ، لأنّ له يد في فجيعتهم ، فهذا قول مردود ؛ إذ قبلوا الأمر بالصبر واحتسابًا ، ولعل في موقف المرأة من بني دينار التي فقدت أباها وأخاها وزوجها رد كاف على مزاعم جيوم الباطلة ؛ إذ قالت لما نعوا لها: فهل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قال : أرني حقي أنظر إليه؟ فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل – تغني صغيرة .

فما دام الرسول صلى الله عليه وسلم بخير كل شيء ، يهون فداؤه ، النفس والولد والمال والأهل ، هذه محبة المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبة لا يحسها ولا يدركها غير المسلمين الصادقين في إسلامهم ، لأنّهم يحبونه ذات المحبة ، ألا يكفي أن يجعل أبا دجانه ظهره ترسًا يحمي به الرسول صلى الله عليه وسلم من سهام ونبال الأعداء؟ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقصود ، وكانوا يريدون قتله لأنّهم كانوا يعتقدون أن بقتله ستنتهي مشاكلهم ، وسيقضي على الإسلام، فتهافت الصحابة للدفاع عنه حتى نسيبة بنت كعب دافعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وجرحت جراحًا كثيرة ، فكيف يلومه أحد وهو قضاء الله وقدره ولم يحدث خطأ من الرسول صلى الله عليه وسلم في قرار اتخذه ، وإنّما كان نتيجة مخالفة البعض لأوامراه؟ .

جب وكالمرز يزّيفان في التاريخ ويغيران من حقائقه

لست أدري لماذا يحرّف المستشرقون الوقائع والأحداث ويزيفون الوقائع؟ وكيف يجرأون على ذلك؟ فها هو جب وزميليه يحوران مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه في أمر البقاء في المدينة والتحصن فيها أو الخروج لملاقاة العدو ، وكان من رأيه أنّ البقاء إلاّ أنّ الشباب كان متحمسًا للخروج ، فنزل عن رغبتهم لكثرة إلحاحهم. ولكم المستشرقيْن لم يوافق أهوائهما ما حدث فكتباه بما يوافقهما لا كما حدث فيقولان بعدما يقللان من شأن أبي سفيان كقائد للجيش قائلين: كان قليل الصلاحية للمهمة" بعيون وقحة ، وبرغم أنّ الكثيرين من أتباع محمد أشاروا عليه بالتزام الدفاع داخل المدينة ، قرر الخروج بقواته التي تناقص عددها كثيرًا بسبب انسحاب المنافقين .

ثم نجدهما يبالغان في عدد القتلى من المسلمين ويصوران كأنّ معظمهم قتل مع أنّهم كانوا سبعين شهيدًا وقيل 78 شهيدًا حسب رواية ابن سعد فيقولان "والواقع أنه لم يصب إلا بجراح ونجا عن طريق واد ضيق إلى الجانب الجنوبي من الجبل مع عدد قليل من الأتباع المخلصين.

ثمّ نجدهما يلمحان أنّ من أسباب عدم انتصار المسلمين في أُحد عدم مشاركة اليهود معهم في القتال؛ إذ يقولان "ولكن بدأت تظهر العواقب التي ترتبت على النكسة التي أصيب بها ، فاليهود الذين لم يشتركوا في القتال كانوا يسبقون على حد قول ابن هشام "لم يخفوا فرحتهم بالنكبة التي أصابته ."

والحقيقة أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم رفض مشاركتهم في القتال وسمح لمخيريق فقط المشاركة في القتال ، لأنّه أسلم أمّا باقي اليهود فيقول: "لا حاجة لنا إليهم" وذلك وفق رواية ابن إسحاق مرسلة من الزهري.

وات يغيّر في وقائع أُحد ويطلب منّا أن نغيّر الروايات الإسلامية وفق مرئياته

من خلال دراستي وتحليلي لموقف المدرسة الإنجليزية من السيرة النبوية وجدت أنّ مونتجمري وات أكثر مستشرقي هؤلاء المدرسة تحاملًا على الإسلام ، ولعل القاري المتتبع معي هذا الموقف يلمس بنفسه ذلك ، لأنّ وات لا يكتفي بالتشكيك في الروايات الصحيحة ، وإنّما يضع من عنده روايات ويبني عليها رأيه ، ويوجب الأخذ بها والاعتقاد بها ، وأنّه لا يصح إلا ما قاله ، أي أنّه يفرض رأيه على القاري ويلزمه الأخذ به، وكأنِّي به أرى شيطانه هو الذي يكتب عنه ، لأنّ ما أثيره من شبهات وأقاويل إنّما هي من وسوسة الشياطين ، أنا لا أدعي عليه باطلًا ، فمن خلال مواقفه السابقة واللاحقة يتضح للعيان حقيقة ما قلته .

في بداية حديث وات عن أُحد نجده كعادته يشكك في الروايات ويضعف من قيمتها فيقول: "نجد في المصادر القديمة كمية ضخمة من الأخبار حول معركة أُحد[1] ، ولكن جزءًا كبيرًا منها يحتوي على أخبار حوادث تافهة كُتبت لتمجيد أشخاص وحفظها أحفادهم أو قبائلهم ، أو على العكس لاتهامهم ، ولا تسمح هذه الأخبار بإعطاء سرد واضح أو كامل للمعركة ، وإذا قبلنا مع ذلك على الإجمال صحة المعطيات ، تبدو لنا الخطوط الكبرى لهذه المعركة ، وقد حدث ذلك كما يلي تقريبًا[2] ؛ إذ سيروي لنا المعركة وفق مرئياته.

- وأولى هذه المرئيات جعله عبد الله بن أبي ندًا للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنّه كما رأينا يجعله زعيم حزب المعارضة ، وأنّ زعامته لا تقل عن زعامة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول وات:"وكان من رأي محمد وعبد الله بن أبي وبعض القدماء يقصد المسنين" أن يبقى المسلمون في الوسط حيث تتلاصق المنازل، فيحملوا بذلك العدو على حصار المدينة ."[3]

-تعجبه من انسحاب عبد الله بن أبي ورفاقه قبل المعركة مفسرًا ذلك بتفسيرات وفق مرئياته ، فيقول: "عجيب رحيل عبد الله بن أبي ورفاقه قبل المعركة ، وتقول المصادر أنّه أستاء من أنّ محمدًا لم يتبين المخطط الذي دافع عنه سابقًا ، ولكن يصعب تصديق ذلك ، لأنّه ذهب مع محمد كما يبدو حتى مكان القتال، ثم يقرر هنا ما يريد قوله فيقول: "ويمكن القول بأنّه انسحب بالاتفاق مع محمد للدفاع عن المكان الرئيسي ضد هجوم مع

---

[1] – نجده يشير إلي هده المصادر في الحاشية ومعتبرًا كايتاني من ضمن هذه المصادر ، أي اعتبر كتاباته من المصادر الأساسية ، والمصادر التي ذكرها إضافة إلى كايتاني:ابن هشام ، الواقدي ، الطبري ، أي قصر مصادر السيرة على هؤلاء الثلاثة.

[2] – وات . محمد في المدينة ، ص32.

[3] – المصدر السابق . ص 33.

العدو منتظر، ولكن من الممكن التنديد به في المصادر التي لا تتودد إليه ، لاسيما بعد سروره من فشل منافسه محمد بعد المعركة .[1]

نلاحظ هنا عبارة "لاسيما بعد سروره من فشل منافسه" ، لأّنه كما قلت يعتبر عبد الله بن أبي نداً للرسول صلى الله عليه وسلم، أما قوله أن عبد الله بن أبي انسحب بالاتفاق مع النبي صلى الله عليه وسلم للدفاع عن المدينة ضد هجوم منتظر، قول لا أساس له من الصحة ، لأنّه لم تذكره المصادر الرئيسية " ابن إسحاق ، الواقدي ، ابن سعد ، الطبري ، وغيرهم " فمن أين أتي بهذا الخبر؟ أنه مجرد استنتاج من استنتاجاته التي يفرضها كحقائق واقعة .

وبعد أن يورد وقائع المعركة حسبما ذكرتها المصادر الإسلامية يبدأ في استنتاجاته بإخضاع تلك الروايات للنقد ، أو بالأحرى إلى الشك "القرآني" إن جاز لي استخدام هذا التعبير. يقول وات "المسألة الأولى هي معرفة ما إذا كان نجاح المسلمين الأول عظيماً بالقدر الذي تقوله المصادر، لأنّها تقول أنّ المسلمين وصلوا إلى المعسكر المكي ، وأخذوا بنهبه ، وهذا موضع شك ؛ لأنّ نفس المصادر تعترف بأنّهم في الحقيقة لم يغنموا شيئًا ، بينما كان المشاة المكيون قد ردوا على أعقابهم ، لم تكن طليعة المسلمين من القوة كما يدعون ، ويعني من ناحية ثانية أنّ المسلمين أظهروا تفوقًا واضحًا في القتال في ظروف متساوية .[2]

ويستمر في تشكيكه للروايات الإسلامية فيشك أنّ الرماة نزل بعضهم للمشاركة في جمع الغنائم ، وإنّما كان الهجوم من المؤخرة لتراخيهم في الدفاع بعدما رأوا انتصار معسكرهم ، وهنا يناقض ما ذهب إليه بأنّه لم

---

[1] – المصدر السابق . ص 33–34.

[2] – المصدر السابق . ص 27.

يحدث انتصار للمسلمين ، يقول وات: والمسألة الثانية هي معرفة ما إذا كانت غريزة السلب عند الرماة هي السبب الوحيد لنقص تغطية مؤخرة المسلمين التي تعرضت للخيالة المكيين. إنّ قول القرآن (ن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ) [1] يمكن أن يشير إلى الغنيمة. وليس من الممكن على كل حال ، أنّهم زلزلوا بهجوم حسن بينما كانوا في أماكنهم "، كما تقول المصادر عن الباقين " غير أنّ تراخيهم لدى رؤيتهم انتصار معسكرهم ، يمكن أن يكون قد ساعد على ذلك [2].

ثم يقرر وات أنّ الرجل الذي تنسب إليه شائعة موت الرسول صلى الله عليه وسلم هو من أحد الرماة ، وأنّ الهجوم على جبل الرماة كان من ضمن مخطط الجيش المكي ولم يأت فجأة ، فلنقرأ ما يقوله وات: "ومن الغريب أنّ الرجل الذي تنسب إليه شائعة موت محمد كان من بين رماة فصيلة عبد الله بن جبير، يضاف إلى ذلك أنّ هذا الهجوم الجانبي لم يكن من وحي الساعة ، بل كان جزءً من خطة المكيين في المعركة ، وكان مشاة مكة غير منظمين ليقوموا بانسحاب منظم أمام ضغط العدو، غير أنّ الذين كانوا يقودون المعركة حسبوا إمكانية هذا الانسحاب ، فأعدوا الخيالة للقيام بهجوم كما فعلوا، وكان المكيون قد حفروا الخنادق في مكان ما ، وهذا يدل على محاولة مبيتة لنشر الفوضى في صفوف المسلمين غير أنّ المراجع قليلة لا تسمح برأي دقيق[3] ، ثم يقول: "ويستحيل علينا علي ضوء هذه اللوحة التي رسمناها أن لا نشك بأن نجاح المكيين كان نتيجة مهارة القيادة وخالد بن الوليد هو أحد كبار القادة في كل زمان ، ولاشك أنّه ساهم في

---

[1] . آل عمران: 152.

[2] – المصدر السابق . والصفحة ذاتها.

[3] – المصدر السابق . ص 28.

مجلس الحرب قبل المعركة ، ولكن القائد الأعلى أبا سفيان ، وسائر الزعماء لم يكونوا يفتقرون إلى الصفات العسكرية[1] .

ووات هنا رسم صورة لموقعة أُحد صورة مشوهة لما حدث ، لأنّه أخذ من الروايات ما يريد واستبعد ما يريد ، واستنتج ما يريد ورسم كل هذا في لوحة تقول هذه اللوحة الآتي :

1. إنّ المسلمين لم ينتصروا في المرحلة الأولى من المعركة ، بدليل أنّهم لم يأخذوا شيئًا من الغنائم التي قيل إنّهم بدأوا يجمعونها ، وفات وات أنّه عندما ظهر خالد بن الوليد في اللوحة مقتحمًا جبل الرماة وحوصروا المسلمون من كل جانب تركوا كل ما جمعوا وأخذوا يدافعون عن أنفسهم ، فكيف يحملون الغنائم وهم قد هوجموا؟ .
2. إنّ الرماة استمروا في موقعهم ، ولم ينزل أحد منهم لجمع الغنائم ، ولكّنهم تراخوا عن الدفاع عندما رأوا المسلمين قد انتصروا .

وهنا تناقض فمن قبل قال لم ينتصروا ، لأنّه لا يريدهم أن ينتصروا ليشكك في الروايات التي قالت إنّهم انتصروا، وبدأوا في جمع الغنائم ، ولكنه الآن يريدهم أن ينتصروا ليقولوا إنّ الرماة لم ينزلوا لجمع الغنائم ، وإنّما تراخوا في الدفاع، وهو يريد بهذا أن يظهر خللًا في قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وضعفًا؛ لذا أبرز خالد بن الوليد كقائد ، ولا يشك أحد في كفاءة خالد بن الوليد رضي الله عنه القيادية ، ولكنه لا يفوق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نجده بعدما قدم فكرته هذه عاد وقال: إنّ سبب هزيمة المسلمين هو حب السلب عندهم ، وهنا ناقض قوله ، وقال بنزول الرماة لجمع الغنائم ، ثم لو كان الرماة بقوا في أماكنهم .

---

[1] – المصدر السابق . ص 28.

لماذا لم يهاجمهم خالد بن الوليد من البداية؟ ولماذا هاجمهم بعدما انسحب جيش قريش ، وانتصر عليهم المسلمون؟ لقد كانوا يحمون ظهور المسلمين طوال المعركة ، وعندما أراد المسلمون أن يجمعوا الغنائم حسبوا أنّ القتال انتهى ، ونزل حوالي أربعين منهم ، ولم يبق سوى عشرة فاستضعفهم خالد ووجدها فرصة في الإجهاز عليهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان قائدًا ماهرًا أدرك أهمية جبل عينين "الرماة" ووقوف الرماة عليه؛ إذ أمرهم ألا يتحركوا منه ، مهما كانت الأسباب فإن رأيتمونا غنمنا لا تشاركونا ، وإن رأيتمونا نقتل لا تنصرونا ، وقول وات إنّ أحد الرماة أشاع موت الرسول صلى الله عليه وسلم، قول مردود ، ولأنّ ابن قميئة ظن أنّه ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم وقتله فأشاع ذلك ، مع أنّ وات قرر ذلك في صفحة 42 ؛ إذ قال عن أبي سفيان:" ويبدو أنّه كان يعرف قبل مغادرته ميدان القتال أن ادعاء ابن قميئة قتل محمد كاذب فكعادة وات عندما يريد أن يصدق الحدث في الوضع الذي يريد ويؤكد استنتاجه ، وعندما يريد أن يكذب ذات الخبر أو الحدث يكذبه في الوضع الذي يخدم هدفه ، فهو يكذب الحدث ويصدقه وقتما يريد ، أي أنّه يلعب بالأحداث ويطوعها وفقما يريد ، وقول وات إنّ هجوم خالد على جبل الرماة لم يكن وليد لحظته ، وإنّما كان مخططًا وضعته خطته في مجلس الحرب الذي عقدته قيادة جيش قريش ، ولست أدري من أين أتى وات بهذا ، هل كان من ضمن أعداد مجلس الحرب وشارك في صنع مثل هذا القرار؟

إنّ جيش قريش انسحب وعندما تمكن خالد من جبل الرماة صاح فيهم مخبرًا بذلك فعادوا ، ولو كانوا مخططين لهجوم على جبل الرماة لما هجمت فرقة خالد فقط وانسحبت باقي الفرق .

وجود عبد الله بن أبي مع فرقته في الميدان لحمايتها من هجوم منتظر

ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم متوقعًا هجومًا من قريش على المدينة ، وهم خارجها لما خرج لقتال قريش خارج المدينة حسب رأي الشباب، ولو أخبرهم بتوقعاته وبقوا في المدينة ، ثم أنّ عبد الله بن أبي معروف لدى الرسول صلى الله عليه وسلم بنفاقه ، فهل يأتمنه صلى الله عليه وسلم علي المدينة وعلي النساء والأطفال؟ ألم يجد غير عبد الله بن أبي ليحمي المدينة من هجوم منتظر؟ ثم أكد جميع الروايات بما فيها روايات المصادر التي رجع إليها وات وهي لـ "ابن إسحاق ، والواقدي ، والطبري" أجمعت على أنّ عبد الله بن أبي انسحب قبل وصول الجيش إلى أُحد، وليس عند أحد كما يزعم وات ، وأنّه انسحب لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأخذ برأيه – على حد قوله ، " عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له ."

هذه هي اللوحة الباهتة المشوهة التي رسمها وات وفق ما يريد هو أن يحدث ، وليس كما حدث بالفعل ، ثم يريد فرض هذه اللوحة المشوهة علينا وعلى تاريخنا وعلى سيرة نبينا ، فيقول في صبغة الأمر الذي يجب أن نطيعه ونتبعه "نستطيع القول إذن أنّ الرواية الرسمية الإسلامية يجب أن تغير اعتمادًا على هذه الأسس وهي صادقة من وجهة نظر محمد .[1]

فنحن المسلمون يجب علينا أن نغير الروايات الإسلامية عن وقائع يوم بدر وفق الأسس التي وضعها لنا مونتجمري وات؟

ألهذا الحد بلغ بالمستشرقين فرض علينا تغيير تاريخنا وفق ما يريدون؟

[1] – وات . محمد ،ص 38.

ألهذا الحد بلغ بهم تحقيرنا والاستخفاف بنا لدرجة العبث بتاريخنا ومطالبتنا الالتزام والأخذ بما يعبثون ونرمي بعيدًابتاريخنا الذي كتبه الثقات منا، ورواة معاصرون لتلك الأحداث ؟

هل المنهج العلمي قائم على تغيير التاريخ؟

وهل استخدام منهج النقد التاريخي يخول للباحثين العبث بتاريخ الأمم كما يريدون ويفترضون ويرسمون ويخططون ويقررون؟ .

إن تم استخدام هذا المنهج بطريقة وات هذه ضاع التاريخ وتاه ، ولم يعد للأمم تاريخ ولا ماض وإنّما صور مشوهة باهتة لا تعرف معالمها؟ .

إضافة إلى أنّ هذا المنهج يلغي إرادة الله في إحداث الأحداث ، وأنّ الله مسبب الأسباب ، لأنّ ما يحدث وفق مخطط مرسوم ، وليس هناك قرار ساعته أو وليد لحظته ، وكأنّ المعارك تدار وفق أجهزة كمبيوتر مبرمجة والجنود أناس آليون يتحركون وفق ما هم برمجوا عليه ، لاشك أنّ وات قد غلبه الغرور والتكبر والاستعلاء على الأمة الإسلامية مبلغة حتى تجرأ وشوه تاريخنا ، ثم يقول بكل جرأة إذن الرواية الإسلامية يجب أن تغير اعتمادًا على هذه الأسس ، وهي صادقة من وجهة نظر محمد ، وعلى الرغم من صدقها ومن وجهة نظر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن يجب عليكم يا مسلمين أن تغيروا هذه الروايات وفق مرئيات مونتجمري وات .

وإنّني لأعجب أشد العجب أنّ كثيرًا من الباحثين الذين حللوا منهج وات ودرسوه لم يناقشوه في هذه النقطة ويردوا عليه ، وكان حري بهم أن يعقدوا ندوة حوار معه ويوقفونه عند حده ، لأنّه تجاوز كل الحدود ، وإنّ العلم والمنهج العلمي الذين يحتميان بهما برئيان كل البراءة من هذه المزاعم ، فما هي إلاّ سموم يبثها في تاريخنا باسم العلم .

وات يتهم القرآن بالمبالغة

ويستمر وات في تحريف التاريخ وتزييفه وفق ما يريد ، وهنا يتطاول على القرآن الكريم ويصفه بالمبالغة ، ويؤكد "وعادته يشكك" أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم بمبالغة القرآن فلنقرأ معًا ما يقوله وات: " لقد ظهر عند المؤمنين بعد بدر ثقة كبري بتفوقهم العسكري ، ويصوّر القرآن موقفهم[1] : (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ)[2]، ثمّ يؤكد وات أنّ الرسول يعلم أنّ في ذلك مبالغة فيقول: "وكان محمد يعلم ، بدون شك أنّ في ذلك مبالغة[3] ، ثم يعلل ما ذهب إليه فيقول "كما نراه يتردد في الخروج إلى لقاء المكيين ، ولكن ربما كان يعتقد أنّه كان يجب عليه أن يتكلم بهذه الطريقة ، ليقاوم الخوف من القرشيين ويقوي معنويات المسلمين ، وكان ذلك نتيجة قول القرآن : (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.)[4] ، [5]

فكما نرى وات تجرأ أيضًا على القرآن معتبرًا أنّ القرآن من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنّه يتحدث عنه وكأنّه من عند الرسول ؛ إذ يقول وات: "ربما كان يعتقد أنّه كان يجب عليه أن يتكلم بهذه الطريقة أنّ القرآن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وليس بكلام الله ، ثم نجده

---

[1] . وات . محمد في المدينة . ص 38- 39.

[2] – الأنفال : 65.

[3] – المصدر السابق . ص 39.

[4] – آل عمران : 126.

[5] . المصدر السابق . ص 39.

يصف القرآن أنّه مبالغ فيما قرره أنّ العشرين من المسلمين بمائتين من الكفار والمائة من المسلمين بألف من الكفار ، وهنا لا يشك وات "وهو المشكك دائمًا في كل شيء" أنّ الرسول يعلم بأنّ في ذلك مبالغة ، وأنّ القرآن يقول ما يقوله فقط لطمئنة القلوب وليس حقائق، وهذه شبهة خطيرة يدسها وات ويثيرها حول القرآن لينفي مصداقيته وما فيه من حقائق ووقائع .

إنّ في المعارك والغزوات التي خاضها المسلمون أعدادهم فيها أقل بكثير من جنود أعدائهم ومع هذا انتصروا عليهم فيها ، والشواهد التاريخية لا حصر لها "ما حدث في أُحد أيضًا دليل على ذلك ، لأنّ بداية المعركة كان النصر فيها للمسلمين على الرغم من أنّ عدد المسلمين كان سبعمائة وعدد الكفار ثلاثة آلاف ، وتم النصر وبدأ المسلمون في جمع الغنائم عندما انسحب جيش قريش ، وعند مخالفة أربعين من الرماة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إذ ظنوا أنّ المعركة انتهت حدث ما حدث فهل يريد وات أنّ الله يكافئ الذين خالفوا أوامر القيادة وقائدهم نبي الله ورسوله بأن يجعل المائة منهم بألف والعشرين منهم بمائتين؟ لابد أن يتلقنوا درس الطاعة جيدًا، فالحرب لا هوادة فيها .

وهنا يقرر وات أنّ سبب الهزيمة حب المسلمين للسلب ، وهذا يناقض ما ذهب إليه ؛ إذ قال أنّ الرماة لم ينزلوا من الجبل ولم يجمعوا غنائم ، وأنّ المسلمين أصلًا لم ينتصروا على المشركين ويصلوا إلى معسكرهم لأخذ ما فيه من غنائم .

وهكذا نجد وات يستخدم الواقعة أو الحدث كما يريد ، ينفي حدوثه عندما يريد ، ويثبت حدوثه عندما يريد ، إنّه يلهو ويعبث بتاريخنا كما يريد ، ويزعم أنّ هذا هو المنهج العلمي ، وهذه الحيدة والموضوعية.. الخ. وعلينا أن ننبهر بتحليلاته واستنتاجاته ومنهجه النقدي القائم على الشك

عندما يريد ، واليقين والتأكيد عندما يريد ، ويجب علينا أن نغير في الروايات الإسلامية، لتوافق اللوحات التي ترسمها ريشة " مونتجمري وات ."

وات يثير الشبهات حول الصفات العسكرية عند المسلمين

يـزعم وات أنّ الصـفات العسـكرية لـدى المسـلمين تـنحط بازديـاد عددهم ومؤكد على ذلك بقوله "ولاشك أنّ انحطاط الصفات العسكرية عند المسمين مرتبطة بازدياد عددهم ، فلقد لاحظ محمد خلال السنة السابقة ، أنّه بحاجة إلى جيش أقوى من جيش بدر، ولم يرفض مساعدة رجال دفعهم إليه أملهم في الغنيمة ، وكان ذلك سبب الفوضى في أُحد ، ونقص الثبات ليس بين الرماة فقط وبين الآخرين ، وكان عليه أن يجمع كل تفكيره حول هذه المشكلة في استعداده للرحلة المقبلة من النضال ، وإذا كان قد رفض مساعدة الفرقة اليهودية التي كانت تعرض عليه أن تحارب إلى جانبه فلربما كان ذلك لو صحت الحادثة ، لأنّه كان يعتقد أن المعنويات لم تكن جيدة كما يجب، وأنّ اليهود " يمكن أن يكونوا المثل السيئ ."[1]

هنا وات يثير شبهات خطيرة يطعن فيها بقدرات المسلمين العسكرية ،ويتهمهم بعدم الثبات في القتال ، ويزعم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أدرك هذه المثالب في جنوده مبررًا رفضه لمشاركة اليهود في القتال لهذا السبب، لأنّه سيزكي روح عدم الثبات في نفوس المسلمين ، لأنّه لم يثق في صدق قتال اليهود، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه قبل في جيشه من ذهب بقصد الغنيمة ، وهو يقصد بذلك عبد الله بن أبي ، ولقد قبل خروج عبد الله بن أبي في الجيش معه ، لأنّه لو منعه من الخروج سيحدث فتنة داخلية لا يعلم مداها إلا الله ، ثم أنّه يدرك الرسول صلى الله عليه وسلم بفهمه لنفسية عبد الله بن أبي وغيره من

[1] – المصدر السابق . ص 40.

المنافقين أنّه لن يجرؤ على القتال ، وأنّه سينهزم قبل بدء القتال وهذا ما حدث بالفعل محتجًا بأنّ الرسول خالفه وسمع قول الغلمان ، ولو كان هذا سبب انسحابه لما خرج من البداية لأنّه في غزوة بدر عزم رجل وهو غير مسلم الخروج مع المسلمين للقتال في بدر فرده الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقبله إلا عندما أسلم ، أيضًا رفض الرسول صلى الله عليه وسلم مشاركة اليهود في القتال لأنّه يعلم أنّ مشاركتهم لن تكون لصالح المسلمين ، وربما استغلوا المواقف للطعن في المسلمين ، ولم يقبل سوى مشاركة مخيريق الذي تقول الروايات أنّه أسلم .

إنّ الطعن في كفاءة المسلمين القتالية وفي ثباتهم عند القتال ما هي إلا سموم يبثها وات من خلال تحليلاته التي سئمناها بالفعل ؛ لأنّها لا تستند على حقائق واقعة ، والدس فيها واضح.

إنّ جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم في أُحد كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب وجمع كبير من كبار الصحابة ، والطعن في عدم ثباتهم في القتال يمس عقيدتهم ، ونحن ندرك أنّ معارك المسلمين مع المشركين كانت معارك عقائد لا معارك عدو وتسليح ، فالمشركون لم تكن لديهم عقيدة واضحة يضحون في سبيلها بأرواحهم حتى اضطروا إلى اصطحاب أهليهم وأموالهم معهم حتى يدافعوا عنهم ، ويستميتوا في الدفاع عنهم[1]، بينما المسلمون يخرجون للقتال لإعلاء كلمة الله وطمعًا في الجنة وهذا الذي جعل مثل أبي دجانه يتلقى الضربات عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ثابت جاعلًا من ظهره ترسًا يحمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقى عنه ثمانين ضربة فهل كان

[1] –خطاب . الرسول القائد . ص 261.

المشركون يحمون قائدهم أبا سفيان ، وأين هم المشركون لم يحموا قائدهم أبا جهل في بدر عندما قتل؟ .

إنّ النساء المسلمات صمدن وثبتن في القتال فها هي نسيبة بنت كعب " أم عمارة " أول ممرضة في الإسلام التي خرجت في أحد لتضمد الجرحى وتسقي الجند أخذت تتلقى الضربات عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

إنّ المسلمين الأوائل كانوا جندً امتازين ، هؤلاء الجند الذين فتح الله على أيديهم بلاد الفُرس والروم ونصرهم الله عليهم ، وقُوضت دعائم ملكهم .

اعتراف وات أّن أُحدًا لم تكن انتصارًا للمكيين

يقول وات وهذه النتيجة التي وصل إليها أخيرًا بعدما فرغ من بث سمومه وإثارة شبهاته وتشكيكاته في الروايات الإسلامية "إذن لم تكن معركة أُحد هزيمة تامة للمسلمين ، فإنّها لم تكن انتصارًا للمكيين ؛ إذ كان الهدف الاستراتيجي للمكيين القضاء على الأمة الإسلامية لا أقل ولا أكثر، ولم يحققوا هذا الهدف ."[1]

ولبودلي رؤية في أُحد تخالف وات وتتفق أحيانًا مع الروايات الإسلامية

تختلف رؤية بودلي لوقائع وأحداث غزوة أُحد عن رؤية وات ، وتتفق أحيانًا مع الروايات الإسلامية ، يقول بودلي: "إنّه عندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بمقدم جيش كبير من قريش لقتاله ؛ إذ أرسل العباس كتابًا لابن أخيه أخبره بذلك عاد الرسول من قباء وجمع أبا بكر وعمر وعثمان وحمزة وعليًا ونادي عبد الله بن أبي أيضًا ؛ إذ يعتبره بودلي مثل وات قائدًا للمعسكر الآخر "المعارض" مبررًا بودلي ذلك بقوله: "وما كانا قد تصادقا، وكان كل منهما يستاء من الآخر، ولما كانت المدينة مهددة بهجوم

[1] – المصدر السابق . ص42.

عدو خارجي ، فقد رأى محمد هذه الحالة استدعاء قائد المعسكر الآخر في المدينة إلى مجلسه الحربي .[1]

هذه الرواية لا أدري من أين أتى بها بودلي ؛ إذ قصر فيها استشارة الرسول لأصحابه على المهاجرين فقط ، وجعل عبد الله بن أُبيْ هو الذي يمثل أهل المدينة؟

صحيح أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عندما علم بتحرك قريش وقدومها لقتال المسلمين جمع المسلمين مهاجرين وأنصار وقال: "أشيروا عليَّ ، ولم يخص أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وعبد الله بن أبي بهذه المشورة حتى أنّ الروايات التي أخرجها ابن إسحاق في سيرته وابن سعد في طبقاته والطبري في تاريخه ، وحتى الواقدي في مغازيه أجمعت على أنّ رأي الخروج كان من قبل الشباب الذي لم يشارك في بدر، ويريد أن يبرز شجاعته بالخروج من المدينة لملاقاة العدو ، فلم تشر الروايات أنّ رأي الخروج كان رأي حمزة وعلي رضي الله عنهما كما ذكر بودلي.

بودلي يزعم أنّه كان في جيش المسلمين في أحد ثلاثمائة من اليهود وغيرالمسلمين

ولست أدري أيضًا من أين أتى بهذه الرواية ؟

يقول بودلي: "وكان بين الألف مقاتل هؤلاء ثلاثمائة من اليهود وغير المسلمين تحت إمرة عبد الله بن أبي ، فلما خرجوا من المدينة توقف محمد ، وقال إنّه لا يود في جيشه من لم يعتنق الإسلام ، فإنّا لا ننتصر بأهل الكفر على الشرك ، فساء ذلك عبد الله ابن أبي ، وقبل أن تبدأ المعركة عاد بحلفائه إلى المدينة ، وبذلك أصبح جيش محمد سبعمائة مقاتل ، فصار أقل من ربع قوة قريش [2].

---

[1] – بودلي . الرسول حياة محمد . ص 173.

[2] – المرجع السابق . ص 174– 175.

لقد بحثت أيضًا عن هذه الرواية في المصادر الأولى للسيرة ولم أجدها "ابن إسحاق وابن هشام ، الواقدي ، ابن سعد ، والطبري ، وغيرهم" مما يبين لنا أنّ بودلي يصيغ روايات من عنده فيتصور في خياله أحداثًا، ويصيغها، وهكذا أصبح تاريخنا ، بل سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم ألعوبة في أيدي المستشرقين ، هذا يضع روايات من عنده ، وذاك يؤلها ويفسرها وفق ما يريد، مع وضع روايات أن استلزم الأمر، ويكذب روايات ويشكك في أخرى ، ويحرّف الوقائع فيجعل من المشورة أمرًا، ومن الأخذ بآراء الآخرين إرغامًا وضعفًا ..الخ.

هذا ونلاحظ أنّ بودلي في روايته الموضوعة لم يؤيد وات فيما ذهب إليه بأنّ عبد الله بن أبي انسحب باتفاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم ليحمي المدينة من هجوم منتظر، بل ناقضه تمامًا وقال إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم رفض مشاركة عبد الله بن أبي وحلفائه.

" ووات وبودلي على خطأ لأنّ الثابت صحته أنّ عبد الله بن أبي رجع من نفسه قبل القتال ؛ إذ نزل في ذلك قرآن، أخرج البخاري في صحيحه هذا الحديث :

"وحديث أبوالوليد [1]حدثنا شعبة عن بن ثابت قال: سمعت عبد الله بن يزيد يحدث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى "غزوة "أُحد ، رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة تقول" قاتلهم" ، وفرقة تقول "لا نقاتلهم" ، فنزلت : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن

[1] – هشام بن عبد الملك الطيالسي.

تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا)[1]وهذا هو الصحيح في سبب نزولها ، ومعنى أركسهم " بددهم " أخرجه الطبري في تفسيره عن طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس .

ونزل في عبد الله بن أبي وفرقته قوله تعالى (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ 166 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ 167 الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [2]هذه الآيات تبين لنا موقف عبد الله بن أُبيْ وجماعة المنافقين منذ الخروج للقتال في أُحد بعد القتال وشماتة عبد الله بن أبي في المسلمين .

بودلي يثير شبهة حول نزول الرماة من الجبل وتركهم مواقعهم فيه

وجد بودلي فرصة ليطعن في المسلمين ويثير شبهة حول المسلمين بأنّ روح السلب متأصلة في العرب ، وأنّهم لم يقاوموا مشهدًا جمع إخوانهم للغنائم ، فتركوا مواقعهم غير عابئين بأوامر النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزول أربعين من الرماة من جبل "عينين" للمشاركة في جمع الغنائم حقيقة واقعة لا ننكرها ، ولكنهم نزلوا معتقدين أنّ المعركة انتهت والمشركين قد

---

[1] – الآية من سورة النساء آية 88 ، والحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحه والترمذي في سُننه وعبد بن حميد في سنده والبيهقي في السُنن كلهم عن طريق شعبة عن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابت به ، وأسنده ابن سيد الناس في عيون الأثر "حسن أحمد الباكري" مرويات غزوة أحد ص 71 رسالة ماجستير مقدمة من شعبة السنة بالجامعة الإسلامية عام1399–1400 هـ إشراف الأستاذ الدكتور أكرم العمري " مطبوعة علي الآلة الكاتبة."

[2] – آل عمران : 166–168.

ولوا الأدبار، ولكن خالدًا فاجأ الجميع من الخلف فكان الهجوم غير متوقع ، ولكن مهما يكن الأمر فالرماة خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك الذين تركوا مواقعهم ؛ إذ ثبت قائدهم ومعه عشرة حتى استشهد جميعهم ، فالذين تركوا مواقعهم ظنوا أنّهم لم يخالفوا أوامره عليه الصلاة والسلام.

وعلى العموم فإنَّ بودلي يخالف وات ، ويؤكد انتصار المسلمين في الجولة الأولى أنّهم بدأوا بالفعل في جمع الغنائم ، والذي أقر وات بهذه الحقيقة بعدما خالفها .

كما يخالف وات عندما قال إنّ أحد الرماة أشاع موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد خالف أيضًا قوله هذا فيما بعد كما تبين لنا ، فقد قال بودلي إنّ ابن قميئة وجه ضربة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن طلحة بن عبيد الله زوج بنت أبي بكر[1] ألقى بنفسه بسرعة البرق أمام محمد وتلقى الضربة عنه ، وصدم محمد في اندفاعه فاقد الوعي ، وكان ابن قميئة مأخوذًا حتى إنّه لم يتمكن من التأكد مما حدث، فجعل ينحدر سريعًا فوق التل وهو يصيح : أنّه قتل محمد.[2]

شهادة من بودلي على أنَّ ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد أنّه عمل استراتيجي من الطراز الأول

رغم ما أثاره بودلي من شبهات نال فيها من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الإسلام ، ومن أصحاب رسول الله وأمهات المؤمنين ولاسيما السيدة عائشة رضي الله عنها إلاّ أنّه قال قولة الحق في خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ، وكما بينت ما أثار من شبهات فإنّ

[1] – تزوج طلحة بن أم كلثوم بنت أبي بكر.

[2] – بودلي . الرسول .. حياة محمد ، ص 179–180.

الأمانة العلمية تقتضي ذكر مواقف هذا المستشرق الإيجابية من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أخفي أن عيني امتلأتا بالدموع ، وأنا أقرأ ما كتبه بهذا الصدد يقول بودلي: "كُسر [1]محمد في أُحد، وما كان هذا نتيجة خطته، بل كان نتيجة عدم إطاعة رجاله للأوامر ، وعلى كل حال فقد هُزم ، فقللت الهزيمة من سمعته كمبعوث الله ، فلو أنّه اعترف بالهزيمة لانخفضت سمعته أكثر من ذلك ، لذلك لم يعترف بالهزيمة ، فبدلًا من أن يترك رجاله لنسائهم يعتنين بهم ، ويحدثوهن عن القتال ، جمعهم وكان جريحًا منهوكًا ، وكان في السادسة والخمسين من عمره ، ولكنه امتطى فرسه ، وانطلق كأنّما يقتفي أثر عدو تفوق وفقد روحه المعنوية ، إنّ هذا عمل استراتيجي من الطراز الأول ، وعمل نفساني هائل ، وكان فوق كل ما يفكر فيه أي قائد لإحياء الروح المعنوية في رجال قد تحطموا تحطيمًا.[2]

أنتوني نتنج يزعم أنّ انسحاب عبد الله بن أبي ومعه ثلاثمائة مقاتل أضعف المسلمين

عندما يتحدث أنتوني نتنج عن معركة أُحد نجده قد أعطى قيمة كبيرة لعبد الله بن أبي، بل نجده اعتبر انسحابه سببًا في تمكن خالد بن الوليد من ضربة المسلمين من الخلف ، مدعيًا أنّ قريشًا تظاهرت بالتقهقر، وقد طعن في قدرة المسلمين القتالية بقول نتنج: "وفي العام 655 م كانت المعركة سجالًا بين الطرفين في أُحد ، كانت قريش تقاتل بثلاثمائة آلاف رجل وخدعوا المسلمين غير المدربين ، وبعد أن انسحب عبد الله بن أبي ومعه ثلاثمائة استدرجهم من مواقعهم الدفاعية ، عن طريق التظاهر

---

[1] – لم ينهزم المسلمون في أحد هزيمة حقيقية ، لأنّه لم يقع منهم أسرى ، ولم تتمكن قريش من ضربهم في العمق داخل المدينة ، وقد اعترف وات ولويس أن المسلمين لم ينهزموا في أُحد.

[2] – بودلي . الرسول .. حياة محمد . 183.

بالتقهقر، ثم مزقهم حيث التف خالد بن الوليد ليضربهم من الخلف ، وخالد هذا هو الذي سوف يدخل في الإسلام فيما بعد ويصبح أول فاتح عظيم في تاريخه [1].

وهكذا نجد أنتوني نتنج رسم لوحة لموقعة أُحد من خياله خالف فيها الروايات الإسلامية الصحيحة ، وهي لا تختلف كثيرًا عن لوحة مونتجمري وات وربما نقلها منه .

برنارد لويس يعترف بعدم هزيمة المسلمين في أُحد

يقول برنارد لويس عن موقعة أُحد: "وفي آذار من سنة625 م قامت قريش بحملة ضد محمد لدرء خطر المدنيين المتفاقم على القوافل، ولما شعر أهل قريش أنّهم ليسوا من القوة بحيث يواصلون هجومهم على المدينة عادوا إلى مكة ، ولم يعان المسلمين – نتيجة المعركة أُحد– هزيمة حقيقية بل هاجموا وطردوا قسمًا من القبائل اليهودية القاطنة في المدينة[2] ، كما حدث سابقًا بعد معركة بدر [3]

كارين آرمسترونج تقرر أنّ قريشًا لم تحقق نصرًا عظيمًا في أُحد

كارين أرمسترونج رسمت لأُحد لوحة برؤية أخرى ألمح فيها تأثير وات ، فهذا عندما أشارت إلى مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين في الخروج لقتال قريش عندما علم بقدمها أو قتالهم داخل المدينة، يتبين أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى البقاء في المدينة ، ويكون القتال فيها، كما أنّها فهمت أنّ البقاء في المدينة يعني التقاعس عن قتال قريش فهي تقول: "لكن هؤلاء الصقور تملك منهم الخوف ، وخاصة حينما أخبرهم

---

[1] – نتنج. العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام. ص33..

[2] – يقصد بني النضير سبق وأن تحدثت عن أسبابها.

[3] – برنارد لويس . العرب في التاريخ . ص 58.

سعد بن معاذ أنّهم يمشون إلى الهلاك بأرجلهم فأخبروا محمدًا أنّهم على استعداد للبقاء داخل المدينة، لكن محمدًا ، وكما ينبغي التزم بقرار القتال[1].

كما نجدها عندما تتحدث عن انسحاب عبد الله بن أبي والثلاثمائة الذين كانوا معه تتحدث ، وكأنّها تلمح أنّه عاد إلى المدينة للدفاع عنها ليصبح ملكًا، لأنّه كان متوقعًا هزيمة المسلمين في أُحد ، ونقارن ذلك بانسحابه في بواط عام617 م ، بعدما تحقق من استحالة النصر الكامل، وكانت تلك الخطوة في صالحه ، وأوشك أن يصبح بسببها ملكًا للمدينة ، وفي هذه الحالة فإن هزم محمد في أُحد كما كان محتملًا، فإنّ ابن أبي يكون قد فصل نفسه عن الكارثة، ويشرع بعد ذلك في إنقاذ الموقف [2].

كما نجدها تخالف بودلي، فتقول : " ورفض اليهود القتال لأنّ ذلك كان يوم سبت ."[3]

أمّا عن سير القتال فهي تقول: إنّه من الصعب تبين ما حدث بالتفصيل لأنّ المصادر مشوشة[4] ، ففي البداية صمد المسلمون ، وكان محمد قد صف جنوده في تشكيلات متراصة كتلك التي نجحت في بدر، وبدا لوهلة وكأنّهم قد أجبروا العدو على الفرار، لكن رماة الأسهم من المسلمين عصوا الأوامر وتراجعوا وهاجمهم خالد من الخلف ، ثم اندفع إلى الأمام في هجوم رائع بالخيل ، وفر المسلمون في خزي ، وحاول محمد وقف فرارهم ، لكنه وقع على الأرض، فاقد الوعي بعد أن تلقى ضربة على الرأس، وانتشرت شائعة أنّه توفي ، لكنه كان قد فقد وعيه فقط ، وتم حمله

---

[1] – آرمسترونج . محمد . ص 279.

[2] – المصدر السابق .ص280.

[3] – المصدر السابق . ص280.

[4] – وهي هنا تردد ما قاله وات.

إلى بستان حيث أفاق سريعًا لكن قريشًا لم تصبر للتأكد من النبأ، ويبدو أنّهم حينما سمعوا نبأ وفاته توقفوا عن القتال ، ولم يتابعوا انتصارهم [1] .

رؤية أخرى لكارين عن سير القتال في أُحد مع الروايات الإسلامية ، من جهة ورؤية غيرها من المستشرقين من جهة أخرى ، إلاّ أنّه يبدو تأثرها بوات واضح عند قولها "من الصعب تبين ما حدث بالتفصيل ، لأنّ المصادر مشوشة" فهذا لا يختلف مع ما قاله وات في مقدمة حديثه عن غزوة أحد ؛ إذ استهله بهذه العبارات ، ونجد في المصادر القديمة كمية ضخمة من الأخبار حول معركة أُحد ، ولكن جزءً كبيرًا منها يحتوي على أخبار وحوادث تافهة ، ثم يقول "ولا تسمح هذه الأخبار بإعطاء سرد واضح أو كامل للمعركة[2] .

وفي النهاية تقرر كارين أنّ المعركة لم يحقق فيها القرشيون نصرًا عظيمًا،لأنّهم فشلوا في قتل محمد والقضاء على الأمة الإسلامية تقول كارين: "ولم يكن نصرًا عظيمًا لقريش فقد فشلوا في قتل محمد والقضاء على الأمة "[3]

موقعة بني المصطلق وحادثة الإفك

لم تستوقف موقعة بني المصطلق المستشرقين ، ولكن الذي استوقفهم حادثة الإفك ؛ إذ وجدوا فيها فرصة لإثارة الشبهات حول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وذلك للنيل من أمهات المؤمنين زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة ، ولتحاملهم على السيدة عائشة رضي الله عنها من جهة أخرى.

---

[1] – المصدر السابق . ص 281.

[2] – وات . محمد في المدينة. ص 32.

[3] – كارين. محمد ص 218.

وقبل أن أتحدث عن حادثة الإفك، وموقف المدرسة الإنجليزية الاستشراقية منها سأتحدث باختصار عن موقعة بني المصطلق .

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلي غزوة بني المصطلق يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة على الراجح ، واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري ، وقيل نحيلة ابن عبد الله الليثي ، وخرج معه في هذه الموقعة بشر كثير من المنافقين الذين لم يعتادوا الخروج في مثل هذه الكثرة من قبل ، ولعل ثقتهم بانتصار الرسول صلى الله عليه وسلم أغرتهم بالذهاب معه ابتغاء الدنيا لا انتصار الدين ، وكان سبب هذه الموقعة أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه أنّ الحارث بن أبي ضرار رئيس قبيلة بني المصطلق ، والمتحدث عنها يجمع الجموع لغزو المدينة المنورة[1] ، وقد تجرأت بنو المصطلق على المسلمين نتيجة لغزوة أُحد ، كما تجرأت القبائل الأخرى المحيطة بالمدينة ، ولعلها كانت تخشى انتقام المسلمين منها لدورها في غزوة أُحد ، وكذلك كانت ترغب في أن يبقي الطريق التجاري مفتوحًا أمام قريش لا يهدده أحد لما في ذلك من مصالح لها محققة فكانت بزعامة الحارث بن أبي ضرار، تتهيأ للأمر بجمع الرجال والسلاح ، وتأليب القبائل المجاورة ضد المسلمين ، وقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بريدة من الحصيب الأسلمي للاطلاع على أحوالهم ، فأظهر أنّه جاء لعونهم وعرف نيتهم في الهجوم على المدينة ، فعاد وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بما يبيتون [2]. وبعد أن تأكد الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك ، جند جنوده، وباغتهم في عقر

---

[1] –قريبي ، د . إبراهيم بن إبراهيم. مرويات غزوة بني المصطلق . ص 9 ، طبعة بدون رقم وتاريخ . الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.

[2] – العمري، د . أكرم. . المجتمع المدني " الجهاد ضد المشركين . ص 94.

دارهم على ماء لهم بناحية قديد [1]يقال له المريسيع ، فقتل منهم من قتل ، وسبى منهم من سبي بما فيهم النساء والذرية ، ووقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في جملة السبايا ، وجرت فيهم القسمة، فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس فكاتبته جويرية على نفسها ، وطلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم مساعدتها ، فقال لها: "أقضي عنك كتابك وأتزوجك" فوافقت، وتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : " أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأطلقوا ما بأيديهم من أسرى من بني المصطلق " فلقد اعتنق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق [2].

حادثة الإفك[3]

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها قد خرجت مع النبي صلي الله عليه وسلم إلى موقعة بني المصطلق ، وذلك بعدما شرَّع الله الحجاب للنساء ، وفي طريق العودة عندما اقترب المسلمون من المدينة نزلت من هودج البعير لبعض شأنها ، فلما عادت افتقدت عقدًا لها ، فرجعت تبحث عنه ، فحمل الرجال هودجها فوضعوه على البعير، وهم يحسبونها فيه – فقد كانت صغيرة خفيفة – ومضى المسلمون إلى المدينة وتركوها في البيد ، وقد وجدت عقدها ، وفقدت الركب ، فمكثت في مكانها تنتظر أن يعرفوا بخبرها ويعودوا إليها ، فمر بها صفوان بن المعطل السلمي، وهو من خيرة الصحابة، فحملها على بعيره وانطلق بها إلى المدينة، فوصل إليها بعد

---

[1] – تبعد قديد عن مكة المكرمة 120 كم.

[2] – المرجع السابق . ص 10.

[3] – الإفك : أسوأ الكذب وأقبحه وهو مأخوذ من " أفك الشيء " إذا قلبه على وجهه فالإفك إذن هو الحديث المقلوب.

دخول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد استغل المنافقون هذا الحادث ، ونسجوا حوله ، وتولى ذلك عبد الله بن أبي بن سلول ، فقد بوب البخاري بقوله: "إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم" إلى أن قال "والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم" ثم ساق بسنده: حدثنا أبو نعيم [1]حدثنا سفيان [2]عن معمر عن الزهري عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها "والذي تولى كبره" قالت: عبد الله بن أبي سلول[3] ، وعنده أيضًا من رواية صالح بن كيسان عن الزهري "وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول [4] ، وفي رواية فليح بن سلمان والليث عن يونس عن الزهري: "وكان الذي تولي الإفك عبد الله بن أبي بن سلول[5] ، وعند مسلم من رواية يونس ومعمر كليهما عن الزهري: "وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول .[6]

فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أنّ الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول[7] ، وضاق الرسول صلى الله عليه وسلم ذرعًا بدعايات المنافقين ، وصرح بذلك وهم مجتمعون في المسجد معلنًا ثقته بزوجه وبالصحابي صفوان بن المعطل ، وقد أبدى سعد بن معاذ استعداده لقتل

---

[1] – أبو نعيم هو الفضل بن وكيم الكوفي مولى تيم ، ثقة ثبت من الطبعة التاسعة (ت 218 هـ / 833م) وقيل 219 هـ / 834م) ، وهو من كبار شيوخ البخاري.

[2] – سفيان الثوري.

[3] – صحيح البخاري . كتاب التفسير.

[4] – صحيح البخاري . كتاب المغازي باب حديث الإفك.

[5] – المصدر السابق . كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضIW " كتاب التفسير ".

[6] – صحيح مسلم . كتاب التوبة.

[7] قريبي ، د . إبراهيم بن إبراهيم. مرويات غزوة بني المصطلق. ص 228.

من يروج ذلك إن كان من الأوس ، فأظهر سعد بن عبادة معارضته لسعد بن معاذ حتى كادت تقع الفتنة بين الأوس والخزرج لولا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هدأهم .

ومرضت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، فاستأذنت النبي في الذهاب إلي بيت أبيها فأذن لها ، ثم علمت بخبر الإفك ، فكانت لا يتوقف لها دمع ولا تكتحل بنوم ، وهي تنتظر أن يعلم الله نبيه ببراءتها برؤيا صادقة ، وقد انقطع الوحي شهرًا عانى خلاله الرسول صلى الله عليه وسلم أشد المعاناة فقد طعنه المنافقون في عرضه ، وآذوه في زوجه ، ولاشك أنّه كان يتطلع إلى الوحي ، وهو في أشد الحاجة لتطمئن نفسه ويخرس ألسنة النفاق ، ويدافع عن زوجه الحبيبة ، وأبيها الذي كان أحب الناس إليه ، ثم نزل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ *لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ *لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)[1]

[1] – النور : 11–15 ، و2 (آيات براءة السيدة عائشة رضي الله عنها في سورة النور من 11 – 25.

وهكذا نالت السيدة عائشة رضي الله عنها شرفًا عظيمًا ؛ إذ نزلت براءتها من السماء تعويضًا عن محنتها وصبرها وحُسن توكلها على الله فنزل في براءتها قرآن يتعبد به الناس إلى أن تقوم الساعة[1] .

هذا وقد أغرى عبد الله بن أبي بالكلام ثلاثة من المسلمين هم مسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جش ، وقد ذكرت أسماءهم لأنّهم مسلمون ، وما كان ينبغي أن يقعوا في حبائل المنافقين ، وقد عاتبهم القرآن الكريم بقوله تعالى : (لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) [2]

هذه حادثة الإفك سقتها باختصار لأنّني سأسوق تفصيلات أخرى عند الرد على شبهات المستشرقين .

موقف المدرسة الإنجليزية من حادثة الإفك

عند دراستنا لموقف المدرسة الإنجليزية الاستشراقية من حادثة الإفك من خلال كتاباتهم التي تناولتها هذه المدرسة نجد أن أكثر مستشرقي هذه المدرسة الذين خاضوا في الحديث عن حادثة الإفك أثاروا الكثير من الشبهات والغمز واللمز بأم المؤمنين السيدة عائشة مثل بودلي في حين نجد أن بعضهم لم يشر البتة إلى هذه الحادثة مثل الفريدجيوم وروم لاندو، وبرنارد لويس ، ولكن جب ووات وأنتوني نتنج وكارين آرمسترونج فقد تطرقوا إلى الحديث عن حادثة الإفك ، وسيتضح لنا موقف كل واحد منهم عند عرض ما كبته وسأبدأ بهاملتون.

---

[1] – العمري . المجتمع المدني " الجهاد ضد المشركين ". ص 100-101.

[2] – النور : 12.

هاملتون جب وكالمرز تحدثا عن آية البراءة وكأنّ فيها إدانة

هاملتون جب وزميله لم يكونا أمينين في سرد حادثة الإفك ؛ إذ سردا جزءً من الحادثة سردًا صحيحًا ، ثم دسا سُمًا قاتلًا بين طيات كلامهما ، وأنا لا أدعي عليهما باطلًا فكلامهما يشهد على ما قلته ، وإليكم نص ما كتباه في موسوعتهما في مادة "عائشة" ، ونلاحظ في بداية كلامهما التعريض بالسيدة عائشة بقولهما "زوجها المسن" و"الزوجة الشابة" يقول هذان المستشرقان " ، ولكن سلطان عائشة على زوجها تعرض للخطر بسبب حادثة غير موفقة وقعت عندما كان محمد راجعًا من موقعة بني المصطلق في سنة 6 هـ[1] ، لا يتفق المؤرخون علي تفاصيل معينة برغم أنّهم جميعًا بنوا رواياتهم على أقوال عائشة نفسها ، فيؤكد أغلبيتهم أنّ عائشة هي وحدها التي صحبت زوجها في تلك الغزوة ، وكانت تسافر في هودج يضعونه على ظهر بعير، وعند أحد المنازل التي نزلوا بها في موضع غير بعيد عن المدينة انسحبت عائشة من المعسكر لقضاء حاجتها. ولما عادت إلى هودجها اكتشفت أنّها نسيت عقدًا لها فيه جزع ظفار، ورجعت تلتمسه تاركة ستائر كرسيها مسدلة ، وفي أثناء غيابها أذن محمد في الرحيل ، وجاء القوم فأخذوا الهودج فاحتملوه فشدوه على البعير، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به ؛ وإذ وجدت عائشة عند عودتها أنّها تركت ، اضطجعت على الأرض في انتظار أن يأتوا للبحث عنها ، تصادف أن وجدها صفوان بن المعطل هناك ، فأركبها بعيره وأخذ برأسه وانطلق، وعندما رأوها تصل وحدها في صحبة شاب، كان هذا سببًا في إطلاق اتهامات خطيرة ، وكان الشخص الرئيسي في إشاعة الاتهامات عبد

---

[1] – 628م.

الله بن أبي واشترك في الوشاية كثير من ذوي الجاه والنفوذ.[1]
استشار النبي عليًا وأسامة بن زيد بشأن ما ينبغي أن يفعله، فأشار عليه على أن يستحلف عائشة "ومن كراهيتها له "[2] ، ولكن أسامة بذل قصارى جهده لإثبات براءة زوجة محمد الشابة ، وأخيرًا برأها النبي بعد أن نزلت آيات سورة النور وما بعدها ، تقول إنّ تهمة الزنا لا تصح إلاّ إذا شهد بها أربعة شهود ، وأنّ الذين يشيعون الفاحشة ولا يستطيعون أن يأتوا بأربعة شهود ، يقوم عليهم حد الجلد." [3]

الرد على شبهة جب وكالمرز

هل كان نص آيات البراءة ما ذكره هذان المستشرقان ، وأين هي البراءة من قولهما إنّهما جعلا من الآيات دليلًا على اتهامها بقولهما إنّ الآيات وما بعدها من سورة النور التي نزلت في براءة عائشة تقول إنّ تهمة الزنا لا تصح إلاّ إذا شهد بها أربعة شهود..الخ.

لقد بدأت الآيات وهي من الآية بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ).[4]

فهذه الآية تبين أنّ ما قيل عن عائشة رضي الله عنها إفك أي أسوأ الكذب وأقبحه ، والذي جاء بالإفك عُصبة منكم ، يعني ما هو واحد ولا

---

[1] – هنا بدأ الدس فكما تبين لنا أنّ المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي هم الذين خاضوا في الإفك ، ولم يكونوا من ذوي النفوذ وأوقع عبد الله بن أبي ثلاثة من المسلمين في ترديد بعض ما يقال.

[2] – وهذا دس آخر من دسائس المستشرقين؛ إذ يكادون أن يجمعوا على أنّ السيدة عائشة تكره عليًا، وأنّها خرجت في موقعة الجمل للانتقام منه.

[3] – هاملتون جب وكالمرز . الموسوعة الإسلامية الميسرة 638/1.

[4] – النور : 11.

اثنان بل جماعة وكان القوم في هذه اللعنة عبدا لله بن ابي بن سلول رأس المنافقين ، فتبين أنّه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) [1] أي ما قال أبا بكر فهو خير لكم في الدنيا والآخر لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة وشرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله براءتها في القرآن الكريم (لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ) [2] أي لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب"، والذي تولى كبره منهم" قيل من بدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه (إله عذاب عظيم) أي على ذلك والمراد بذلك إنّما هو عبد الله بن أبي بن سلول[3] ، وتستمر الآيات بعدها في توضيح موقف المسلمين من الإفك ، يقول جل شأنه (لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)[4] أي كما قال أبو أيوب وصاحبته ، وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن الحصين عن أبي سفيان عن أفلح مولي بن أيوب فاعلة ذلك. قالت لا والله قال: فعائشة والله خير منك، فلما نزل القرآن وذكر أهل الإفك قال عز وجل(لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) يعني أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما قال ، ويقال إنّما قالها أبي بن كعب، وقوله تعالى (ظن المؤمنون) .الخ.

---

[1] – النور : 11.

[2] . النور : 11.

[3] – تفسير ابن كثير : 3 / 268– 273.

[4] – النور : 12.

أي هلا ظنوا الخير فإنّ أم المؤمنين أهله وأولى به ، وهذا ما يتعلق بالباطل ، وقوله (وقالوا) أي بألسنتهم (هذا إفك مبين) أي كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها، فإن الذي وقع لم يكن ريبة ، وذلك أنّ مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكماله يشاهدون ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، ولو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد ، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستورًا، فتعين أنّ ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة والصفقة الخاسرة[1] .

وقوله تعالى : (لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [2] أي هلا جاءوا على ما قالوه بأربعة شهداء ويشهدون على صحة ما جاءوا به، فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون أي في حكم الله كاذبون فاجرون[3] ، وهكذا نجد أنّ آيات البراءة لا تقتصر علي الإتيان بأربعة شهود ليشهدوا حالة الزنا ، ولا تعطي المعنى الذي نقله للقراء جب وزميله، فالقرآن برّأ السيدة عائشة من الإفك براءة ظاهرة للعيان وواضحة كل الوضوح وبين أنّه إفك وكذب عظيم ، ثم هل جاءوا بأربعة شهود وشهدوا على صحة ما افتروه ونسبوه لعائشة ، وإذا لم يأتوا به فإنّهم كاذبون ، فنص الآية لم يذكر زنا، فكما رأينا أنّ شرحها للآية يوحي بسوء نيتها تجاه الحادثة ومحاولتها إثارة شبهة حول الحادثة ، فهؤلاء المستشرقون لا تأتي عباراتهم اعتباطًا ، فهم يكتبون الأحداث ، وينتقون

---

[1] – المصدر السابق . 3/ 273.

[2] – النور : 13.

[3] – المصدر السابق . /274.

العبارات التي تخدم ما يهدفون إليه ، وعلينا أن نكون يقظين ونحن نقرأ لما يكتبون ونتمعن فيما يقولون ، ولا ننخدع ببريق الألفاظ التي داخلها السم الزعاف.

وات وشائعة أنّ السيدة عائشة تحدثت عدة مرات مع الشاب الذي عاد بها إلى المدينة

لم يخص وات حادثة الإفك بفصل معين أو حديث معين ؛ إذ تحدث عن هذه الحادثة في معرض حديثه عن الحجاب فمن ضمن حديثه عن أهمية الحجاب يقول: "وكان لابد من حماية النساء تجنبًا للفضيحة ، وتدل حادثة "حديث الإفك" التي لاكت فيها ألسنة السوء اسم عائشة في المدينة ، وهي حادثة وقعت بعد وقت قصير من فرض الحجاب ، تدل هذه الحادثة علي مدي حاجة محمد إلي الحذر، ومن بين الشائعات التي انتشرت لتشويه سمعة عائشة ، شائعة تقول بأنّها قبل فرض الحجاب تحدثت عدة مرات مع الشاب الذي عاد بها إلى المدينة [1]. ومرجع وات في هذا مقالة "أبوت" في دائرة المعارف الإسلامية ، فلقد ترك المصادر الإسلامية وأخذ من "أبوت" ويبدو أنّ هذه الشائعة من وضع "أبوت" فلم أجد لها ذكرًا في المصادر الأولية للسيرة والمصدر الأساسي لكل ما يكتب فيها فإن لم يكن لا وجود لها في المصادر الأساسية فمن أين أتى بها "أبوت" إن لم يكن هو الذي وضعها كما وضع وات بعض الروايات ونسبها إلى ابن إسحاق أو حرّف في بعضها ، فالثقة في مصداقية ما يكتبه المستشرقون أصبحت معدومة بعدما خضعت كتاباتهم للتدقيق والتمحيص ومقارنتها بالروايات التي نسبت إليها .

[1] – وات . محمد في المدينة . ص 436.

وواضح هدف وات من هذه الشائعة وهو النيل من أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها المبرأة من عند الله فبراءتها في القرآن ، خير شهادة علي طهرها وعفافها وحُسن خلقها ، وكما قال سيدنا عمر للرسول صلى الله عليه وسلم من زوجها لك يا رسول الله؟ قال: الله تعالى ، قال: "أفتظن أن ّالله دلَّس عليك فيها .

ولن نذهب بعيدًا فها هو بودلي يروي حادثة الإفك ، ويضيف إليها من عنده إضافات لإثارة الشبهات حولها .

بودلي يدس في روايته لحادثة الإفك شبهات كثيرة ويتهم السيدة عائشة بأنّها مثيرة للفتنة الكبرى.

من خلال رواية بودلي لحادثة الإفك نجد فيها دسًا كثيرًا ، وسأبدأ روايته من الجزء الذي بدأ الدس فيه يقول بودلي:"وقفت عائشة لحظة تحدق في فضاء الصحراء العريض ، وقد انسحب الفجر ليفسح لحرارة الصباح ، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية إلى الفضاء والصخري ، فلم تجد أثرًا لقومها وقافلتها ، فهزت منكبيها وجلست، فما كان يجدي الذعر، وما كان هناك من فائدة في محاولتها اللحاق بقافلتها ، وإنّه من الأفضل أن تبقى في المكان الذي رؤيته فيه آخر مرة ، وإنّها لتأمل أن يعود اليوم إليها إذا ما افتقدوها ، فلم يجدوها في الهودج ، فلما ارتفعت حرارة النهار استولى عليها خمول ، فالتفت في جلبابها ، واستظلت تحت شجرة ثم نامت ، فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء ولم تكن وحيدة ، وكان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها فابتسم الشاب ثم أناخ بعيره وقال: إنّه صفوان بن المعطل ، ولم تقدم عائشة نفسها تبعًا لما قالته لما روت القصة ، وكان صفوان يعرفها بالنظر فقد خاطبها بعائشة بنت أبي بكر، سألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط

صحراء العرب، فشرحت له عائشة الأمر، فضحك صفوان ، ثم عرض عليها بعيره ، ليقودها إلى المدينة، فقبلت عائشة فساعدها صفوان على الركوب ، ثم انطلقا. وفي نفس الوقت استمرت قافلة المسلمين في طريقها دون أن يفطن أحد إلى أنّ عائشة ليست فيها ، ولم يكشف اختفاؤها قبل أن يناخ الجمل بالهودج الفارغ أمام مساكن النبي ثم ابتدأ الدهش ، إنّ قواد الجمل الذين كانوا مقتنعين بأنّهم رحلوا من المعسكر بعائشة ، قد عزوا اختفاءها إلى الجن ، وكان هذا هو الشرح الوحيد المقبول ، مادام أنّهم لم يقفوا في الطريق أبدًا ، وما كان لمحمد ليوافق على خرافات كهذه، فراح ينظم جماعة للخروج للبحث عنها ، لما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقوده شاب وسيم جميل ، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر[1] ، وأناخ البعير أمام مدخل دارها ، فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار، دون أن تحس أنّها عرضة للانتقاد ، كأنّما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب ، وكان محمد مسرورًا برؤية زوجه الأثيرة عنده سالمة ، فرحب بها ، ولما كان الأمر يعنيه خاصة

[1] – يزعم أنّه يروي القصة وفق رواية السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهاهي روايتها كما أوضحها البخاري في صحيحه ، سأوردها هنا لنقارن أي زيف دسه في الرواية ، وسأبدأ من المقطع الذي بدأت به وفق ما كتبه بودلي : (تقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها "وجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنّهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السُلمي ، ثمَّ الزكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلة فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة ، وهم نزل قالت : فهلك من هلك ، وكان الذي تولي كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول). [صحيح البخاري 5/ 149.]

انتهت الحادثة ، وكان من الواجب أن تنتهي ما لم يتدخل في الأمر عبد الله بن أبي بن سلول [1] .

وبالمقارنة بين الروايتين تلحظ الآتي :

1. لقد صاغ بودلي من عنده حوارًا بين صفوان بن المعطل رضي الله عنه وبين السيدة عائشة رضي الله عنها ، مع أنّنا لم نجد أي حوار في رواية السيدة عائشة ، وأكدت ذلك بقسم منها أنّهما لم يتكلما بكلمة "والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة" ، وكان الأمر واضحاً لصفوان رضي الله عنه ولا يحتاج إلى سؤالها لأنّه كان خلف الجيش ، وعندما رآها أدرك أنّها تخلفت عن الجيش لسبب طارئ ولم يعلم أحد بتخلفها ، ولم يحسوا بذلك فمشوا وحسبوها معهم .
2. لقد كانت السيدة عائشة ملتفة بخمارها ومتحجبة، فكيف يصفها بودلي بأنّها " جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر ."
3. لم تذكر السيدة عائشة أنّها ابتسمت لصفوان كما ذكر بودلي .
4. نلاحظ تلميح بودلي بما يثير الشبهات وتركيزه على هذه العبارات "شاب وسيم" "فابتسم الشاب" "فضحك صفوان" لما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقوده شاب وسيم جميل ، و"كانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر" فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان كأنّما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب .

وهكذا نجد كيف يحور المستشرقون الروايات الأصلية ويرسمون فيها ما يريدون دسه ويزعمون أنّ هذه هي الروايات الصحيحة، فها هو بودلي يقول : " تبعًا لما قالته عائشة ودس من عنده ما دس من شبهات .

---

[1] – بودلي . الرسول ... حياة محمد . ص 214– 215.

كما أنّ بودلي لم يبين في روايته أن سبب مجيء "صفوان" أنّه كان يسير خلف الجيش، ولم يكتف بودلي بدس هذه الشبهات؛ إذ نجده قد شطح كثيرًا وكأنِّي به عبد الله بن أبي ظهر بثوب جديد ليمعن في إفكه .

فقد صوّر بيت النبوة يكره السيدة عائشة ووجد في هذا اللغط فرصة لبث حقده، فهو يلمح أنّ السيدة زينب بنت جحش كانت سعيدة بموقف أختها حمنة بنت جحش التي أخذت تردد بعض ما يشاع كقول بودلي: "ولم يشارك عبد الله في فريته إلا المكيون منهم حمنة أخت زينب بنت جحش.. وكانت زينب تعتقد أنّ الله نفسه زوجها من محمد، فكانت تحس أنّه من الواجب أن تحتل مكان عائشة الأثيرة عنده، ولقد اختفت حتى ذلك الوقت في أن تنال بغيتها، وهيأت لها هذه الفضيحة المفتراة فرصة، وما كانت تود أن تضر عائشة ، وما كانت تعتقد في حديث الإفك ، كما أشارت إلى ذلك فيما بعد ، ولكن لما كان عبد الله يذكي نار الشائعات وكانت حمنة متأهبة لنشرها ، فإنها تركت الأمور تجري في أعنتها ، وانتشر اللغط في دور النبي ، فكان لكل إنسان في المدينة روايته عن مسألة عائشة وصفوان[1] .

فلماذا يقحم أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش في خوض أختها حمنة بالإفك؟ ثم نجده يصور أنّ السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكره السيدة عائشة زوجة أبيها ، وأنّ كرهها لها ، انعكس على موقف سيدنا علي عندما استشاره الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر السيدة عائشة فقال له: "يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير"، يقول بودلي: "لم يكن عليًا رجل نساء، كان محاربًا مسلمًا ، لا يعتقد في جميع هؤلاء النسوة اللاتي يخلطن حياتهن بحياة قائده الأعلى ، وكان يعكس كره فاطمة لزوجة أبيها الشابة ، فأجاب على عن استشارة

[1] – صحيح البخاري . 151/5.

محمد بأنّ النساء غيرها كثير ، وأنّ عائشة لا تختلف عن الأخريات وقد بلغ هذا القول عائشة، فلم تنسه أبدًا، فلما بويع لعلي بالخلافة بعد ثلاثين سنة، عارضته بشدة ، حتى أنّها أثارت حربًا أهلية دموية بين المسلمين ، ولا يزال ترجيع هذه الملاحظة والغضب التي أثارتها عائشة ظاهرة حتى اليوم في بعض الشقاق الإسلامي ."

فمن قال إنّ السيدة فاطمة رضي الله عنها تكره السيدة عائشة رضي الله عنها؟ هل لكونها زوجة أبيها؟ وهل هي قاعدة أن تكره البنت زوجة أبيها؟: هذه الفرية كما يبدو نقلها بودلي من كتب بعض الشيعة، إنّ أمثال بودلي لا يدركون المعاني السامية في العلاقات الإنسانية بين المسلمين ، فما بالك بالصحابيات الجليلات، بل بسيدات بيت النبوة مثل عائشة وفاطمة رضي الله عنهما .

ولست أدري لماذا يصر المستشرقون على تصوير بيت النبوة بأنّه بيت مفكك، لا تربط أفراده روابط المحبة والود، بل تسوده المؤامرات وتظلله الكراهية؟ وللأسف نجد بعض الكتاب والباحثين تأثروا بهذه النظرة الاستشراقية وصوروا بيت النبوة وفق الرؤية الاستشراقية.

ثم لو فرضنا جدلًا ما يقول بودلي ، فهل يعقل أنّ سيدنا علي بن أبي طالب ، وهو أحد المبشرين بالجنة يقول ما يوافق هوى زوجته؟ .

الرد على تهمة بودلي للسيدة عائشة أنّها وراء الفتنة الكبرى

لقد تجاوز بودلي الحدود عندما ألصق بأم المؤمنين السيدة عائشة تهمة إثارة الفتنة الكبرى التي أعقبت مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فهذا تزييف في التاريخ ؛ إذ أبعد عبد الله بن سبأ اليهود السبب الحقيقي لهذه الفتنة ، والمثبت في المصادر الأساسية الأصلية والأولية

ويلصق بأم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما الفقيهة الراوية المحدثة بإثارة فتنة بين المسلمين والفتنة كما ذكر الله جل شأنه، أكبر من القتل ، ولماذا هذا كله؟ هل لقول علي بن أبي طالب النساء كثير، فتقوم السيدة عائشة رضي الله عنها بإشعال فتنة كبرى نكتوي بنيرانها حتى الآن؟

إذا كان حسان بن ثابت الذي قيل إنّه تكلم في الإفك كانت السيدة عائشة تكره أنّ يسب حسان بعد قول عروة نفسه أنّ حسانًا من أصحاب الإفك [1]، والسيدة عائشة تعلم قدر علي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " لا تسبوا صحابتي " كيف تأتي السيدة عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعلن الحرب على علي بن أبي طالب؟ .

وهل تقبل أم المؤمنين وهي ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا وبرأها من الإفك أن تسفك دماء المسلمين لشيء في نفسها على علي منذ عشرات السنين؟ .

فهذا الشطط نقله بودلي من كتب الشيعة والرافضة عن خروج السيدة عائشة رضي الله عنها إلى البصرة فقالوا بأنّ خروجها بسبب ما كانت تكنه لعلي كرم الله وجهه من كره إثر حادثة الإفك[2] ، فالسيدة عائشة رضي الله عنها لم تخرج إلّا للإصلاح ، ويؤكد ابن العربي على هذا المعنى صراحة فيقول: "وأما خروجها إلى حرب الجمل ، فما خرجت لحرب ، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة ، وتهارج الناس ، ورجوا

---

[1] – صحيح البخاري . " باب حديث الإفك."

[2] – العودة ، د. سلمان بن حمد . (1412هـ) عبد الله بن سبأ . ص 184 . الرياض .دار طيبة .

بركتها في الإصلاح ، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت في الخلق ، وظلت هي في ذلك ، فخرجت مبتدية بقوله تعالى {لا خير في كثير من نجواهم" الآية. (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[1] ،[2] ، وحيثما وصل على إلى البصرة جاء إلى عائشة فقال لها: غفر الله لك! قالت: ولك ما أردتُ إلا الإصلاح. ولما انتدب علي رضي الله عنه القعقاع بن عمرو للإصلاح مع أصحاب الجمل بدأ بعائشة يسألها عن سبب خروجها؟ فأجابت الإصلاح بين الناس[3] .

هذا ولم يثبت أنّ السيدة عائشة رضي الله عنها قد نازعت عليًا في الخلافة ، يقول عمر بن شبه:" إنّ أحدًا لم ينقل أنّ عائشة ، ومن معها نازعوا عليًا في الخلافة ، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة ، وإنّما أنكروا على علي منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم[4] .

وهكذا نجد المستشرقين يتلقفون الأخبار ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ، و ضد أمهات المؤمنين من كتب واهية ، ومن أناس يقطرون حقدًا وكرهًا للسيدة عائشة رضي الله عنها . فيرددون مزاعم وشبهات بعض الشيعة .

---

[1] – الحجرات : 9.

[2] – ابن العربي . أحكام القرآن.

[3] – تاريخ الطبري.

[4] – د . العودة. عبد الله بن سبأ . ص 81.

شبهات أخرى يثيرها بودلي حول السيدة عائشة رضي الله عنها

يزعم بودلي أنّ مقابلة صفوان رضي الله عنه للسيدة عائشة كانت مُدبّرة، وهذا يفسر لنا حذفه ما جاء في رواية السيدة عائشة أنّ صفوان بن المعطل ، ثم الزكوان كانا خلف الجيش، يقول بودلي: "وهنا السؤال الذي يظهر أنّه لم يجد له الجواب العملي المعقول بعد وهو: هل كانت عائشة بريئة أو غير بريئة؟ كانت حمنة تصر دائماً علي أن مقابلة عائشة لصفوان كانت مدبرة فلعلها كانت تتألم من الثمانين جلدة ، وحتى لو كان الأمر كذلك ففي رواية عائشة نقطًا ضعيفة ، كيف تنطلق دون أن تخبر أحدًا ، وهي تعلم أنّ القافلة وشيكة الرحيل ، ثم تضيع وقتًا طويلًا في البحث عن قلادتها؟ إن عنصر الوقت هنا هام.

إنّ المعسكر العربي يحتاج إلى وقت لمعرفة ، وبخاصة معسكر كبير كمعسكر قوة صغيرة ، وحتى إذا سارت المجموعة الرئيسية من الجمال في طريقها ، فهناك الساقة ، وكلما يتحرك قطار الإبل سريعًا ، فإنّه يقطع ميلين في الساعة،وعلى ذلك فمعني عودة عائشة إلى المعسكر، ولم تجد أثراً للقافلة، ولا أثر للنّاقة ، ولا أثرًا لمئات الرجال والدواب في بلاد مكشوفة حتى الأفق ، معنى ذلك أنّ عائشة قد استغرقت ساعتين على الأقل في البحث عن قلادتها ، ولقد نامت بعد ذلك كما قالت ، فلنفرض أنّ غفوتها لم تزد علي ساعة ، حيث ظهر صفوان بعد ثلاث ساعات من مسيرة محمد وجنوده ، فكيف عرف صفوان عائشة بالنظر، وخصوصًا أنّه حسبما جاء في قوله في المدينة بعد ذلك لم تقع عيناه عليها من قبل؟

إنَّ رواية عائشة أما أنّها بسيطة وصادقة حتى أنّها لتبدو غير محتملة ، وإمّا أنّ صفوان والقلادة شيء واحد ، ونفس الشيء [1].

[1] – بودلي . الرسول .. حياة محمد . ص 220.

ثم يستمر في إثارة شبهاته ، ودس سمومه ، فيقول: "وهناك بعض الاعتراضات على هذا الفرض الأخير، فإذا كان صفوان وعائشة عاشقين؟ فهل كانا يبلغان المدينة معًا ويعرضا مسألتهما في الطرقات، أو هلا ركب صفوان بعيره السريع لينذر القافلة أنّ عائشة ليست فيها؟ إنّ الأمر جميعه غير واضح ، وإنّنا لن نعرف الصواب أبدًا ، ثم يواصل اتهاماته ، فيقول: "وكانت عائشة تقول بعد ذلك بسنين إنّ صفوان قد ظهر أنّه كان حصورًا لا يأتي النساء ، أفهذه ملاحظة شريكة برئية أم شريكة مذنبة؟ أم هذه روح دعابة طروب؟ [1]

الرد على شبهة بودلي بأنّ مقابلة السيدة عائشة بصفوان مُدبّرة

القول الفصل هو براءة السيدة عائشة رضي الله عنها في القرآن الكريم ، التي سبق وأن بينتها وشرحت الآيات التي نزلت بهذا الصدد ، ولكن مادام هذا المستشرق لا يؤمن بما جاء في كتاب الله ، ويثير شبهاته بعدما أعلن الله جل شأنه، براءة السيدة عائشة ، وأنّ ما نسب إليها إفك عظيم ، أقول: "إن هذا المستشرق قد تخبط في افتراضاته ، ووضع استنتاجاته ، ويرد على نفسه، فهو يقول إنّ اللقاء كان مدبرًا وهي فرية، لأنّها كما ذكرت السيدة عائشة في روايتها ، وهي لم تكذب قط ولم يُرد لها حديث كان صفوان بن المعطل ، ثم الزكوان كان من وراء الجيش ، بمعنى أنّ صفوان كان خلف الجيش؛ إذ كان من مهامه أن يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف في هذا الحدث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا. وقد روي في سبب تخلفه سبب آخر، وهو أنّه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ، ويؤيد هذا حديث أبي داود أن امرأة

[1] – المرجع السابق . ص 220.

صفوان اشتكت زوجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّه لا يصلي الصبح ، فقال إنّي امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إذا استيقظت فصلي [1]."

وما حدث للسيدة عائشة رضي الله عنها طبيعي فنحن الآن نتعرض لمثل ما حدث لها، إذا كنا جماعة مسافرين قد تتحرك السيارات، دون أن نلتفت إلى نقص أحد منا، بل هناك آباء وأمهات قد يتركون أطفالهم في الطريق دون أن ينتبهوا إلا بعد تحركهم بفترة، وهذا جيش كبير، وهي امرأة صغيرة الحجم، تجلس في هودجها، ومسدلة ستائره ، ونزلت لقضاء حاجتها ، عندما علمت بالرحيل ، وهذا طبيعي في السفر، فقبل التحرك يقضي الناس حاجتهم لئلا تتعطل القافلة في السير، وعندما تنبهت السيدة عائشة لفقد عقدها ، عادت للبحث عنه ، ولم تكن تتوقع أنّ البحث عنه سيستغرق كل ذاك الوقت ، ولا ننسى أنّه لم تكن وقتذاك قد اخترعت الساعات، فلم تكن ساعة في يدها لترى الوقت وتعرف أنه حان الرحيل .

هذا وقد قدّر بودلي أنّ الوقت الذي أمضته السيدة عائشة في البحث عن قلادتها بساعتين واستكثره بينما نجده في الصفحة المقابلة أشاروا إلى فقد السيدة عائشة قلادتها في مناسبة أخرى ، وأخذ الجيش يبحث عنها عدة ساعات، جيش يبحث عن القلادة في عدة ساعات ، ثم يستكثر على السيدة عائشة أم المؤمنين أن تمضي ساعتين بحثًا عن القلادة .

أمّا قوله كيف عرف صفوان عائشة بالنظر وهو حسبما جاء في قوله بعد ذلك لم تقع عيناه عليها من قبل؟ ولست أدري من أين أتى بودلي بهذه الرواية ؟،لأنّ السيدة عائشة في روايتها التي أخرجها البخاري في صحيحه

[1] – السهيلي . الروض الأنف. 20/4.

قالت عن صفوان "وكان رآني قبل الحجاب" وكما يبدو أنّ بودلي ترك عمدًا ما يريد تركه من رواية السيدة عائشة ، والذي تركه منها قول السيدة عائشة "وكان صفوان بن المعطل ، ثم الذكواني من وراء الجيش وقولها "وكان رآني قبل الحجاب" وقولها "والله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة" ترك هذه العبارات الهامة في رواية السيدة عائشة عمدًا لأنّه يريد أن يثير ما يثيره من شبهات.

أمّا قوله: "إنّ السيدة عائشة قالت بعد سنين إنّ صفوان قد ظهر أنّه كان حصورًا لا يأتي النساء ، وذلك يقصد منه التأكيد على عدم براءة السيدة عائشة ، ولكن فات بودلي أنّ السيدة عائشة قالت هذا القول ؛ لأنّ زوجة صفوان قد شكت إلى النبي ، وذكرت له أمر زوجها ، فلا غرابة إن علمت بذلك السيدة عائشة ولا تهمة عليها [1]"

وهكذا نجد أنّ أدلة بولي التي ساقها لاتهام السيدة عائشة رضي الله عنها بالإفك أدلة واهية ضعيفة لا أساس لها من الصحة .

أنتوني نتنج وحادثة الإفك

لم يخض انتوني نتنج في الإفك ، وكل الذي قاله عبارات مقتضبة أشار فيها إلى هذه الحادثة ، وقال "واصل عبد الله بن عقبة [2] إثارة المتاعب ، بل أنّه انحدر إلى درجة الافتراء على عائشة ورميها بالفاحشة ، استشاط محمد غضبًا إزاء هذه الإساءة والإهانات[3].

---

[1] – المترجمان محمد محمد نوح وعبد الحميد جودة السحار لكتاب بودلي، ص 220.

[2] – يقصد عبد الله بن أبي وقد يكون خطأ مطبعيًا.

[3] – العرب .ص 33 .

كارين آرمسترونج متأثرة ببودلي في حادثة الإفك

عند قراءتنا لما كتبته كارين عن حادثة الإفك نجدها تردد بعض ما كتبه بودلي ، كربطها موقف حمنة بنت جحش بأختها زينب ، وتقول عنها: إنّها كانت تغار بالنيابة عن شقيقتها من تفضيل النبي لعائشة[1] ، ثم تقول "أما زينب نفسها فقد صمدت في دفاعها عن عائشة [2]."

قولها مثل قول بودلي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يطلب رأي عمر لما عرف عنه من شدته تجاه النساء قال بودلي بهذا الصدد : " ولم يستشر محمد عمر ، من المحتمل أنّه فكر في صراحته فخشي أن ينصح بالطلاق ."[3]

والثابت أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد استشار سيدنا عمر رضي الله عنه فقال: من زوجها لك يا رسول الله: قال: الله تعالى، قال: "أفتظن أنّ الله دلَّس عليك فيها ، سبحانك هذا بهتان عظيم". وقولها عن علي بن أبي طالب كقول بودلي: "لكن عليًا كان معاديًا متشككًا ، وقال: يا رسول الله إنّ النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلفلم فر له عائشة ذلك قط [4] .

عمومًا فإنّ موقف السيدة كارين كان أفضل بكثير من موقف هاملتون جيب ووات وبودلي ، وإن كانت قد تأثرت بمزاعم الرافضة من الشيعة ضد عائشة وكرهها لعلي ، وكره على لها رضي الله عنهما ، كما أنّها لم تورد نص آيات البراءة التي برّأت السيدة عائشة رضي الله عنها.

---

[1] – آرمسترونج . محمد. ص 298.

[2] – المصدر السابق . ص 298.

[3] –بودلي . الرسول .ص 217.

[4] – كارين . محمد . ص 298– 299.

موقف وليم موير من الإفك

قبل أن أختم حديثي عن موقف المدرسة الإنجليزية الإستشراقية من حادثة الإفك ، لابد من الإشادة بموقف وليم موير؛ إذ دفع كل الشبهات عنها بقوله تعليقًا على هذا الحادث "إنّ حياة عائشة قبل هذا الحادث وبعده تدعونا إلى القطع ببراءتها وعدم التردد في دحض أية شبهة أثيرت حولها .[1]

[1] – المترجمان : محمد فرج، وعبد لحميد جودة السحار في تعليقهما على ما كتبه بودلي في كتابه الرسول .. حياة محمد حول الإفك، حاشية ص 22.

موقف المدرسة الإنجليزية من يوم الخندق

في حديثي عن عن حصار بني قريظة أوضحت موقف المدرسة الإنجليزية من يوم الخندق: "إنّ حصار بني قريظة كان من نتائج يوم الخندق لنقض يهود بني قريظة العهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتضامنهم مع الأحزاب ، ووضع المسلمين في موضع حرج لولا عناية الله ؛ إذ أرسل ريحًا قويًا عاطفًا على معسكر الأحزاب ، ممّا جعلهم ولوا الأدبار، لحدثت كارثة محققة بالمسلمين ، وقد اعترف بودلي بهذه المعجزة الإلهية على خلاف عادته ؛ إذ نهج منهجًا ماديًا بحتًا في تفسيره للأحداث ، وأسقط جميع المعجزات الحسية منكرًا حدوثها باستثناء هذه المعجزة ، كما بينت أنّ بعض المستشرقين قلبوا الأحداث وجعلوا قريشًا وراء نقض بني قريظة العهد ، ولبى حُيي بن أخطب ، فقال الفريد جيوم " ونجحت قريش في إبعاد قبيلة بني قريظة اليهودي ."[1]

كما وجدنا من موقف جب وكالمرز التشكيك في تآمر اليهود وفي بني قريظة في غزوة الأحزاب فيقولان "واكتشاف أو ربما الشك في أنّ اليهود يتآمرون مع العدو [2]، أمّا وات فلقد أقر بأنّ اليهود في خيبر كان لهم دور كبير في إنشاء الحلف الكبير الذي جاء لحصار المدينة في أبريل سنة 607م[3] .

---

[1] – جيوم ، الفريد . الإسلام . ص 47.

[2] – جب وكالمرز . الموسوعة الإسلامية الميسرة. 985/2.

[3] – وات . محمد في المدينة . ،ص 337.

وكذلك بودلي يقر بخيانة يهود بني قريظة[1] ، أمَّا كارين فقد ذكرت خيانة بني قريظة ، وقالت إنّهم دفعوا الأمة إلى شفا الهلاك، وأنّهم أوشكوا أن يدمروا المدينة[2] .

هذا باختصار شديد موقف المدرسة الإنجليزية الاستشراقية من يوم الأحزاب ، سبق وأن أوضحته بالتفصيل عند الحديث عن حصار بني قريظة ، ورددت ما ورد من مزاعم باطلة بالروايات التي حققتها والتي تثبت خيانة بني قريظة وتحريض يهود خيبر وجمعهم الأحزاب لحصار المسلمين في المدينة للقضاء عليهم[3] .

موقف المدرسة الإنجليزية الاستشراقية من صلح الحديبية

في حديثي عن يوم خيبر تطرقت إلى موقف المدرسة الإنجليزية من صلح الحديبية ؛ إذ ذكر جب وزميله كالمرز أنّ موقعة خيبر كانت تعويضًا وافرًا عن العمرة الفاشلة [4]، وكذلك ذكر وات أنّ من أسباب موقعة خيبر أن يحصل فيها على الأسلاب لتوزيعها على أتباعه الذين خابت آمالهم من هذه الناحية في الحديبية[5] .

وكذلك بودلي الذي ذكر من ضمن أسباب معركة خيبر أنّ محمدًا شاء أن يعوض خيبة الأمل التي فرضها على أصحابه في الحديبية [6] .

---

[1] – بودلي . الرسول .. حياة محمد . ص 202.

[2] – كارين . محمد . ص 308،305،304.

[3] – أنظر: موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الجمهور في المدينة.

[4] – الموسوعة الميسرة . 956/2.

[5] – وات . محمد في المدينة . ص 232.

[6] – بودلي . الرسول .. حياة محمد . ص 64.

أمّا كارين فلقد كان موقفها مخالفًا لموقف زملائها ؛ إذ قالت عن صلح الحديبية: ولقد بين محمد في الحديبية أنّ الإسلام كانت له جذوره الضاربة في أقدس التقاليد العربية ، وأثبت صعوده بسرعة مذهلة إلى موقع الصدارة في بلاد العرب أنّ الدين الذي أتى به قد نجح ، لم يكن العرب متعصبين، بل إنّ السنوات العسيرة التي كابدوها في الصحراء قد أكسبتهم نزعة عملية عميقة ، ولذلك فعندما نظروا في النجاح العملي الذي حققته الأمة بدأوا يقولون ، ربما كان ذلك هو التغيير الذي طالما سعى إليه الناس.[1]

هذا باختصار شديد موقف المدرسة الاستشراقية الإنجليزية من صلح الحديبية ، وقد رددت على المعتبرين صلح الحديبية هزيمة للمسلمين ، وأنّهم خرجوا للقتال وليس للعمرة ، وأنّهم خدعوا قريشًا بلبس ملابس الإحرام ، وأنّهم حزنوا لما لم يحدث قتال طمعًا في الغنائم فعوضهم الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح خيبر[2] .

---

[1] – كارين . محمد . 335.

[2] – انظر غزوة خيبر.

فتح مكة

الزمان : رمضان السنة الثامنة للهجرة (628.م)

المكان : مكة المكرمة .

الأسباب: نقض كفار قريش صلح الحديبية الذي عقد في السنة السادسة للهجرة، إذ كان بمثابة هدنة بينهم وبين المسلمين لمدة عشر سنوات فأغارت قريش عل ى إحدى القبائل المحالفة للمسلمين، فاستجارت هذه القبيلة بالرسول صلى الله عليه وسلم فسار إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين، وفي البداية نشب قتال بين الطرفين ، وكثر قتلى قريش فقال أبو سفيان يا رسول الله أبيحت خضرًا وقريش ، لا قريش بعد اليوم ، ممّا يشير إلى كثرة القتلى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن " ، فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان وأغلق آخرون أبوابهم ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قادة جيشه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، وأعلن الأمان للناس سوى أربعة رجال وامرأتين أباح دماءهم ، وهم عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أخطل [1]ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقد قتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأسفار الكعبة ، وقتل مقيس بن حبابة في سوق مكة ، وتمكن عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح من الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعلنا إسلامهما ، وحقنا بذلك دمهما ، وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم لخزاعة أن تثأر من بني بكر في اليوم الأول من فتح

[1] –كان ابن أخطل قد أسلم ثم قتل أحد المسلمين وارتد عن الإسلام.

مكة حتى العصر، وذلك لما كان من غدر بني بكر بخزاعة قبل الفتح رغم دخولها في صلح الحديبية .

فلما كان العصر أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم وقف أي قتال بمكة وأوضح حرمتها ، وأمّا عامة أهل مكة فقد نالهم عفو عام رغم أنواع الأذى التي ألحقوها بالرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم ، وقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم فقال: (ما تظنون أنِّي فاعل بكم؟) قالوا: خيرًا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)[1]وفي رواية (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ، وقد نزلت الآية الكريمة (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ)[2]

فاختار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم ، ويصبر على ما كان منهم ، فقال : (نصبر ولا نعاقب.)

وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم حرمة مكة، وأنّها لا تغزى بعد الفتح ، وأمر بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها ، وشارك في ذلك بيده، فكان يهوى بقوسه إليها فتساقط وهو يقرأ (وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [3]، وكانت ستين وثلاثمائة من الأنصاب[4] ، ولطخ بالزعفران صور إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهم يستقسمون بالأزلام ، وكانت هذه الصور داخل الكعبة ، وقال: قاتلهم الله ما كان إبراهيم يستقسم

---

[1] –أبو عبيد .الأموال.

[2] – النحل : 126.

[3] – الإسراء : 81.

[4] – صحيح البخاري. كتاب المغازي 3/ص1296، صحيح مسلم كتاب :الجهاد في السير جـ ٣.

بالأزلام[1] ، وفي رواية أن صورة مريم كانت داخل الكعبة أيضًا[2], ولم يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة إلا بعد أن محيت هذه الصور منها[3] ، ثمّ دخلها وصلى فيها ركعتين ، وذلك بين العمودين المقدسين منها ، ثم خرج فدعا عثمان بن طلحة، وسلمه مفتاح الكعبة ثم استلم الرسول صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود وطاف بالبيت مهلـلًا مكبرًا ذاكرًا الله شاكرًا ، وكان غير محرم وعلى رأسه المغفر، ثم لبس عمامة سوداء ممّا يدل على جواز دخول مكة بغير إحرام لمن لم يرد حجًا ولا عمرة[4] .

وعندما تم تطهير الكعبة من الأصنام والأوثان أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى نخلة لهدم العزى التي كانت مضر جميعًا تعظمها، فهدمها ، وأرسل عمرو بن العاص إلى سواع صنم هزيل فهدمه ، وأرسل سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة بالمشلل ناحية قديد فهدمها[5] ، وبذلك أزيلت أكبر مراكز الوثنية حيث ذكرها القرآن (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) [6]، وفي فتح مكة نزلت سورة النصر، وبالفتح أقبلت قريش بمجموعها وأعلنت إسلامها[7] ، كما دخلت سائر القبائل العربية إلى دين الله أفواجًا ، ومن نتائج فتح مكة ، أخضع الرسول صلى الله عليه وسلم فريقًا من البدو كانوا يهددون مكة، كما أخضع مسيحي نجران وأمراء مهرة وعُمان وقبائل اليمن ونجد ، ولم يأت عام 10هـ/ 631 م" حتى كانت بلاد

---

[1] – صحيح البخاري .كتاب المغازي . 1296/3.

[2] – صحيح البخاري . 169/4. طبعة دار إحياء التراث."

[3] – صحيح البخاري . 184/4. طبعة دار إحياء التراث."

[4] – صحيح البخاري . 3/ 21، وصحيح مسلم، النووي ،3/ 508.

[5] – طبقات ابن سعد. 449/1.

[6] – النجم:19 – 20.

[7] – صحيح البخاري . 189/5

العرب جميعًا خاضعة له ، وبذلك زالت دولة الأصنام واستؤصلت الوثنية من بلاد العرب [1].

موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من فتح مكة

كما يبدو أنّ مستشرقي المدرسة الإنجليزية قد ملوا التصدي للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإثارة الشبهات حوله من قبل مولده إلى فتح مكة ، فعقدوا بعضهم هدنة مع شياطينهم وتوقفوا عن إثارة الشبهات في فتح مكة مثل الفريد جيوم ، وبودلي ، وكارين آرمسترنج ، أمّا باقي العصبة فلقد وجهت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تهمة برئ منها ، ولا تتفق مع خلقه الكريم ولا مع مبادئ الإسلام وتعاليمه ؛ إذ وجهوا إليه اتهامًا أنّه نقض الهدنة من قريش وإليكم ما قالته هذه العصبة .

جب وكالمرز يزعمان أنّه كان في نية النبي صلى الله عليه وسلم خرق الهدنة

ولست أدري كيف علما بما ينويه صلى الله عليه وسلم ؛ إذ قالا "أما إنّ نية محمد كانت خرق الهدنة مع قريش في أول فرصة ، فيمكن أن تأخذ هذا على أنّه شيء مؤكد ؛ إذ كان ممّا لا يمكن أن يطاق أن يظل المشركون يسيطرون على بيت الله ، والآن أتاح له المكيون الفرصة بسبب افتقارهم إلى الحصانة فعلى خلاف نصيحة أبي سفيان كان دعاة الحرب في مكة قد أيدوا بني بكر ضد خزاعة حلفاء محمد وبذا أعطوه سببًا مقبولًا للحرب.[2]

---

[2] – جب وكالمرز .الموسوعة الإسلامية الميسرة . 928/2.

وات يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان كتّاب أوروبيين بعدم الوفاء بالعهود

هكذا نجد وات يوجه على لسان الكتّاب الأوروبيين ، ولم يذكر أسماءهم وكتبهم ، يوجه إلى الرسول صلى اتهامًا مدعيًا أنّه صلى الله عليه وسلم نقض اتفاقاته مع اليهود ونقض "من جانب واحد" المعاهدة المعقودة في الحديبية مع المكيين ، وأدخل مع هذا الاتهام بعدم الوفاء بخرق حرمة الشهر الحرام أو الأرض الحرام أثناء سرية وادي نخلة ، يقول وات في عقده محاكمة أخلاقية للرسول صلى الله عليه وسلم كلها مطاعن وسموم تطعن في خلق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي وصفه جل شأنه (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [1] والذي جعله الله أسوة للناس أجمعين.

يقول وات: "يتضمن الاتهام بعدم الوفاء عدة انتقادات وجهها لمحمد كتّاب أوروبيون وهو ينطبق على أمثال، كنقض اتفاقاته مع اليهود ، ونقضه من جانب واحد للمعاهدة المعقودة في الحديبية مع المكيين ويمكن أن يتضمن هذا الاتهام بعدم الوفاء خرقه للشهر الحرام أو الأرض الحرام أثناء سرية وادي نخلة حيث سال لأول مرة دم المكيين ، وكذلك قتل يهود قريظة بالجملة ، وأخيرًا أمره أتباعه وتشجيعهم على القضاء على أعدائه الخطيرين بواسطة الاغتيال[2] ، ثم يقول ولم يكن في كل ذلك، ماعدا حوادث نخلة ، أيمكن أن يقلق ضمائر أتباع محمد[3] .

---

[1] – القلم : 4.

[2] – وات . محمد في المدينة. ،ص 498– 499.

[3] – النص بالإنجليزية In all the these actions there was nothing : wich disturbed the consience of Mahammads folowers apart from the events at Nakhalah (Muhammad at Medina . p . 327)

برنارد لويس يحرّف في الأحداث ويجعلها خلافًا شخصيًا

لقد عرف اليهود بنقضهم للعهود ، ويريد لويس أن يلحق هذه التهمة بخير خلق الله وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فيحرَّف ما حدث من إغارة قريش مع بني بكر على قبيلة خزاعة وقتلت عشرين رجلًا معاونة في ذلك حلفاءها من بني بكر، فاستنصرت خزاعة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف حرفها لويس؟

هذا ما ستعرفه عندما نقرأ ما كتبه ، يقول لويس : "وفي يناير من سنة 632 م[1] اتخذ قتل مسلم على يد أحد كفار قريش بسبب ما يبدو أنّه خلاف شخصي ذريعة لإعلان الهجوم النهائي على مكة وفتحها[2] .

أنتوني نتنج لم لكن أمينًا في توضيح خرق قريش للهدنة

لم يكن أنتوني نتنج أمينًا في توضيح أسباب فتح مكة ؛ إذ لم يذكر أنّ قريشًا أعانت بني بكر على الإغارة على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين ، وبذلك تكون قد نقضت الهدنة التي عُقدت بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية ، فيقول: "وهكذا عندما نقضت بعض القبائل المتحالفة مع الأمويين الهدنة بمهاجمة قبيلة متعاطفة مع المسلمين فخرج النبي إلى مكة في يناير عام 630 م طلبًا للقصاص من المعتدي[3].

---

[1] – الصواب : 629م.

[2] – لويس . العرب في التاريخ . ص 6.

[3] – نتنج . أنتوني. العرب انتصاراتهم وأمجادهم . ص 37.

الفصل الثامن

عالمية الإسلام

﴿ وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين ﴾

[الأنبياء: 107]

تمهيد

الإسلام دين عالمي ، ومن منطلقاته الأولى حدد هدف رسالة الإسلام بأن تكون رحمة للناس ، ومن مهام رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الناس جميعًا ، ويعلمهم على حد سواء بما أمر الله بتبليغه وإعلامه دون تمييز ، ولا تخصيص ، وأعلن هذا في السورة المكية الأنبياء في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[1]

وقال تعالى في سورة سبأ ، وهي سورة مكية أيضًا (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[2]

وقال جلَّ شأنه في سورة الفرقان ، وهي مكية (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [3]

ففي هذه النصوص القرآنية تحديد تام للهدف من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ،وبيان واضح لمسؤولية التبليغ والإعلام الملقاة على عاتقه.[4]

ولمَّا كانت هذه الرسالة ذات هدف عالمي شامل كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورًا أن يخاطب بها الناس على وجه العموم دون تفريق بين قوم وقوم ، ولا بين فئة وأخرى ، فكل من بلغت دعوته فهو داخل في عموم خطابه ، ولا يُستثنى من ذلك شاهد غائب سواءً عاصر رسالته ، أو جاء بعدها ، وسواء نطق بلغته ، أو لم ينطق بها ، ولكن تُرجمت له ، وإعلانًا عن ذلك قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ

---

[1] – الأنبياء : 107–109.

[2] سبأ : 28.

[3] – الفرقان : 1.

[4] – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أسس الحضارة الإسلامية ، ص 128،دار العربية . بيروت.

مُسْلِمُونَ) [1]، وذلك عقب قوله تعالى : (وما أرسلناكَ إلاَّ رحمةً للعالمين) أي فقل للعامين إنَما يوحى إليَّ إنَّما إلهكم أيها العالمون إله واحد ، وأنتم جميعًا مدعون للإسلام ، فهل أنتم مسلمون؟ فإن تولوا وأعرضوا فقل لهم : آذنتكم . أي أعلمتكم . على سواء دون تفريق بين عربكم وعجمكم ، وأبيضكم وأسودكم ، وسائر ألوانكم وأجناسكم دون تفريق بين ذكوركم وإناثكم ذكوركم ، ولا بين سادتكم وعبيدكم ، ولا بين أغنيائكم وفقرائكم ، فكلكم تجاه هذه الرسالة الربانية على صعيد سواء ، ولذا قال تعالى : في سورة الأعراف: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [2]معلنًا ومؤكدًا حقيقة عالمية رسالة الإسلام في مهمة كتابها ، ومهمة رسولها ،,هما أمران متلازمان ، ولا ينفك أحدهما عن الآخر ، وإعلانًا عن رسالة القرآن العالمية ، قال تعالى في سورة القلم ، وهي من السور المكية : (وما هو إلاَّ ذكرٌ للعالمين) [3]، وقال في سورة التكوير ، وهي من أوائل السور المكية نزلت بعد المسد : (إنْ هو إلاَّ ذكرٌ للعالمين)[4]

ومن أجل ذلك كانت رسالة الإسلام يشترك في تحقيقها من استجاب لها من كل عرقٍ ولونٍ ولغة.[5]

---

[1] – الأنبياء : 108.

[2] – الأعراف : 158.

[3] – القلم : 52.

[4] – التكوير : 27.

[5] – أسس الحضارة الإسلامية ،مرجع سابق ،ص 130.

الأسس التي جعلت الإسلام دينًا عالميًا

ترجع عالمية الإسلام إلى :

1. الأخوة الإنسانية التي أعلنها القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة الحجرات (يا أيُّها النَّاس إنَّا خلقْناكم منْ ذّكَرٍ وأُنْثى وجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِل لِتَعارفُوا إنَّ أكرمكُمْ عنْدَ الله أَتقاكُم) ، وأعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : " كلكم لآدم ، وآدم من تراب ." تستدعي أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : "لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحبه لنفسه" ، وقوله : "لأن يهدي بك رجلًا واحدًا خير ممَّا طلعت عليه الشمس أو غربت ، فحب الإنسان الخير لأخيه بدعوته إلى هذا الدين القويم الذي به تتم سعادة البشرية."

2. من عالمية الإسلام أنَّه ساوى بين النّاس في أصل البشرية ، فلقد أعلن الإسلام أنَّ الناس سواسية لا فرق بين عرق وعرق ، ولا بين لون لون ، ولا بين عربي وأعجمي ، فالناس كلهم سواسية في أصل الإنسانية ، وإن اختلف أفرادهم في الخصائص ، والهبات الربانية إنَّما هو أساس فقط لاختلاف المسؤوليات في الحياة ، وشطر طبيعي لتوزيع الإعمال فيها فالتفاضل عند الله بين أفراد هو بالتقوى (إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم)[1]

[1] – الحجرات : 13.

وبهذا الإعلان عملت الحضارة الإسلامية على نقل المجموعات البشرية من الدوائر الضيقة العنصرية والقومية والإقليمية والطبقية إلى أجواء فسيحة مملوءة بالتآخي والتواد والتراحم والتسامح في الحق ، والتعاون على البر والتقوى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ) [1]، والأخذ على يد الظالم مهما دنت درجة قرابته ،أو عظمت مودته وصداقته ، ونصرة المظلوم مهما بعدت درجة قرابته ، أو اشتدت كراهيته وعداوته.[2]

3. والإسلام دين عامي بإلغائه الفوارق العرقية والعنصرية والإقليمية والطبقية معلناً الأخوة الإيمانية (إنَّما المؤمنون إخوة) [3]، فبهذه الأخوة الإيمانية أصبح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من كل عرق ولون ولغة أسرة إسلامية واحدة ، تربط ما بين أعضائها رابطة العقيدة الواحدة والتشريع الواحد ، والسلوك المتماثل ،والمصالح المشتركة ، وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر."

4. ومن عالمية الإسلام أنَّه دين الفطرة ، وموافق لها : فلقد كان من مظاهر عالمية الإسلام شمولية رسالته ، ومراعاتها للفطرة الإنسانية ،

---

[1] – المائدة : 2.

[2] – المرجع السابق . ص 132– 133.

[3] – الحجرات : 10.

وأحوالها وأعرافها بشكل عام في كل ما احتواه من أحكام تشريعية دون تخصيص ولا تمييز عنصري ، أو قومي ، أو طبقي (إنَّ الدين عند الله الإسلام) ، وهو دين الفطرة (أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.)[1]

5. ومن عالمية الإسلام أنَّه نظر إلى الإنسان نظرة متوازنة وازن فيها بين الروح والجسد ، فنظرته إليه شاملة لم تقم على التجزئة ، فالإنسان في الإسلام مادة وروح ، فهو مزيج من قبضة من طين الأرض ، ونفحة من روح الله امتزج الاثنان في كيان واحد مترابط رغم اختلافهما، ويوضح هذا قوله تعالى : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[2]

وقد تعامل الإسلام مع الإنسان وفق هذه النظرة ، ووضع تعاليمه له موازنًا فيها بين المادة والروح فلم يبخس للجسد حقًا ليوفي حقوق الروح فيحرم المباح ، ولم يبخس للروح حقًا ليوفي حقوق الجسد فيبيح المحرمات ، وهنا تتجلى لنا معجزة الإسلام في موازنته بين رغبات الإنسان المادية وحاجاته الروحية ، فالإنسان في التصور الإسلامي من حيث طبيعته موحد بين النواحي المادية والروحية والحاجات

[1] – الروم : 30.

[2] – ص : 71– 72.

النفسية ، فهو لا يؤمن فقط بمادية الإنسان كالداروينية ، ولا يؤمن برهبانية الإنسان كالبوذية والهندوكية ، يقول تعالى : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)[1]، إنَّما الإنسان مادة وروح معًا يوضح هذا قوله تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[2]

ولا تقتصر نظرة الإسلام إلى الإنسان من حيث طبيعته ومكوناته ، وإنَّما تمتد إلى تكريمه : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)[3] ، كما تمتد إلى كينونته ودوره في الحياة ،فالإنسان في القرآن مخلوق مكلف ذو رسالة هي الاستخلاف (وإِذْ قَالَ رَبُّك للملائكةِ إِنَّي جَاعِلٌ في الأرضِ خَلِيفةً قَالُوا أَتجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسِفِكُ الدِّمَاءَ ونحنُ نُسَبِّحُ بحمدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنَّي أَعلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) [4]فالإنسان لم يخلق عبثًا ، كما تقول الوجودية ، وإنَّما خلق لمهمة كبرى هي "عمارة الأرض"، وذلك لتحقيق الغاية العليا من خلقه ، وهي عبادة الله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[5]

فالإنسان كائن مكلف ، ومناط التكليف العقل ، فاشترط التكليف بالعقل ، فإن انعدم العقل سقط التكليف ؛ لذا نجده سقط عن الصغير والمعتوه والمجنون ، فالإنسان مكلف لأنَّه ذو عقل ، ووجود عقل يعني وجود فكر ، ودور العقل في هذه القضية جد عظيم ،وهو موضع اعتبار الإسلام وتعظيمه ليكون في الدرجة الأولى من

---

[1] – الحديد : 27.

[2] – القصص : 77.

[3] – الإسراء : 70.

[4] – البقرة : 30.

[5] – الذاريات : 56.

الأهمية والفعالية والعطاء ، ومن الوصول بالإنسان إلى مداخل الحق والخير ، وتمكينه من استيعاب الحقائق التي تملأ أرجاء هذا الكون المعمور ، وفي طليعتها حقيقة الإيمان بالله الذي يملأ وجوده الكون ، فالإنسان العاقل يميز بين الخير والشر ، وبذلك فهو مسؤول عن اختياره ليحاسب ويعاقب ويُجازى إن أخطأ وتعدى على حقوق الغير ، قد يقول قائل إنَّ الإنسان مسير، وهذا قدره فكيف يحاسب عن أمر ليس له ؟

وهنا أقول : الإنسان في التصور الإسلامي مسيَّر ومخيَّر ،مسيَّر في بعض جوانب حياته ، وفق طبيعته التي خلق عليها ، فهو مسيَّر بخضوعه لسنن الكون التي لا يستطيع الخروج عنها كقوانين الجاذبية والضغط الجوي ، وقوانين الجسم من الهضم والدورة الدموية ،وقوانين الحرارة ، وغيرها من السنن الكونية ، وهذا من رحمة الله بالإنسان ؛ إذ لو لم يكن مسيرًا في قوانين الجسم كيف يستطيع أن يُسيِّر أجهزة جسمه لتؤدي وظائفها وهو نائم؟

فالإنسان في بعض جوانب حياته مسير ؛ إذ يخضع للسنن الكونية ، ومن جهة أخرى له قدرة وإرادة حرة تختار ما تريد من الأفعال والتصرفات ،ومسؤولة عن هذا الاختيار : (وَنَفسٍ وما سوَّاها فَأَلَهْمَها فُجُورَها وتَقْوَاها)[1] { وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن}[2] ، فهنا يأتي الاختيار ، فمادام الإنسان قادرًا على التمييز بين الخير والشر ، فهو حر الاختيار ؛ إذ يُبيِّن الله جلَّ شأنه له الخير والشر ، وطريق كل

---

[1] – الشمس : 7–8.

[2] – البلد : 10.

منهما ، وله أن يختار أيهما يسلك ، ثُمّ يتحمل بعدئذٍ مسؤولية اختياره ، فيُثاب ويُجازى خيْرًا على الخير ، ويُعاقب في الدُّنيا والآخرة إن سلك طريق الجريمة والشر، وهنا يأتي دور المجتمع في معاقبة من أجرم في حق العباد وحق المجتمع ، فلا نقول إنَّ الإنسان مسؤول عن أخطائه ، ولا يتحمل المجتمع مسؤولية التحريم ، كما يقول واضعوا القوانين الوضعية ، وبعض دعاة حقوق الإنسان موجهين انتقاداتهم للعقوبات والحدود والتعزيرات في الشريعة الإسلامية ، لأنَّ إسقاط حق المجتمع المتمثل في سلطة الدولة في التحريم يسقط الحرام ، ويسقط معه العقاب ، وبالتالي تشيع الفوضى ، وتُرتكب الجرائم ، وتُنتهك الأعراض ، وتُسلب الأموال وتُراق الدماء ، فحفظًا لحقوق الإنسان أوجد الخالق القصاص والحدود والتعزيرات ، وهو أدرى بخلقه ، وبما يصلح لهم : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفسَ بِالنَّفْس وَالْعَيْن بالعَيْنِ والأَنْفَ بِالأَنْفِ والأُذنَ بالأُذنِ والسِّنَّ بالسِّنِّ والجُرُوح قَصاص)[1]

فأنت بهذه العقوبات تحفظ حقوق المجني عليهم ، المعتدى عليهم ليدرك كل إنسان قبل إقدامه على جريمة ما أنَّه سوف يُعاقب بالمثل ليكون هذا العقاب رادعًا له ولغيره ، فلا يقدم على جريمته ، وبالتالي تُحفظ حقوق الجميع ، ولكن الذي نراه الآن أنَّ منظمات حقوق الإنسان الدولية تدافع عن الجاني ، ولا تدافع عن المجني عليه،

[1] – المائدة : 45.

وتُهاجم الشريعة الإسلامية لأنَّها تحفظ حقوق المجني عليه وحقوق المجتمع بقطع دابر الجريمة بفرضها العقاب عليها .[1]

في حين نجد اختلاف المفاهيم والتصورات لماهية الإنسان وكنهه في الأديان السابقة للإسلام ، وفي النظريات والفلسفات الغربية الحديثة ، وترتب على هذه المفاهيم والتصورات حقوق الإنسان وواجباته ،فهناك من نظر إلى الإنسان وكأنَّه روح خالصة ، كالبوذية والهندوكية التي تمخَّضت عنها الفلسفة المثالية ،والنظريات التجريدية كنظرية المثل الأفلاطونية في العصور القديمة إلى فلسفة هيجل في القرن التاسع عشر ؛ إذ تعاملت معه وفق هذا المنظور ، فحددت حقوقه وواجباته طبقًا له ،ونجده أثقل كاهل هذا الإنسان بواجبات تفوقه ، كالرهبانية ، في حين نجد تصورات ومفاهيم أخرى نظرت إلى الإنسان أنَّه مادة ، وتعاملت معه وفق هذا المنظور ، وحدَّدت حقوقه وواجباتها طبقًا لهذه النظرة ، كالداروينية التي نشأت عنها المذاهب المادية كالماركسية والفرويدية القائمة على التفسير الجنسي الحيواني للسلوك الإنساني ، وغير ذلك من المذاهب القائمة على مادية الإنسان وحيوانيته ، والتي شملت كل اتجاهات الفكر الغربي ، والتي اعتبرت الحرية الجنسية ، حق من حقوق الإنسان يمارسها متى شاء مع من شاء دون ضوابط شرعية طالما أنَّ الطرفيْن راضيين ، معتدية بذلك على حقوق الآخرين من بني الإنسان .

وكلاهما انحرف عن الجادة والصواب لخطأهما في تحديد ما هية الإنسان ،وبالتالي تحديد متطلباته واحتياجاته وواجباته .

---

[1] – حمّاد ، د. سهيلة زين العابدين . (1411هـ/ 1990م) إحسان عبد القدوس بين العلمانية والفرويدية .ص 475– 481 بتصرف واختصار . دار الفجر الإسلامية للنشر والتوزيع . المدينة المنورة.

والله جلَّ شأنه خالق هذا الكون وما فيه ، ومن فيه ، هو الأعلم والأدرى بصنعته ،فحدد ما هية الإنسان ووضع التشريعات التي تحفظ لهذا الإنسان كينونته وحقوقه في الحياة دون الاعتداء على حقوق الآخرين ليؤدي رسالته فيها طبقًا لما وضعها الخالق له محددًا له واجباته، كما حدَّد له حقوقه، مسخرًا كل ما في هذا الكون لخدمته.

6. ومن عالمية الإسلام أنَّه أقر العدل بين ،فمن أسس الإسلام إلزام قادة المسلمين وحكامهم وقضاتهم من مراعاة العدل في المعاملة بين المسلمين دون تمييز بين عناصرهم وفئاتهم وطبقاتهم وقومياتهم دون تمييز بين من يحبون ، ومن يكرهون من الناس ، وفيما ألزمت به جميع المسلمين من التقيد بحقوق التسوية ضمن إطار العدل بين عناصر المسلمين وفئاتهم وطبقاتهم وقومياتهم أيضًا ، فالمسلمون كل المسلمين سواءً أمام الحق ، وبين يدي القضاء ، وفي تقدير الكفايات ، وإيجاد فرص العمل المتكافئة للجميع ، وفي اقتباس العلم والمعرفة ،لا تمييز بين عنصر منهم ، ولا بين فئة وفئة ، ولا بين طبقة وطبقة ، ولا بين قوم وقوم ، ولا بين نساء ونساء ، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [1]، ففي هذه الآية يأمر الله أولي الأمر من حكام المسلمين وقضاتهم بأقوى صيغة جازمة بأن يحكموا بين الناس بالعدل دون تمييز بين عناصرهم ، وأصنافهم وطبقاتهم ،وبعدائهم وذوي قراباتهم ، ثُمَّ أكَّد ذلك بقوله

[1] – النساء : 58.

تعالى في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[1]

وفي هذا النص يأمر الله تعالى الذين آمنوا بأن يكونوا قوَّامين لله ، أي لأنفسهم وأهوائهم وشهواتهم ، فهم منفذون أحكام الله ضمن حدود شريعته ، وأي إخلال فيذلك ، أو تلاعب ، إنَّما خيانة للأمانة التي حملوها ولايتهم كونهم قوَّامين لله ما لم يتقيدوا بأحكام شريعة الله ، ولو على أنفسهم وأهليهم ، وذوي قرابتهم ، وذلك يتطلب من الشهداء أن يكونوا شهداء بالقسط ، والقسط هو الحق والعدل ، ثمَّ ينهى الله عن أن يحملهم البغض بينهم ، وبين قوم آخرين على مجانبة سبيل العدل معهم في الحكم والقضاء ، أو في الشهادة ، وهذا ما تضمنه قوله تعالى : (**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ** عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ)[2]
(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[3]

وفي هذا النص يأمر الله تعالى بالعدل في القول دون تأثير بعواطف القرابة التي تنزع في نفس الإنسان كي يجانب العدل.[4]

ومن مظاهر العدل بين المسلمين أمر الله تعالى أن يكرم المسلم أخاه المسلم ، فيرد على تحيته بأحسن منها ،أو بمثلها مهما كانت الفوارق بينهما ، وينهى عن السخرية وللمز والتنابز بالألقاب مهما

---

[1] – المائدة : 8.

[2] – أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، المرجع السابق ، ص 144.

[3] – الأنعام : 152.

[4] – أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، المرجع السابق ، ص 144.

وجدت دواعي ذلك ،قال تعالى : (وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)[1]، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[2]

فقد جعل الله في هذه الآية السخرية واللمز والتنابز بالألقاب من الفسوق الذي يطلق على مرتكب هذه المنكرات في شريعة الله ، وبئس هذا الاسم بعد الإيمان الذي تجمل الإنسان المسلم باسمه ، فأطلق عليه أنَّه مؤمن ؛ إذ كان في إمرة المؤمنين ، وفي قوله تعالى في هذه الآية : (ولا تلمزوا أنفسكم)[3] تعبير رائع يشير إلى أنَّ المسلمين كلهم بمثابة أنفس واحدة ، فمن لمز أخًا ، فقد لمز نفسه ، وبهذا نلاحظ مبلغ الرقي العظيم الذي تتمتع به أسس الحضارة الإسلامية في بنائها الفكري الجيد.[4]

عالمية الإسلام إعلان فريد في تاريخ الرسالات والديانات

وهكذا نجد إنَّ عالمية الإسلام ، كما يقول فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي : " إعلان فريد في تاريخ الإسلام الرسالات والديانات ، فقوله تعالى مخاطبًا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين) [5]؛ إذ يُبيّن هذا الإعلان سعته ، وإطاره الكبير ، ومساحته بحساب الزمان والمكان ، ممَّا يجعله خارقًا للعادة ، ولا

---

[1] – النساء : 86.

[2] – الحجرات : 11.

[3] – الحجرات :11.

[4] – أسس الحضارة الإسلامية . ص 145.

[5] – الأنبياء : 107.

يمكن أن يمر به الإنسان الداعي مرورًا عابرًا ، فإنَّ مساحته الزمنية تحوي جميع الأجيال والأدوار التاريخية التي تتلوا البعثة المحمدية ، ومساحته الكافية تتسع للعالم كله ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى لم يقل : إنَّنا أرسلناك رحمةً لجزيرة العرب ، أو للشرق ، أو للغرب ، أو القارة مثل آسيا مثلًا ، بل قال : (وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين) ، وسعة هذا الإعلان وشموله وعظمته وسموه واستمراره وخلوده ، كل ذلك يقتضي أن يقف أمامه الفكر الإنساني كله حائرًا مشدوهًا ، وينقطع إليه كليًا ـ ردحة من الزمن ـ يبحث في مدى صدق هذا الإعلان ، أو صحة هذا الواقع ، لأنّنا لم نجد في تاريخ الأديان والنِّحل ، وفي تاريخ الحضارات والفلسفات ، وتاريخ الحركات الإصلاحية والمحاولات الشورية ، بل في تاريخ العالم كله ، وفي الكتبة النسائية بأسرها مثل الإعلان المحيط بالكون كله ، والأجيال البشرية كلها ، والأدوار التاريخية بأجمعها ، حول أية شخصية من شخصيات العالم ، حتى أنَّ خلاصة تعاليم الأنبياء والسابقين ، ونبذة من أحوالهم وسيرتهم التي وصلت إلينا هي أيضًا مجردة عن مثل الإعلان.[1]

هذا ويسوق الشيخ الندوي الإدلة على ذلك ، فيقول :

"وأمَّا اليهودية فهي ديانة قديمة مشهورة . فإنَّها تنظر إلى الله كرب بني إسرائيل . وإله بني إسرائيل في الغالب . إنَّ صحف العهد القديم ، والكتب الدينية المقدسة عند اليهود تخلو من ذكر الله كرب للعالمين ،

---

[1] –الندوي ، أبو الحسن. (1415هـ/ 1995م)السيرة النبوية . ص 453،454،ط1 . دارالشروق . جدة.

ورب الكون بتاتًا ، ولذلك فالبحث في سيرة نبي من أنبيائهم ، مثل موسى ، وهارون وداود وسليمان عن مثل هذا الإعلان عبث وإضاعة وقت ، فإنَّ هذه الديانة لم تكن في أية مرحلة من مراحلها رسالة رحمة ومساواة للجيل الإنساني كله من غير تمييز عنصري ، ولم تشجع فيها الدعوة إلى هذه الديانة خارج شعب إسرائيل أبداً[1]" والذي سمى نفسه بشعب الله المختار ، أي أعطى لنفسه تمييزًا على سائر شعوب العالم.

ويتحدث الشيخ الندوي عن الديانة المسيحية ،فيقول : " أمَّا المسيحية التي عُرفت بتسامحها وحماسها للدعوة ، وعطفها على الإنسانية ، فقد جاء في الإنجيل تصريح . والعُهدة على الكتاب . بأنَّ المسيح صرَّح بأنَّه لم يُبعث إلاَّ ليرعى خراف بني إسرائيل الضالة [2]، وحين لفت نظره إلى بعض المرضى الذين لم تكن لهم صلة رحم ونسب ببني إسرائيل اعتذر وقال : إنّي لستُ ذلك الرجل الذي يعطي خبز الأولاد للكلاب [3]."

ويتعرَّض فضيلته إلى الديانات الشرقية والآسيوية الأخرى ، فيقول : " أمَّا الديانات الشرقية والآسيوية الأخرى ، وخاصة الهندوكية ، فإنَّها لا تختلف كثيرًا عن النموذج السابق ، بل أنَّها تسبق الديانات السابقة أحيانًا في تقديس النسب والسلالة ، وتوزيع الناس في طبقات توزيعًا ظالمًا جائرًا لا يعرف اللين والمرونة ، فقد كان المنبوذون في المجتمع الهندي محرومون من كل نوع من التكريم والشرف والمساواة نومن أولى حقوق الإنسان ، وأبسط مبادئ الإنسانية لا يجوز لهم تحصيل العلم والتعليم والتدريس ، والتطلع ‘لى الهضبة الروحية ، فقد خصَّ دراسة "

---

[1] – الندوي ، أبو الحسن . السيرة النبوية ،ص 454 – 455.

[2] – إنجيل متى : إصحاح 15 آية 24 ،وإصحاح 10 ،آية 6،7.

[3] – إنجيل متى : إصحاح 15 ،آية 26.

ويدا" وتقديم القرابين والنذر لآلهتهم وأوثانهم بالبراهمة فحسب ، وكان النظر في كتب ويدا ودراستها مقصورًا على فئة النزي والويش ، وقد صرَّح " فوشاشتر" أنَّ المنبوذين لم يخلقهم الله إلاَّ لغرض واحد ، وهو خدمة الطبقات الثلاث التي مضى ذكرها. إنَّ أهل الهند القدامى لم يكونوا يعرفون وراء جبال " هميلايا" دنيا ، لاصلة لهم بالعالم الخارجي ، وبالشعوب الأخرى ، ولا رغبة لهم في الإطلال عليها ، لذلك فإنَّ البحث عن مثل هذا الإعلان عن نبي أو ولي ، أو مصلح فيهم عبث ، وإضاعة جهد ووقت . الحقيقة أنَّ البحث عن نبي يكون رحمةً للعالمين في ديانة لا تحمل عقيدة " رب العالمين" غير معقول ، وغير منطقي ".[1]

رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء عصره

وانطلاقًا من هذا الإعلان بعالمية الإسلام ، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم رسولًا للناس أجمعين ، شرع الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وكان أوَّل من دعا إلى الإسلام من خارج الجزيرة العربية هو النجاشي ملك الحبشة ، وذلك في السنة الثامنة قبل الهجرة النبوية ، فقد كان أبو جعفر بن أبي طالب أوَّل سفير في الإسلام ؛ إذ كان أميرًا على المهاجرين إلى أرض الحبشة ، فدافع عن المسلمين والإسلام هناك ، ودعا إلى الإسلام ، وكان النجاشي ضمن من أسلم على يدي جعفر[2]، وسهر على مصالح المسلمين في أرض الحبشة ، وقدم بهم منها إلى المدينة إثر فتح خيبر

[1] _ الندوي ، أبو الحسن . السيرة النبوية ، ص 455-456.

[2] – ابن الأثير . الكامل .

[1] فأدى واجبه سفيرًا نبوًيا بما لا يقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،, لكنه مع هذا فقد أغله المؤرخون ، ولم يضعوه في قائمة الرسل النبويين إلى الملوك والأمراء في تلك الأيام [2]، كما أنَّه لم يدرج في هذه القائمة " الحرث بن عمير الأزدي" الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك بُصرى في الشام أواسط السنة الثامن للهجرة، حيث استشهد قبل وصوله إلى ملك بُصرى ، هو الرسول النبوي الوحيد الذي استشهد أثناء تأديته لمهمته ، مع هذا فلم يدرج في قائمة رسل النبي وسفرائه ، إلاَّ أنَّ النص على سفارته جاءت عرضاً في معركة مؤتة ، باعتباره السبب المباشر لهذه الغزوة ؛ إذ عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني في موقع " مؤتة "، وضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فاشتد عليه ندب النّاس ، وأخبرهم بمقتل الحارث ، من قتله ، فأسرع الناس ، و خرجوا فكانت معركة مؤتة ، وكان مقتل الحارث السبب المباشر لهذه المعركة.[3]

هذا ولقد ورد ذكر رسل النبي صلى الله عليه وسلم في المصادر المعتمدة [4]، وقد أشار البخاري إلى إرسال كتاب النبي إلى

---

[1] – ابن عبد البر . الدرر . ص 206.

[2] – خطّاب ، محمود شيت . (1407هـ / 1996م) سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .. دار الأندلس . جدة ،مؤسسة الريَّان ، بيروت . لبنان.

[3] – المرجع السابق : ص 15.

[4] – سيرة ابن هشام مغازي الواقدي ،طبقات ابن سعد ،تاريخ خليفة بن خيَّاط ،تاريخ الطبري ،وابن القيِّم في زاد المعاد ، وابن الأثير في الكامل ، والإمام النووي (ت 656هـ / 1258م) في الأسماء واللغات ، وابن حجر في فتح الباري ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وابن خلدون في العبر ، والقلقشندي (ت 221هـ / 835م) في صبح الأعشى ، 376/6–381.

كسري ، دون أن يذكر نص الكتاب ، لكنه بيَّن أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل كتابه مع عبد الله بن حذافة السهمي وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين المنذر بن ساوي العبدي ، وأنَّ المنذر دفعه إلى كسرى الذي مزقه بعد أن قرأه ، وقد دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمزقهم الله كل ممزق [1]، وقد فرَّق الله ملك كسرى فقتله ابنه ، واستولى على عرشه ، وتمزَّقت الإمبراطورية الفارسية ، ثمَّ زالت من الوجود.[2]

وقد أخرج البخاري في صحيحه نص كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث به إلى عظيم بُصرى فدفعه إلى هرقل ، ونص الخطاب، كما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم .من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ،سلام على من اتبع الهدى أمَّا بعد: فإنِّي أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله اجرك مرَّتيْن ، فإن توليت فإنَّ عليك إثم الأريسيين.)[3](قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[4]

وقد ثبت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، لمّا أراد أن يكتب إلى الروم قيل له إنَّهم لن يقرأوا كتابك إذا لم يكن مختومًا ، فاتخذ عليه الصلاة والسلام خاتمًا من فضه ونقشه : "محمد رسول الله " [5]، ممَّا

---

[1] – فتح الباري : 126/8.

[2] – د. العُمري . السيرة النبوية الصحيحة ،2/ 458.

[3] – الأريسيون : الفلاحون.

[4] – آل عمران : 64.

[5] – صحيح البخاري.

يدل على مرونة السياسة الإسلامية في الإفادة من الرسائل ، والرسوم المعاصرة ما دامت لا تتعارض مع أحكام الشريعة وروحها العامة.[1]

هذا وقد قال أنس بن مالك " كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كل جبار يدعوهم إلى الله ، وسمى منهم كسرى , قيصر والنجاشي ، وقال ليس بالنجاشي الذي أسلم .[2]

أمَّا رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر فقد عثر المستشرق الفرنسي " بارت ليمي Barth Lemy" على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس مكتوبة على ورق جلدي قديم بناحية "أخميم "من صعيد مصر سنة 1850م ، وقد نشرتها المجلة الآسيوية سنة 1854م ، وهي محفوظة في متحق " طوب قبو سراي " باستنبول ، وتبدو داكنة ،ورقيقة ،وقد أصابها شق من وسطها ، ولكنها مازالت مقروءة ، وقد وثق بها " مسير بلين " ووافقه نولدكه .[3]

وأعلن الدكتور " بوش Busch" الألماني في سنة 1863م في مجلة المستشرقين الألمان العثور على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساري ، ولم تحظ بالتوثيق الكافي.[4]

ونشر المستشرق الإنجليزي "دنلوب Dunlop" في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة 1940م ، أنَّه حصل على ورق جلدي فيه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، ولكنه شك في

---

[1] – العمري. .السيرة النبوية الصحيحة . 2/ 459.

[2] – صحيح مسلم : 397/3.

[3] – د. العمري . السيرة النبوية الصحيحة ، 2/ 459.

[4] – المرجع السابق 2/ 459.

صحتها ، وأعلن الدكتور صلاح المنجد في جريدة " الحياة البيروتية" سنة 1963م عن الكشف عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى مرجحًا صحتها ، ولكن الثابت أنَّ كسرى مزَّق الرسالة، كما كشفت عن وثيقة خامسة من وثائق العهد النبوي سنة 1973م، وهي قديمة يزيد عمرها عن ألف سنة ، ولكن لم يقطع بتوثيقها حتى الآن.[1]

تاريخ إرسال الرسل إلى الملوك والأمراء والزعماء

من المتفق عليه أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ يدعو الملوك والرؤساء والأمراء والزعماء إلى الإسلام بعد صلح الحديبية لتوسيع نطاق الدعوة ، بعدما أمن قريش وغدر اليهود بالمدينة ، ولكن هناك اضطراب في الروايات تناولت تواريخ إرسال الرسائل ، فقد روى ابن سعد " أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لمَّا رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست ، أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وكتب إليهم كتابًا ، فخرج ستة نفر في يوم واحد ، وذلك في المحرم سنة سبع [2]، بينما يذكر الطبري أن بعث هؤلاء النفر الست كان في ذي الحجة ، وهي من رواية الواقدي . وواضح من نص خبر الواقدي عن ابن سعد أنَّ رجوع النبي صلى الله عليه من الحديبية كان في ذي الحجة ، وأنَّ إرسال النفر الستة في المحرم من العام السابع ، أمَّا ابن إسحاق [3]فلا يحدد تاريخًا دقيقًا لإرسال الرسل ، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته ، وقال في رواية " كان رسول

---

[1] – المرجع السابق . 2/ 459–460.

[2] – طبقات ابن سعد . 1/ 176.

[3] – سيرة ابن هشام . 4/ 606.

الله صلى الله عليه وسلم قد فرَّق رجلًا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته ، واستدرك عليه ابن هشام في زيادات السيرة قائلًا : " بأنَّ إرساله الرسل كان بع دعمرته التي صدر عنها يوم الحديبية."

هذا وقد بلغ عدد رسله عليه الصلاة والسلام إلى ملوك وأمراء زمانه خمسة عشر رسولًا ، وذلك وفق الجدول الذي وضعه اللواء الركن محمود شيت الخطَّاب ، وهو كالآتي :

رسل " سفراء " النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء زمانه [1]

الرقم	اسم " السفير"	اسم الملك أو الأمير	التوقيت الهجري	ملاحظات
1	جعفر بن أبي طالب	النجاشي ملك الحبشة	8.ق .هـ	أول سفير في الإسلام /أسلم النجاشي الأول
2	عمروبن أمية الكناني	النجاشي ملك الحبشة	أواخر سنة 6	أسلم النجاشي الثاني أيضاً.
3	دحية بن خليفة الكلبي	هرقل قيصر الروم	أواخر سنة 6	صرف السفير النبوي بالحسنى.
4	عبد الله بن حذافة السهمي	كسرى أبرديز بن هرمز ملك الفرس	أوائل سنة 7	مزَّق الكتاب النبوي.
5	حاطب بن أبي بلتعة اللخمي	المقوقس ملك مصر	أواخر سنة 6	أهدى النبي "ص" وصرف السفير النبوي بالحسنى.
6	شجاع بن وهب الأسدي	الحارث بن شمر الغساني ملك الغساسنة بالشام	أواخر سنة 6	لم يسلم
7	سليط بن عمرو القرشي	تعوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة	أواخر سنة 6	لم يسلم.

[1] - [1] - [1] – هذا الجدول من وضع اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتاب سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ،1/16-17.

8	عمرو بن العاص القرشي السهمي	جيفر وعبد بن الجليفري في عُمان	أواخر سنة 8	أسلما.
9	العلاء بن الحضرمي	المنذر بن سادي العبدي في البحرين	أواخر سنة 6	أسلم
10	الحارث بن عمير الأزدي	ملك بُصرى بالشام	أواسط سنة 8	استشهد السفير قبل وصوله.
11	المهاجر بن أمية المخزومي	الحارث بن عبد كُلال الحميري في اليمن.	سنة 9	أسلم.
12	جرير بن عبد الله البجلي	ذو الكلاع وذو عمرو في اليمن	سنة 11	أسلما.
13	معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي	الحارث وشرحبيل ونعين بن عبد كُلال	أواخر سنة 9	أسلموا.
14	أبو موسى الأشعري	الحارث بن عبد كُلال وإخوته	أواخر سنة 9	أسلموا.وفق رواية الإمام النووي.
15	عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي	بنو الحارث بن كعب في نجران.	أواخر سنة 10	أسلموا.

موقف المدرسة الاستشراقية من عالمية الإسلام

قد شكك معظم المستشرقين في صحة إرسال الرسائل منهم وليم موير في كتابيه حياة محمد والخلافة ، وكذلك مرجليوث في كتابه " المحمدية " ،وتوماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام [1]، ويشاركهم في هذا التشكيك المستشرق الإيطالي " ليون كايتاني " في كتاب " حوليات الإسلام ،وتتلخص اعتراضاتهم بأنَّ الإسلام دين يخص العرب ، وأنَّ الدولة الإسلامية كانت ضعيفة لا يمكنها تحدي القوى العالمية آنذاك ، وأنَّ ابن

[1] – انظر الدعوة إلى الإسلام، ص 48 ، حيث يقول أرنولد : " نراها يقصد الدعوة إلى الإسلام " تتخذ صورة عملية في الكتب التي قيل أنَّ محمدًا بعث لها بين السادسة من الهجرة إلى عظماء وملوك ذلك العصر."

إسحاق لم يذكرها ، وأنَّ فيها تفاصيل أسطورية ، وأنَّ بعض الرسائل تشتمل على آيات قرآنية قيل إنّها نزلت بعد تاريخ الرسائل بسنتيْن.[1]

أمَّا الفريد جيوم في كتابه " الإسلام" ينكر عالمية الإسلام ، ويقول : " إنَّه عربي نزل على العرب خاصة" [2]

أمَّا وات فيقول في كتابه محمد في المدينة " أنَّ محمدًا كان هدفه أن يقيم دينًا موازيًا لليهودية ، ولكنه مرسل للعرب خاصة [3]حتى إذا ما رفض اليهود الاعتراف بدين محمد على أنَّه مواز لدينهم ، أدى هذا الرفض إلى تحويل الدين الجديد الذي لم يصبح دينًا خاصًا بالعرب ، بل أصبح دينًا ذا طابع عربي صرف.[4]

الرد على نفي عالمية الإسلام

إنَّ عالمية الإسلام أعلنها الله جل شأنه في بداية انطلاقة الدعوة في دورها المكي ، والآيات التي توضح عالمية الإسلام ، والتي سبق وأن ذكرتها واردة في سور مكية ، أي نزلت في مكة ، وهي سور الأنبياء ، وسبأ ، والفرقان ، ممَّا يدحض مزاعم وات أنَّ رفض اليهود لدعوته جعله صلى الله عليه وسلم يحول دينه ليكون غير خاص للعرب ، ثمَّ أنَّ تعاليم الإسلام تؤكد عالميته ، لأنَّه صالح لكل زمان ومكان .

---

[1] – د. العمري . السيرة النبوية الصحيحة ،2/ 406.

[2] – جيوم ، الفريد . الإسلام . ص 63. ونلاحظ هنا أنَّه بأنَّه نبي مرسل بقوله " نزل على العرب خاصة"

[3] – نلاحظ هو أنَّ وات في نفيه عالمية الإسلام قد أقر بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم نبي مرسل من عند الله ، وليس مدعي النبوة ،وذلك في قوله : " ولكنه مرسل للعرب خاصة".

[4]

هذا ورغم أنَّ أرنولد توماس أقر بعالمية الإسلام إلاَّ أنَّه شكك في إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتب إلى ملوك وأمراء عصره.

أمَّا التشكيك في إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الرسل " السفراء" للملوك والأمراء في زمانه ، فهي شكوك لا أساس لها ، لأنَّه ثابت تاريخيًا وفق روايات صحيحة ، ووفق بعض الكشوف الثرية التي قام بها بعض المستشرقين ، والتي سبق وأن أشرتُ إليها أنَّه صلى الله عليه وسلم أرسل رسلًا إلى ملوك وزعماء زمانه.

خاتمة الباب الثالث

الدور المدني وموقف المدرسة الاستشراقية الإنجليزية من تكوين الدولة الإسلامية وتنظيماتها السياسية

من خلال هذه الدراسة للدور المدني وموقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية تبين لنا الآتي :

أولاً: أنّ يثرب مدينة عربية عريقة، أسسها يثرب بن قانية أحد أحفاد سيدنا نوح عليه السلام قبل أكثر من ثمانية عشر قرنًا قبل الميلاد ، وسكنها العماليق من العرب ، وهاجر إليها من الأوس والخزرج قبل سيل العرم ؛ إذ حكم يثرب المعينيون والسبئيون من اليمن، ونزح إليها من اليمن من بطون كهلان الأوس والخزرج في فترات حُكم المعينيين الذي امتد من القرن العاشر قبل الميلاد إلى الخامس قبل الميلاد ، أمّا حُكم السبئيين فقد كان من القرن السابع إلى الثاني قبل الميلاد .

ولما كانت أشهر هجرات الأوس والخزرج إلى يثرب إثر سيل العرم الذي بحدوثه سقطت مملكة سبأ فلقد كانت هذه الهجرة في القرن الثاني قبل الميلاد .

أمّا عن اليهود فكما ثبت من الحفائر أنّ أول ذكر لهم في شمال الجزيرة العربية في فترة تتراوح ما بين القرن الأول والرابع الميلادي ، فوجودهم في يثرب يكون في هذه الفترة ولاسيما في القرن الأول والثاني الميلاديين ، إثر هجوم تيتس سنة 70 م وهادريان سنة135 م بفلسطين ، وبذلك يكون الأوس والخزرج أسبق من اليهود في سكني يثرب ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن كثير في البداية والنهاية ويخالف ما ذهب إليه جميع المؤرخين القدامى والمحدثين . وكذلك المستشرقين .

أمّا عن أصل اليهود والذين سكنوا في يثرب فلقد تضاربت الآراء حولهم هل عرب تهودوا أم يهود تعربوا والباحثة تري أنهم يهود تعربوا، والأدلة كثيرة على ذلك وقد ساقها هاملتون جيب في الموسوعة الإسلامية الميسرة.

أما عن الوضع الاقتصادي لليهود في يثرب فقد بالغ مستشرقو المدرسة الإنجليزية في تصوراتهم ؛ إذ اعتبروا اليهود هم أول من زرع في يثرب ، وأنّهم كانوا مسيطرين على المال والتجارة في الجزيرة.

ولقد أثبتت هذه الدراسة أنّ أهل يثرب من العرب عرفوا الزراعة والصناعة والتجارة قبل لجوء اليهود إلى يثرب ، وأنّ من اليثربيين كانوا أثرياء ويمتلكون قطعانًا كبيرة من الماشية خصصوا لها محميات، ولم يكن اليهود وحدهم الأغنياء والأثرياء ، كما صورهم المستشرقون ، ولعل صمود الأوس والخزرج مائة وعشرين عامًا في حروب طاحنة بينهما ومحافظتهما على السيادة في يثرب ، خير دليل على ذلك .

ثانيًا: موقف مستشرقي المدرسة الإنجليزية من الهجرة النبوية إلى المدينة وأسبابها، وأسباب ترحيب أهل المدينة بالرسول صلى الله عليه وسلم اتضح الآتي :

1. وصف معظم المستشرقين هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بالهروب "وليم موير، مرجليوث ، توماس أرنولد ، جيب" وذلك إسقاطًا منهم لهروب داود عليه السلام من شاؤول إلى الكهف ، وإيهام زوجة داود وجند شاؤول أن داود على سريره.
2. اعتبر وات هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بحثًا عن مستقبل أفضل ، بينما اعتبرها جيب وكالمرز انتقالاً من الدور الديني إلى العلماني .
3. تحريف معظم المستشرقين في أسباب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ونفيهم اضطهاد قريش للمسلمين ، وتآمرها على قتله صلى الله عليه وسلم ، وملاحقتها له بعدما اكتشفت هجرته.

4. إلغاء ونفي المعجزات الحسية التي رافقت الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته ، ووصفها بالتزويق الأسطوري .
5. تقليل الفريد جيوم من أمر المعارضة القرشية ، واضطهادها للمسلمين؛ إذ اعتبر قريشاً استصغرت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تهتم بها .
6. اتفق المستشرقون على إرجاع ترحيب أهل المدينة بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أسباب مادية .
7. تحريف وات في بعض روايات ابن إسحاق من الهجرة .
8. تعارض أقوال المستشرقين الذين يزعمون أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم رحل عن مكة عندما طاب له الرحيل ، ولم يكن هناك معارضة واضطهاد من قريش ، وبين أنّ مبيت سيدنا علي رضي الله عنه مكان الرسول صلى الله عليه وسلم لإيهام القرشيين أنّه لم يغادر مكانه ، وبين اختبائه وسيدنا أبي بكر في غار ثور وتعقب القرشيين له، وقد تم دحض هذه الشبهات والرد عليها .

ثالثًا: بالنسبة لبناء المسجد النبوي الشريف فقد زعم جيب وكالمرز أنّ بناءه كان تقليدًا للبيع اليهودية ، أما وات فقد زعم أنّه كان على شكل كنيس يهودي، ومن خلال الرد على هذه المزاعم تبين لنا أنّ شكل بناء المسجد النبوي كان عبارة عن أربع حوائط بني أساسها بالحجارة ، ثم تمت باللبن وكان على شكل مربع 70×70 ذراعا(35×35متراً) وارتفاع الحائط سبعة أذرع ولم يكن له سقفًا، ولا منبرًا، ولا مئذنة ، ولشعور المصلين بشدة الحر، اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم عمل ظلة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب مستندًا على جزع نخلة، وأقيم المنبر عندما كثر الناس ولم يتمكنوا من رؤيته وهو يخطب .

رابعًا: الشبهات التي أثارها المستشرقون الإنجليز حول الصحيفة

يمكن تلخيصها في الآتي :

1. الاختلاف حول صحة الصحيفة وفي هذا انقسموا إلى أربع فرق .

أ- فريق أقر بصحتها وبموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود وفيها ، يمثل هذا الفريق مرجليوث ، الفريد جيوم ، وهاملتون جيب في الموسوعة الإسلامية الميسرة ، وبودلي ، وأنتوني نتنج ؛ إذ أقر في كتابه بصحة الصحيفة.

ب- فريق أقر بصحة الصحيفة بعدما شكك فيها ، واعتبر أنّها أبرمت بعد إزالة بني قريظة لأنّها لم تذكر أسماء القبائل الثلاثة: بنو قينقاع ، وبنو النضير، وبنو قريظة ، ويمثل هذا الفريق مونتجمري وات .

جـ - فريق شكّك في صحة الصحيفة ويمثله وليم موير، وبرنارد لويس ، وقد شكّكا في صحتها لأنّ ابن إسحاق عندما أوردها لم يذكر مصدره ، وينضم إليهما في هذه الجزئية مونتجمري وات الذي لم يقر بصحتها إلا لأنّ فلهاوزن قد أقر بذلك.

د - فريق تجاهل الصحيفة تمامًا مثل توماس كارليل، وتوماس أرنولد ، وديلاسي اوليري .

2. الاختلاف في تحديد تاريخ هذه الصحيفة، فمنهم من يقول: إنّها أبرمت بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بفترة قصيرة مثل وليم موير، أمّا مرجليوث فهو يتراجع عما ذكره في بداية حديثه عنها ، مع أنّها أبرمت بعد فترة قصيرة من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فيذكر احتمالًا آخر هو أنّها قد تكون أبرمت بعد

وقت متأخر من الهجرة ، بينما يرجح مونتجمري وات أنّها عقدت بعد حصار بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة .

3. إنكار برنارد لويس كون موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود على غرار المعاهدات المتعارف عليها عند الأوروبيين .
4. محاولة محرري الموسوعة الإسلامية الميسرة " جيب وكالمرز " التقليل من أهمية الصحيفة بادعائهما أنَّه ليس لها ذكر في القرآن سوى آية من سورة الأنفال .
5. زعم برنارد لويس أنّ الصحيفة أقرت الأحكام السارية في الجاهلية في مسائل الملكية والزواج والصلات بين أفراد القبيلة .
6. زعم برنارد لويس أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصبح شيخ الأمة ، وأنّ سلطته غير مشروطة ، أنّ من النوع الذي يرتضيه الطرفان من دون كتابة كتلك السلطة التي تمنحها القبيلة من غير طيب خاطر .
7. اعتبر وات أنّ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم حكمًا أوتوقراطيًا، وقد ناقض وات نفسه عندما نفى عن دولة الإسلام أنّها دولة أوتوقراطية ، ثم وصف سلطة الرسول صلى الله عليه وسلم أنّها سلطة أوتوقراطية.

هذا وقد ذهب برنارد لويس إلى ما ذهب إليه وات في وصف حكم الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه حكم أوتوقراطي ، واصفًا الحكم الإسلامي بأنّه حكم استبدادي معتبراً الصحيفة خطوة أولى نحو هذا الحكم .

8. زعم وات أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكلف باسم الأمة غير المسلمين لقتال أعدائه ، ويأخذ منهم خُمس الغنيمة، زاعمًا أنّ

عُيينة بن حصين قد كلفه الرسول صلى الله عليه وسلم قتال ثقيف قبل أن يسلم ، وقد ذكر هذا في صفحة359 ، بينما نجده في صفحة 111 كان قد ذكر أنّ عُيينة بن حصين كان من حديثي العهد بالإسلام، ومن المؤلفة قلوبهم عندما قاتل ثقيف .

9. إثارة " وات " بعض التساؤلات حول يهود بني عوف ، وحول بنود الصحيفة بقصد إثارة الجدل والشكوك ، كما نجده قد وقع في خطأ عند قوله إنّه تكرر يهود بني أوس مرتين في الصحيفة .

10. زعم وات أنّه كان في المدينة من له نفوذ أعظم من نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكأني به يلمح بأنّ لعبد الله بن أُبي نفوذًا أكبر من نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنّه أشار من قبل إلى تحيز ليهود بني عوف في الصحيفة ، لأنّ عبد الله بن أبي كان في الماضي قد حصل لهم علي شروط مناسبة .

11. اعتبر أنتوني نتنج أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم مرشدًا روحيًا ، وأصبح في يثرب حاكمًا زمنيًا.

وبالرد على ما أثير من شكوك حول صحة الصحيفة ، بحجة أنّ ابن إسحاق عندما أوردها لم يذكر مصدره تبين لنا صحة الصحيفة، ويؤيد هذا الآتي :

- وجود روايات أخرى للصحيفة ذاتها بالنص الذي أورده ابن إسحاق مع بعض الاختلافات البسيطة التي لا تؤثر على روح ومضمون النص ، فلقد أوردها أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال عن طريق الزهري ، وهو سند جيد ، وعن طريق يحيي بن عبد الله عن الليث وهو ثقة ، وقد رواها أيضًا حميد بن زنجوية في كتابه الأموال عن طريق الزهري يمثل

إسناد أبي عبيد ، كما أوردها ابن أبي خيثمة ، كما أوردها ابن إسحاق، ولكن بإسناد آخر ، وتبين لنا من ترجمة رواته أنّهم ثقات فتوافق نصوص الصحيفة مع اختلاف رواتها دليل على صحتها.

- ما ورد في القرآن الكريم يؤكد على صحة الصحيفة .
- موافقة نصوص الصحيفة لما جاء في القرآن الكريم في المبادئ العامة .
- ما ورد في السُنة يؤيد ما جاء في الصحيفة .
- الشواهد التاريخية على صحة الصحيفة من كتب السير والمغازي والتاريخ العام.

فهذه الأدلة تبين أنّ الصحيفة صحيحة الأسانيد ، وفق ما جاء في الروايات ، وأنّ جميع الأحكام الشرعية الواردة بها جاء ما يوافقها في القرآن الكريم ، وكتب الصحاح الستة ، وبالنسبة لمشاركة اليهود في القتال مع المسلمين، فقد ورد ما يثبت رفض الرسول صلى الله عليه وسلم مشاركتهم في القتال، واكتفي بالمشاركة بالمال ، خاصة وأنّ هذه البنود قد كتبت قبل فرض الجزية.

بالنسبة لتاريخ الصحيفة فقد رأيتُ أنّ الصحيفة كتبت عند مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم بشقيها ، الشق الخاص بموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود ، والثاني مع المهاجرين والأنصار، وتحديد التزاماتهم ؛ إذ ليس من المعقول أن يترك تنظيم العلاقات بين المسلمين بعضهم ببعض ، وهو في حالة حرب مع قريش ، ثم أنّ نصوص الوثيقة تؤيد ذلك وخاصة البنود (14) ، (17)،(18) ، (20) ب "

هذا كما تناولتُ في هذا الفصل الرد على الشبهات التي أثيرت حول الصحيفة، وهي كالتالي:

- شبهة أنّ حُكم النبي صلى الله عليه وسلم حكمًا دينيًا استبداديًا فرديًا، وذلك من خلال تحليل الصحيفة .

- مزاعم مونتجمري وات حول نفوذ الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني عوف .

- مقولة برنارد لويس أنّ الصحيفة ليست معاهدة بالمعني الإداري .

- ما جاء في الموسوعة الإسلامية الميسرة أنّ الصحيفة لم تلق اهتمامًا في القرآن .

خامسًا : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

فلقد رأى موير أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد نجح في التوفيق بين المهاجرين والأنصار، بينما رأى جيب وكالمرز أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أقام نظام المؤاخاة ليوفر وسائل العيش الضرورية للمهاجرين ، أمّا وات فقد كانت له عدة مغالطات حول المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فهو إلى جانب وقوعه في نفس ما وقع فيه جيب وزميله الهولندي؛ إذ قال إنّ المؤاخاة ألغيت بسبب صعوبات الميراث ، ثم نجده يقول إنّ المؤاخاة استمرت إلى وقت متأخر بعدما قال إنّها ألغيت، ويزعم أنّ نظام المؤاخاة مقتبس من التحالف في الجاهلية ، مع أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " لا حلف في الإسلام ."

ونظام المؤاخاة يختلف تمامًا عن نظام الحلف الجاهلي، فنظام المؤاخاة قائم على الوحدة في الدين والعقيدة ، بينما الأحلاف في الجاهلية لا تشترط وحدة الدين بدليل تحالف الأوس والخزرج مع اليهود ، كما أنّ نظام المؤاخاة يلزم المؤاخي أن يشارك أخاه في ماله ، أي يكون مسؤولاً عن

تأمين معيشة له ، بينما الحلف الجاهلي يلزم المحالف حماية حليفه والدفاع عنه ، ولم يكونوا مسئولين عن توفير معاشهم .

سادسًا : موقف المدرسة الإستشراقية الإنجليزية من موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة وخيبر؛ إذ هناك شبه إجماع من المستشرقين على اختلاف جنسياتهم وثقافاتهم وديانـاتهم أنّ موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة ، وخيبر ما أحرزه من نصر كبير في بدر؛ إذ قوي شأنه وعلت مكانته ، ويضاف إلى هذا السبب أسباب أخرى هي :

-عدم دخول اليهود الإسلام رغم استمالته لهم بجعل قبلة المسلمين في الصلاة إلى بيت المقدس إضافة إلى تشريعه بعض التشريعات اليهودية ، واحتدام الخلاف بينه وبين اليهود ، وطمعه في أموالهم لحاجته إلى المال ، ولتبرير مزاعمهم نجد وليم موير يزّيف في التاريخ ، ويزعم أنّ أبا سفيان نجح في ضم بني قريظة إليه.

أمّا مرجليوث فيدعي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عاش في المدينة على اللصوصية وقطع الطرق ، بينما يتجاهل الفريد جيوم نقض اليهود ما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق ، ويزّيف في التاريخ مثل موير، وقد ذهب هاملتون جيب وكالمرز إلى ما ذهب إليه مرجليوث ، وبالرغم من أنّ هؤلاء الثلاثة قد أقروا بصحة الصحيفة ، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبرم عهدًا مع اليهود ، ونجدهم تجاهلوا تمامًا نقض اليهود لما جاء في الصحيفة ، وتحدثوا عن إجلاء اليهود من المدينة ، وقتل رجال بني قريظة القادرين على القتال ، ومحاربة اليهود في خيبر ووادي القرى ، دون أن يتعرضوا للأسباب التي دفعت بالرسول صلى الله عليه وسلم لغزو خيبر، فلقد تحدث عن هذه

الغزوات من قبيل أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد غيّر سياسته ، وأعلن الحرب على كل من لا يدين بالإسلام ، كما أنّه حارب اليهود لتحقيق الثراء بغنم أموالهم ، ونجد مرجليوث يشكك في كون أسباب قتال يهود المدينة أسباباً حقيقية .

وهذا الموقف يبين لنا مدى تضليل المستشرقين وتزييفهم للتاريخ وبعدهم عن الموضوعية والحيدة ؛ إذ أخفوا نقض اليهود للعهود التي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وما حدث منهم من جرائم ، ومؤامرات وخيانات يصور الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه هو الذي نقض العهود معهم ، وأنّه ظلمهم ، أمّا اليهود فهم مظلومون مقهورون مغلبون على أمرهم .

وبالرد على ما أثاره المستشرقون من شبهات وبالتحقيق في الروايات ، وتطبيق علم الجرح والتعديل عليها، واعتماد الصحيح ، واستبعاد الضعيف تبين الآتي :

1. التأكد من صحة الصحيفة ، وأنّ هناك عهدً ابين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود في المدينة .
2. أنّ اليهود نقضوا ما بينهم، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عهود ومواثيق ، وليس كما يزعم المستشرقون أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي نقض العهود معهم .
3. أنّه عليه الصلاة والسلام لم يحارب أي منهم أو يجلهم إلا بعدما تكرر نقضهم للعهود ، وتأكد من ذلك ، وليس لمجرد الشك في نقضهم للعهود ، كما زعم المستشرقون .
4. إنّ زحف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خيبر كان بعد تأكده من أنّ يهود خيبر أخذوا يؤلبون عليه القبائل ، ويعدون العدة لغزوة أحزاب أخرى ، مّما يدحض مزاعم

مرجليوث أنّ هدفه هو الحصول على المال والغنائم ، كما يدحض مزاعم وات بأنّه خرج إلى خيبر ليخفف على المسلمين ما حدث في صلح الحديبية .

5. تبين بطلان مزاعم بودلي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد تحرك إلى خيبر ليجرب جيشه الجديد ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكوَّن آنذاك جيشًا جديدًا
6. إنّ السرايا التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم لقتل بعض الأفراد من اليهود كانوا يحرضون على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى المسلمين لخطورة ما كانوا يقومون به ، ولأنّه لم يرد تصعيد الموقف مع اليهود ، وإعلان الحرب عليهم لنقضهم العهد ؛ إذ اكتفى في البداية القضاء على بذور الفتنة بالقضاء على مثيريها .

سابعًا : حروب الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين

ولقد ركزت في هذا البحث على المعارك التي أثار المستشرقون الإنجليز حولها الشبهات ، وكذلك السرايا مثل سرية وادي نخلة ؛ إذ زعم المستشرقون أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم انتهك حرمة الشهر الحرام وأذن لابن جحش بالقتال ، بل نجد وات قد وضع رواية من عنده ونسبها لابن إسحاق ليثبت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم انتهك حرمة الشهر الحرام ، وقد أوردت نص روايته باللغتين الإنجليزية والعربية ونص رواية ابن إسحاق ؛ إذ اتضح لنا مدى تحريفه لرواية ابن إسحاق ، ونسبه إليها ما ليس فيها.

كما بينت ما أثاره المستشرقون من شبهات حول غزوة بدر، وأسرى بدر، وكذلك حول غزوة أحد والخندق والحديبية وفتح مكة ، وقبلها غزوة بني المصطلق وخوضهم في حادثة الإفك، وتفنيد مفترياتهم والرد عليها .

ثامنًا: عالمية الإسلام

لقد أنكر بعض المستشرقين عالمية الإسلام ومنهم الفريد جيوم ومونتجمري وات ، كما شكك معظم المستشرقين في صحة إرسال الرسائل بالجملة منهم وليم موير، ومرجليوث وتوماس أرنولد، زعم أنّ الأخير اعترف بعالمية الإسلام . وقد بينت صحة الروايات التي تقول بأنه صلى الله عليه وسلم أرسل ستة رُسل إلى ستة من ملوك وعظماء وأمراء عصره ، وهم هرقل إمبراطور الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس حاكم مصر، وحاكم اليمامة ، وحاكم البحرين ، وكان ذلك في أواخر السنة السادسة للهجرة

الأسس التي جعلت من الدين الإسلامي دينًاعالميًا

وتتلخص فيما يلي :

1. الأخوة الإنسانية .
2. المساواة بين الناس في أصل البشرية .
3. إلغاء الفوارق العرقية والعنصرية والإقليمية والطبيعية .
4. الإسلام دين الفطرة وموافق لها .
5. موازنة الإسلام في نظرته للإنسان بين عنصريه " الروح والجسد ."
6. إقراره العدل بين الناس ، وأنّ تشريعاته من عند الله وتصلح لكل زمان ومكان .

مناهج المدرسة الاستشراقية الإنجليزية في الدور المدني

وقبل أن أختم حديثي عن هذا الجزء من الدور المدني أرى من الضرورة بمكان أن أوضح المناهج التي نهجها مستشرقو المدرسة الإنجليزية فيه، وهي لا تختلف في جملتها عن ذات المناهج التي اتبعوها في الدور المكي والتي يمكن تلخيصها في الآتي:

- منهج التفسير المادي للتاريخ مع أنّ بعضهم أقر أن ّانتصار المسلمين في بدر كان معجزة إلهية .
- منهج الإسقاط كوصفهم لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالهروب، إسقاطًا منهم لهروب داود عليه السلام من شاؤول وجند .

ومن خلال التصدي للشبهات التي أثارها سبعة عشر مستشرقًا إنجليزيًا حول السيرة النبوية العطرة في دوريها المكي والمدني ، وحول القرآن الكريم والتشريعات المدنية تنكشف لنا حقيقة المنهج المتبع لدى مستشرقي المدرسة الإنجليزية في كتاباتهم عن الإسلام ، والسيرة النبوية ، وهو منهج يتناقض تمامًا مع المنهج العلمي المدعى.

كما يكشف هذا الكتاب لأول مرة حقائق لم يسبق التوصل إليها.